الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية قسم: اللغة العربية وآدابها

الاقتران الثنائي في ألفاظ القرآن الكريم وآثاره البلاغية الربع الأخير نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه LMD
تخصص: علوم اللغة العربية

إعداد الطالب:
محمد حمروش

السنة الجامعية: 2019-2020

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية قسم: اللغة العربية وآدابها

الاقتران الثنائي في ألفاظ القرآن الكريم وآثاره البلاغية الربع الأخير نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه LMD

تخصص: علوم اللغة العربية

إعداد الطالب: إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد حمروش حسين بن زروق

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د.محمد العيد رتيمة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	رئيسا
أ.د حسين بن زروق	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	مشرفا ومقررا
أ.د.حفيظة جنيح	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	مناقشا
أ.د.حورية عبيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة الخروبة –العاصمة	مناقشا
أ.د.فاطمة ولد الحسين هيشور	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله	مناقشا
أ.د.مبارك تريكي	أستاذ التعليم العالي	جامعة المدية- العاصمة	مناقشا

السنة الجامعية: 2019-2020م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: 23]

إلى التي غمرتني بحبِّها وحنانِها وفتحت لي قلبها، ليكون منبع فرحي وسعادتي وإلهامي، إلى التي أذهلتني بروعة أخلاقها، وحسن تربيتها، وصرق معاملاتها، وقوة صبرها.

إلى الغالية أُمِّي الحبيبة «**نُوَارَة بُوذِيبَة**» رحمها الله تعالى، وغفر لها، وأسكنها فسيح جناته، وألحقها بالصالحين من الأنبياء والصرقين والشُّهداء وحسن أولئك رفيقا.

إلى من كان عوني وسندي في مشواري الدِّراسي الطويل، إلى من علمني الصبر في الشدائد والإصرار على نيل المطالب.

إلى أبي الغالي «**رابح**» حفظه الله وأدامه.

إلى نسيمي العليل، وسندي وتوأم روحي، وشريكة حياتي، وأم أولادي، إلى زوجتي السامية «**سَامية بُوذِيبة**» حفظها الله لي وأدامها وأطال لي في عمرها.

إلى الكواكب الزاهرة، والنجوم السَّاطعة أبنائي وبناتي الأعزاء: **إلياس، أسماء، زكرياء، إسلام، رتاج**.

إلى من كانوا معي في السراء والضراء: إخواني وأخواتي: **صالح، حبيب، ناوية، بركاهم، غنية**، وإلى الحبيبة الغالية، وأختي الكريمة: «**حَبِيبَة**» رحمها الله وجعل مثواها الجنة.

إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد.

أهدي هذا العمل المتواضع الذي لا يكاد أن يكون إلا قطرة صغيرة في بحر البحث العلمي، أسأل الله تعالى أن تعم فائدته ويجعله في ميزان حسناتنا.

محمد حمروش

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ [النّمل: 19]

الشكر لله عزَّ وجلَّ على عظيم فضله، وجزيل عطائه، وتوفيقه وتسديده وإنعامه علي في إنجاز بحثي.

ثم لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور: حسين بن زروق الذي أتقدم له بأسمى عبارات ومعاني التقدير والإجلال لمتابعته لي في هذا البحث خطوة خطوة، ثم لأساتذتي الذين كان لهم الفضل في تكويني وبلوغي هذا المبلغ، وأخص منهم الأستاذ الدكتور: محمد العيد رتيمة الذي لم يبخل قط بنصائحه وتوجيهاته.

ثم لقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الجزائر2 (أبو القاسم سعد الله) الذي يَسّرَ لنا ظروف البحث والتكوين في هذا الطور.

ثمّ شكر عام لكل من ساعدني ووجهني وأخذ بيدي وشجعني لإنجاز هذا البحث المتواضع من قريب أو بعيد.

محمد حمروش

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

البحث في اللغة العربية وعلومها بحثٌ شاق ومضن، وذلك لما تحويه من علوم، ومعارف كثيرة، ومتداخلة، لكن تلك المشقة تهون أمام ضرورة الرجوع إليها لدراسة القرآن الكريم، والبحث في معانيه، وأسراره بطريقة علميَّة صحيحة؛ للوقوف على بعض كنوزه، وكشف بعض أسراره، وبلاغة لغته، وسر جمالها.

تلك الضرورة هي التي جعلتني أعود إلى القرآن الكريم ولغته، وبالتحديد إلى ظاهرة من ظواهره، التي تظهر جزءا من جماله ودقته في اختيار ألفاظه وكلماته، ألاَ وهي ظاهرة الاقتران الثنائي بين بعض ألفاظه.

واختياري لهذا الموضوع لم يكن من باب الاعتباط، وإنَّما كان عن موضوعية، لما تحتل هذه الظاهرة اللغوية من مكانة في التراث اللغوي العربي، خاصة من الناحية البلاغية، فهي تعبر عن جمالية ألفاظ القرآن الكريم، وبلاغة عباراته، الد الة على إعجازه وكماله.

وهذا البحث الموسوم بـــ«الاقتران الثنائي في ألفاظ القرآن الكريم وآثاره البلاغية، الربع الأخير نموذجا» يأتي في هذا السياق، ويسير بتأمل، وإن كان يسير سير الأعرج، فإنه يحاول قدر المستطاع أن يستجلي جانباً غضاً في التراث البلاغي العربي، نستشفه عبر القرآن الكريم، جانب وجدت فيه دراسات كثيرة، لكنها مبثوثة في ثنايا التفاسير المختلفة، دون أن تخصص لها دراسات منفردة جامعة، على الرغم من أهميتها، فالوقوف على هذه الظاهرة سيكون خدمة كبيرة تقدم للعلم أولاً، ثم لفهم القرآن الكريم ومقاصده ثانيا.

وتظهر أهمية هذا البحث في كون القرآن الكريم ميدانا واسعا، ومجالاً خصباً لكثير من الدراسات اللغوية، فهو يُعدُّ ملتقى للعلوم المختلفة، فالبحث فيه بحث في جوانب كثيرة من التراث العربي، كما أنَّ الكشف عن أثاره البلاغية، هو في الحقيقة كشفٌ عن طبيعة القرآن الكريم وإعجازه.

ولا تقف أهمية هذا الموضوع في شموليته في تناول أثاره البلاغية، بل تتعداها إلى كون الدراسة موضوعاً عمليا، حيث تقف بالباحثين والدارسين على الآثار البلاغية الكثيرة، التي تكشف لهم عن جمالية لغة القرآن الكريم، وسر فصاحتها، وتآلف ألفاظها، ودقَّتها وحسن اقتران بعضها ببعض.

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع لأسباب كثيرة، منها:

1. ضرورة التقرب من كتاب الله تعالى وخدمته، هذا الكتابُ الذي وعد الله تعالى بحفظه من التحريف والتبديل، فقال سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: 9]، فكان هذا الوعد الحافز والدافع، الذي دفع بالكثير من الدارسين والباحثين لدراسته في بحوثهم ومؤلفاتهم؛ في لغته وإعرابه، في بلاغته وتفسيره وأحكامه.

2. ضرورة التقرب من التراث عامة، واللغوي منه خاصة، والبلاغي منه على وجه أخص، لمعرفة دور البلاغة العربية في فهم النص القرآني وإبراز خصائصه وإعجاز ألفاظه وتراكيبه.

3. إثراء البحث العلمي اللغوي، بنفض الغبار عن الدراسات اللغوية، والتي لم تطرق إلا نادراً، أو لم تخصص لها دراسات منفردة.

4. قراءة القرآن الكريم ودراسته المتأنية، وتتبع الظواهر اللغوية التّي يزخر بها، جعلتني أقف على بعضٍ منها لإبرازها وإظهارها.

5. قناعتي التامة أنَّ لغة القرآن الكريم لغة غنية وثرية، مستوعبة لكثير من علوم اللغة العربية، والعلاقة بينهما علاقة تكامل، وإبراز هذه العلاقة حتمية معرفية.

وقد رمت باختياري لهذا الموضوع إلى تحقيق أهداف كثيرة، أجملها في التالي:

1. استخراج الآثار البلاغية الواضحة التي يزخر بها القرآن الكريم.

2. بيان دور هذه الآثار في إظهار إعجاز القرآن الكريم، ومدى الدقة والبراعة في اختيار كلماته وألفاظه.

3. بيان دور الاقتران الثنائي في ألفاظ القرآن الكريم في تحديد دلالة هذه الألفاظ والتراكيب القرآنية، التي لا يمكن التوصل إلى فهم معانيها دون فكرة الاقتران الثنائي.

وانطلقت في تحقيق تلك الأهداف، ومعالجتي لموضوع الاقتران الثنائي في ألفاظ القرآن الكريم من إشكاليات مفادها التالي: ما المقصود بالاقتران الثنائي في ألفاظ اللغة العربية؟ ما مظاهره؟ ما مدى حضور هذا الاقتران الثنائي عند المفسِّرين والبلاغيين والأصوليين؟ ما مدى حضوره في القرآن الكريم؟ والربع الأخير على الخصوص؟ ما أثره البلاغي والجمالي ؟ ومن ثم ما دوره في معرفة المعاني القرآنية المقصودة، والأحكام المفروضة، والتفسير العام للآيات ؟ما النتائج المترتبة عن ذلك الدور ؟

وقد قادني الجواب عن هذه الإشكاليات إلى انقسام البحث إلى ثلاثة أقسام كبيرة، جعلت

القسم الأول منه بحثاً في الإشكاليات المتعلقة بالاقتران الثنائي ومظاهره، والثاني بحثاً في الإشكاليات المتعلقة بعلاقة الاقتران الثنائي بالدِّراسات العربية القديمة والحديثة، والقسم الثالث بحثاً في الإشكاليات المتعلقة بالاقتران الثنائي وأثره البلاغي في الربع الأخير من القرآن الكريم.

ومكنتني هذه الأقسام الثلاثة من تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، على النحو التالي:

تناولت في الفصل الأول الشرح المفصل لأهم مفاهيم الدراسة التي تمثل العمود الفقري له؛ حيث تناولت فيه «التأصيل اللغوي لفكرة الاقتران الثنائي وبيان معالمه في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة بالتفصيل» وقسمته إلى ثلاثة مباحث، هي:«التأصيل اللغوي لمفهوم الاقتران الثنائي»؛ بحثت التعريف بالاقتران الثنائي،وأسسه وضوابطه، وأنواعه، ومصطلحات أخرى صاحبته. أمَّا المبحث الثاني كان بحثاً في «معالم الاقتران الثنائي عند علماء اللغة العرب وغير العرب قديماً وحديثاً» وقد بحث فيه عن نظرة علماء اللغة العرب في القديم والحديث إلى ظاهرة الاقتران الثنائي في ألفاظ اللغة العربية، كما بحث عن موقعية الاقتران الثنائي في الدراسات الحديثة. وأمَّا المبحث الثالث فقد كان بحثاً في «مظاهر الاقتران الثنائي»؛ وقد بحثت في«الاقتران الصوتي»، و«الاقتران المعجمي»، و«الاقتران النحوي»، و«الاقتران البلاغي».و«الاقتران الفقهي».

وأمَّا الفصل الثاني فعنونته «الاقتران الثنائي ومظاهره الدلالية» قسمته إلى مبحثين، جعلت الأول منهما في«المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي عند القدامى» تناولت فيه أولا «مظاهر الاقتران الثنائي عند المفسرين»، ثانيا «مظاهر الاقتران الثنائي عند الأصوليين»، ثالثا مظاهر «الاقتران الثنائي عند البلاغيين».

وأمَّا المبحث الثاني فقد جعلته في «المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي عند المحدثين»، وبحثت فيه أولاً عن «مظاهر الاقتران الثنائي في علم الدلالة» بحثت في الاقتران الثنائي في «المشترك اللفظي»، والاقتران الثنائي في «المتضاد»، ثانيا: مظاهر الاقتران الثنائي في «لسانيات النص».وقد بحثت في الربط المعجمي حيث درست «الاقتران الثنائي وظاهرة التكرار»، «الاقتران الثنائي وظاهرة التضام أو المصاحبة اللغوية»، «الاقتران الثنائي وظاهرة الإحالة»، «الاقتران الثنائي وظاهرة الاستبدال»، «الاقتران الثنائي وظاهرة الحذف»، كما بحثت في الاقتران الثنائي والمشاكلة اللغوية وقد درست فيه: العكس والتبديل، والإجمال والتفصيل، والتباين والتتميم.

أمَّا الفصل الثالث فعنونته «الاقتران الثنائي ودلالته في القرآن الكريم (الربع الأخير نموذجا)» وقد عمدت في هذا الفصل الأخير إلى تصنيف الآيات القرآنية محل الاقتران الثنائي إلى مجالات دلالية في شكل مباحث لهذا الفصل، وهي: المبحث الأول بحثت في الاقتران الثنائي «في صفات وأسماء الله الحسنى»، والمبحث الثاني بحثت في الاقتران الثنائي في «صفات الرسل والأنبياء»، ، والمبحث الثالث بحثت في الاقتران الثنائي «ألفاظ العقيدة والإيمان»، والمبحث الرابع بحثت في الاقتران الثنائي في «ألفاظ الكائن الحي»، والمبحث الخامس بحثت في الاقتران الثنائي في «ألفاظ الكون والطبيعة». والمبحث السادس بحثت في الاقتران الثنائي في« ألفاظ الجهات».

ثم ختمت البحث بذكر أهم النتائج التّي توصل إليها هذا البحث، والتي كانت في الوقت ذاته أهم القضايا التي تناولتها الدراسة.

وقد سرت في ذلك وفق منهج وصفي تحليلي؛ حيث قمت بتتبع ظاهرة الاقتران الثنائي في الدراسات الصوتية والمعجمية والنحوية والبلاغية، وكذا عند المفسرين والأصوليين والبلاغيين، كما قمت بإحصاء نماذج للألفاظ المقترنة في الربع الأخير من القرآن الكريم، وجعلتها محل البحث والدراسة، وقد اقتصرت في بحثي هذا على دراسة ثلاثة نماذج قرآنية من المدونة محل البحث، بشرط أن تتكرر هذه الثنائية في القرآن الكريم أكثر من مرة. معتمدا في حصر دلالاتها ومعانيها وآثارها البلاغية على كتب التفسير خاصة منها اللغوية والبلاغية القديمة والحديثة.

كما أنني استعنت واستندت إلى مراجع كثيرة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. محمود بن عمر الزمخشري (جار الله): تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. خرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا، ط3، 2009، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

2. فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب.ط1. 1981. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان.

3. ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد. تح: علي بن محمد العمران.ط2. 1427ه. دار عالم الفوائد. مكة المكرمة.

4. بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط3. 1984. دار التراث. القاهرة. مصر.

5.محمود شكري الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني.دار التراث العربي. بيروت. لبنان.

6.الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، دط، تونس.

وأذكر في هذا المقام أنني قد سُبقت بعدة دراسات تقترب من موضوع رسالتي، كانت أولاهما مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، للطالب حمادة محمد عبد الفتاح الحسيني بعنوان«المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم» – دراسة نظرية تطبيقية–، تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمد عبد الحليم، والأستاذ الدكتور محمود عبد العزيز عبد الفتاح، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، القاهرة، سنة 2007.

وقد قدمت هذه الرسالة دراسة دلالية لبعض الألفاظ المتصاحبة في القرآن الكريم، لكنها لم تتناول أبدا الجوانب البلاغية إلاَّ بعض الإشارات القليلة جداً.والدراسة الثانية أيضا مذكرة لنيل شهادة الماجستير للطالب عاطف رجب جمعة القانوع بعنوان"الإعجاز البياني في نظم خواتم الآيات– المشتملة على أسماء الله الحسنى– "تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد شعبان علوان، الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين.

والجديد في رسالتي عنايتها بمعاني ودلالات الألفاظ المقترنة ثنائيا في الربع الأخير من القرآن الكريم ودور السياق في تحديد هذه الدلالات، وإبراز لآثارها البلاغية من خلال كتب التفسير وحصرها، فحدد هذه الرسالة نماذج لهذه الآيات المقترنة، ونماذج لآثارها البلاغية، وعبر سياقاتها كشف معانيها ودلالاتها.

وقد واجهتني بعض الصعوبات أثناء البحث لإعداد هذه الرسالة، تمثلت أساساً في اتساع مجال الآيات القرآنية المشتملة على الألفاظ المقترنة في الربع الأخير من القرآن، ناهيك عن البحث فيها في القرآن الكريم كله، فالبحث فيها يحتاج إلى وقت طويل، وهو ما لا يتناسب مع الزَّمن المتاح، كما تمثلت في قلة الكتب والبحوث المتعلقة بدراسة الألفاظ المقترنة خاصة في القرآن الكريم، وتناثر هذه الآثار البلاغية في كتب التفسير خاصة منها القديمة، الأمر الذي يشكل نوعاً من الصعوبة في إيجاد هذه الآثار وتصنيفها.

ولا يفوتني هنا أن أتقدم بخالص الشكر الجزيل لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور: حسين بن زروق على ما قدمه لي من نصائح وتوجيهات، من خلال لقائي به القليل نظرا لبعد المسافة بيننا،

ورغم ذلك كان حريصاً على التواصل معي بوسائل شتى لتذليل صعوبات البحث وتشجيعي على خوض غماره، فله مني فائق التقدير والاحترام.

وفي الأخير أؤكد أنَّ هذه الرسالة وإن كانت محاولة مني لقراءة القرآن الكريم قراءة بلاغية، بغية الوصول إلى بعض الأسرار الكامنة وراء إعجازه وجماله وقوة أسلوبه، إلاَّ أنَّها وككل عمل بشري لا تخلو من نقائص وأخطاء، ولا يمكن أن تصل درجة الكمال والتَّمام، فإن أصبت فبتوفيق من الله وحده، وإن أخطات فمن نفسي وحسبي أجر عناء البحث والاجتهاد.

الفصل الأول

مفهوم الاقتران الثنائي ومظاهره في اللغة العربية

المبحث الأوّل: التأصيل لمفهوم الاقتران الثنائي.

المبحث الثاني: معالم الاقتران الثنائي في الدراسات اللغوية

المبحث الثالث: مظاهر الاقتران الثنائي

المبحث الأول:

التأصيل لمفهوم الاقتران الثنائي

أولاً: التعريف بالاقتران الثنائي.

ثانياً: ضوابط الاقتران الثنائي ومقوماته.

ثالثا: أنواع الاقتران الثنائي.

رابعًا: مصطلحات مصاحبة للاقتران الثنائي.

أولا: التعريف بالاقتران الثنائي:

1_ الاقتران في الغة:

يأتي مصطلح الاقتران في اللغة العربية بعدَّة معان ودلالات، منها:

أ_ الجمع:

قال الرَّاغب (ت425ه): « القران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني؛ قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [الزخرف 53]، يقال: قرنت البعير بالبعير: جمعتُ بينهما»[1]، وجاء في الحديث الشَّريف: «**إنَّ الحياءَ والإيمانَ قُرِنَا جَمِيعاً، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ**»[2]، لا يستغني أحدهما عن الآخر، وهو المعنى الذي أشارت الآية القرآنية الكريمة: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان 13]؛حالهم في العذاب كحال أولئك الأسرى والمساجين الذين يقرن بعضهم ببعض في قيد ورباط واحد لا ينفكون عنه، أو كحال الحاج الذي جمع بين الحج والعمرة، وهو ما يسميه الفقهاء بالقِرَانِ، جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «**خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ فَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَة وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِحَجَّة وَعُمْرَة وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِالحَجِّ وَأَهَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالحَجِّ فَأَمَّا مَنْ أَهَلَّ بِالحَجِّ أَوْ جَمَعَ الحَجَّ والعُمْرَةَ لَمْ يَحِلُّوا حَتَّى كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ**»[3].

ب_ المصاحبة:

يقال: «قارن الشيء بالشيء مقارنة وقرانا؛ إذا اقترن به وصاحبه، واقترن الشيء بغيره وقارنته قرانا:صاحبته... والقرين: المصاحب»[4] والرفيق الملازم لك، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ** ﴾[ق: 23] أي: الملك الموكل به المصاحب له. ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ** ﴾[الزخرف 53]، يخدمونه ويشهدون له بإيمانه وصدقه.

---

[1]-الراغب الأصفهاني:المفردات في غريب القرآن، ج1، تح: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة:نزار مصطفى الباز.ص518.

[2]-رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان، وصححه الألباني في الصحيح الجامع، رقم 1599.

[3]-ابن حجر العسقلاني:فتح الباري في شرح صحيح البخاري،ج 4،تح:شعيب الأرناؤوط،ط 1،دار الرسالة العالمية، ص240.

[4]-ابن منظور: لسان العرب، ج5، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان.ص246.

قال الشاعر: [الطويل] [1]

عَنِ المَرْءِ لاَ تَسْـأَلْ وَسَـلْ عَـنْ قَرِينِـهِ فَكُـلُّ قَـرِينٍ بِالْمُقَـارَنِ مُقْتَـدِي

ت_ الشَّدُّ: يقول الخليل (ت170ه) في كتاب(العين):«قرنت الشيء أقرنه قرناً، أي: شددته إلى شيء»[2].وفي اللسان: «قَرَنَ الشيء بالشيء وقرنه إليه يقرنه قرناً: شدَّه إليه، وقرنت الأسرى بالحبال، شُدِّدَ للكثرة» [3]، ويستدل الخليل على هذا المعنى، برواية يوردها في معجمه، يقول فيها: «كان رجل يعبد صَنَمًا فأسلم ابن له وأهله، فجهدوا عليه، فأبى فعمد إلى صنمه فقلده سيفاً، وركز عنده رمحاً، وقال: امنع عن نفسك. وخرج مسافراً، فرجع ولم يره في مكانه، فطلبه وقد قُرِنَ إلى كلب ميِّتٍ في كناسة قوم، فَبَانَ له جهله، قال الشاعر: [من الرجز]

إِنَّكَ لَـوْ كُنْـتَ إِلَهـاً لَـمْ تَكُـنْ أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسَطَ بِئْـرٍ فِـي قَـرْنٍ

أُفٍّ لَمِلْقاك إِلَهًا يُسْتَدَن[4]

وهو المعنى الذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾[ص 38]، بمعنى: «وآخرين من الشياطين، وهم المردة موثقون في الأغلال، مربوطون بالقيود والسلاسل لكفرهم، وتمردهم عن طاعة سليمان –عليه السلام–»[5]، وقد جاء لفظ(مُقَرَّنِينَ) على بناء(مفعَّلِين) للمبالغة والإشارة إلى شدَّة القَرْنِ.

ث_ الوصل والتقارب:يقال:«قرن الحجَّ بالعمرة قِرانًا إذا وصلهما، وقد اقترن الشيئان:إذا تقاربا»[6]

جـ_ التلازم: جاء في المعجم الوسيط: «اقترن الشيء بغيره اتصل به وصاحبه، ويقال: اقترنا:

---

[1]–طرفة بن العبد:ديوان طرفة بن العبد،شرح:مهدي محمد ناصر الدين،ط3 سنة2002م،دار الكتب العلمية،بيروت، ص32.

[2]–الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ج3.ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط1، سنة 2003م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.ص383.

[3]–ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص336.

[4]– الخليل بن أحمد الفاراهيدي: كتاب العين، ج3، ص383، سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، ج1، تح: شعيب الأرنؤوط، ط11، 1996، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. ص254.

[5]–محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج3. ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص60.

[6]–ابن منظور: لسان العرب، ج13، ص336.

تلازما، وتقارن الشيئان تلازما»[1]

وخلاصة القول فإنَّ المتمعن لتناول المعاجم العربية المختلفة لمفهوم (**الاقتران**) لغوياً، يجد أنها قد قدمت له دلالات ومعاني متعددة، منها: الجمع، والشد، والمصاحبة، وكذا الوصل والارتباط، والتلازم. فكلها تدور على معنى الجمع؛ إما جمعا ملازما، أو جمعا مقاربا، أو جمعا شديدا.

3- الاقتران في الاصطلاح:

انطلاقا من المعاني السابقة التي ذكرها اللغويون في معاجمهم لظاهرة الاقتران، يلاحظ أنها ترتبط بالمعنى الاصطلاحي الذي ذكره المحدثون، فاقتران شيء بشيء آخر، وملازمته له، يلتقي مع المعنى الاصطلاحي الذي عُرِّفَ بكونه «**الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما، بكلمات أخرى معيَّنة، أو استعمال وحدتين معجميَّتين منفصلتين –استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى**»[2].

كارتباط لفظ (**منصهر**) مع ألفاظ: الحديد، النحاس، الذهب، الفضة... فيقال: حديد منصهر، نحاس منصهر، ذهب منصهر...وعليه فإننا نلاحظ أنَّ لفظ (**منصهر**) ارتبط ارتباطا اعتياديا بهذه الألفاظ، ومال إليها دون غيرها. وعليه لا يستقيم قول: جليد منصهر، أو ماء منصهر...لأنَّ لفظ (**منصهر**) لا يميل للفظ (الجلد، والماء، والثلج...) وإنما يميل إلى كلمات معتادة يقبلها الذوق، ويألفها الاستعمال يرتبط بها ويصاحبها، ولذلك عرفه زكي حسام حسن بقوله: هو «**الميل الاعتيادي لكلمة ما على مصاحبة كلمات معينة دون غيرها**»[3]، مثل كلمة (**طويل**) كما يقول زكي حسام التي تميل وتقبل الاقتران بكلمات: رجل، نبات، طريق...لكنها لا تقبل الاقتران بكلمة (**جبل**)؛ فلا يصح أن نقول جبل طويل، ولكن يمكن أن نقول: جبل عال أو شاهق.

ونود أن ننبه في هذا المقام إلى أنَّ ظاهرة الاقتران الثنائي تعود في حقيقتها إلى اتفاق المتكلمين في استعمالهم اللغوي المعهود، فمن الطبيعي جدا أن يتكرر في كلامهم قولهم مثلاً: قطيع الغنم، سرب الطيور، باقة الورد، نباح الكلاب، مواء القط، عرين الأسد، عش الطائر...فكلمات: قطيع، وسرب، ونباح، مواء، عرين، وعش...تميل ميلاً طبيعيا إلى ألفاظ أخرى معينة ومحددة تقترن بها وتلازمها، مثل: الغنم، والطيور، والورد، والكلاب، والقط، والأسد، والطائر.

---

[1]-المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ط4، سنة 2004، مكتبة الشروق الدولية، مصر. ص731.

[2]-أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط5، عالم الكتب، القاهرة مصر، ص: 74.

[3]-كريم زكي حسام الدين: التحليل الدلالي، إجراءاته ومناهجه، دط، ج1، ص42.

هذا الميل هو الذي نعرفه بـــ(**الاقتران الثنائي**)، الذي اكسب هذه الألفاظ المقترنة دلالات ومعاني جديدة، حسب استعمالاتها وسياقاتها المختلفة. فنلاحظ مثلاً في القرآن الكريم الكثير من الألفاظ عندما ارتبطت بألفاظ أخرى واقترنت بها أكسبتها دلالات جديدة ومعاني واسعة، كلفظ (**أهل**) عند اقترانها بألفاظ أخرى مثل: البيت، الكتاب، الذكر، المدينة...أضافت لها هذه المعاني الجديدة، فيقال: أهل البيت أو آل البيت وهم قرابة الرَّسُول ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ** ﴾[الأحزاب: 33]، وأهل الكتاب، كما في قوله تعالى: **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ** ﴾[عمران: 64]، وأهل الذكر وهم العلماء، كقوله تعالى:﴿**فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [النحل الآية 43]، وأهل المدينة وهم سكانها، كما جاء في قوله تعالى:﴿ **وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾[الحجر: 67].

ثانيا: مقومات الاقتران الثنائي:

يذكر علماء اللغة أنَّ ظاهرة الاقتران الثنائي كظاهرة لغوية ترتكز أساساً على عنصرين: أحدهما: ما يسمى بـــ(**الكلمة المحورية**)، **أو**(**الأساسية**) وهي عبارة عن كلمة يتكرر اقترانها بغيرها من الكلمات، مثل كلمة (أهل)، حيث نلاحظ أنَّها تتكرر مع ألفاظ (البيت، الكتاب، الذكر، العلم...): فيقال: أهل البيت، أهل الكتاب، أهل العلم... أمَّا الأساس الثاني فهو: (**الكلمة المقترنة**) ويُقصد بها الكلمة أو الكلمات التي تقبل الاقتران بالكلمة المحورية، لتشكل لنا تركيباً جديدا يؤدي معنىً جديداً في الاستعمال، وهذا هو الذي نسميه بـــ(**الاقتران الثنائي**). مثل قولنا: أهل البيت، أهل الكتاب، أهل الذكر، أهل العلم، أهل المدينة، أهل الدَّار. وقولنا أيضاً: عين الحقيقة، عين الصواب، علم اليقين، عين اليقين، عين الماء، خبر متواتر، وخبر الآحاد، وخبر مشهور، وخبر مستفيض، وخبر مرسل، وخبر مسند. صلاة الجمعة، صلاة الضُّحى، صلاة الاستسقاء، والصلاة الوسطى...

ثالثا: ضوابط الاقتران الثنائي:

أشرنا فيما سبق إلى مقومات الاقتران الثنائي بين ألفاظ اللغة وأسسه؛ من كلمة محورية أساسية، وأخرى تقبل الاقتران بها وتميل إليها ميلاً اعتياديا، غير أنَّه ينبغي أن نشير إلى أنَّ هذه المقومات لاتكفي وحدها لإيجاد تركيبٍ معيّنٍ يمكن أن نصفه بـــ(**اقتران ثنائي**) ما لم تضبطه ضوابط ومعايير محددة، منها:

أ_ توافقية الاقتران: ويقصد به «اتفاق الكلمات أو توافقها مع بعضها البعض»[1] فكلمة (شاهق) مثلاً لا تتفق مع كلمة (رجل) ولا تقترن به أو تليق؛ لأنَّ الذوق يأبى ذلك، لكنَّنا نجد أنَّها تَتَّفق مع كلمة (الجبل) وتليق به، والذوق يقبل ذلك ويستعذبه، فنقول حينئذ: جبل شاهق، ولا نقول: (رجل شاهق)، ونقول: (رجل طويل)، ولا نقول: (جمل طويل)، ونقول (رجل وسيم) ولا نقول (رجل جميل).فالتَّوافق بين الالفاظ عموما شرط لاستقامة الكلام وصحة التعبير وسلامته من النفور أو الركاكة.

ب_ مجال الاقتران: يُقصد به الحقل الدلالي الواسع، الذي يمكن لكلمة ما أن تستعمل فيه بشكل أوسع، فلفظ (مات) مثلاً حقلها الدلالي واسع، فلا تستعمل مع كلمة واحدة فقط في أي تعبير، بل نجدها تُستعمل في حقول دلالية عديدة؛ منها: حقل الانسان، حقل الحيوان، حقل النبات. فنقول: مات فلان، ومات الكلب، مات النَّبات، ماتت الشجرة. كما قد تستعمل في المعنويات، فنقول: ماتت الضمائر، ماتت الأخلاق...هذا الانتقال المتعدِّد لهذه الكلمة يدلُّ على مجال استعمالها الواسع، وهو المسمى ب(المدى).

ت_ تواترية الاقتران الثنائي: بمعنى تشكيل الاقتران الثنائي لعلاقة تلازمية بين وحداته المعجمية التي يتألف منها، وعليه فلا يمكن بحال من الأحوال أن تستبدل وحدة معجمية بأخرى تحل محلها، كما مثلنا لذلك بكلمة (شاهق) التي تأبى الاقتران بكلمة (رجل)، وإنما يليق اقترانها بكلمة (جبل)، فنقول:(جبل شاهق) ولا نقول:(رجل شاهق)؛ لأن بين اللفظين (شاهق) و(جبل) تلازماً واقترانًا.

ويعود هذا التواتر في اقتران هذه الألفاظ «إلى اتفاق المتكلمين عليه»[2]. كاقتران ألفاظ الآذان مع بعضها وتلازمها في قول المؤذن: "الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حيَّ على الصلاة، حي على الفلاح"، وقولنا أيضا: أولوا الأمر، حج البيت، الحج المبرور، السعي بين الصفا والمروة، ضاق صدره، قرة عينه، سفك دمه، حقن دمه، القرآن الكريم، شهداء الثورة، ثورة التحرير، صوم رمضان، صدقة الفطر، ومن الكلام المتداول: صَحَّ فطورك، صَحَّ رمضانك، صحَّ عيدك...

---

[1]-كريم زكي حسان الدين: التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، ج1، ص 43.

[2]-المرجع نفسه: ص 44.

ونلاحظ أنَّ القرآن الكريم يُعد المجال الأوسع الذي يتجلَّى فيه هذ التواتر، حيث كثيراً ما تصادفنا ألفاظ تقترن ببعضها البعض اقتراناً متيناً لا يمكن معه الفصل بينهما أو استبدال إحداهما بأخرى، كقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ ﴾ [الفتح: 29]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾ [الشرح: 1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [الحجر: 97]. وقوله تعالى: ﴿ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ ﴾ [طه: 40]. وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾ [السجدة: 17]. وقوله تعالى: ﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ ﴾ [المائدة: 83].وقوله: ﴿ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥﴾ ﴾ [التكاثر: 5]، وقوله: ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴾ [التكاثر: 7]، وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴾ [الواقعة: 95]، فكلمات: (محمد رسول)، (انشراح الصَّدر)، (ضيق الصدر)، (قرة العين)، (دمع العين)، (علم اليقين)، (عين اليقين)، (حق اليقين) وغيرها من الألفاظ المقترنة التي لا يمكن الفصل بينها أو تغييرها؛ لأنَّ السياق والاستعمال اقتضى اقترانها في الكلام. والقرآن الكريم في استعماله لهذه التَّراكيب ذات الألفاظ المقترنة، تتماهى تماماً مع كلام العرب، فقد نزل بلسانهم وأسلوبهم في الكلام.

ثالثا: أنواع الاقتران الثنائي:

انطلاقا من هذه الأسس والضوابط نجد أنَّ الاقتران الثنائي يتفرع إلى نوعين هما:

أ_ الاقتران العادي:

ويسمى أيضاً (المتوقَّع) وهو الذي يعتمد على اتفاق اصطلاح المتكلمين، فإذا قال المتكلم مثلاً: «(غصن). توقع المخاطب كلمة (شجرة)، وإذا سمع كلمة (خرير) توقع كلمة (الماء)»[1]. ومثله أيضاً إذا سمع كلمة: (حي) توقع كلمة (الصلاة) أو (الفلاح)، وإذا سمع كلمة (القرآن) توقع كلمة (الكريم)، وإذا سمع اسم (محمد) توقع لفظ (رسول الله) ﷺ، وإذا سمع كلمة (عذاب) توقع كونه (أليماً، عظيماً، شديداً)، وإذا سمع كلمة (الصفا) توقع كلمة (المروة)، وإذا سمع كلمة (لسان) توقع (لسان العرب، لسان النار، لسان اللهب...)، فبمجرد النطق بألفاظ معينة يستحضر الذهن ألفاظا أخرى يتوقع اقترانهما وتلازمهما.

[1]-كريم زكي حسان الدين: التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، ج1، ص 43.

ب_ الاقتران غير العادي:أو(غير المتوقَّع)، «ويرتبط هذا النوع من الاقتران بخصوصية النص ومبدعه سواء أكان كاتباً أو شاعراً»[1] فهو اقتران تستعمل فيه ألفاظ معينة في سياقات خاصة.كما هو الحال في اقتران بعض الأدوات النحوية بمعمولاتها، كاقتران (إنَّ) بمعمولها اقترانا غير متوقع في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾[طه:63]، لأن المتوقع في الأداة (إنَّ) أن تنصب معمولها، ولكنه في الآية جاء مرفوعا على غير المتوقع.

ومثله ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الانشقاق:24] فقد اقتران فعل (بشرهم) بـــ (عذاب أليم) على غير المتوقع، لأن المتوقع أن يقترن التبشير بما يسر وينفع، لكنه اقترن بالعذاب الأليم على سبيل التهكم والاستهزاء.

رابعا: مصطلحات قريبة من الاقتران الثنائي:

من خلال تتبعنا لظاهرة الاقتران الثنائي في مختلف المصادر اللغوية والدراسات المختلفة، نلاحظ أنّها تلتقي بمصطلحات لغوية أخرى تشاركها في المعنى، وتلتقي معها في الدلالة، منها:

1_ الإتباع: الإتباع كما يعرِّفه ابن فارس(ت395ه): «أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيداً.» ويستدل على هذا المفهوم بما: «رُوِيَ عن بعض العرب أنَّهُ سُئِلَ عن ذلك، فقال: هو شيء نَتِدُ به كلامنا»[2] أي نؤكده به، وقد ألف ابن فارس في هذه الظاهرة اللغويةكتاباً مستقلاً، سماه (الإتباع والمزاوجة) مرتبا على حروف المعجم، جمع فيه عدداً كبيراً من الألفاظ التي جاءت وفق هذا النظام، ففي (**باب ما جاء من الإتباع والمزاوجة على الباء**) مثلاً يذكر نماذج مما قالته العرب في كلامها على سبيل الإتباع، مثل: «إنَّه لَسَاغِبٌ لاَغِبٌ، ورجلٌ حريب سليب، ورجل خيَّاب تيَّابٌ، خَبٌّ ضَبٌّ، وخرابٌ يبابٌ»[3]، وفي باب التَّاء مثَّلَ ابن فارس للإتباع بقول العرب: «إنَّه لعفريت نفريت...ويقولون: لم يبق منهم ثَبِيتٌ ولا هبيتٌ، أي جبان ولا شجاع»[4].

كما تحدث عن الإتباع: أبو علي القالي(ت356هـــ) في أماليه وقسمه إلى قسمين: أحدهما أن تكون فيه الكلمة الثانية بمعنى الأولى، فيؤتى به توكيداً؛ لأنَّ لفظه الأول مخالف للثاني، وقسم فيه معنى

---

[1]- كريم زكي حسان الدين: التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه، ج1، ص 43.

[2]-أحمد بن فارس: الإتباع والمزاوجة، تح: كمال مصطفى، دط، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ص28.

[3]- المصدر نفسه، ص29.

[4]-المصدر نفسه، ص32، 33.

الثاني غير معنى الأول، فمن القسم الأول قولهم: «أسوان أتوان، أي حزين متردد، يجيء ويذهب وعطشان نطشان، أي قلق، وشيطان ليطان، وعِيي شَوِي، عريض أريض، خبيث نبيث، رجل قسيم وسيم، وكلاهما بمعنى الجميل، وضئيل بئيل، البئيل بمعنى الضئيل، وجديد قشيب، والقشيب هو الجديد، ومضيع مسيع، والإساعة هي الإضاعة، وشيطان ليطان؛ أي لَصوقٌ لازم للشر»[1] وفي الجمهرة لابن دريد(ت321هـ): «هذا جائع نائع، والنَّائع المتمايل، وعطشان نطشان، وحَسَن بَسَن، مليح قزيح، قبيح شقيح، شحيح بحيح، خبيث نبيث، شيطان ليطان، خزيان سوآن، حقير نقير، قليل وتيح، خفيف ذفيف، حياك الله وبياك»[2].

انطلاقاً من هذا الاعتبار نلاحظ أنَّ ابن فارس والقالي وابن دريد وغيرهم بينوا أن الإتباع ما هو إلا عبارة عن مجيء الكلمة مقترنة بأخرى على سبيل التأكيد، وهذه الكلمة التي تأتي وفق هذا النمط لا يمكن أن يؤتى بها منفردة أو تستبدل بكلمات أخرى دونها، حتى لا ينتفي المعنى المراد من التركيب، وعندئذ لا يسمى إتباعاً.

2_ التضام:

التضام في اللغة كما ذكر الفراهيدي (ت170هـ): «ضَمُّكَ الشيء إلى الشيء، وضامت فلاناً أي قمت معه في أمر واحد»[3]، كما يأتي بمعنى الاشتمال، يقال: «تضامَّ القوم؛ إذا انضم بعضهم إلى بعض، واضطَمَّت عليه الضلوع أي اشتملت»[4]. أمَّا اصطلاحا فأول من تحدث عنه هو:عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) عند حديثه عن نظرية (النظم)، فالتضام عنده هو أساس هذه النظرية؛ لأنَّ الكلمة عنده لا فائدة منها إلاَّ إذا انضمت إليها كلمة أخرى وجاورتها. يقول الجرجاني في هذا المعنى: «وهل يقع في وهم وإن جهد، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر أن تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخف، وامتزاجها أحسنَ، ومما يكد اللسان أبعدَ؟ وهل تجد أحداً يقول (هذه

---

(1)-أبو علي القالي: كتاب الأمالي، ج2، دت، دط، الهيئة المصرية للكتاب، ص232، 233.

(2)-جلال الدين السيوطي:الاتقان في علوم القرآن،تح: محمد عبد الرحيم،ط1، 2010،دار الفكر،بيروت، ص314، 315.

انظر: ابن دريد: جمهرة اللغة، ص430، 431.

(3)-الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج3، ص25.

(4)-إسماعيل بن حماد الجوهري:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح:أحمد عبد الغفور عطار، ج1، ط2، 1979، القاهرة، ص1972.

اللفظة فصيحة)، إلاَّ وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعنى جارتها، وفضل مؤانستها لأخواتها...»[1]وعرفه تمام حسان وهو من المتأخرين بقوله: «أن يستلزم أحد العنصرين التحليلين عنصراً آخر»[2]. استلزاماً ضروريًّا، بحيث تترافق بعض الكلمات في الاستعمال مع أخرى، مرافقة طبيعية مقبولة دون تكلف أو تصنع. مثل قولهم: (**أهلا وسهلا**)، (**عنان السماء**)، (**فلذة الكبد**) فالتضام بهذا المفهوم هو عبارة عن «دخول الكلمة في سياقٍ مقبول مع الكلمات الأخر، نحو: الفعل (أطلق)، فقد يقال: أطلق لحيته، أطلق ساقيه للريح، أطلق له الحبل على الغارب...» [3]، لكل منها معنى سياقي يخالف غيره. ومنه نستشف أهمية التضام في كونه من عوامل« تآلف الكلمات في اللغة لإعطاء المعنى العام للتركيب الكلامي»[4]

أمَّا محمود حجازي فالتضام عنده:« ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية، يكون معناها مفهوماً من الجزئيات المكونة لها» [5]، فكلمة (كرسي) مثلا «تستخدم في عدة تراكيب على سبيل التضام، تدور هذه التراكيب في مجالين اثنين: الدلالي والوظيفي؛ فالمجال الدلالي للفظ (الكرسي) هو الأثاث، فيقال:كرسي خشبي، كرسي حديدي، كرسي بلاستيكي، والمجال الوظيفي هو وظيفة(الكرسي) وعمله فيقال:كرسي الفلسفة، كرسي علم اللغة، كرسي الأستاذية»[6].

وعليه وانطلاقاً من هذه المعاني الاصطلاحية لظاهرة (التضام) يتبيَّن لنا أنَّ مفهومه عند المتقدمين، كعبد القاهر الجرجاني وعند المتأخرين ومنهم تمام حسان ومحمود خجازي ما هو إلا عبارة عن طلب إحدى الكلمتين لأخرى في الاستعمال، على صورة تجعل إحداهما تستدعي الأخرى تلازمها وتؤانسها؛ لأداء معنى معين أراده المتكلم، هذ ا التلازم وهذه المؤانسة بين هذه الألفاظ، هو الذي عبرنا عنه بالاقتران الثنائي. ومن هذا المنطلق يبين العلماء أنَّ (التضام) يأتي على مستويين هما:

1_ التضام على المستوى المعجمي:

ويقصد به في هذا المستوى انتظام بعض مفردات اللغة في المعجم في مجالات محددة؛ حيث نجد

---

[1]-عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ص44.

[2]-تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ط4، 2004، عالم الكتب، ، ص216.

[3]-يحي أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، مجلد: 20، العدد الثالث، 1989، ص87، 88.

[4]-تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ط4، عالم الكتب. 2004، القاهرة، ص196.

[5]-محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، دط، دار قباء القاهرة.ص 157.

[6]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أنَّ بعضها يقبل الانتظام مع مفردات، ويتنافر مع غيرها، وهو المعنى الذي ذهب إليه البلاغيون بقولهم «إسناد الفعل إلى من هو له أو غير من هو له»[1] حسب تمام حسان، الذي يضيف قائلاً:« فالأفعال مثلاً طوائف، تتوارد كل طائفة منها مع طائفة خاصة من الأسماء، وتتنافر مع طائفة الأسماء الأخرى، والمبتدآت والموصوفات وأصحاب الأحوال يتوارد كل منها مع كلمات دون أخرى، لتكون خبراً عنها ونعتاً لها، وحالاً منها»[2] ويمثل لهذا المعنى بعدم صحة هذا التعبير بقولهم:(انكسر الخيط)؛ لأنَّ الخيط فيه من المرونة ما يحول بينه وبين الوصف بالانكسار، ولا تصح أيضاً جملة (فهم الحجر الدرس) ولا جملة (دهنت الهواء بزيد) فبين هذه الألفاظ المشكلة لهذه التراكيب من التنافر يفقدها عنصر الإفادة، وإن صحت من الناحية النحوية. وعليه فإنَّ التضام المعجمي يشترط فيه التآلف والتقارب؛ لأنَّ التقارب أو التناسب بين اللفظين ضروري لأداء معنى صحيح. فلا يقال مثلا(صعد إلى أسفل الجبل)، فالمعنى عي هذا التركيب مضطرب لا يستساغ؛ لأن الصعود يكون عادة إلى الأعلى لا العكس.

2_ التضام على المستوى النحوي:

يظهر الاقتران الثنائي في مسألة (التضام) على المستوى النحوي في أمرين، أحدهما ما يسميه النحاة بالاختصاص، ويتعلق أساسا بالحروف والأدوات، كاختصاص إنَّ وأخواتها بالأسماء، فهي ناصبة لاسمها رافعة لخبرها، وحروف الجر التي تختص بالدخول على الأسماء دون الأفعال، وكذا أدوات النفي التي تدخل عليهما، أي على الأسماء والأفعال، وحروف النداء التي تدخل على الأسماء فقط، ونون الوقاية التي تقترن بالأفعال، كقولهم: أرشدني، وأسعدني، ولا نقول: مُسعدني، ومُرشدني، ويقترن الجزم ويختص بالأفعال، وتختص حروف النصب وتقترن بالفعل المضارع...

وأمَّا الأمر الثاني فهو ما يعرف عند النحويين بالافتقار، كافتقار حروف الجر إلى مجرور، وافتقار حروف العطف إلى معطوف، وافتقار المضاف إلى مضاف إليه، والحال إلى حدث يلابسه، وافتقار الأسماء الموصولة إلى جملة الصلة، وافتقارها إلى ضمير يعود على الموصول، وافتقار (أل) التعريف إلى اسم منكر، فيكونان معاً كالعنصر الواحد.

ومن هذا المنطلق فإن التضام بقسميه المعجمي والنحوي، هو جانب ومظهر من مظاهر الاقتران الثنائي على مستوى الألفاظ، أو على مستوى التراكيب النحوية، دون أن يسميه النحاة بالاقتران

---

[1]-تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ط1. 1993. عالم الكتب، القاهرة.ص155.

[2]-المرجع نفسه، ص156.

الثنائي. لكن هذه الشواهد كلها تدل على أنَّ الدرس النحوي على مستوى التضام قد استوعب هذه الظاهرة اللغوية، ومَثَّلَ لها بهذه المصطلحات الدالة، التي اعطت للغة العربية معاني جديدة ومتألقة، كانت أساساً لكثير من الدراسات اللغوية الحديثة.

3_ الرصف:

يأتي الرصف عند ابن منظور بمعنى«ضَمُّ الشيء بعضه إلى بعضٍ ونظمه... ومنه: رصف الحجر يرصفه رصفًا، إذا بناه، قال الليث: يقال للقائم إذا صَف قدميه رصفها، وذلك إذا ضم إحداهما إلى الأخرى.»[1]، و«ترصف الناس في الصف: تراصوا؛ وانظم بعضهم إلى بعض»[2]. هكذا قدم ابن منظور وأحمد مختار عمر المقصود بالرصف في اللغة، بأنه الضم ووصل الشيء بعضه ببعض، كان الشيء حجراً أم غيره لإقامة بناء محكم ومنسجم.

أما من الناحية الاصطلاحية فقد سمَّاه أحمد مختار عمر بـــ«توافق الوقوع»[3]، ويقصد به كما أشار (فيرثfirth): بـــ «الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة، أو استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى»[4]، وهو المعروف عنده أي: (فيرث) وستيفن أولمان بـــ(collocation)، كأن تتراصف كلمة (منصهر) مع مجموعة من الكلمات مثل: حديد، نحاس، ذهب، فضة، فنقول مثلاً: حديد منصهر، ونحاس منصهر، ذهب منصهر، فضة منصهرة.

في حين لو استبدلنا كلمة (حديد، أو نحاس) بكلمة (جلد) فإنه حتما لا يسمى رصفا؛ لأن كلمة (منصهر) ليس بينها وبين كلمة (جلد) انسجام، والأمر نفسه مع كلمة (ساعي) لا تنسجم مع كلمة (البريد) فلو غيرناكلمة (ساعي) بكلمة (امرأة) ما استقام الكلام. ومن هنا ندرك أنَّ هناك انسجاماً وتلاؤما، وإن شئنا قلنا هناك تساوق وتضام بين هذه الكلمات المرصوفة، وارتباطا قويا، إلى درجة أننا كلما استعملنا لفظا من هذه الألفاظ المتساوقة، استدعى الذهن اللفظ الثاني وتوقعه، وتجاوب معه بداهة وتجاور.

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب، ج9، ص119.

[2]-أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الأول، ط1. 2008، عالم الكتب، القاهرة، ص900.

[3]-أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط5، 1998، عالم الكتب، القاهرة مصر.ص74.

[4]-المرجع نفسه، ص74.

للإشارة فقد ذكر أحمد مختار عمر أنواع الرصف عند (فيرث Firth) الذي ميز بين نوعين منه، أحدهما:

الرصف العادي «الذي يمكن أن تقترن فيه وحدات لسانية مع عدد غير محدود من جنسها»[1] وهو المستعمل كثيرا في الكلام.

والثاني:**الرصف غير العادي** « الذي يصعب فيه الاقتران، وهو قليل الحدوث في اللغة، ويظهر في لغة الأدباء والكتاب وبعض الأساليب الخاصة، كالأسماء المركبة، والمصطلحات الجاهزة»[2] وهي عبارة عن وحدات دلالية لا تقبل التجزئة، كما يقول (**بالمر**):«أمَّا العلاقات التلاؤمية فيتحدد ارتباط الوحدة اللغوية بواسطة اقتران ورودها بوحدات مشابهة أخرى»[3] ُيفرق أحمد مختار عمر بين التَّحليل الرَّصفي والتَّحليل النحوي.فيقول: «إذا كان النَّحو يعالج الجملة المتكونة من (اسم، فعل، صفة)، والتي تحوي آلاف الكلمات التي ليس لها علاقات متبادلة ذات أهمية دلالية، فإن الرصف يعالج الكلمات المفردة التي لها علاقة متبادلة ذات أهمية دلالية»[4].

وانطلاقا من هذه المفاهيم يمكن لنا أن نخلص إلى أن الكلمة يتناولها مستويان من التَّحليل؛ مستوى التحليل النحوي، ومستوى التحليل الرصفي. ففي مستوى التحليل النحوي، تقترن فيه وحدات لغوية مع عدد غير محدود من جنسها، وفي مستوى التحليل الرصفي يصعب فيه الاقتران الثنائي قليل الحدوث في اللغة، ويظهر ذلك في بعض أنماط التعبير الاصطلاحي الجاهز والأسماء المركبة...

4_ المحاذاة:

يعتبر مصطلح (**المحاذاة**) من المصطلحات التي يقترب معناها كثيراً من الاقتران الثنائي، وهي ظاهرة لغوية، نالت حيزا لا بأس به من الدراسة والبحث اللغوي، فقد تناولها أحمد بن فارس (ت395هـ) بالدراسة، وأسَّسَ لها، وتتبع آثارها، فهي عنده: «**أن يُجعل كلام بحذاء كلام، فيؤتى**

---

[1]-علوش كمال:نظرية الرَّصف وآفاق بناء معجم تاريخي للتعبير الاصطلاحي العربي، مجلة الأثر العدد23، ديسمبر2015، ص4.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-أف. آر بالمر، علم الدلالة، ترجمة: مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، ط1985، ص78.

[4]-أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص77.

به على وزنه لفظاً وإن كانا مختلفين»[1]. ومثل لها بجملة من الألفاظ وردت في كلام العرب بمحاذاة بعضها البعض مثل: (**الغَدَايَا وَالعَشَايَا**)، فقالوا (الغَدَايَا) لانضمامها إلى (العَشَايَا)، وقولهم: «أعوذ بك من **السَّامَّة واللاَّمَّة**، فالسَّامَّة من قولك (سَمَّت) إذا خَصَّت، واللَّامّة أصلها (ألّمت) ولكن لما قُرنت بالسامَّة جعلت على وزنها... وقولهم:(**وزنته فاتزن، وكلته فاكتال**)، أي: استوفاه كيلاً ووزناً»[2]. كما أشار ابن فارس إلى ألفاظ من القرآن الكريم وردت من باب المحاذاة، مثل قوله قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: 49]. ومن هذا الباب: الجزاء على الفعل بمثل لفظه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 14. 15].وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾[آل عمران: 54]»، وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: 79]، وقوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[التوبة: 67]، وقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: 40] ومن هذا الباب قول الشاعر: [الوافر] [3].

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوقَ جَهْلِ الجَاهِلِينَا.

ومن خلال هذه النَّمادج التي قدَّمها ابن فارس لمفهوم لـــ(المحاذاة) من القرآن الكريم، والكلام العربي الأصيل، نلاحظ أنَّه حاول أن يُبيِّن لنا أنَّ الكلمة قد تأتي مقترنة بأخرى، أثناء الاستعمال بشرط أن تكون على وزنها، وإن اختلفتا في المعنى، وقد أشار إلى هذا المعنى بوضوح عندما قال: «للعرب كلام بألفاظ تختص به مَعانٍ لا يجوز نقلها إلى غيرها، يكون في الخير، والشر، والحَسَن، وغيره، وفي الليل، والنهار، وغير ذلك.» [4]، ثم قدَّم ابن فارس نماذج لهذه الألفاظ المقترنة بمعانٍ لا يجوز نقلها إلى غيرها، نحو قولهم: «(مَكَانَكَ) قال أهل العلم: هي كلمة وُضِعَت على الوعيد، قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ [يونس: 28] كأنَّه قيل لهم: انتظروا مكانكم حتى يُفصل بينكم...ثم يضيف مدلِّلاً على هذا المعنى: ولا يكون (التَّأبين) إلاَّ مدح الرجل ميتاً، وألج الجمل،

---

[1]–أحمد بن فارس:الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1. 1997، دار الكتب العلمية، بيروت.ص174.

[2]–المصدر نفسه، ص195. انظر: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص391.

[3]–عمرو بن كلثوم: ديوان عمرو بن كلثوم، تح: اميل بديع يعقوب، ط1، 1991، دار الكتاب العربي، بيروت، ص78.

[4]–أحمد بن فارس:الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص204.

وخلأت الناقة، وحرن الفرس، ونفشت الغنم ليلاً، وهَمَلت نهاراً»[1].

فما قدَّمه ابن فارس وأشار إليه من نماذج وأمثلة في كتابيه (**الإتباع والمزاوجة، والصاحبي**) دليل على أصالة هذه الظاهرة اللغوية (الاقتران الثنائي في الألفاظ) في الكلام العربي.

5_ المتلازمات الاصطلاحية:

يعرُّفها ابن عمر عبد الرزاق بأنّها«كل عبارة مترسخة في نظام اللغة، متواترة الاستعمال، مركبة من أكثر من مكونين متعاقبين متلازمين تلازماً يذوب معه المعنى المفرد لتلك المكونات بالامتزاج »[2]. وتأتي هذه المتلازمات على أنواع، منها:

أ.الأمثال:

الأمثال في مفهومها الاصطلاحي«عبارات بليغة ثابتة المكوِّنات، متواترة في الاستعمال، ترتبط بقصة عند نشأتها، تصدق على كل حالة مشابهة لتلك الحالة»[3] كقولهم: (**وافق شن طبقة**) فشن رجل من العرب، وطبقة زوجته، وهو مثال قرنت العرب فيه بين الرجل وزوجته لتوافقهما في الطبع. وقولهم:(**أسمع ضجيجاً ولا أرى طحيناً**) [4] فقد قرن في المثال بين(الضجيج والطحين) للدلالة على الكلام الكثير الذي لا ترجى منه فائدة، أو جدوى، وقولهم أيضا: (**رمية من غير رامٍ**) قرن بين الرمية والرامي للدلالة على عدم القصد، (**سبق السيف العدل**) فقد قرن بين السيف والعدل للدلالة على فوات وقت اللَّوم والعتاب، وقولهم: (**اختلط الحابل بالنابل**) قرن في هذا المثل بين الحابل والنابل للدلالة على الارتباك والتخبط في الأمر.فهذه العبارات تتكون من ألفاظ مسكوكة مقترنة في ألفاظها، متواترة في استعمالها في شكل ألفاظ مقترنة اقترانا ثنائيا.

ب.العبارات التقليدية:

هي عبارات «متواترة مأخوذة من العادات والتقاليد الاجتماعية والمناسبات المتكررة، تستعمل

---

[1]-أحمد بن فارس:الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص204.

[2]-ابن عمر عبد الرزاق: المتلازمات اللفظية والقواميس العربية، مجمع الأطرش للنشر، تونس.ص771

[3]-أحمد شحادات: مفهوم المتلازمات الاصطلاحية (دراسة تطبيقية في معجم المتقن)، مقال من موقع:
majdi-faqeehyaho.com .ص7.

[4]-الطاهر بن عبد السلام هاشم حافظ: معجم الحافظ للمتصاحبات العربية(عربي، اجليزي)، ط1، 2004، مكتبة ناشرون، بيروت.ص8.

على سبيل الدعاء»[1]. كقولهم: (**أهلاً وسهلاً**) للدلالة على التَّرحيب، (**حيَّ على الصَّلاة**) للدلالة على الإقبال على عبادة الصَّلاة، (**بالرفاه والبنين**) دعاء أن يرزقه الله بالنعم والبنين، (**في كنف الله**) بمعنى تحت رعاية الله، (**انتقل إلى رحمة الله**) أي مات، (**سبحان الله**) للدلالة على تنزيه الله تعالى من كل نقيصة، (**صباح الخير**)، (**مساء الخير**)، (**ليلة سعيدة**)، (**كلّ عام وأنت بخير**)، (**عيد مبارك**) للدلالة على الدعاء، بأن يجعل الله صباحك ومساءك وليلك وعيدك خيراً وهناءً وبركةً.

ت.العبارات الشائعة:

هي عبارات مترسخة في الاستعمال، متواردة في الكلام، ترمز إلى معنى محدد الدلالة متفق عليه، مثل:(**فحول الشعراء**) للدلالة على أفضلهم وأفصحهم، (**يموت بغيظه**) للتعبير عن شدة الغيظ والغضب، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران: 119]، (**الشرق الأوسط**) للدلالة على مكان جغرافي محدَّد.

(**أولو الأمر**) للدلالة على أصحاب الحل والعقد في المجتمع، (**دماثة الخلق**) للدلالة على اللطافة، (**زهرة الحياة**) للدلالة على بواكيرها ونضارتها، ومن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: 131]، (**وسوسة الشيطان**) للدلالة على تزيين الشَّيطان للإنسان المعاصي والفجور. (**ريعان الشَّباب**) للدلالة على زمان ازدهاره ونضارته، ومنه قول الشاعر: [من البسيط] [2].

قَدْ كَانَ يُلْهِيكَ رَيْعَانُ الشَّبَابِ فَقَد وَلَّى الشَّبَابُ، وَهَذَا الشَّيْبُ مُنْتَظَرُ

كل هذه العبارات الشَّائعة تعتبر مظهرا للاقتران الثنائي، ألفاظها متلازمة تلازماً قويا، لا يمكن بحال الفصل بينها، أو استبدالها بغيرها؛ لأنَّه لو جاز استبدال بعض ألفاظها بأخرى، لتغير نظم الكلام وذوقه، فلفظ (فُحُول) مثلاً لازَمَ لفظ (الشعراء) واقترن به، واستساغه الاستعمال، وتواتر في الكلام، فلو استبدلناه بغيره ما استقام الحال. والأمر نفسه مع لفظ (وسوسة) الذي لازَمَ لفظ (الشيطان)، ولفظ (الشرق) لازَمَ في الاستعمال لفظ (الأوسط) واقترن به، وهكذا بقيَّة الألفاظ، الأمر الذي يدفعنا إلى القول أنَّ العلاقة بين هذه الألفاظ المقترنة تشير إلى علاقة ترابطيَّة متينة وقويَّة.

---

[1]-أحمد شحادات: مفهوم المتلازمات الاصطلاحية (دراسة تطبيقية في معجم المتقن)، مقال من موقع: majdi-faqeehyaho.com .ص7.

[2]-من شواهد لسان العرب، مادة (ر، ي، ع) ج8، ص139.وتاج العروس: ج21، ص139. (البيت بلا نسبة)

6_ المصاحبة اللفظية: المصاحبة عند حسن غزالة هي: «تصاحب بين ألفاظ يستميل بعضها بعضا لظروف لغويَّة وثقافيَّة متنوعة وهي تحمل نواة التغيير»[1]، كأنَّ حسن غزالة من خلال هذا التعريف يشير إلى البواعث التي أدَّت إلى ظهور هذا المصطلح، منها: البواعث اللغوية، والثقافية، والفكرية، والاجتماعية، والدينية، والعسكرية، والطبية...عرفها أيضاً محمد حسن عبد العزيز بقوله: " المصاحبة صورة من صور الموقعية، بمعنى: «وقوع أداة صحبة أداة أخرى مثل: هل + أداة نفي، مثل: هل لم يلبث أن ملئ بالثّقوب، أو وقوع أداة صحبة كلمة أخرى، مثل: هل + سوف، مثل: هل سوف يرتكزون في الشواطئ فقط؟» [2]. غير أنَّ المصاحبة اللفظية لا تقع فقط مع الأدوات اللغوية التي تقتضي مصاحبتها لأدوات أو ألفاظ أخرى، بل تتعداها إلى مركبات لغويَّة لفظيَّة أخرى، لا تقل أهميَّة عمَّا ذكر الأستاذ محمد حسن عبد العزيز، ومن هذه المركبات ذات الألفاظ المتصاحبة نجد:

أ_المركبات الإسنادية: تظهر في أنماط الجملة الإسمية أوالفعلية؛ فالجملة الإسمية قوامها (مبتدأ وخبر) مقترنين متلازمين، لا يغيب أحدهما عن الآخر، ولا يتم المعنى إلا بوجودهما ذكرا أو حذفا. والأمر نفسه في الجملة الفعلية أساسها (فعل وفاعل). وعليه فبين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل مصاحبة واقتران، يحمل هذا الاقتران دلالات تتجاوز المعاني النَّحوية، إلى تقويَّة التَّعبير اللغوي بطاقات تعبيريَّة كبيرة. ولعل هذا المعنى هو الذي أشار إليه المحدثون عندما قالوا: «إنَّ الجملة في أقصر صورها هي أقلُّ قدر من الكلام، يفيد السَّامع معنًى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر» [3] ولعل المقصود أنَّ الجملة بهذا الإعتبار ما هي إلا أداة أو وسيلة يُعبّر بها المتكلِّم عن صورة ما قد تكونت أجزاؤها في ذهنه، يُقصد بها (إفادة السَّامِع معنًى مُسْتَقِلاً) أي المعاني الجديدة، التي تتولَّد من خلال الألفاظ المقترنة في الجملة حين التَّعبير بها عن دلالات ومعاني جديدة.

ب_المركبات غير الإسنادية:

وهي عبارة عن مركبات ثنائيَّة مقترنة تتمثَّل في أنماط شبه الجملة، كالمضاف والمضاف إليه، والجار والمجرور، والصِّلة والموصول، والصِّفة والموصوف ...الهدف من استعمالها: العمل استقرار عناصر الجملة عن طريق دمج عناصر هذه التَّراكيب في كلمة واحدة، تجعل المتلقِّي عند سماعه للكلمة

---

[1]–حسن غزالة: قاموس دار العلم للمتلازمات اللفظية، دار العلم للملايين، 2007، بيروت، لبنان.ص5.

[2]–محمد عبد الفتاح الحسيني: المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن، رسالة دكتوراه جامعة الأزهر مصر. ص68.

[3]–إبراهيم أنيس: من أسرار العربية، ط3. 1966م، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ص260، 261.

الأولى منها، يستدعي الكلمة الثَّانية في ذهنه دون عناء، وهو أَمْرٌ يوحي بأنَّ ثمة قرابة حتميَّة أو مصاحبة لفظيَّة، أو اقتران ثنائي بين طرفي هذا التَّركيب، تزيد اللُّغة ثراءً واتِّساعاً وشساعةً.

ت_ الألفاظ المتصاحبة عسكريًّا:

وهي ألفاظ خاصة تستعمل في الميدان العسكري، على لسان العسكريين والجنود، في بيئة خاصَّة مثل قولهم: الحرب الباردة، كاسحة الألغام، كلمة المرور، نقطة الصفر، هجوم أرضي غمد السيف. الفريق الأوَّل، رئيس الأركان، الملازم الأوَّل، عريف أوَّل، جندي أول، صف الضُّباط، الثَّكنة العسكرية، فرقة المشاة، قوات الصاعقة، سرب الطيران، سلاح المدرعات، شبَّت الحرب، إطلاق النَّار، الخدمة العسكرية أو الخدمة الوطنية، الطائرة العسكرية.أوامر ثابتة، أوامر عامة[1]

ث_ الألفاظ المتصاحبة دينيًّا:

مثل: (**يوم القيامة**) في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١﴾[القيامة: 1]، «**يوم الجمعة**» في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: 9] (**يوم الحساب**) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ١٦﴾ [ص: 16] (**محمد رسول الله**) في قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَى:**﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: 29]، (**عيسى بن مريم**) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [البقرة: 87]، (**المسجد الحرام**) في قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾ [البقرة: 144]، (**البلد الأمين**) في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢﴾ [التين: 1. 2]، (**الصفا والمروة**) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 158].(**المكر السيء**) في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ [فاطر: 43]، (**حصحص الحق**) في قوله تعالى: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ »[يوسف: 51]، (**حمى الوطيس**) لوصف المعارك في قوله ﷺ في غزوة حنين: «**الآن حَمِيَ الوطيس**»[2].

---

[1]–انظر: سامي عوض: معجم المصطلحات العسكرية، دار أسامة، الأردن.ص427، 430.

[2]–الوطيس: "التنور (الفرن) شبه به حرّ الحرب، والحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، ج4، ص369. وهو تعبير لم يُسمع إلاّ منه ﷺ، عبَرَ به عن اشتباك الحرب، قال الأصمعي: الوطيس: حجارة مدورة إذا حميت لم يمكن أحداً الوطء عليها يضرب مثلاً للأمر إذا اشتد"(انظر: معجم التعبير الاصطلاحي في العربية المعاصرة، ص244، ولسان العرب، ج6، ص255).

حـــ _الألفاظ المتصاحبة طبيًّا:

مثل قولهم: النَّوبة القلبيَّة، الزَّائدة الدُّودية، احتباس البطن، الاثنا عشر، البطين الأيمن والبطين الأيسر. هيئة الصَّحة العالمية، المناوبة الطِّبية، استعجالات طبية، خدمات صحية، طبيب عام، طبيب مختصٌّ، طبيب جراح، طبيب أسنان، طبيب بيطري، الصحة الجوارية، "التهاب الجلد، فطر جلدي، عديم المناعة، فقدان الاتزان..."[1] من خلال هذه النماذج المختلفة المجالات، نلاحظ بين ألفاظها مصاحبة قويّة، واقتران لفظي متين، يعبر عن مدى استيعاب اللغة العربية لهذا الكم الهائل من المركبات المقترنة، التي أضافت لها معان جديدة، بالإضافة إلى معاني ألفاظها المستقلَّة، هذه القدرة التي تحلَّت بها اللُّغة العربية دليل على شساعتها، وقوَّتها واتِّساع دلالات ألفاظها وتجدُّدها.

7_ ائتلاف اللفظ مع اللفظ:

يُقصد بـــائتلاف اللفظ مع اللفظ تلك «الكلمات المتمكنَّة في مكانها، مناسبة في موضعها غير نافرة ولاقلقة، »[2] يعرِّفه ابن عقيلة المكي (ت1150ه) بقوله: «أن تكون الألفاظ تُلائِمُ بعضاً، بأن يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله، رعاية لحسن الجوار والمناسبة»[3] كأنَّ المتكلم وهو يعبر عن معاني مختلفة أرادها، يستعمل ألفاظاً دقيقة يناسب بعضها بعضا، «فاللَّفظ الدَّقيق هو الذي يؤدِّي المعنى المراد، ولا يصلح غيره لأن يوضع موضعه، ولا شكَّ أنَّ الوقوع على اللَّفظ الدَّقيق الذي ينقل ما في نفس المنشئ، مهمَّة صعبة لا يقدر عليها إلاَّ من عرف اللُّغة معرفة واسعة، ووقف على ما بين الألفاظ من فروق دقيقة»[4]. فعبارة:(باشر العمل) مثلاً تأتي بمعنى انطلق، فلفظ (باشر) أكثر ملائمة للفظ (العمل) من لفظ انطلق، وعبارة: (انسكب الماء) بمعنى (سال) لأنَّ الإنسكاب يأتي بمعنى السَّيلان، غير أنَّه أكثر مناسبة للماء في هذا المقام من لفظ (سال). والأمر نفسه مع عبارة (بديع السَّموات)، فلفظ (بديع) بذوقه وموسيقاه وجرسه يناسب كثيراً (السَّموات) أكثر من غيره من الألفاظ، و(زلَّت قدمه)، فلفظ (زلَّ) أكثر دلالة على التعثُّر والسُّقوط من لفظ (سقط أو تعثَّر). ومن

---

[1]-أبو شادي الروبي: معجم المصطلحات الطبية، ج2، دط، ص62.

[2]-إنعام فوال عكاوي:المعجم المفصل في علوم البلاغة، ط3. 1996، دار الكتب العلمية، بيروت، ص9، 10.

[3]-أحمد بن عقيلة المكي: الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ج2 تح: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، ص405.

[4]-نعمة رحيم العزاوي: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، دار الحرية، بغداد، 1987م، ص247.

هذا المعنى يأتي قول البحتري في وصف إبلٍ نحيلة[1]: [الخفيف]

كالقِســـــيِّ المُعَطَّفـــــاتِ، بَـــــلِ الأ سْـــــهُمِ مَبْرِيَّـــــةً، بَـــــلِ الأَوْتَـــــارِ

«حيث شبَّه الإبل بالقِسيِّ (جمع قوس)، ثم بالسهام المبرية، ثم بالأوتار.» [2]. فالسَّهم والوَتر من مستلزمات القوس، فناسب ذكر الأسهم في البيت والأوتار مع القِسيّ لعلاقة الإئتلاف القائمة بينهما.

انطلاقا مما سبق، نلاحظ أنَّ هذه العبارات ألفاظها كلها، مؤتلفة مع بعضها ومتجانسة فيما بينهما، تشير إلى معاني محدَّدة، بألفاظ دقيقة، وأذواق متميزة، بحيث لو حاولنا استبدالها بألفاظ أخرى فقدنا هذا التَّجانس وهذه الأذواق.

8- الألفاظ المترادفة:

أشار الإمام السيوطي (ت911هـ) إلى ظاهرة اقتران الألفاظ عند حديثه عن أقسام الكلام، فقد قسَّمَهُ إلى ألفاظ(متواردة ومترادفة)، فالألفاظ المتواردة، اكتفى بعرض أمثلة ونماذج منها، فذكر على سبيل المثال: الخمر، وذكر لها أسماء منها: عقار، وصهباء، وقهوة، وسلسال، ومن أسماء السبع: الليث، والأسد، والضرغام...

أمَّا الألفاظ المترادفة، وهي الأقرب من الاقتران الثنائي، فقد عرَّفها بقوله: «والمترادفة هي التي يُقام لفظٌ مقام لفظٍ؛ لمعانٍ مُتقاربة، يجمعها معنىً واحد»[3]. ثم عرض نماذج لهذه الألفاظ المترادفة التي يجمعها معنىً واحد، مثل: «أصلح الفاسد، و لَمَّ الشَّمل، ورتقَ الفتق، وشعبَ الصدع، خطيب مصقع، شاعر مفلق»[4]. وهذه الأمثلة التي أوردها السيوطي كلها جاءت في شكل ألفاظ مقترنة أو متلازمة، راسخة في الأذهان والعقول، كما يقول: «فبحسن الألفاظ واختلافها على المعنى الواحد ترصع المعاني في القلوب، وتلتصق بالصدور»[5].

---

[1]-البحتري:ديوان البحتري، قال هذا البيت في قصيدة يمدح فيها أبا جعفر بن حُمَيْد، ويستوهبه غلاما، دط، دتح، ص987.

[2]-إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي:المعجم المفصل في اللغة والأدب، ج1، ط1. 1987، دار العلم للملايين، بيروت، ص20.

[3]-جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ص37

[4]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]-المصدر نفسه، ص38.

والغاية من ورود التَّرادف بين الألفاظ: التَّوكيد، أي توكيد اللفظ بمرادفه، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: 91]، وقوله تعالى: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [النمل: 10]، وقد يتعدى التّوكيد إلى التبيين؛ تبيين النوع، وتبيين المعنى بإيضاحه بعد الإبهام، وتقويته بما يقاربه ويتلاءم معه من الألفاظ. ومن أمثلة إيراد الترادف للتوكيد: توكيد المصدر لفعله المقارب له، كما في قولهم: (قعدت جلوساً، وحُبستُ منعاً...ورجع القهقري، وقعد القرفصاء)، وقوله تعالى: ﴿دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨﴾ [نوح: 8] فقرن بين الدعاء بأحد مظاهره وهو الجهر، وفي اقترانهما معنى زائد، وهو الصدح والإعلان، وقوله تعالى: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: 79]، حيث جمع بين التهجد والنافلة وقرن بينهما، رغم أنَّ التهجد أحد أنواع النافلة.

والذي جمعهما وقرن بينهما هو المعنى؛ غير أنَّ التهجد نافلة مخصوصة بالليل، والنافلة تكون في الليل والنهار. فمن خلال هذه التراكيب المختلفة السابقة، نستنتج أنَّ الألفاظ المترادفة تؤدي تماماً معنى الاقتران الثنائي وتقترب منه؛ وهي عبارة عن كلمات تأتي مع بعضها متصاحبة في التركيب الواحد، متجانسة في العبارة؛ لما بينها من مناسبة وقرب وائتلاف، تؤدي المعنى المراد دون غيرها من الألفاظ والتراكيب.

كما أنَّ الترادف بين الألفاظ من شأنه إثراء اللغة بمعان وتراكيب جديدة، تزيد اللغة رونقاً، والمعنى بهاء، وتترك في المستعمل أو المتلقِّي تأثيرا عجيبا، وهي جزء لا يتجزَّأ من بلاغة اللغة وبيانها. وركيزة أساسيَّة لجمالها ورونقها، تفهم من خلال السيَّاقات اللغوية التِّي تظهر فيها، لا من وحداتها المعجميَّة المفردة.

9_ الأمثال السائرة:

يقصد بالمثل تلك «الجملة من القول المقتضبة في أصلها، تتَّسِم بالقبول، وتشتهر بالتَّداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيُّر يلحقها في لفظها»[1]، والمثل السائر بهذا الاعتبار يشبه إلى حدٍّ كبير ظاهرة الاقتران الثنائي _ باعتبارها تعبيرات اصطلاحية_ من حيث ثباتها وعدم قابليتها لإبدال عناصرها، غير أنَّ الدلالة في الأمثال تكون عامة، في حين تكون في الاقتران الثنائي خاصَّة، محددة حسب السياق الذي ترد فيه، مثل قولهم: (**لا ناقة لي في الأمر ولا جمل**)، (**اعط القوس باريها**)، (**إذا حلَّ القضاء ضاق الفضاء**)، (**إذا حضر الماء بطل التيمم**)، (**الحسد أهلك الجسد**)، (**التواضع بالغني أجمل والكِبْرُ بالفقير أسمج**)، (**أخسر وفارق**).

[1]-الحسن إليوسي:زهرة الأكم في الأمثال والحكم، ج1،تح:محمد حجي،محمد الأخضر، الدار البيضاء، المغرب، ص20، 21.

المبحث الثاني
معالم الاقتران الثنائي في الدراسات اللغوية

أولاً: الاقتران الثنائي في الدراسات العربية القديمة.

ثانيا: الاقتران الثنائي في الدراسات الغربية الحديثة.

ثالثا: الاقتران الثنائي في الدراسات العربية الحديثة.

أولاً: الاقتران الثنائي في الدراسات العربية القديمة:

تعتبر ظاهرة الاقتران الثنائي في ألفاظ اللغة من الظواهر اللغوية التي وعاها علماء المسلمين الأوائل من لغويين وأدباء، وخير دليل على ذلك مصنفاتهم المختلفة في اللغة وفقهها والمعاجم بأنواعها، مما يؤكد بما لايدع مجالاً للشك على مدى إدراكهم لها، وإن لم يسموها بهذا الاسم. ومن العلماء الذين وردت في مؤلفاتهم إشارات واضحة إلى ظاهرة الاقتران الثنائي في اللغة نجد:

1_ سيبويه (ت180هـ):

يُعتبر سيبويه من أوائل علماء اللغة الذين أشاروا في دراستهم إلى ظاهرة مجيء بعض ألفاظ مقترنة مع بعضها البعض، وأشار أنَّ الاقتران الثنائي له دور كبير في الدلالة على صحَّة الكلام في المعنى واستقامته في التَّعبير، فالتَّراكيب اللغوية عنده لا تستقيم ألفاظها في المعنى، إلاَّ إذا كانت كلماتها متلائمة مع بعضها غير متنافرة، ولو كانت صحيحة الإعراب. وإلاَّ وُصِفَت بالخطأ أو الكذب. وهو ما عبَّرَ عنه بمصطلح (المستقيم الكذب)، فيقول في باب الاستقامة من الكلام: «فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب...وأمَّا المستقيم الكذب، فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه»[1] ويقصد بـــ(الاستقامة) هنا الصِّحة النَّحوية أو الإعرابيَّة، وبـــ(الخطأ) الخطأ من ناحية المعنى والدلالة؛ لأنَّ لفظ الجبل وماء البحر قد اقترنت بألفاظ لا تناسبهما في المعنى، وإن صحَّت في الإعراب. كأنَّ سيبويه يريد بهذا التَّعبير الإشارة إلى دور الاقتران الثنائي في توضيح صحة التعبير واستقامة معناه، وذلك بإيراد الكلمة مقترنة مع ما يناسبها من الكلام. وتعتبر هذه الإشارة من سيبويه بمثابة التأصيل لظاهرة الاقتران الثنائي في اللغة، والتأسيس لدراستها، والانتباه إلى أهميتها، ودورها في إبراز معنى الكثير من المصطلحات التي ظهرت في الاستعمال اللغوي، الأمر الذي دفع بكثير من اللغويين إلى دراستها وفق طرق مختلفة ومناهج متعددة.

2_ ابن السكيت: (ت244هـ)):

تناول ابن السكيت ظاهرة الاقتران الثنائي في ألفاظ اللغة العربية في كتابه المعروف (**إصلاح المنطق**)، أثناء شرحه لكثير من العبارات التي وردت في أبواب كتابه، دون أن يقصدها بالتحديد، فمن الأمثلة التي أوردها، وتظهر في شكل اقتران ثنائي؛ شرحه للفظ (الغمر) «وهو الماء الكثير»، ثم يقرنه بألفاظ أخرى فيقول: «رجل غمر الخلق؛ إذا كان واسع الخلق، وهو غمر الرِّداء إذا كان واسع

[1]-سيبويه: الكتاب: تح: عبد السلام هارون، ج1، ط3، 1988. مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص: 25، 26.

المعروف»[1]، وقوله أيضا: «عَوْذٌ بالله منك أي: أعوذ بالله»[2] وهي من العبارات المأثورة للدلالة على الاستعاذة بالله تعالى من كل خطر داهم. وقوله أيضاً: «لَسَبَتْهُ العقربُ إذا لسعته، ولَسِبْتُ العَسَلَ والسَّمنَ إذا لعِقْتَهُ»[3]، وقوله: «بعيرٌ رسلٌ، وناقة رسل، وشعر رسل، وقوله: (أحبك حبًّا صَرْداً)، وصَرِدَ السَّهم، وأجزرت القوم، وجزرت الجزور، وجزر الماء، وجزرت النَّخل، إذا صرمته.»[4]

فنلاحظ من خلال هذه النصوص التِّي قدَّمها ابن السكيت(ت244هـ)، أنَّه يورد كلمة محورية أساسيَّة، تقبل الاقتران بكلمات أخرى، ثم يشرحها ويفسرها، كلفظ (الغمر) مثلاً يقرنه بلفظ(الخلق) للدلالة على سعة خلق من اتَّصف به، كما يقرنه بلفظ (الرِّداء) للدلالة على سعة البذل والجود والإحسان، كما يورد أيضا لفظ (التعوُّذ) مقترنا بلفظ الجلالة (الله) للدلالة على الاحتماء بالله وطلب دفع الشر من كل خطر داهم. وهذه النماذج التي أوردها ابن السكيت في كتابه دليل أنَّه لامس هذه الظاهرة، وأشار إليها دون أن يصطلح عليها بالاقتران الثنائي، وهذا يدلُّ على نباهة علماءنا وذكائهم الواسع، وجهدهم الكبير في تتبع ألفاظ اللغة في الاستعمال، دون أن يتمكنوا لتبويبها وتحديد ظواهرها الكثيرة.

3_ الجاحظ: (ت255هـ):

يُعدُّ الجاحظ في كتابه (**البَيَانُ والتَّبيِّينُ**) من أوائل علماء اللغة العربية الذين أشاروا إلى ظاهرة الاقتران الثنائي، حين لاحظ أنَّ هناك بعض الكلمات تأتي مقترنة بكلمات أخرى، محدَّدة دون غيرها في معناها. واستدلَّ الجاحظ على رأيه هذا، بما ورد في القرآن الكريم قائلاً: «وقد يستخفُّ النَّاس ألفاظاً وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أنَّ الله تعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلاَّ في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر.

والنَّاس لا يذكرون السَّغب، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر؛ لأنَّه لا يلفظ في القرآن إلاَّ في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصَّة لا يفصلون بين ذكر المطر والغيث، والقرآن إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين، ألاَ تراه لا يجمع الأرض أرضين

---

[1]-ابن السكيت: إصلاح المنطق: تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون. دط. دار المعارف.مصر.ص42.

[2]-المصدر نفسه: ص: 81.

[3]-المصدر نفسه، ص190.

[4]-المصدر نفسه، ص18، 48، 269.

ولا السَّمع أسماعاً، والجاري على أفواه العامة غير ذلك»[1].ثم يضيف: «لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال. وقد زعم بعض القرَّاء أنَّه لم يجد لفظ النكاح في القرآن إلاَّ في موضع التَّزويج...»[2] ثمَّ أردف مقدماً نماذج لهذه الألفاظ المقترنة بقوله: «وفي القرآن معانٍ لا تكاد تفترق، مثل: الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرون والأنصار والجن والإنس»[3].

فملاحظة الجاحظ لمعاني بعض ألفاظ القرآن الكريم التي لا تكاد تفترق -كما أشار- هي عينها الاقتران الثنائي، وهذا دليل واضح على أنَّ (الجاحظ) قد تفطَّن لهذه الظَّاهرة في بدايات الدَّرس اللغوي العربي، وهو أمرٌ دلَّ على فكر الجاحظ الثَّاقب، وملاحظته لكثير من الظّواهر اللغوية التي حَفَلَ بها القرآن الكريم، والتي أسهم الجاحظ في إخراجها إلى ميدان البحث والدراسة، وقد كانت صائبة إلى حد بعيد.

4_ عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني: (320هـ)

ومن العلماء الذين انتبهوا إلى هذه الظاهرة اللغوية أيضا نجد (عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني) في كتابه (**الألفاظ الكتابية**)عند حديثه بالتَّحديد عن الألفاظ المترادفة والمتواردة والمتتابعة والمتضادة. يقول الهمذاني عن الألفاظ التي جمعها في كتابه لتكون عونا للكُتَّاب، وأصحاب الدواوين في كتابة وتحرير رسائلهم وتقاريرهم: «فليست لفظة منها إلاَّ وهي تنوب عن أختها في موضعها من المكاتبة، أو تقوم مقامها في المحاورة، إمَّا بمجانسة أو بمجاورة، فإذا عرفها العارف بها، وبأماكنها التي توضع فيها، كانت له مادة قويَّة وعوناً وظهيراً، فإن كتب عدة كتب في معنى تهنئة، أو تعزيَّة، أو فتح، أو وعد، أو وعيد، أمكنه تغيير ألفاظها مع اتفاق معانيها»[4]. ففي باب (أصلح الفاسد) مثلاً يورد مجموعة من الألفاظ المقترنة التي لا يصلح غيرها في السِّياق، فهو يشير إلى أنَّ لكلِّ نوع من الفساد ما يصلح له من ألفاظ، فيقول: «أن يجعل مكان أصلح الفاسد: لَمَّ الشَّعث، ومكان لم الشَّعث: رتق الفتق، ومكان رتق الفتق: شعب الصَّدع...» [5].

---

[1]-الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، تح: عبد السلام هارون. الهيئة العامة لقصور الثقافة.الذخائر: 2003. ص20.

[2]-ا المصدر نفسه: ص20.

[3]-المصدر نفسه: ص21.

[4]-عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني:كتاب الألفاظا الكتابية،تح: البدراوي زهران،ط3. 1989.دار المعارف،بيروت، ص164.

[5]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فانظر كيف قرن (الهمذاني) في كتابه بين (لَمَّ والشَّعث)، وبين (رتق والفتق)، وبين (شَعَب والصدع).لتناسبها في المعنى وتآلفها في الدلالة على المقصود، ولو أقمنا كلمات أخرى مكان تلك لفسد المعنى وما استقامت الدلالة.

5_ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: (ت328هـ):

ألّفَ أبو بكر الأنباري كتابه الموسوم بـ(**الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس**) وهو في حقيقته عبارة عن معجم عَرَضَ فيه مجموعة من الأقوال، والأمثال، وعبارات مسكوكة، ومصطلحات مركّبة مما يستعمله النَّاس في صلواتهم، ودعائهم وتسبيحهم وتقربهم إلى الله تعالى، تحاكي إلى حد كبير ظاهرة الاقتران الثنائي دون أن يسميها بذلك. والهدف من تأليفه لهذا الكتاب كما يقول هو بذاته: «تبيين ما تستعمله العوام في أمثالها ومحاوراتها من كلام العرب، وهي غير عالمة بتأويله، وباختلاف العلماء في تفسيره»[1] فيعمد إلى عرضها أولاً، ثم يشرح غريب مفرداتها مدلِّلاً شرحه بآيات قرآنية، أو أحاديث نبويَّة، أو بأقوال الشعراء.

وقد تضمَّنَ الكتاب كثيراً من الألفاظ المقترنة ثنائيًّا، ساقها الأنباري لغرض تبيان معانيها لمستعمليها، فيقول مثلاً: (**ما في الدَّار صافر**). وفيه قولان: «يقال ما في الدار شيء يصفر به، والقول الثَّاني: ما في الدار أحد»[2] ثم يدلِّلُ على هذا المعنى بقول الشاعر[3]: [من مجزوء الكامل]

خَلَـــتِ المَنَـــازِلُ مَـــا بِهَـــا ممـــن عَهِـــدْتَ بِهِـــن صـــافِر

وقولهم: (**هو في معيشة ضنك**): قال الأنباري (ت328ه): « الضَّنك الضَّيق، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[طه: 124] قال قتادة: المعيشة الضَّنك: جهنَّم، وقال الضَّحاك: الكسب الحرام، وقال عبد الله بن مسعود: عذاب القبر»[4].

ويضيف الأنباري نماذج أخرى للاقتران الثنائي ضمن مسائل نحويَّة وصرفيَّة، فيقول: «وقولهم للذي يقدم من الحج: مبرورا مأجوراً. قال فيه وجهان:مبروراً مأجوراً بالنَّصب على الدعاء، أي جعلك الله مبرورا مأجوراً، والوجه الثاني أن ينصب على الحال فيكون المعنى: قدمت مبرورا مأجوراً،

---

[1]-أبو بكر الأنباري:الزاهر في معاني كلمات الناس، تح:حاتم الضامن،ج1، ط2. 1987م،دارالشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص40.

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-البيت لم أجد له نسبة، وهو من شواهد أبي بكر الأنباري في كتابة: الزاهر في معاني كلمات الناس. ص40.

[4]-أبو بكر الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس، ج1، ص40.

وأجاز النحويون قولهم: مبرور مأجور بالرفع، على معنى: أنت مبرور مأجور»[1].وقولهم:(اللهم إنَّا نعوذ بك من وعثاء السَّفر وكآبة المنقلب ومن الحوْرِ بعد الكَوْرِ) ووعثاء السفر:«شدَّة النَّصب والمشقَّة، وكآبة المنظر معناه: أن يرجع الرجل من سفره إلى مترله بأمر يكتئب منه، أو يرى عند قدومه ما يغمه، ويحزنه. والحور بعد الكور: النُّقصان بعد الزيادة، أو نعوذ بك من الرجوع والخروج عن الجماعة بعد أن كنَّا في الكور، وهو الاجتماع»[2].

وبعد ذِكرِنَا لهذه النماذج يتبيِّن لنا أنَّ أبا بكر الأنباري في كتابه (الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس)، قد ضمَّنه نماذج كثيرة لظاهرة الاقتران الثنائي، وهو بهذا العمل الباهر يعدُّ من أوائل علماء اللغة الذين تطرَّقُوا إلى هذه الظاهرة وأولوها عناية كبيرة، وأفردوا لها تصنيفات خاصة دون أن يسموها باسمها، أو يصطلحوا عليها بهذا المصطلح اللغوي الحديث.

6_ ابن دريد: (ت 361هـ)

يورد ابن دريد في كتابه (**الجمهرة**) مجموعة من الألفاظ المقترنة جاءت على أسلوب الإتباع. فيقول في باب جمهرة من الإتباع: «جائِعٌ نائِعٌ، وعَطْشَان نطشَان، وحَسَن بسن، ومليحٌ قزيح، وقبيحٌ شَقِيحٌ، وَشَحِيحٌ بَحِيحٌ، وَشَيْطَانٌ لَيْطَانٌ، وخَزْيان سَوْآن، وعَيِيٌّ سَوِيٌّ، وسَيْغٌ لَيْغٌ، وسائِغٌ لائِغ، وحارٌّ يارٌّ، وكَثِيرٌ بَثِيرٌ، وَبَذِيرٌ عَفِيرٌ، وَفَقِيرٌ وَقِيرٌ، جَدِيدٌ قَشِيبٌ، مَا لَهُ عَالٌ وَلاَ مَالٌ»[3].كلُّ هذه النَّماذج التي ساقها ابن دريد يمثِّل بها لظاهرة (الإتباع) ترمز من خلال عباراتها المسكوكة، وألفاظها المنسجمة إلى أنَّ ابن دريد قد أدرك ظاهرة الاقتران الثُّنائي متمثلاً في ظاهرة الإتباع.

7_ **أحمد بن فارس**: (**ت 395هـ**): يُعدُّ أحمد بن فارس من العلماء العرب الأوائل الذين أشاروا إلى ظاهرة الاقتران الثُّنائي بين ألفاظ اللُّغة العربية، وقد أشار إليها في مُصَنَّفَيْنِ من مصنفاته، أحدهما أورده مستقلاً في ذكره لهذه الظاهرة، وهو المعروف بـــ (**الإتباع والمزاوجة**)، يقول في مقدِّمته: «هذا كتاب الإتباع والمزاوجة، وكلاهما على وجهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليتين على رويٍّ واحدٍ، والوجه الآخر: أن يختلف الرَّويَّان، ثم يكون بعد ذلك على وجهين:

---

[1]-أبو بكر الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس، ج1، ص43.

[2]- المصدر نفسه، ج1: ص118.

[3]-الحسن بن دريد:كتاب جمهرة اللغة،ج1،تح:رمزي منير بعلبكي، ط1. 1987.دار العلم للملايين. بيروت. ص1253.

أحدهما: أن تكون الكلمةُ الثانيةُ ذات معنى معروف، إلاَّ أنَّها كالإتباع لما قبلها، والثَّاني: أن تكونَ الثَّانية غيرَ واضحةِ المعنى ولا بيِّنة الاشتقاق»، ثمَّ بين ابن فارس الهدف من استعمال العرب للإتباع كأسلوب في كلامها، فقال: «رُوي أنَّ بعض العرب سُئِل عن هذا الإتباع. فقال: هو شيء نتد به في كلامنا»[1] بمعنى نؤكِّده به، وقدَّم ابن فارس لظاهرة الإتباع أمثلة على مستوى كل حرف من حروف العربية؛ ليدلِّلَ على أنَّها ظاهرة شاملة جامعة، لا يستغني عنها العربي في جميع الاستعمالات؛كقولهم: «إنّه لَسَاغِبٌ لاَغِبٌ، وَرَجُلٌ حَرِيبٌ سَلِيبٌ، ورجُلٌ خَيَّابٌ تَيَّابٌ، ورجُلٌ خَيَّابٌ هَيَّابٌ، وحَبٌّ ضَبٌّ، وخَرَابٌ يَبَابٌ، وإذا سألوا عن المرأة قالوا: أَشَابَّةٌ أَمْ ثَابَةٌ...»[2] وأكَّدَ هذا المعنى الكسائي حينما عدَّ العبارة: «(حارٌّ) من الحرارة (ويارٌّ) إتباع، وعلى منوال هذه الجملة، أورد نماذج أخرى عدَّها من الإتباع، مثل قولهم:عَطْشَانٌ نَطْشَانٌ، وجائعٌ نائعٌ، وحَسَنٌ بَسَنٌ. وإنَّما سُمِيَّ إتباعاً؛ لأنَّ الكلمة الثَّانية إنِّما هي تابعةٌ للأولى على وجه التَّوكيد لها، وليس يتكلم بالثَّانية منفردة؛ فلهذا قيل إتباع»[3]. وأمَّا في كتابه المعروف بـــ (**الصَّاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**) فقد سمَّاها بـــ(المحاذاة) ويقصد بها أن يجعل المتكلِّم «كلاماً بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظاً وإن اختلف معه معنى، مثل قولهم: (الغَدَايَا والعَشَايَا)». ويقصدُ ابن فارس بمصطلح (المحاذاة) أن تأتي بعض الألفاظ في اللُّغة بمحاذاة ألفاظ أخرى، تقترن بها وتتَّفق معها في البنية، وإن اختلفت معها في المعنى. يقول في كتابه (**الصَّاحبي**) في باب الخصائص: «للعرب كلام بألفاظ تختصُّ به معانٍ لا يجوز نقلها إلى غيرها، يكون في الخير، والشَّرِّ وغيره، وفي الليل والنهار وغير ذلك». ويمثل ابن فارس في كتابه بمجموعة من الألفاظ المقترنة، فيقول:«ألج الجمل، وخلأت الناقة، حَرَنَ الفَرَسُ، نفشَت الغنم، إذا ضاعت ليلاً، وهَمَلَت الغنم، إذا ضاعت نهاراً...» [4]، فلفظ (ألج، وخلأت، وحَرَنَ، ونفشت...) ولا تصلح الاقتران إلاَّ بهذه الألفاظ، وإلاَّ فسد المعنى، وخرج التَّعبير عن جماله واستقامته.

8_ أبو هلال العسكري: (400هـــ): يشير أبو هلال العسكري (ت400هـــ) في كتابه (**الفروق اللغوية**) إلى ظاهرة الاقتران بين بعض ألفاظ اللغة، من خلال الفروق الدلالية بين الكلمات

---

[1]-أحمد بن فارس: الإتباع والمزاوجة، تح: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، ص28.

[2]- المصدر نفسه، ص29، 30.

[3]-جلال الدين السيوطي:المزهرفي علوم اللغة وأنواعها.تح:محمد عبد الرحيم،ط1،2010،دار الفكر،بيروت، لبنان، ص313.

[4]-أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص446.

المترادفة ومعانيها المتقاربة، التي يصعب على البعض التفريق بين معانيها، فاستعمال المتكلم لعبارة ما في كلامه، يحتاج إلى ألفاظٍ معينة يعبر بها عن مقصوده ومراده، هذا الاستعمال يستلزم أحياناً اقتران ألفاظٍ مخصوصة يقتضيها السياق الذي يرد فيه هذا الاستعمال. وقد ساق أبو هلال لشرح هذه الفكرة مجموعة من الأمثلة، كتفريقه بين (المعرفة والعلم) فيقول: «لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يفيد ذلك »[1] فالإفادة كما يشير يحددها السياق، فلفظ (عارف) يقتضي أن يقترن مع لفظ (زيد) فنقول: زيدٌ عارف، ولا يصح أن يقترن مع لفظ الجلالة (الله) إذ «لايجوز أن تصف الله تعالى بأنَّه عارف»[2] لأنَّ اللهَ تعالى عارف لكل شيء.

وتفريقه أيضا بين (الدعاء والنداء)، والفرق بينهما يحدده السياق، فـــ(النداء) كما يذكر يقتضي«رفع الصوت بما له معنى. ولفظ (الدعاء) يقتضي «رفع الصوت وخفضه»[3]، فالاقتران واضح بينهما في رفع الصَّوت، فيقال «دعوته من بعيد، ويكون ذلك برفع الصَّوت، كما يقال دعوت الله في نفسي، ولا يقال: ناديته في نفسي»[4].

كما أشار أبو هلال إلى شكل آخر من أشكال الاقتران الثنائي، الذي يظهر بوضوح عند حديثه عن الفرق الذي يعلم من جهة الحروف التي تتعدى بها الأفعال، فاقتران حرف الجرِّ بالفعل، له أثرٌ بارزٌ في تحديد المعنى المراد من هذا الاستعمال، وقد مثَّلَ لهذه المسألة بكلمتي (العفو والغفران)، «ذلك أنَّك تقول: عفوت عنه، فيقتضي ذلك أنَّك محوت الذم والعقاب عنه، وتقول: غفرت له، فيقتضي ذلك أنَّك سترت له ذنبه و لم تفضحه»[5].

وانطلاقاً من هذه النماذج التي ساقها أبو هلال، يظهر لنا ويتبيِّن أنَّهُ اعتمد في التَّفريق بين الألفاظ على مبدأ الاقتران الثُّنائي، وقد وُفّقَ إلى حدٍّ كبيرٍ للتَّسهيل على المتكلِّم كيف يختار الألفاظ اللَّائقة، ليوصل معنىً معيناً يريده، عن طريق استحضار ظاهرة الاقتران الثنائي في ذهنه، عند تناوله لها في استعمالاته العادية.

---

[1]-أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دط. دار العلم والثقافة، القاهرة، ص26.

[2]-المصدر نفسه، ص80.

[3]-المصدر نفسه، ص38.

[4]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]-المصدر نفسه، ص 26

9_ أبو منصور الثّعالبي: (ت429هـ):

يعتبر الثعالبي من أوائل علماء اللغة العرب الذين انتبهوا إلى ظاهرة الاقتران الثنائي في اللغة العربية، دون أن يسميه بهذا الاسم، فقد ألَّفَ كتاباً قيِّمًا بعنوان: (**كتاب فقه اللُّغة وسرّ العربية**)، الذي بناه على حسن التَّناسب بين الألفاظ وترتيبها في الاستعمال، كما أشار محقق الكتاب بقوله«فالكتاب ليس إلاَّ معجما لألفاظ عربية، اختارها الثَّعالبي، ورتَّبها حسب المعنى الذي تشترك فيه، وفق نسقٍ خاصٍّ في التَّرتيب تراءى له»[1] ومن هذا المنطلق أجاد الثَّعالبي في الإشارة –وإن كانت غير مقصودة– إلى ظاهرة الاقتران الثُّنائي في ألفاظ اللُّغة من خلال بعض الأمثلة التي تناولها بالتَّفسير في كتابه هذا، فيقول مثلاً في الباب السَّابع (في اليبس واللِّين والرُّطوبة) الفصل الرَّابع: «ثوبٌ لَيِّن، ريحٌ رُخاء، رُمح لدن، لحم رَخْصٌ، بنانٌ طَفْلٌ، شعرٌ سُخامٌ...»[2]، وفي الباب الرَّابع عشر، الفصل الثَّالث (في ظهور الشَّيب وعمومه): «وَخَطَهُ الشَّيب، فإذا زاد قيل: خَصَّفَهُ الشَّيب، أو خَوَّصَهُ الشَّيب، فإذا ابْيضَّ بعضُ رأسه قيل: أخلَسَ رأسُهُ»، وفي الفصل الخامس والثلاثون يقول: «نَفَحَتِ الدَّابَّة بيديْها، ونطحت برأسها، وصدمت بصدرها، وخطرت بِذَنَبِها»، وفي الفصل الذي يليه، يقول: «خَذَفَهُ بالحصى، حَذَفَهُ بالعصا، قذفه بالحجر، رجمه بالحجارة، رشقه بالنَّبل، نَشَبَهُ بالنُّشَاب، حثاهُ بالتُّراب، نضحه بالماء، لقعه بالبعرة.» [3] كأنَّ الثَّعالبي وهو يورد هذه الألفاظ، يشير إلى أنَّها تستدعي ألفاظاً أخرى، تقترن بها عند استعمالها في الكلام.أمَّا في كتابه الثَّاني (**ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**) فقد أكدَّ فيه هذه الظَّاهرة من خلال الأمثلة التي تناولها، وجعلها أساسا وبناءً لكتابه هذا، فقد قال عنه: «وبناء هذا الكتاب على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء مختلفة»[4]، وعليه فقد قدَّم فيه نماذج من الألفاظ المقترنة، ثم قام بشرحها وتفسيرها، مُبيِّناً أنَّ هذه الألفاظ يكثر استعمالها في «النَّثر والنَّظم وعلى ألسنة الخاصَّة والعامَّة»[5]. فيقول مثلا في باب ما يضاف إلى اسم الله تعالى: «أهل الله، بيتُ الله، رسولُ الله، كتاب الله، روحُ الله، أسد الله، سيف الله، سبيل الله، خالصة لله، نور الله، رحمة الله، ستر الله...»[6] ثم يقوم بشرح هذه الألفاظ المقترنة، مثل:

---

[1]–أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسرّ العربية: تح: فائز محمد، إميل يعقوب، ط4، 1999، دار الكتاب العربي، ص1.

[2]– المصدر نفسه: ص50.

[3]– المصدر نفسه، ص93. 186.

[4]–أبو منصور الثعالبي:ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 2003، المكتبة العصرية، بيروت، ص13.

[5]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[6]–المصدر نفسه، ص18. 38، 42، 59.(بتصرف)

1_ أهل الله: كان« يقال لقريش في الجاهلية: أهل الله، لما تميَّزُوا به عن سائر العرب من المحاسن والمكارم، والفضائل والخصائص، التّي هي أكثر من أن تحصى»، وفي باب ما يضاف ويُنسبُ إلى الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام: «سفينة نوح، مقام إبراهيم، صحف إبراهيم، ضيف إبراهيم، ناقة صالح، رؤيا يوسف، قميص يوسف، ريح يوسف، صبر أيوب، حوت يونس، مُلك سليمان، بردة النَّبي ﷺ...»

مقام إبراهيم: «يضرب مثلاً لكل مكان شريف ومقام كريم، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: 125]؛ ويروى أنَّه كان فيه أثر عقبيه وأصابعه، فما زالت الأمَّة تمسحه حتى خفي الأثر» وفي باب ما يضاف وينسب إلى الملائكة والجن والشَّياطين:«غسيل الملائكة، جناح الملائكة، سحر هاروت، جند إبليس، خطوات الشياطين، بريد الشيطان، حبائل الشيطان، رؤوس الشياطين»[1].

وفي كتابه الثَّالث الموسوم بـــ(**سحر البلاغة وسر البراعة**) بَنَى معظمه على شكل ألفاظ مقترنة، يضع لها عنواناً ثم يسرد بقية الألفاظ المقترنة بها، والملازمة لها في الاستعمال الاعتيادي. فيقول مثلاً عند الحديث عن أوصاف القرآن الكريم وفضائله: «حبل الله الممدود، عهده المعهود، وظله العميم، وصراطه المستقيم، وحجَّته الكبرى، ومحجَّته الوضحى...بشير الثَّواب، نذير العقاب، وشفاء الصُّدور، وجلاء الأمور.»، وفي سرعة الكتابة يقول: «يده ضرة البرق، قلمه فلكي الجري، يده ظئر البلاغة، وأم الكتابة، وضرة الريح، وينبوع الفضل، فلان أنامله أرياح، وخواطره البحار، سريع البنان، بديع البيان، أخف من حسوة طائر، ولمعة بارق، وخلسة سارق»[2] هذه عينات من هذا الكتاب تدلُّ على إدراك الثَّعالبي لظاهرة الاقتران الثنائي بين بعض الألفاظ في الاستعمال الكلامي.

ثانيا: الاقتران الثنائي في الدراسات الغربية الحديثة: يُعتبر الاقتران الثنائي من أهمِّ الظَّواهر اللغوية التي شغلت بال كثير من علماء الدراسات اللغوية في الدرس الحديث، فقد اهتموا بهذه الظاهرة بحثا ودراسة وتقعيداً وتصنيفاً، لإدراكهم أنَّ العلاقات البينية بين الألفاظ تؤدي دوراً كبيراً في الكشف عن معانيها المختلفة. وعليه فقد انطلق الكثير من علمائهم في دراسة هذه الظَّاهرة سبراً لأغوارها، وبحثاً عن أسرارها في مختلف اللغات البشرية. ومن أبرز العلماء الذين نَبَّهُوا إليها كما يورد فرانك بالمر في كتابه (علم الدلالة) نجد العالم اللُّغوي (برزغ) (1934م) الذي اطلق عليها اسم

---

[1]-أبو منصور الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ص42.

[2]-أبو منصور الثعالبي: سحر البلاغة وسر البراعة، دط، دتح، ص4، 23.

(**العلاقات التلاؤمية**) القائمة بين الألفاظ، فقد أقرَّ بأهميَّتها في توضيح معنى التَّراكيب القائمة على أساس هذه العلاقات التَّلاؤمية. كالعلاقات القائمة مثلا بين: (يعض وأسنان، وينبح وكلب، أشقر وشعر...) [1].

ثمَّ يأتي بعد (برزغ) العالم اللغوي فيرث (1951م) وقد عُدَّ من الذين وجهوا الدراسات اللغوية الحديثة للاهتمام بدراسة هذه الظاهرة على الخصوص، مشيراً إلى أنَّ الكلمة في الاستعمال العادي لا تكسب دلالتها من السياق فحسب، بل لا بد من النَّظر إلى الكلمات الأخرى التي تقترن بها أو تصاحبها. يقول في تعريفه للاقتران الثنائي: «إنك ستعرف الكلمة عن طريق ما يصاحبها» [2]، ويستدلُّ (فيرث) على اتجاهه هذا بكلمة (حمار ass) التي تقترن بكلمة (Silly)، فيقال مثلا: You Ass Silly .بمعنى أنت يا غبي، وتقترن بهذه الكلمة صفات أخرى مثل: Silly غبي، Stupid أحمق، بليد، أبله، Obstinate عنيد.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أنَّ (فيرث) أدرك أنَّ الاقتران القائم بين بعض ألفاظ اللغة، جزء لا يتجزء من معنى اللفظ أو الكلمة، وعليه –حسب فيرث– إذا أردنا أن نبحث عن دلالة الكلمة، وجب أن نبحث عنه في السياق، أو المستوى اللغوي الذي وردت فيه. .بمعنى أنَّ الاقتران الثنائي عنده يكاد يقتصر على الجانب الدلالي، فيقول في معناه: «أن تجيء كلمة في صحبة كلمة أخرى، على نحو يجعلنا بحكم العادة والإلف أن نتوقَّع أن تجيء الكلمتان متصاحبتين» [3].

ومن علماء المدرسة الغربية الحديثة الذين كان لهم الدور البارز في دراسة ظاهرة الاقتران الثنائي في اللُّغة نجد العالم اللغوي (فرانك بالمر) المتأثر بوجهة نظر (فيرث) والذي صرح .بمصطلح (الاقتران) في كتابه (علم الدلالة) في فصل (علم دلالة المفردات: الحقول والتَّنظيم، ولم يختلف (بالمر) عن (فيرث) في تعريف الاقتران حيث يقول: «إنَّك تعرف الكلمة من خلال قرينتها»[4].

غير أنَّه خالف (فيرث) في اعتبار الاقتران الثنائي هو السَّبيل الوحيد لمعرفة معنى الكلمة، فوسع في وسائل الوصول إلى المعنى، واعتبر أنَّ الاقتران الثنائي ليس هو كل الدلالة، وإنما يمثِّل وسيلة من وسائل الوصول إلى المعنى أو الدلالة، دون أن يغفل بقيَّة الوسائل، والتي منها في نظره السياق،

---

[1]–فرنك بالمر: علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، كلية الآداب الجامعة المستنصرية ص87.

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]–عبد العزيز محمد حسن: المصاحبة في التعبير اللغوي.دار الفكر العربي، ط1990، ص16.

[4]–أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط5. 1998، عالم الكتب، القاهرة، ص169.

ومستويات التَّحليل اللغوي الأخرى.

ثالثا: الاقتران الثنائي في الدراسات العربية الحديثة: تناولت الدراسات الحديثة ظاهرة الاقتران الثنائي، ولكن بمصطلحات محدَّدة أو معيَّنة، كالتَّضام، والرَّصف، والتَّلازم، والنَّظم...إلى غير ذلك من المصطلحات المختلفة التي تشير جميعها إلى الاقتران الثُّنائي المأخوذة عن الترجمة اللَّفظية للمصطلح الغربي: (**Collocation**). وعليه فإنَّنا في دراستنا هذه نريد أن نشير ونُنَوِّه بجهود بعض علماء اللُّغة العرب الذين أولوا أهميَّة قصوى لهذه الظَّاهرة اللُّغوية (الاقتران الثنائي في ألفاظ اللغة). منهم:

1_ إبراهيم اليازجي: ألف معجماً فريداً جمع فيه عدداً كبيراً من الألفاظ التي تشير إلى الاقتران الثُّنائي في شكل مترادف ومتوارد سماه: (نجعة الرَّائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد) فقد أورد في كتابه هذا مجموعة من الألفاظ المقترنة ثنائيًّا مثل: رجل قوي البنية، شديد السُّمرة، مستحكم الحلقة، مجتمع القوَّة، معصوب الخلق، مجبول الخلق، مدمج الخلق...وفي (فصل في حسن المنظر وقبيحه) يقال: فلان جميل المنظر، جميل الخلق، حسن الصُّورة، وضيء الطَّلعة، صبيح الوجه، واضح السنة، غرير الخلق، أغرَّ الطَّلعة، أبلج الغرة، أزهر اللَّون، مشرق الجبين، وضَّاح المحيا، رقيق البشرة. وفي(فصل في الطَّمع والقناعة): «يقال: فلان رغيب العين، طمَّاح العين، كثير الأطماع، كثير المراغب، واسع المطامع، شديد الحرص، دنيء الرِّيادة، دنيء الطعمة»[1].

2_ محمد أحمد أبو الفرج: في كتابه «المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث»باسم (المصاحبة) الذي وضعه مرادفا للمصطلح الغربي (Collocation) لصاحبه (فيرث) مبيِّنًا دوره في الكشف عن المعنى وتحديده، حيث يقول عن وظيفة المصاحبة أنَّها: « تحدِّد نوع الكلمة التِّي يجب أن تقع في الموضع من الكلام (اسم، فعل، حرف)» [2]، ويشير الدكتور أبو الفرج إلى أنَّ النَّحو لا يكفي وحده لتحديد معنى الألفاظ في التركيب، فهناك في اللُّغة وسائل أخرى لتحديده كالمصاحبة اللَّفظية.

ثم يقول: «وقد تحدث أستاذنا: J. R. Firth عن هذا في اللغة وسماه: (Collocation) وذلك لأنَّ اللغة تختار مصاحبة كلمات بأخرى دون غيرها مما قد لا يحجب استعماله نحو أو معنى»[3].

---

[1]-إبراهيم اليازجي: نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والوارد. ص 2. 3. 85.

[2]-محمد أحمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث: ص110.

[3]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وللتَّدليل على كلامه قدَّم نماذج للاقتران الثنائي في بعض المعاجم العربية دون أن يكون لأصحابها معرفة بهذه الظَّاهرة اللغوية، كالذي أورده ابن منظور مثلاً حين تحدَّث عن معنى لفظ (عرب) فقال: «عرِب الرجل، ورجل عريب، وعرِبت معدته، وعرِب الجرح، عرِب السَّنام.»..فهذه الألفاظ تناسب مصاحبة لفظ الرجل، وألفاظ أخرى يوردها ابن منظور تناسب مصاحبتها للألفاظ (المرأة، العاربة، والمتعربة...) فيقال: «تعربت المرأة للرجل، والعرب العاربة، والعرب المتعربة، والعرب العرباء، والعرب المستعربة»[1]. والأمر نفسه نجده وهو يشرح لفظ (الأعجمي) فهي كلمة يمكن أن تقترن مع رجل فنقول: «رجل أعجمي، لسان أعجمي، وكتاب أعجمي، وكلام أعجمي»[2].

كما استدل بما أورده الزمخشري في أساسه نماذج كثيرة جاءت في سياق هذه الظَّاهرة اللغوية مثل لفظ (جَنَحَ) التي تقبل الاقتران مع عدة ألفاظ منها: «جنح للسلم، وجنحت الشمس للغروب، وجنح الليل، جنح الأصيل، وجنحت السفينة، وجنح الطائر»[3].

كل هذه الألفاظ التي أشار إليها ابن منظور والزمخشري وغيرهم دون أن يسمياها (الاقتران الثنائي أو اللفظي) دليل على أصالة الاقتران الثنائي في الاستعمال اللغوي في الدرس العربي.

3_ أحمد مختار عمر:

وهو من أبرز الباحثين العرب في العصر الحديث الذي تناولوا ظاهرة الاقتران الثنائي عبر كتابه **"علم الدلالة"** باسم (الرَّصف) الذي يتناول الكلمات المفردة، التي لها علاقات متبادلة ذات أهمية دلالية، وقد عرفه بقوله: «الارتباط الاعتيادي لكلمة ما، في لغة ما بكلمات أخرى معينة، أو هو عبارة عن استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين، استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى» [4] كارتباط كلمة (منصهر) بمجموعة من الكلمات مثل: الحديد، الذهب، النحاس، الفضة، دون أن ترتبط بكلمة (الجلد). فالرَّصف اللغوي بهذا المفهوم كما قدمه أحمد مختار عمر يخالف تماما الرصف النحوي الذي يتناول العلاقات الإعرابية، التي لا تخلو من دلالة، لكنها ليست على وجه التوافق أو التلازم أو الاقتران.

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص589، 590.

[2]-المصدر نفسه، ج12، ص386.

[3]-محمود بن عمر الزمخشري: أساس البلاغة: ص151.

[4]-أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط5. 1998، عالم الكتب، القاهرة، ص74.

4_ تمام حسان:

يُعدّ تمام حسان من اللغويين المحدثين الذين سبروا أغوار ظاهرة الاقتران الثنائي، وتعرَّضَ له بالبحث والدراسة، وقد تناوله باسم (التضام) حيث درسه من النَّاحية النَّحوية، وعرَّفه بقوله: «أن يستلزم أحد العنصرين التَّحليليين النَّحويين عنصراً آخر، يُسمى التضام هنا (التلازم) أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى هذا (التنافي)، وعندما يستلزم أحد العنصرين الآخر، فإنَّ هذا الآخر قد يدل عليه بمبنى وجودي على سبيل الذكر، أو يدل عليه بمبنى عدمي على سبيل التقدير، بسبب الاستتار أو الحذف، وهذا هو المعنى الذي نقصد إليه»[1]. ثم يقرر تمام حسان بأن التضام إذا كان المقصود به التلازم، فإن هذا التَّلازم؛ إمَّا أن يكون بالمبنى الوجودي وهو المذكور، أو بالمبنى العدمي وهو لايتحقق إلاَّ بعلامة، غير أنَّه اعتبر أنَّ التَّلازم بالمبنى المذكور هو الأكثر لُبساً. فيكون الذكر قرينة على المعنى المراد، ويمثِّل تمام حسان لهذا التَّلازم باقتران«الموصول بالصلة وافتقاره لها، والمضاف إلى كلا وكلتا، والتَّلازم القائم بين حرف الجرّ ومجروره، والمبهم وتمييزه، ووال الحال وجملة الحال، وحرف العطف والمعطوف، والنواصب والجوازم والفعل المضارع»[2].

5_ حسن غزالة:

الأستاذ (حسن غزالة) من الباحثين المحدثين والمجدين الذين أولوا ظاهرة الاقتران الثنائي في ألفاظ اللغة العربيَّة اهتماماً بالغاً، حيث أفرده بتأليف قاموس (المتلازمات اللفظية والعبارات السياقية) تناول فيه ما يُعرف اليوم في الدِّراسات اللغوية الحديثة باسم (المتلازمات اللفظية)، حيث جمع فيه مجموعة من المصطلحات والمركَّبات المتواردة اللُّغويّة، غالباً ما تتألَّف من لفظين أو أكثر، تُمثِّل جانباً من بلاغة اللغة ومظهراً لفصاحتها، ودليلاً على جمالها، وذوقها الرفيع. وقد حاول (حسن غزالة) في قاموسه أن يجمع كمًّا كبيراً من هذه المصطلحات المتلازمة في مجالات شتى؛ كالمجال الأسلوبي، والمجال البلاغي...كما أشار إلى هذه الظاهرة في قاموسه الآخر، المعروف بـــ(قاموس الأسلوبيَّة والبلاغة) حيث درس فيه وقدِّم مجموعة من المتلازمات الاصطلاحية

مثل:«أسلوب إنشائي، أسلوب خبري، أسلوب الرِّواية، أسلوب الكلام، أسلوب لغوي، قواعد تحليلية، قواعد توليدية، قواعد منظمة، لسانيات عامة، لسانيات نصيَّة، لسانيات اجتماعية»[3].

---

[1]–تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها. طبعة 1994، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص 217.

[2]–المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]–حسن غزالة: قاموس الأسلوبية والبلاغة (انجليزية، عربي، عربي انجليزي)، دط، منشورات: ELGA، 2000، ص7.

6_ محمود حجازي:

من علماء اللغة في الدرس الحديث الذين تناولوا ظاهرة الاقتران الثنائي الدكتور "محمود حجازي" الذي تناوله في كتابه (مدخل إلى علم اللغة) ضمن مبحث دراسة «المعنى في العلاقات التركيبية" ويقصد بهذه العلاقات "ارتباط أكثر من كلمة على نحو يجعل استخدامها أو استخدامهما متلازماً لأداء المعنى المراد»[1].

والاقتران الثنائي عند محمود حجازي هو(التضام) الذي يورده ضمن نوع من أنواع هذه العلاقات التركيبية. وهو عبارة عن«ارتباط أكثر من كلمة في علاقة تركيبية، ويكون معناها مفهوما من الجزئيات المكونة لها». ويمثل لهذا المعنى بكلمة (كرسي) الذي يستعمل في تراكيب عدة على سبيل (التضام) يشير به إلى معنيين أحدهما مادي والآخر معنوي. والمعنى المادي لهذه التراكيب معنوي، يدور حول الحقل الدلالي للآثاث، يظهر من خلال قولهم: جلس على الكرسي، صنع كرسيًّا. كرسي منخفض، كرسي خشبي، كرسي حديدي...حقيقي وقد وضع له سواء كان خشبيا أو حديديا. وانتقل إلى المعنى المجازي، وهو المقصود بقولهم: «كرسي الفقه، كرسي الحديث الشَّريف، كرسي التَّفسير، كرسي الفلسفة، كرسي علم اللغة، كرسي الأستاذية»[2]. وعليه فإن معاني الألفاظ ضمن أسلوب (التضام) تنتقل من الحقيقة إلى المجاز، فمعنى كرسي خشبي أو حديدي... حقيقي. انتقل إلى المعنى المجازي وهو المقصود بقولهم: كرسي فقهي، أو فلسفي، أو كرسي علمي...

7_ محمد عميم الإحسان المجددي:

أورد ظاهرة الاقتران الثنائي وأشار إليها في كتابه الموسوم بـــ(**التَّعريفات الفقهيَّة**)وهو معجم يشرح فيه بعض الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والأصوليين وغيرهم من العلماء، دون أن يقصدها بالبحث أو الدِّراسة، غير أنَّه أوردها في سياق حديثه عن هذه المصطلحات ثم يُعرِّفها، منها:

1_ إحياء الأرض: في الشَّرع: «التَّصرف في أرض موات وإعمارها بالبناء والغرس والزَّرع والسَّقي».

2_ آداب البحث: صناعةٌ نظريةٌ يستفيد منها الإنسان في كيفية المناظرة وشرائطها صيانة له عن الخبط في البحث وإلزاماً للخصم وإفحامه.

---

[1]-محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، دط، دار قباء، القاهرة، ص: 157.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.(بتصرف).

3_ آل محمد: اختلف العلماء في آل النبي ﷺ فقيل: إنه ذريته ﷺ، وقيل: ذريته وأزواجه، وقيل: كل مؤمن تقي لحديث: «**كلُّ تقيٍّ آلي**»، وقيل أتباعه، وقيل: بنو هاشم وبنو عبد المطلب...

4_ آية الكرسي: وهي من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة: 255]

5_ أجرة المِثْلِ: هي الأجرة التي يقدرها أهل الخبرة ممن لا غرض لهم.

6_ كلمة التَّقوى: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله.

7_ كلمة الفصل: وهي قول الخطيب (أمّا بعد) [1].

كلُّ هذه الألفاظ التي أوردها في معجمه بدلالاتها تمثل مظهرا للاقتران الثنائي ودليلا على استعمال الفقهاء له في مصطلحاتهم الفقهية.

[1]-إحسان مجددي: التعريفات الفقهية، ط1. 2003، دار الكتب العلمية، بيروت ص19، 12، 185، 184،

المبحث الثالث

مظاهر الاقتران الثنائي في المستويات اللغوية

1- مظاهر الاقتران الصوتي.

2- مظاهر الاقتران المعجمي.

3- مظاهر الاقتران النحوي.

4- مظاهر الاقتران البلاغي.

أولا: مظاهر الاقتران الصَّوتي:

تحتلُّ الدِّراسة الصَّوتية مكانة مرموقة في الدَّرس الحديث؛ لأنَّ الصَّوت في حقيقته مظهر طبيعي وأساسي للُّغة الإنسانية بشكل عام. فاللغة عند إبراهيم أنيس: «**لا تكاد تعدوا في مظهرها عن أن تكون أصواتاً إنسانية، يحلِّلُها عالم الأصوات اللُّغوية ويصفها**»[1] واهتمام الدَّرس اللغوي الحديث بدراسة الصَّوت الإنساني، ليس لأنَّه صوت يصدر عن أعضاء نطقية للإنسان فحسب، وإنَّما لما لهذا الصَّوت من وظائف لغويَّة يهدف إليها الإنسان باستعمالها لجهازه النُّطقي، هذه الوظائف سمَّاها ابن جنِّي(392هـ) أغراضاً، وذلك حينما عرف اللغة فقال:«**حدُّ اللغة أصواتٌ يُعبِّر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم**»[2].

فابن جنِّي عبر هذا التعريف نجده قد لاَمَسَ وإلى حَدٍّ بعيد الطَّبيعة الصَّوتية للغة بأنها عبارة عن أصوات لغوية من جهة، مبيناً مهمتها الأساسيَّة باعتبارها وسيلة من وسائل الاتصال والإفهام والتَّعبير عن المعاني التي أرادها المتكلم من جهة أخرى.

لأنَّ البعد الصَّوتي للغة له أثر كبير في صياغة المعاني والدلالات، وهو ما يعرف في الدراسات الحديثة بـــ(**علم الأصوات، أو علم وظائف الأصوات**)؛ الذي يبحث في الأصوات المنطوقة من حيث نطقها وانتقالها وإدراكها من جهة، ومن جهة أخرى ما يحدث لهذه الأصوات من أثر بسبب مجاورة بعضها لبعض في الكلام.

وكان لهذا العلم الدَّور الكبير في تقديم اللغة في شكل (**نِظَامٍ مِنَ الرُّمُوز**)[3] «تتَّخذ هذه الرُّموز الصَّوتية أو اللُّغوية عدة أشكال، ومظاهر لظواهر صوتية متعارف عليها في البيئة اللغوية الواحدة»[4]، تأتي في شكل مقاطع صوتيَّة مركبة تركيباً ثنائياً، تعد بمثابة مقترنات صوتية تتألَّف منها الكلمة، وتعتبر أساساً في الدرس الصَّوتي قديماً وحديثاً، ومظهراً من مظاهر الاقتران الصَّوتي، منها:

---

[1]-إبراهيم أنيس: من أسرار العربية، ط3، 1978، مكتبة الأنجلو المصرية، ص: 139.

[2]-ابن جني: الخصائص، ج1، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ص33.

[3]-محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص10.

[4]-المرجع نفسه، ص11.

1_الصَّوائت والصَّوامت:

يُعَرِّفُ كمال بشر ثنائيَّة (**الصَّوائت والصَّوامت**) بقوله:«الأوَّل نطلق عليه في الحديث «**الأصوات الصَّامتة**» بالميم، والثَّاني «**الأصوات الصَّائتة**» بالهمز أو الحركات»[1]. والصَّوائت والصَّوامت ظاهرتان صوتيتان لا تخلو منهما لغة من اللُّغات الإنسانية. بل هما أساس الكلمة، يقترن أحدهما بالآخر ليشكِّلاَ هذه الكلمة التي يتميَّز بها الإنسان.فلا يمكن بحال أن نجد كلمة واحدة تتكون من صائت فقط، أو صامت فقط، وإلاَّ فهي ليست كلمة، وإنما هي مجرد صوت أو حركة.فما الصوائت والصوامت؟

أ_ الصَّوائت: (Vowels):

الصوائت جمع صائت، والصَّوت الصَّائت في الكلام الطَّبيعي هو: «الصَّوت المجهور، الذي يَحْدُثُ في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق والفم، وخلال الأنف معهما أحيانًا، دون أن يكون ثَمَّة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضًا تامًا، أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكًا مسموعًا»[2]، أو هو« الصَّوت الذي لا يعترض مجرى النَّفس عند نطقه سدٌّ أو تضييق»[3]، وهذا النَّوع من الأصوات يسميه النُّحاة في العربية بالحركات الإعرابية، وهي ثلاثة قصيرة وهي: الفتحة والضَّمة والكسرة، وثلاثة طويلة وهي حروف المدِّ واللِّين، ويقصد بهما: الألف والواو والياء. وهي حركات تُبَيِّنُ وظيفة الكلمة في الجملة من فاعلية أو مفعولية.

ب_ الصَّوامت: (Consonts):

جمع صامت، ويعرف الصوت الصامت بأنه«الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث في نطقه أن يعترض مجرى الهواء اعتراضا كاملاً (كما في حالة الباء)، أو اعتراضًا جزئيًا من شأنه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع، كما في حالة (الثاء والفاء مثلاً)» [4]، ويعنون بها الحروف مثل: ب، ت، ث...وإنَّما سميت بذلك؛ لأنَّها أقلُّ وضوحاً في السَّمع من الصَّوائت وهي الحركات، ذلك لأنَّ الحروف عند النُّطق بها كما رأينا من قبل، يعترض لها في الفم والحلق والشَّفتين معترض فيضيِّق عليها مجرى الهواء فيقلِّلُ بذلك من علوِّها.

---

[1]-كمال بشر: علم الأصوات، دط، دار غريب، القاهرة، ص149.

[2]-محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص148.

[3]-سالم سليمان الخماش: المعجم وعلم الدلالة، موقع لسان العرب، www w.khamash.cjb.net. ص26.

[4]-محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص: 148.

والعلاقة التي تجمع بين الصَّوائت والصَّوامت هيَّ الوضوح في السَّمع، ذلك أنَّ الهواء حين يندفع من الرِّئتين ماراً بالحنجرة ويتَّخذ مجراه في الحلق والفم، فإذا لم يجد ما يعترضه كان الصَّوت قويًّا عاليًّا، وإن وجد ما يعترضه كان مجهوراً أو مهموساً ضعيفًا، فالكلمة الواحدة تتألَّف من أصوات مهجورة ومهموسة، تكوِّن لنا ما يُعرف في الدِّراسات الحديثة بالمقاطع الصَّوتية.

وهذه المقاطع الصوتية منها القصيرة والطَّويلة، ومنها المفتوحة والمغلقة، لها الدَّور البارز في تحديد معنى الكلمة ودلالتها، كما نستطيع أن نتبيَّن بالصَّوائت والصَّوامت موضع النَّبر والتَّنغيم في الكلمة.

و المقطع كما عرَّفه الدكتور رضوان القضماني: «أصغر وحدة كلاميَّة منظومة، لا تحمل معنًى بذاتها، لكنَّها تجسد السِّمات النَّظمية الصوتية في الكلام، وتحمل نبر الكلمة، ويتألَّف من اجتماع صامت وصائت ضمن ترتيبٍ معيَّن يحدِّدُ طبيعة المقطع ونوعه»[1]، فهو إذن عبارة عن اقتران صوتي قائم بين الصَّوامت والصَّوائت، وهذا الاقتران الصَّوتي بينهما يتجلَّى في المقاطع الصَّوتية وهو كما يلي:

أولا: الاقتران في المقاطع الصَّوتية اللُّغوية:

حددها العلماء المحدثون بخمسة أنواع وهي[2]:

1_ المقطع القصير المفتوح: فهو عبارة عن اقتران صوت صامت بحركة قصيرة، حيث يرمز للصَّوت الصَّامت بالحرف (ص)، وللحركة بالحرف (ح)، ويُعَبَّرُ عنه رمزيًّا بـــ (ص+ح) نحو كلمة: "كَتَبَ"فهي عبارة عن: صوت الكاف + فتحة.أي: حركة قصيرة، صوت التَّاء + فتحة، أي: حركة قصيرة، وصوت الباء + فتحة أي حركة قصيرة.

2_ المقطع الطَّويل المفتوح: عبارة عن اقتران صوت صامت بحركة طويلة (صامت + حركة طويلة)نحو: (في)، و(ما) من "مال"، و(سا) من "سال". ويرمز لهذا المقطع بـــ(ص +ح +ح)

3_ المقطع الطَّويل المغلق: يتكون هذا المقطع الصَّوتي من: (صامت + حركة قصيرة +

---

[1]-رضوان القضماني:مدخل إلى اللسانيات،منشورات جامعة البعث،مديرية الكتب والمطبوعات،1988، 1989، ص97.

[2]-صلاح الدين سعيد حسين: التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي، رسالة دكتوراه، جامعة تشرين سوريا 2009.ص127.

صامت)، نحو: (عَنْ)، (يَدْ)، و(يَدْعُو)، ويرمز لهذا المقطع الصَّوتي بـــ(ص+ح + ص).

4_ المقطع الطَّويل حركته طويلة: وهو عبارة عن (صامت + حركة طويلة + صامت) كما في كلمة (بَابْ) ويرمز له بـــ(ص+ح+ح+ص).

5_ المقطع الزَّائد في الطَّويل:ويتكون من (صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت) فهو عبارة عن اقتران بين صوت صامت وحركة قصيرة وصوتان صامتان، نحو كلمة (بنت)، ويرمز له بـــ(ص+ح +ص+ص).

من خلال هذه المقاطع الصَّوتية المتعدِّدَة نلاحظ وجود علاقات مختلفة تربط هذه الأصوات وتقرن بينها ضمن هذه المقاطع الصَّوتية اقتراناً يصعب فكُّهُ، ومن هذه العلاقات:

1_ العلاقة الإلصاقيَّة:

ويُقصدُ بذلك «أنَّ عنصراً ما لا يوجد أو يستمر إلاَّ بوجود عنصر آخر، أو عناصر أخرى، لارتباطهما ارتباطاً لصقيًّا، يستحيل الفصل بينهما (الصَّوتين) في المقطع الصَّوتي الواحد»[1]بحيث إذا زال أحدهما زال المقطع برُمَّتِهِ. ومثال ذلك: المقطع الأول (كَ) من (كَتَبَ)، حيث يتكوَّن من صوت الكاف الصَّامت، وصوت الفتحة (ص ح)، والملاحظ أنَّه يستحيل الفصل بين الصَّوتين في هذا المقطع للاقتران الثُّنائي القائم بينهما.وعليه فالاقتران بينهما اقتراناً لصقيًّا

2_ العلاقة الزَّمانيَّة:

إذا كان الاقتران بين أصوات المقطع الواحد يشكل لنا كتلة صوتية متينة، فإنَّه لا يمكن لنا أن نعزل أحد الأصوات عن الآخر في المقطع الواحد، لوقوعهم في فترة زمنيَّة واحدة مستمرة، لا تتوقَّف إلاَّ بانتهاء النُّطق بالمقطع كاملاً. ومن هنا يمكن أن نقول أنَّ الاقتران بين الأصوات في المقطع الواحد، لا يمكن نطقها إلاَّ وهي متلاصقة صوتياً، غير منفصلة زمانيًّا. بعبارة أخرى لا يمكن إيقاف النُّطق بين صوتٍ وآخر في المقطع، بل يجب الاستمرار في النُّطق حتى يكتمل نطق المقطع كاملاً. وهذا التَّلاصق الصَّوتي والزَّماني للمقطع الواحد، يمثِّلُ لنا اقتراناً ثنائِيًّا ثانياً على مستوى الدِّراسة الصَّوتية. ففي كلمة (يَكْتُبُ) مثلاً، نجد المقطع (يَكْ) الذي يمكن أن ننطق بـــ(يَ) منه ونسكت دون النُّطق بصوت (الكاف)، الذي لا يشكل مقطعاً صوتيًّا بمفرده، فلا بدَّ من اقترانه بالصوت (يَ) ليشكل لنا مقطعاً

[1]-صلاح الدّين سعيد حسين:التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي، رسالة دكتوراه،جامعة تشرين 2009، ص 133. بتصرف.

صوتيًّا، وعليه يجب أن تكون أصوات المقطع الواحد متلاصقة صوتيًّا، وغير منفصلة زمانيًّا[1].

3_ المقطع المشترك في كلمتين:

أي المقاطع التي تربط بين كلمتين، أي تتكوَّن من أصوات مشتركة بين كلمتين، ومثال ذلك (إِنَّ الَّذِي...)، حيث تتكوَّن من المقاطع الصَّوتية الآتية: إِنْ + نَلْ + لَ + ذِيْ، والملاحظ أنَّ المقطع الثَّاني (نَلْ) رابط بين الحرف المشبَّه بالفعل (إِنَّ) و(الَّذِي) الاسم الموصول، أي المقطع (نّلْ) فيه (النُّون + الفتحة) من الحرف المشبَّه بالفعل (إِنَّ)، واللَّام من كلمة (الذي).فالكلمان ترتبطان بمقطع مشترك واحد[2]. وتقترنان به.

ثانيا: الاقتران في المقاطع المفردة المتكرِّرَة:

وهي عبارة عن مقاطع صوتيَّة تأتي متواليَّة ومقترنة، تدلُّ على الاستمرار في الحدث دون توقُّف، كما في قوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: 94. 95]. و(الكب) يعني اسقاط الشَّيء على وجهه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: 90]، فلا إنقاذ ولا إخراج ولا خلاص، والوجه هو أشرف موضع في الجسد، فهو يهوي بشدَّة فكيف بباقي البدن، والكبُّ جعل وجهه مكبوباً على العمل، كما في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: 22]، والكبكبة تدهور الشَّيء في هوَّة، قال تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: 94. 95]، وهذه الصيغة التي ورد فيها الصوت مكرَّراً زادت في معنى التَّدهور للزِّيادة في مبناها.

يقول سيد قطب معلِّقاً على هذا التِّكرار «...وإنَّنا لنكاد نسمع من جرس اللَّفظ صوتُ تدافعهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة النَّاشئ من الكبكبة، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف، فهو لفظ مصوَّر بجرسه لمعناه، وإنَّهم لغاوون ضالون، وقد كبكب معهم جميع الغاوين، وهم «**جنود إبليس أجمعون**»[3]، ومنه كلمة (الزَّلزلة) في قوله تعالى: «﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ

---

[1]-المرجع نفسه: ص134.

[2]-صلاح الدين سعيد حسين: التعبيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي):ص133.

[3]-سيد قطب:في ظلال القرآن، ط15،سنة 1988،دار الشروق، القاهرة، مصر، المجلد الخامس،الجزء19، 25، ص2605.

زِلْزَالَهَا ﴾ [الزلزلة: 1] فزلزل بهذا التّكرار فيه معنى الإزعاج المتكرِّر، والابتلاءات المتكرِّرة للمؤمنين، كما صوَّر هذا الاقتران بين المقطعين الصَّوتيَّيْن ما سيحدث يوم القيامة. ومثل ذلك (وسوس)، وهو يعني تكرار الفعل مرَّة بعد مرَّة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: 5]. وكذلك صَرْصَرَ، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحًا صَرۡصَرًا فِى يَوۡمِ نَحۡسٍ مُّسۡتَمِرٍّ ﴾ [القمر: 19]. ومنه كذلك قول الله تعالى:﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴾[التكوير:17]، وقوله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴾[الشمس:14]، وقوله تعالى:﴿ كُلُّ نَفۡسٍ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾[آل عمران:185].

ثالثا: الجناس في الألفاظ المتجاورة:

يمثل الجناس قيمة صوتيَّة استعمله القرآن الكريم للتَّعبير عن المعاني المختلفة لبعض الألفاظ المتجاورة في النَّص القرآني، ويقصد بالجناس: أن يتجانس اللَّفظان في الحروف، ويتخالفان في المعنى«فالجناس أن يورد المتكلِّم كلمتين تجانس كلٌّ واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها، فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظاً واشتقاق المعنى، ومنه ما يجانسه في تأليف الحروف دون المعنى» [1] ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [العنكبوت: 19، 20]. وفي قوله تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِى هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَـٰنُ أَكۡثَرَ شَىۡءٖ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الكهف: 53-54].وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَۗ ﴾ [التوبة: 109].فقد توالت في السياق الألفاظ: (يسير، فاسيروا)، (مصرفا، صرفنا)، (فنْهار فانهار).

---

[1]-نجم الدين أحمد بن أثير الحلبي: جوهر الكنز، تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة، تح: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف للنشر، الاسكندرية، مصر، دط، ص91، وينظر: محمد سعيد اسبير وبلال جنيدي: الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها (معجم)، ط1، دار العودة، بيروت، ص 409.

ثانيا: مظاهر الاقتران المعجمي:

من أبرز مقاصد الدِّراسات اللُّغوية، دراسة معاني الألفاظ أو الكلمات، عبر الدراسة المعجمية لها، غير أنَّ الدراسة المعجمية للكلمة تبقى قليلة الجدوى؛ لأنَّ المعجمي يدرس الكلمة وهي مفصولة عن سياقها التي وردت فيه، وبالتَّالي يتعذَّر عليه فهم المقصود من الكلمة فهما دقيقاً، خاصَّة إذا علمنا أنَّ المعنى المعجمي قد يكون متعدِّداً أو مبهماً في الكثير من الأحيان .فمعنى الكلمة الدَّقيق هو المأخوذ من اقتران هذه الكلمة مع غيرها في التَّعبير أو الجملة، إمَّا مسند أو مسند إليه أو فضلة، وهذا المعنى لا نجده لها حينما تكون مفردة أو مفصولة عن السياق. وعليه وانطلاقاً من هذا المفهوم فإنَّني أحاول أن أتوقَّف عند الاقتران الثُّنائي ودوره في تفسير المعنى المعجمي للكلمة. وللوصول إلى معناها الدقيق والمُراد. والملاحظة التي استوقفتنا في هذا المجال هي أنَّ المعاجم على اختلافها قد اتخذت جملة من الأساليب والوسائل لتحقيق ذلك، منها:

1_ التفسير بالمغايرة:

«وهو أن يشرح المعجمي معنى الكلمة بذكر كلمة أخرى تغايرها في المعنى فيتضح الضدُ بالضد»[1] ولذلك نلاحظ في كثير من المعاجم ورود ألفاظ مثل: مثل: ضد، وخلاف، ونقيض...ففي (**معجم العين**) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170ه) نجدُ مثلاً: في باب الهمزة في تفسير كلمة: الأمر والأمن، فيقول: «الأمر نقيض النَّهي، والأمن ضد الخوف. وفي باب الباء نجد: البذل نقيض المنع»[2]. وهذا النوع من تفسير معنى الكلمة قسمها بعض اللغويين إلى ثلاثة أقسام، هي:

أ_ **المغايرة التَّامة:** ويكون هذا التَّفسير بين المعنى وأصل الكلمة، وأكثر ما يكون هذا التَّعبير عنها بألفاظ ثلاثة هي: نقيض، وضد، وخلاف؛ وقد تأتي بعبارة (الذي لا) ونحوها، فمن استعمال لفظ نقيض ما جاء في اللِّسان في تفسير الحُّب، والعلم، والجهل؛ «فالحُّب: نقيض البغض، والعلم: نقيض الجهل، والنور ضد الظلمة، والضَّلال والضَّلالة ضد الهداية والرَّشاد»[3].

وأمَّا ما استعملت فيه كلمة خلاف فمنه مادة (عرب): «العُرْبُ والعَرَبُ: جيل من النَّاس معروف، خلاف العجم، ومنها: الإبل العراب، والخيل العراب، خلاف البخاتي والبراذين. وفي مادة

---

[1]-محمد أحمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضَوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية 1966.ص102.

[2]-الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ص85، 90.

[3]-ابن منظور: لسان العرب: ج1، ص289، ج11، 129، ج5، ص240، ج11، 390.

ظلم: والظُّلْمة والظُّلُمة، بضم اللَّام: ذهاب النُّور، وهي خلاف النُّور. وفي مادة عجم: وأعجمت الكتاب: خلاف قولك أعربته»[1].

ب_ تفسير الكلمة بضدِّها:

وذلك أن توضع الكلمة الواحدة للمعنى وضده، مثلما جاء في اللسان في مادة «(بَغُضَ): البُغضُ والبغيضةُ: نقيض الحبِّ.وفي مادة (بيض) يقول ابن منظور: البياض: ضدُّ السَّواد ويكون ذلك في الحيوان والنبات...» [2] وفي معجم العين: «الأمر نقيض النَّهي، والأمن ضدّ الخوف»، والأسلوب نفسه نجده عند الخليل في معجمه (العين)، فيقول مثلاً في معنى لفظ (الأمن): «الأمن وضدُّه الخوف... والأمر وضدُّه النَّهي... وبعد: خلاف الشَّيء وضد قَبْلَ..» [3].

ت_ التَّفسير بالمغايرة النَّاقصة:

وهذه المغايرة إمَّا أن تكون في المعنى، أو في الصيغة، أو فيهما ولكن لا يكون في الأصل:

فالتَّفسير بأكثر من كلمة في الصيغة فقط ما جاء في مادة عرب في اللسان: «يقال أعرب الأعجمي إعراباً، وتعرَّب تعرُّباً، واستعرب استعراباً: كل ذلك للأغتم دون الصَّبي»، ومنه «الإعراب كالتَّعريب. والإعراب: ردك الرجل عن القبيح»، ومنه كذلك قول الفراء: « أعربت إعراباً، وعربت تعريباً إذا أعطيت العربان...يقال: أعرب في كذا، وعرب، وعربن»[4]، ومثال المغايرة في المعنى ما جاء في مادة (عرب) في اللسان: التَّعريب أن يتَّخذ فرساً عربياً، وتعريب الفرس أن يكوي أشاعر حافره، والتَّعريب بمعنى الفحش، ويأتي بمعنى التَّبيين والإيضاح، ويأتي بمعنى المنع والإنكار.... وهذا النوع من الاقتران بالمغايرة ما يسميه اللُّغويون بالمشترك اللَّفظي. أمَّا المغايرة في الصيغة والمعنى معاً ما جاء في اللسان أيضاً: « والعرب العاربة: هم الخُلَّص منهم، تقول: عرب عاربة وعرباء: صرحاء، ومتعربة ومستعربة دخلاء ليسوا خُلَّصاً، ومنه كذلك: " والعرب أهل الأمصار، والأعراب سكان البادية خاصة، تعرَّبوا أي صاروا أعراباً بعد أن كانوا عرباً»[5].

---

[1]–محمد أحمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضَوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية 1966.ص104.

[2]–ابن منظور: لسان العرب، ج7، ص121. 122.

[3]–الفاراهيدي: معجم العين: ج1، ص85، 90، 148.

[4]–محمد أحمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضَوء دراسات علم اللغة الحديث، ص105.

[5]–المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ث_ تفسير الكلمة بالمجاز: وتفسير الكلمة بهذا الأسلوب يعتمد على تبيِّين الحقيقة من المجاز في استعمالات المادة المعجميَّة، وقد انفرد بهذه الطَّريقة في البحث عن معنى الكلمة الزمخشري (ت538ه) في معجمه (**أساس البلاغة**)، ومما جاء في معجمه على هذا النحو قوله في شرح معنى مادة (رأب): «قبض الرَّهن... استرهنني فرهنته ضيعتي، ورهنتها عنده...وراهنته على كذا... ومن المجاز: جاء فرسي رهان: متساويين. وإنِّي لك رهن بكذا، ورهينة به أي أنا ضامن له، ورجله رهينة أي مقيَّدة...»

وقوله: (زلل): «زلَّ عن الصَّخرة وفي الطِّين زليلا، وهذه مَزَلة ومزِلة من المُزال، وزلزل الله الأرض زلزالاً. ومن المجاز: زلَّ في قوله ورأيه، وأزلَّه الشَّيطان عن الحقِّ واستزلَّه، وزلَّ عن الشَّهر كذا أي مضى، وزلَّ الفرس زليلا إذا أسرع»[1].

2_ التَّفسير بالتَّرجمة: ويقول محمد أحمد أبو الفرج: «ولكنَّنا نعني بالتَّرجمة أن تفسر كلمة بكلمة أخرى، أو بأكثر من كلمة من اللُّغة نفسها»[2]، على النَّحو التَّالي:

-تفسير الكلام بكلمة واحدة: وذلك أن توضع في تعريف الكلمة كلمة أخرى، مثل: أعجم الكتاب: نقطه، الأعجم: الأخرس، استعجم الرجل: سكت. فالكلمة الثَّانية تُفَسِّر الكلمة الأولى وتبيِّن معناها، وعليه فإنَّ بين العبارة الأولى ومعناها، نوع من الاقتران والتَّلازم، ولعلَّ هذا النَّوع من الشَّرح أو التَّفسير هو المعروف بالتَّرادف.

-تفسير الكلام بأكثر من كلمة: وذلك ألاَّ تضع في تعريف الكلمة كلمة مفردة، وإنَّما يُوضع في معناها عبارة أطول، تتكوَّن من كلمتين أو أكثر، مثل ما جاء في لسان العرب في مادة (عرب): «وعرَّبه... علمه العربية، وعرُبَ لسانه بالضم عروبة أي صار عربياً، ويكون التعريب أن يرجع إلى البادية بعد أن كان مقيماً بالحضر»[3]. فقد فُسِّرت كلمة (عرب) بمجموعة من الكلمات شكَّلت لنا عبارة طويلة، اقترنت بالكلمة الأم التي أريد تفسيرها أو شرحها.

نلاحظ أنَّ هذه العبارات جميعها ليست إلاَّ ترجمة للفظ بألفاظ أخرى من اللُّغة نفسها.

3_ **التَّفسير بالمصاحبة:** هناك في اللغة نوع من الألفاظ، لا تأتي في الاستعمال إلاَّ بمصاحبة ألفاظ

---

[1]-الزمخشري: أساس البلاغة، ج1، تح: محمد باسل عيون السود، ط1. 1998، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 419.انظر: لسان العرب، ج1، ص398، مادة (رأب)، ج11، ص306، مادة (زلل).

[2]-محمد أحمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضَوء دراسات علم اللغة الحديث، ص106.

[3]-ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص589.

أخرى دون غيرها، يقول أحمد محمد الفراج: «والنَّاظر في المعاجم العربية يلاحظ أنَّها تُبيِّن المعنى بالمصاحبة، دون أن يكون لأصحابها دراية بهذه النَّظرة في الدَّرس اللُّغوي»[1]. ويستدلُّ على هذا المعنى بما أورده ابن منظور في معجمه عند تفسيره للفظ(عرب) يقول: «(عرب): عرِب الرَّجل فهو عَرِبٌ، عرِبت معدته، عرِب الجرح، عرِب السَّنام، يتَّضح لنا من خلال هذه العبارات أن جزءاً من معنى (عرب) أنَّها تأتي بمصاحبة لفظ (الرجل)، و(المعدة)، و(الجرح)، و(السَّنام).وبالتَّالي فإنَّ جزءاً من هذه الألفاظ تصاحب (عرب)»[2].

ثالثا: مظاهر الاقتران النَّحوي:

ليس غريباً أن يتنبَّه النحويون إلى ظاهرة الاقتران الثنائي في دراساتهم النحوية المتعددة، فيتناولونها في بحوثهم النحوية مُقِرِّين بوجود تلازم وترابط بين بعض الألفاظ والأدوات التي تربط بها. منها:

1_ المبتدأ والخبر: يعتبر المبتدأ والخبر عمدة في الجملة الاسمية، وجزءان لا يتجزءان منها، إذ لا يُتَصَوَّر وجود جملة اسمية بدونهما، فهما العمودان الفقريان لها، «فالمبتدأ طالب للخبر طلبا لازماً لايؤدي معنى يحسن السكوت عنه بدونه«لا يستغني عنه، نحو: مَاءٌ قَرَاحٌ، لَبَنٌ مَحْضٌ، شَرَابٌ صَرْدٌ، رَجُلٌ خَصِمٌ، دَاءٌ عَضَالٌ...» [3].

2_ الفعل والفاعل: يُلاحظ اقتران وتلازم دائم بين الفعل والفاعل حتى اعتبرهما النُّحاة كالكلمة الواحدة؛ لأنَّهما يقعان عمدة في الجملة الفعلية، يقول ابن هشام الأنصاري (761ه): «الفعل والفاعل كالكلمة الواحدة، فحقهما أن يتَّصِلَا...» [4]، وهذا الكلام صحيح؛ لأنَّه يدلُّ على التَّرابط التَّام بينهما. نحو قولهم: نبح الكلب، ماءت القطة، صهل الحصان، نهق الحمار.والعلاقة بينهما علاقة قائمة على «الفاعلية، حيث يمكن أن يتقدَّم الفعل على الفاعل أو يتأخر عنه، لغرض التَّوكيد أو العناية، وقد يتأخَّر عنه لغرض العناية والاهتمام، فالفاعل يرتبط بفعله حتى أنَّهما ليعدَّان كالكلمة الواحدة»[5].

---

[1]–محمد أحمد أبو الفرج: المعاجم اللغوية في ضَوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية 1966، ص106.

[2]–المرجع نفسه: ج1، ص591.

[3]–أبو منصور الثعالبي: كتاب فقه اللغة وسر العربية، ص 50، 52

[4]–بركات يوسف هبود: شرح شذور الذهب، ط1 /2005، دار الفكر، بيروت لبنان. ص559.

[5]–خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها: منهج وتطبيق، ط1984/1، دار عالم المعرفة جدة، ص201.

3_ الصفة والموصوف: بَيَّنَ النُّحاة علاقة الاقتران بينهما في تعريفهما للنعت حيث قالوا: «النعت هو تابع مشتق أو مؤول به، يفيد تخصيص متبوعه أو توضيحه أو مدحه أو ذمه أو تأكيده أو الترحم عليه، ويتبعه في واحد من أوجه الإعراب ومن التعريف والتنكير» [1] هذه الثنائية عبارة عن كلمة موصوفة تقترن بها كلمة واصفة نحو: «رقبة مؤمنة، الشَّيطان الرَّجيم، نفخة واحدة، عشرة كاملة»[2]، فإذا حذف أحدهما من الكلام قُدِّرَ للحاجة إليه، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ ﴾[سبأ 11]والتَّقدير دروعاً سابغات. وهذا يعني أنَّ الصِّفة والموصوف إذا وُجِدَا في الجملة وجب أن يكونا في الحكم كلمة واحدة، إذ لا يتم معناها في سياقها إلاَّ بذكر شِقِّها الثَّاني مثلها في ذلك مثل المضاف والمضاف إليه، نحو: «أكرمت الطَّالب المجتهد، فعبارة (الطَّالب المجتهد)»[3] صفة وموصوف اقترنا ببعضهما البعض حتَّى صارا كالكلمة الواحدة.

4_ المعطوف والمعطوف عليه: حكم المعطوف أنَّه يتبع المعطوف عليه ويقترن به في «الرَّفع والنَّصب والجرِّ، والتَّعريف والتَّنكير، والإفراد والتَّثنية والجمع، والتَّذكير والتَّأنيث»[4]. مثل: السَّرَّاء والضَرَّاء، الحَسَبُ والنَّسَبُ...

7_ المضاف والمضاف إليه: وهما عبارة عن نسبة تقييدية بين اسمين توجب جرَّ الاسم الثَّاني أبدًا، ويسمَّى الاسم الأول المضاف، ويسمَّى الاسم الثَّاني المضاف إليه.يقول ابن جني: «والفصل بين الجار والمجرور لا يجوز، وأقبح منه الفصل بين المضاف والمضاف إليه»[5]، إلى هذا ذهب البصريون «إذ لا يجوز عندهم الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظَّرف وحرف الجر»[6] ربطوا بينهما حتى جعلوهما متلازمين مقترنين اقترانا ثنائياً، فلا يقعان منفصلين في التَّركيب ولا يوجد فاصل بينهما، بحيث إذا ذكر أحدهما ذكر الثَّاني وجوباً، .نحو: **أصحاب الجنَّة، أهل الذِّكر، أبواب السَّماء**، فهما بمنزلة الشَّيء الواحد، كما منعوا حذف أحدهما دون الآخر، إلاَّ بوجود قرينة تدلُّ على المحذوف وأمن اللبس، نحو قوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا

---

[1]-بركات يوسف هبود: شرح شذور الذهب، ص 559

[2]-المصدر نفسه، ط1. 2005، دار الفكر، بيروت، ص560.

[3]-خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها: منهج وتطبيق، ص201.

[4]-بركات يوسف هبود: شرح شذور الذهب، ص565.

[5]-ابن جني: الخصائص، ج2، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ص: 395.

[6]-ابن الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص60.

لَصَٰدِقُونَ ﴾[يوسف: 82].والمعنى: اسأل أهل القرية وأهل العير، فحذف المضاف وأبقي على المضاف إليه. وقد بين علماء النَّحو حجم هذا الاقتران الثُّنائي بين المضاف والمضاف إليه، حينما أوردوا كلمات وألزموها الإضافة بحيث لا يمكن أن تستقل إحداهما عن الأخرى في الاستعمال نحو: **كل، بعض**، نحو قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: 185]، **غير**، حَسْبَ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال: 62]، «عند، ولدى، وبين، ووسط، وكلا، وكلتا، ومثل، وشبه، وسوى، وقُصارى، وحُمادى، وسائر، وسبحان، وأولو، وأولات، وذو، وذات، ووحدك، ولبيك، وسعديك، وحنانيك، ودواليك، وهذاذيك...» [1].

ومن الإضافة ما جاء في باب البناء، وهو ما يعرف بإضافة الزَّمن المبهم إلى جملة: ويقصد النُّحاة بالزَّمن المبهم «ما لم يدل على وقت بعينه، وذلك نحو: الحين، والوقت، والسَّاعة، والزَّمان»[2]، فهذا النَّوع من الإضافة يجوز فيه الإعراب والبناءُ على الفتح، وإذا جاز ذلك رُجِّحَ البناء تارة ورُجِّحَ الإعراب تارة أخرى؛ فإذا أضيف الزَّمن المبهم إلى جملة فعلية فعلها مبني رُجِّح البناء.

كقول الشاعر: [من الطويل] [3]

عَلَــى حِــينَ عَاتَبْــتُ المَشِــيبَ عَلَــى الصِّــبَا وَقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيبُ وَازِعُ

فيروى البيت(على حينِ)بالجر على الإعراب، و(على حينَ) بالنصب على البناء، وهو الأرجح؛ لكونه مضافاً إلى مبني، وهو (عَاتَبْتُ)، والثَّاني إذا كان المضاف إليه جملةً فعليةً فعلها معرب، أو جملة اسمية؛ فالأوَّل كقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة: 119]، فيوم: مضاف إلى ينفع، وهو فعل مضارع، والفعل المضارع معرب، فالأرجح في المضاف الإعراب، وبهذا قرأ الجمهور «برفع اليوم على الإعراب؛ لأنَّه خبر المبتدأ»[4]. والثَّاني كقول الشاعر: [الوافر][5]

تَــذَكَّرَ مَــا تَــذَكَّرَ مِــنْ سُــلَيْمَى عَلَــى حِــينَ التَّوَاصُــلُ غَيْــرُ دَانِ

---

[1]-محمد أسعد النادري: نحو اللغة العربية، ص 556.

[2]-بركات يوسف هبود: شرح شذور الذهب، ص116.

[3]-النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، ص32.

[4]-بركات يوسف هبود: شرح شذور الذهب.ص 118.

[5]-البيت من شواهد: أوضح المسالك، ص337، والأشموني، ص262. وشواهد شرح شذور الذهب، ص119.

فروي «بفتح الحين على البناء، والكسرُ أرجح على الإعراب، ولا يجيز البصريُّون غيره»[1].

ومن هذا المنطلق يتبيَّن لنا أنَّ الاسم المضاف مع المضاف إليه يقترنان مع بعضهما اقترانا ثنائياً، فهما في الحكم والإعراب بمثابة الكلمة الواحدة تأخذ هذه الكلمة في الجملة حكماً واحداً للاقتران القائم بينهما.

8_ الجار والمجرور: اقتران بين الجار والاسم الذي يأتي بعده (الاسم المجرور) لا يجيز بأية حال الفصل بينهما بأي فاصل، وقد أشار ابن جنِّي لهذا الاقتران بينهما عندما قال: «والفصل بين الجار والمجرور لا يجوز»[2]. وبهذه العلاقة يشكلان كلمة واحدة، تأخذ حكماً إعرابياً واحداً بغض النظر عن حركة الاسم المجرور؛ لأنها «حركة اقتضاء لا أثر لها في معنى الجملة»[3].

9_ الصِّلة والموصول: إنَّ الاسم الموصول لإبهامه وعدم إشارته إلى مدلول بعينه لا ينفك عنه، يحتاج إلى ما يأتي بعده من جملة فعلية أو اسمية، فيكون في هذه الحالة أي مع صلته في المعنى والحكم كالكلمة الواحدة، وقد أدرك النُّحاة العرب القدماء هذا الاقتران بين الصِّلة والموصول فقالوا: «جملة الصِّلة لامحل لها من الإعراب ذلك؛ لأنَّها جاءت لتحديد الاسم الموصول قبلها أو تخصيصه»[4].

10_ اسم الاشارة: يعرف بأنه«اسم يعين مدلوله تعييناً مقروناً بإشارة حسيَّة إليه»كأن ترى عصفورا فتقول مشيراً إليه: (ذا) رشيق؛ فكلمة (ذا) تتضمَّن أمرين معاً، هما: المعنى المراد منها(أي: المدلول المشار إليه، وهو جسم العصفور)، والإشارة إلى ذلك الجسم في الوقت نفسه، والأمران مقترنان؛ فيقعان في وقت واحد لا ينفصل أحدهما عن الآخر؛ لأنَّهما «متلازمان دائماً»[5].

11_ الحال وصاحب الحال: الحال وصاحب الحال يعبِّران معًا عن معنىً واحد؛ لاقترانهما وشدَّة ارتباطهما مع بعضهما البعض، فلا يتصور ذكر الحال دون صاحبها، ومثال ذلك قولهم:«جاء المعلم مسرعاً»فنلاحظ أنَّ المقصود هنا في المعنى هيئة المعلم، فالحال وصاحب الحال يعبِّران معاً عن هذه الهيئة.

---

(1)-بركات يوسف هبود: شرح شذور الذهب. ص120.

(2)-ابن جني: الخصائص: ج2، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ص 295.

(3)-خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، ص 199.

(4)-خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، ص200.

(5)-عباس حسن: النحو الوافي، دط، ج1، ص 321.

12_ التَّمييز والمميز: فهما معاً يدلاَّن على معنى واحد لاقترانهما، ذلك أنَّ التَّمييز إنَّما جيء به تفسيراً للمبهم من ذات أو جملة، نحو قوله تعالى ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ [يوسف: 4]، فلا وجود لتمييز دون مميز، نحو: (شربتُ لتراً عسلاً) .فاقترانهما معاً شَكَّلاَ كلمة واحدة وهي (لتر العسل).

13_ جملة الشَّرط وجوابه: وتُسمَّى أيضاً الجملة الشرطية، وهي عبارة عن جملة مركبَّة من جملتين مقترنتين متلازمتين مسبوقتين بأداة الشَّرط، لا يتم معنى أولاهما إلاَّ بالثَّانية، تُسَمَّى الأولى جملة الشَّرط، والثَّانية جملة جواب الشَّرط. وتقترن جملة جواب الشَّرط بجملة الشَّرط مباشرة إذا بدئت بفعل ماض أو مضارع، مثل قولنا: (من جدَّ وجدَ)، (من يزرع يحصد)، أو تقترن بها بواسطة الفاء إذا كانت: مبدوءة بفعل ماض أو مضارع مسبوق بأحد الحروف الآتية: قد، ما النَّافية، لن، لا النَّافية أو النَّاهية، السِّين، سوف. نحو قولنا: (إن فعلت خيرا فلن تندم عليه)، (من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها)...

14_ المركب العددي أو المزجي: وهو كل عددين رُكِّبا من العشرة والنيف وبينهما حرف عطف مقدر، ويشمل الأعداد من «أحد عشر» إلى «تسعة عشر»، تقول: جاءني أحد عشر، رأيت أحد عشر، مررت بأحدَ عشر، وما صيغ منها على وزن فاعل نحو: الحادي عشر، والثاني عشر إلى التاسع عشر.

15_ الظروف المركبة: زمانية أو مكانية، وهي ظروف استعملتها العرب مركبة، مثال الظروف الزمانية: صَبَاحَ مَسَاءَ، يَوْمَ يَوْمَ. حِينَ حِينَ.. ونحو قولهم «فلان يأتينا صَبَاحَ مَسَاءَ، أي كلَّ صباح ومساء، فحذف العاطف، وقُرن الظرفان وركبا قصداً للتخفيف تركيب خمسة عشر»[1] مثال الظروف المركبة الدالة على المكان: (بينَ بينَ) مثل قولهم: سقط بينَ بينَ، أي: بين الحيِّ والميت، بمعنى بين هذا وذاك. وقولهم: سهلت الهمزة بينَ بينَ.

الاقتران في الحروف والأدوات:

أ_ اقتران حروف القسم بالمقسم به: ومما انتبه إليه النُّحاة اقتران من نوع آخر، نستطيع أن نسميه الاقتران الحرفي خاصَّة في باب القسم بين حرف القسم مثلا: (التَّاء) ولفظ الجلالة(الله)، فهي «لاتدخل إلا على لفظ الجلالة (الله) ولاتقترن إلا به»[2] [1]كقوله تعالى: ﴿ **وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ**

[1]-بركات يوسف هبود: شرح شذور الذهب لابن هشام الأنصاري، ص109.

[2]-محمد أسعد النادري: نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية صيدا بيروت، لبنان.ص631.

﴿أَصْنَمَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنبياء 57]، قال بعض النُّحاة: «هي بدل من الواو كما في وَراثٍ وتُرَاثٍ وأوتعَدَ واتَّعَدَ، وقد تجيء التَّاء وفيها معنى التَّعجب، نحو: تالله لقد اعتدل الجوُّ، وقد تجيء وليس فيها هذا المعنى»[1].

ب_ اقتران الحروف بمعمولاتها: ذكر النُّحاة في باب الحروف أقسام الحروف التي ترتبط بمعمولاتها؛ فهناك حروفا تختصُّ بالأسماء فقط وتقترن بها، مثل الحرف(في)، في مثل قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات: 22] وهناك حروفا تختصُّ بالأفعال فقط وتقترن بها، كـــ"لَمْ"، في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص: 3]، كما أنَّ هناك حروفاً تدخل عليهما، أي على الأسماء والأفعال وتقترن بهما كـــ(هل)، فمثال دخولها على الاسم واقترانها به قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء: 80]. ومثال دخولها على الفعل واقترانها به قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ [ص: 21].

وقد تناول (سيبويه) كلّ ماسبق ذكره في هذا النَّوع من الاقتران في باب «هذه الإضافة إلى الاسمين اللَّذين ضم أحدهما إلى الآخر فجُعِلا اسماً واحداً، وأدخل في ذلك (خمسة عشر، معد يكرب، عبد القيس، صاحب جعفر...» [2].

ت_ اقتران الفاء بـــ أمَّا: يقول ابن عقيل (ت769هـــ) معلقاً على اقتران (الفاء) بـــ(أمَّا): «أمَّا: حرف تفصيل، وهي قائمة مقام أداة الشَّرطِ، وفعل الشَّرطِ؛ ولهذا فسَّرها سيبويه بـــ(مَهمَا يَكُ من شيءٍ)، والمذكور بعدها جواب الشَّرطِ، فلذلك لزمته الفاءُ، نحو: (أمَّا زَيْدٌ فَمُنْطَلِقٌ)، والأصل: (مهما يَكُ من شيءٍ فزيدٌ منطلقٌ)» [3]. نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾[الضحى 9. 10. 11]

ح _ اقتران الأفعال النَّاقصة التَّالية:(زال، برح، انفك، فتئ، بنفي أو نهي): ذكر النُّحاة أنَّ

---

[1]-المرجع نفسه: ص457، 458.

[2]-سيبويه: الكتاب، ج3، تح: عبد السلام هارون، ط3. 1988، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 374.

[3]-محمد محي الدين عبد الحميد: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج4، ط.2009، دار الطلائع، القاهرة، ص25.

هذه الأفعال النَّاقصة من أخوات كان، غير أنَّها لاتعمل عملها إلاَّ بشرط، وهو اقترانها بنفي أونهي، فنقول مثلاً: ما زالَ العدُّوُّ ناقِمًا، ما انفكَّ الرجلُّ نادِمًا، لا تزَل مجتهداً، والأمر نفسه مع الفعل النَّاقص: (دام) فلا يعمل عمل كان إلاَّ إذا اقتران بـــ (ما) المصدرية الظَّرفية؛ لأنَّها تُحَوِّلُ الفعل إلى مصدر مسبوق بمدة، مثل قولهم: (لا أخرج من البيت ما دام المطر نازلاً)، وقولهم: (لا أصاحبك ما دمت متكبّراً).ومن هذه الإشارات النَّحوية يمكننا أن نستخلص أنَّ ظاهرة الاقتران الثُّنائي نجدها قد لامست جميع المستويات الدَّرس النَّحوي أو التركيبي.

رابعا: مظاهر الاقتران البلاغي:

لقد فاضت المباحث البلاغية والدراسات النقدية القديمة بوجود أزواج من الألفاظ والكلمات في شكل مصطلحات ثنائية مقترنة، متواترة الاستعمال، لاتغيب أبداً في الدرس البلاغي، حاضرة بقوة في عباراته ومصطلحاته، اقترنت معاً لتؤدي معنى بلاغيًّا راقياً، تظهر بوضوح في مختلف أبواب البلاغة الثلاثة ومباحثها، وقد وقفت في هذا المبحث على بعض المظاهر والصُّوَر، منها:

أولا: مظاهر الاقتران الثنائي في علم المعاني:

1_ القصر: ويُقصد «تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص»[1]، هذا التَّخصيص يُمَثِّلُ مظهراً للاقتران الثنائي بين طرفيه بحيث يخصص أحدهما الآخر، ومن مظاهر الاقتران الثُّنائي في باب القصر:

أ_ اقتران النَّفي بالاستثناء: نحو قوله تعالى: ﴿**وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ**﴾ [آل عمران: 185]. فقد قرن الله تعالى في الآية بين النَّفي والاستثناء؛ بين النَّفي بحرف النَّفي(ما) والاستثناء بحرف(إلاَّ)، وبين الحياة الدُّنيا وأحد مظاهرها، وهو المتاع، للدَّلالة على فنائها وزوالها.

ب_ اقتران الموصوف بالصِّفة وقصره عليها: بمعنى ألاَّ «يتجاوز الموصوف صفته، وإن جاز أن تكون لموصوف آخر»[2] نحو قوله ﷺ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**»[3] أي ما الصَّبر إلاَّ الكائن عند هذه الصَّدمة. وقوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ**﴾ [آل عمران: 144]. ففي الآية دلالة على أنَّ محمداًﷺ مقصور عليه وصف الرسالة، فمحط القصر كما يقول الطاهر بن عاشور هو

---

[1]-عبد الرحمن النجدي: تسهيل البلاغة، دط، دار الإيمان، الأسكندرية، مصر، ص66.

[2]-عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج2، ط8، القاهرة، ص4.

[3]-الحديث أخرجه البخاري في باب الجنائز؛ رقم: 1283، ومسلم في باب الجنائز، رقم: 926.عن أنس بن مالك ﷺ.

قوله (رَسُول)[1] وهو ما يسميه البلاغيون بقصر إفراد. وعليه فهناك اقتران بين الرسول وهو الموصوف وصفة من صفاته وهي الرسالة.

ت_ اقتران الصِّفة بالموصوف وقصرها عليه: والمعنى«ألاَّ تتجاوز الصِّفة موصوفها، وإن جاز أن يكون له صفة أخرى»[2] نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28] «لأنَّ غيرهم قد يخشوه، ولكن لا اعتداد بخشيتهم»[3].

ث_ اقتران المقصور بالمقصور عليه: واختصاصه على سبيل الحقيقة والواقع، لا يتعدَّاه إلى غيره أصلاً، نحو: (لا خالق إلا الله).وهو ما يسمَّى بالقصر الحقيقي. من خلال ما سبق نستنتج أنَّ القصر وطرقه يشكلان مظهرا للاقتران بين أمرين، لا ينفكان عن بعضهما البعض، ليؤديا معنى محدَّداً ومراداً يريده المتكلِّم.

2. الفصل والوصل: يقصد بالوصل «عطف جملة على أخرى بـــ(الواو)، وأمَّا الفصل فهو ترك هذا العطف بين الجملتين، والمجيء بها منثورة، تُستأنفُ واحدةٌ منها بعد أخرى»[4]. فالجملة الأولى والثَّانية تأتي في الأساليب البليغة مفصولةً أحياناً، وموصولةً أحياناً.

فمن الفصل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: 34]، فجملة (**ادفع**) مفصولة عما قبلها. ولو قيل: (**وادفع بالتي هي أحسن**) لما كان بليغاً. ومن الوصل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: 15].فقد عطفت الجملة الثَّانية على الأولى واقترنت بها، والجامع بينهما حرف (الواو)، ونحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: 119]. فقد عطف جملة (وَكُونُوا) على ما قبلها. ولو قلتَ: " **اتقوا الله كونوا مع الصادقين** " لما كان بليغاً.ونحو قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: 36]. فقد وصل جملة «**وَلاَ تُشْرِكُوا**» **بجملة** «**وَاعْبُدُوا**» لاتِّحادهما في الإنشاء؛ ولأنَّ المطلوب بهما ما يجب على الإنسان أن يؤديه لخالقه، ويخصُّه به. يقول السيد أحمد الهاشمي: «... ومن هذا يعلم أنَّ الوصلَ جمعٌ وربطٌ

---

[1]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المجلد الثاني، ص111.

[2]–عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج2، ص4.

[3]–عبد الرحمن النجدي: تسهيل البلاغة، دط، دار الإيمان، الأسكندرية، مصر، ص67.

[4]–السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ط1، 2010، دار ابن الجوزي، القاهرة، ص147.

بين جملتين (بالواو خاصة) لصلة بينهما في الصورة والمعنى، أو لدفع اللَّبس، والفصل ترك الرَّبط بين الجملتين، إمَّا لأنَّهما متَّحدتان صورة ومعنًى، أو بمنزلة المتَّحدتين، وإمَّا لأنَّه لا صلة بينهما في الصُّورة أو في المعنى»[1].

1. الإطناب:

يُقصدُ بالإطناب تأديةُ المعنى بعبارة زائدة عمَّا تعارف عليه البلغاء، لتقويَّته وتوكيده، كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: 4]. أي: كبرت، فإذا لم يكن في الزِّيادة فائدة غير معيَّنة فهو تطويل وثرثرة. «فإن كانت الزِّيادة متعيَّنة لا يفسد بها المعنى سمي (حَشْوًا)» [2] والنَّاظر إلى الإطناب وأنواعه، يتبيَّن له أنَّه يمثِّل شكلاً من أشكال الاقتران الثُّنائي، ومظهراً بارزاً من مظاهره، وتتمثَّلُ هذه المظاهر فيما يلي:

أ_ الإيضاح بعد الإبهام: نحو قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [طه: 120]، فقد يقول قائل: ما الذي وسوس به الشَّيطان لآدم؟ وفي ذلك إبهاماً لابُدَّ من بيانه، فجاء الإيضاح والبيان في قوله: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه: 120]. والغرض البلاغي منه ترسيخ المعنى في ذهن السَّامع، وذلك بذكره مرَّتين، مرَّة على سبيل الإبهام، ومرَّة على سبيل الإيضاح، فزاده هذا الاقتران بين الإبهام والإيضاح وضُوحاً ورسوخاً في الذِّهن، وجمالاً وشرفاً في التَّعبير.

ب_ ذكر الخاص بعد العام: نحو قوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة: 238] فقد ذكرت الصَّلاة مرَّتين، مرَّة منفردة «**حافظوا على الصلوات**» على سبيل العموم، ومقترنة بالصَّلاة الوسطى من قوله تعالى: «**وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ** »، على سبيل الخصوص تنويهاً وتعظيماً لشأنها، كأنَّما هي شأنٌ آخر. وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الأعراف:170] فمن متعلقات التَّمسُّكِ بالكتاب الحرص على كلِّ عبادة، ومنها الصَّلاة، لكن الله تعالى أفردها بالذكر في الآية وخصَّها،للدلالة على أهميِّتها ومكانتها في الإسلام،إذ هي ركن من أركانه.

---

[1]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص147، 149.

[2]-المرجع نفسه: ص168.

ت_ التَّكرير: وهو «ذكر الشَّيء مرَّتين أو أكثر»[1]. يُرادُ به تأكيد المعنى في النَّفس وترسيخه في الذِّهن، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾[الشرح: 5، 6] نلاحظ أنَّه سبحانه قرن بين (العسر واليسر) أولاً، ثم كرَّره مرَّتين في السُّورة لتقرير المعنى في النَّفس وتأكيده. أو للحث على شكر نعمة من النِّعم، نحو قوله تعالى من سورة الرحمن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: 13]، أو لطول الفصل. نحو قوله تعال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحج: 17]، [الحج: 17]، فكرَّرَ عبارة (إنَّ الله) لطول الفصل.

ث_ التَّقديم والتَّأخير:

تتميَّز الآية القرآنية عن الجملة في اللُّغة العربية في ترتيب كلماتها وتناسق ألفاظها، فالآية القرآنية كلماتها منتظمة، ومرتَّبة، ألفاظها متناسقة، لا تتقدَّم كلمة في الآية القرآنية عن أخرى، ولا تتأخَّر، إلاَّ لمعنى مقصود مُراد، لا يخالف قاعدة لغويَّة، ولا يصطدم مع حاجة نفسيَّة، بل قد يعد التَّقديم والتَّأخير في الآية القرآنية مما تأنس له النَّفس وتطرب؛ لأنَّه يُلَبِّي لها حاجة نفسيَّة، تتذوَّقه وتطرب له، فلا يتقدَّم إلاَّ من شأنه التَّقديم، ولا يتأخَّر إلاَّ من شأنه التَّأخير، بينما الجملة العربية يرى النُّحاة أنَّ الرَّابط الذي يبرط بين ألفاظها (الواو) مثلاً، الذي يستعمل لمطلق الجمع، فلا يراعي ترتيب ولا تعقيب.

ثانيا: مظاهر الاقتران الثُّنائي في علم البيان:

1_ التَّشبيه: وهو عبارة عن «بيان أنَّ شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بإحدى أدوات التَّشبيه المذكورة أو المقدَّرة المفهومة من سياق الكلام»[2]، يقول القزويني هو: «الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى»[3]. وهو عند الرماني: «العقد على أنَّ أحد الشيئين يسدُّ مسدَّ الآخر في حسن أو عقل»[4].

---

[1]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص169.

[2]-محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب: علوم البلاغة، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ط2003/1، ص143.

[3]-الخطيب القزويني:الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)،ط1، 2003،دار الكتب العلمية،بيروت، ص164.

[4]-الرماني، الخطابي، الجرجاني:ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح:محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، مصر، ص80.

فالتَّشبيه بهذا المفهوم اقتران ثنائي، يظهر بشكل جلي في طرفيه: المشبَّه والمشبَّه به؛ لأنَّه لا يمكن تصور التَّشبيه دون طرفيه، والطَّرفان قد يكونان: حسيين مبصرين، كما في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ ﴾[الرحمن: 58]، أو حسيين مسموعين: مثل قولهم: صوت فلان كنفير الحرب، وكقرع الطبل، أو حسيين مذوقين: نحو قولهم: عصير البرتقال.حسيين مشمومين: نحو قولهم: نكهة حفيدي كالمسك. أو حسيين ملموسين: نحو قولهم: لها بشر كالحرير.

وقد يكون الطَّرفان عقليين، كتشبيه العلم بالحياة، والجهل بالموت، أو مختلفين وهو الأصل في التَّشبيه، كأن يكون المشبَّه عقليًا والمشبَّه به حسيًّا، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ ﴾ [البقرة: 171].أو «أن يكون المشبَّه حسيّاً والمشبّه به عقليّاً»[1] كقوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الصافات: 64، 65].

ثالثا: الاقتران الثُّنائي في علم البديع:

أ_ الاقتران الثُّنائي في المحسِّنات البديعية:

بالنَّظر إلى مباحث علم البديع أو المحسِّنات البديعيَّة المتعدِّدة نلاحظ أنَّ الكثير منها يتألَّف من ألفاظ تقترن مع بعضها في كثير من الأحيان اقتراناً ثنائيّاً، تزيد المعنى والدَّلالة من هذه الألفاظ وضوحاً ورسوخاً في النُّفوس والأذهان، كما تَتَجَلَّى بها خصائص هذه الألفاظ في الاستعمال ومزاياها، فتضفي عليها حسناً ورونقاً وبهاءً. من مظاهر الاقتران في علم البديع ما يلي:

1_ التَّورية:

هي السِّتر والتَّغطية، كقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ ﴾ [الأعراف: 26] ويقصد بها إطلاق اللَّفظ وله معنيان متلازمان، أحدهما قريب، والآخر بعيد. وهو التَّعريف الذي قال به الخطيب القزويني «أن يطلق لفظ له معنيان: قريب، وبعيد، ويراد منه البعيد منهما»[2]، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: 60]، فقد اقترن بلفظ «جَرحتُم» معنيان: أحدهما قريب والآخر بعيد، غير أنَّه أراد«المعنى البعيد وهو

---

[1]-الخطيب القزويني:الإيضاح في علوم البلاغة، ص169.

[2]-المصدر نفسه، ص266.

ارتكاب الذُّنوب»[1]. والتَّورية: مجرَّدة ومرشَّحة. و(المرشَّحة) هي التِّي تمثِّل الاقتران الثُّنائي إذا قُرِنَ بها ما يلائم المورى به، مثل قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الذاريات: 47].

2_ الاستخدام: «هو ذكر لفظ مشترك بين معنيين، ويُرادُ به أحدهما، ثم يُعادُ عليه ضميرٌ، أو إشارةٌ بمعناه الآخر، أو يعاد عليه ضميران يُرادُ بثانيهما غيرُ ما يرادُ بأولهما»[2] .بمعنى أن المتكلِّم يأتي بلفظ له معنيان، يريد أحدهما، ويقرن هذا اللَّفظ في كلامه بضمير يرجع به على المعنى الآخر، فالأوَّل كقوله تعالى: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾ [البقرة: 185]، فقد أراد بالشَّهر «(الهلال)، ثم أُعيدَ عليه الضَّمير أخيراً بمعنى أيام رمضان»[3].

3_ الطباق: الطباق: «جمع بين الضدين، في كلام أو بيت شعري»[4]. وهذا الجمع قد يكون بين اسمين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ ﴾ [الكهف: 18]، فقد جمع وقرن بين (أيقاظا- ورقود) وقابل بينهما. أو بين فعلين، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴾ [الأعلى: 13]، فجمع بين الفعلين (يموت ويحي)، أو بين حرفين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [البقرة: 228]، أو مختلفين، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ [الرعد: 33]، فالطِّباق «بين (يضلل) وهو فعل، و(هاد) وهو اسم زاد الكلام حسنا وطرافة وجمالاً»[5]. وعليه فإنَّ الطِّباق في حقيقته يعتَبَرُ مظهراً للاقتران الثُّنائي؛ فيكون بين لفظين متقابلين أو متخالفين، سواء كان هذا الطِّباق طباق سلب؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [الروم: 6، 7]. وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ [المائدة: 44].

4_ المقابلة:وهي«أن يؤتى بمعنيين متوافقين أومعان متوافقة،ثم يؤتى بما يُقابل ذلك على التَّرتيب»[6]،فالمقابلة بهذا المعنى تمثل مظهراً للاقتران الثُّنائي الحاصل بين معنيين وما يقابلهما على سبيل التَّوافق

---

[1]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص264.

[2]- ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص125. انظر: جواهر البلاغة: ص364.

[3]-المصدر نفسه: ص265.

[4]-ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص161.

[5]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص267 (بتصرف)

[6]-علي صدر الدين بن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ص: 298.

والتَّرتيب،بحيث يقابل الأوَّل بالأوَّل، مثل قوله تعالى:﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [القصص:73].فقد أورد اللَّيل والنَّهار في صدر الكلام،ثم قابلهما بالسُّكون والحركة في عجز الكلام على التَّرتيب.

والمقابلة قد تكون بين اثنين كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا ﴾[التوبة:82].فإنَّ الضَّحك ضد البكاء،والقليل ضد الكثير،وقوله ﷺ:«**إنَّ الرِّفقَ لا يكُونُ فِي شيء إلاَّ زَانَهُ، وَلا يُترع من شيء إلا شانه**»[1]،ومن ذلك قوله ﷺ للأنصار:« **إنَّكُم لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الفَزَع وتقلُّون عند الطَّمَع**»[2].فقد قابل بين«تكثرون وتقلُّون»وبين«الفزع والطَّمع».وقد يُقابلُ المتكلِّم ثلاثة بثلاثة،كقول البحتري:[من الطويل] [3]

فَـــإِذَا حَـــارَبُوا أَذَلُّـــوا عَزِيـــزًا وَإِذَا سَـــالَمُوا أَعَـــزُّوا ذَلِـــيلاً

فقد جمع الشَّاعر بين ستَّة أضداد وقَرَنَ بينهم: (حاربوا وسالموا)، (أذلُّوا وأعزُّوا)، (عزيزاً، ذليلاً)، وقابل بين حاربوا وسالموا، أذلوا وأعزوا. عزيزاً وذليلاً، وقد يقابل بين أربعة بأربعة، كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل: 10].

وقد يقابل بين خمسة بخمسة، كقول المتَنبي: [من البسيط] [4]

أَزُورُهُمْ وَسَوادُ اللَّيْـــلِ يَشْـــفَعُ لِـــي وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّـــبْحِ يُغْـــرِي بِـــي

فقد قابل المتنبي في بيت بين خمس مطابقات وجمع بينها: بين الزيارة والإنثناء، وبين السَّواد والبياض، والليل والصبح، والشفاعة والإغراء، و(لي) و(بي) والمقابلة بين هذه الألفاظ المتضادة جاءت على سبيل الاقتران الثُّنائي.

5_ المشاكلة: وهي «أن يُذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته»[5]، نحو قوله تعالى:

---

[1]-أخرجه مسلم في باب البر، حديث رقم 78، وأخرجه أحمد في المسند ج125/2.

[2]-الخطابي: غريب الحديث، ج1، ص682.

[3]-من ديوان البحتري، البيت من قصيدة عنوانها: ذاك وادي الأراك فاحبس قليلا.

[4]-المتنبي: ديوان المتنبي، شرح: عبد الرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص182، والبيت من قصيدة يمدح فيها كافور الإخشيدي سنة346ه وتُعدُّ من محاسن شعره.

[5]- الخطيب القزويني:والإيضاح في علوم البلاغة:ص263، تحريرالتحبير، ص393.

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: 116]، نلاحظ أنَّه سبحانه جمع في الآية بين نفسين (نفسي ونفسك)، وقرن بينهما في التَّعبير عن معنى أراده، والمراد: ولا أعلم ما عندك. وعبَّر بالنَّفس لوقوعها في صحبتها. ونحو قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: 19]، فقد جَمَع بين (نسوا وأنساهم) وقرن بينهما للتَّعبير عن الإهمال وعدم الاعتبار، ومعنى (فأنساهم) أي: أهملهم، فذكر الإهمال هنا بلفظ النِّسيان لوقوعه في صحبته.

6_ الإدماج: وهو:«أن يضمِّنَ كلامٌ سيق لمعنى معنىً آخر لم يصرح به»[1]. أي يقرن بين المعنيين في الكلام الواحد، كما في قول المتنبي[2]: [من الوافر]

أقلِّـــبُ فِيـــهِ أَجْفَـــانِي كَـــأَنِّي أعُـــدُّ بِـــهِ عَلَـــى الـــدَّهْرِ الـــذُّنُوبا

فقد ساق الشَّاعر هذا الكلام أصالةً لبيان طول اللَّيل، وقرن الشَّكوى من الدَّهر في وصف اللَّيل بالطُّول.فشكَّل اقتراناً ثنائيًّا بين الشَّكوى والطُّول. ومن الإدماج قول ابن نباتة السَّعدي:[من الطويل] [3]

وَلاَ بُدَّ لِي مِنْ جَهْلَـةٍ فِـي وِصَـالِهِ فَهَلْ مِـنْ حَلِـيمٍ أُودِعُ الحِلْـمَ عِنْـدَهُ

أدمج الشَّاعر في البيت الفخر في الغزل وقرنه به، وذكر أنَّ حِلمَه لا يفارقه، ولا يرغب عنه، فأراد أن يودعه ليكون وسيلة وتوسل بها إلى محبوبه «لأنَّ الودائع تستعاد. ثمَّ استفهم عن الخلِّ الصَّالح الذي يصلح لهذه الوداعة، ثمَّ أدمج ضمن الفخر الذي أدمجه في الغزل شكوى الزَّمان لقلَّة الإخوان، فلم يبق منهم من يصلح لهذا الشَّأن»[4].

7_ التَّوجيه: وهو «أن يأتي المتكلِّم بكلام يحتمل وجهين مختلفين أو متضادين على السَّواء.في الهجاء أو المدح أو الدُّعاء للمخاطب أو الدُّعاء عليه؛ ليبلغ القائلَ غرضه بما لا يمسك عليه»[5] ومثاله قول بشار بن برد في خيِّاطٍ أعور: [مجزوء الرمل]

---

(1)–السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة: ص269.

(2)–المتنبي:ديوان المتنبي، ص177.(هذا البيت من قصيدة يمدح فيها علي بن محمد بن سيار بن مُكرم، وكان يحب الرمي بالنشاب ويتعاطاه، وكان له وكيل يتعرض للشعر، فأنفذه إلى أبي الطيب يناشده، فتلقاه وأجلسه في مجلسه، ثم كتب إلى علي هذه القصيدة)

(3)–ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص 468.

(4)–المصدر نفسه، ص468.

(5)–السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة ص278.

خَـــــاطَ لي عمـــــرو قَبَـــــاءَ ليـــــتَ عَيْنَيْـــــه سَـــــوَاءَ

فســـــل النـــــاس جميعـــــاً أمـــــديح أم هجـــــاءٌ

«فإنَّ دعاءه لا يُعلم، هل له أم عليه»[1]. ومثاله من القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا [النساء: 46]، قال الزمخشري في معنى الآية: «غَيْرَ مُسْمَعٍ» «حال من المخاطب، أي: اسمع وأنت غير مسمع، وهو قول ذو وجهين. فيحتمل الذم...ويحتمل المدح»[2] لذلك قرن بينهما في الآية.

ب_ الاقتران الثنائي في المحسنات اللفظية:

1_ الجناس: وهو عبارة عن «إيراد المتكلِّم لكلمتين تجانس كلّ واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها»[3]، والجناس بنوعيه (التَّام والنَّاقص) يمثل مظهرا للاقتران الثُّنائي.

فالجناس التَّام: ما اتَّفق فيه اللَّفظان في أربعة أمور: في الحروف وعددها وشكلها وترتيبها، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الروم: 55]، فقد ذكر لفظ السَّاعة مقترناً مرتين، ولكن لكلٍّ منهما معنى، فالسَّاعة الأولى القيامة، والثَّانية الجزء من الزَّمن. قال السيوطي: «و لم يقع منه في القرآن سواه»[4]. وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النور: 43، 44].فالاقتران الثُّنائي واضح بين اللَّفظين (الأبصار، والأبصار) وإن اختلفا في المعنى، فاللَّفظ الأوَّل بمعنى العيون، واللَّفظ الثَّاني بمعنى العقول.ومثله أيضا قولهم: «ما ملأ الرَّاحة من استوطن الرَّاحة"، فقد قرن بين كلمتين: (الرَّاحة والرَّاحة)، وإن اختلفتا في المعنى. فالرَّاحة الأولى: الكفُّ، والرَّاحة الثَّانية: الاستراحة»[5].

---

[1]-المرجع نفسه، والصفحة نفسها. والبيتان ينسبان إلى بشار بن برد غير إني لم أقف عليهما في ديوانه وربما هو من صناعة المحدثين. والبيت الثاني: فسل الناس جميعاً أمديح أم هجاءَ

[2]-الزمخشري: تفسير الكشاف، دت، ط3/1430هـ/2009م، دار المعرفة، بيروت لبنان.ص239.

[3]-أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ط1/1952، دار أحياء الكتب العربية. ص33.

[4]-جلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي محمد الميحاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ص303.

[5]-عبد العزيز قلقيلة: البلاغة الاصطلاحية، ط3، 1412هـ/1992م، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ص 337.

أمّا الجناس غير التّام أو الناقص: «ما اختلف فيه اللّفظان في واحدٍ أو أكثر من الأربعة السّابقة، ويجب ألاّ يكون بأكثر من حرف، واختلافهما يكون: إمّا بزيادة حرف في الأوّل». [1].مثل قولهم: (**دَوَامُ الحَالِ مِنَ المُحَالِ**). أو في الوسط مثل قولهم: (**جَدِّي وجَهْدِي**). أو في الآخر، مثل قولهم: (**الهَوَى مَطِيَّةُ الهَوَانِ**) فالحال والمحال، وجَدِّي وجَهدِي، والهوى والهوان، كلّها ألفاظ شكّلت لنا مظهراً من مظاهر الاقتران الثُّنائي في هذا الباب من أبواب البلاغة، استدعاه المعنى وساقه التّعبير، لدرجة عدم استغناء المتكلّم منه بديلاً.

الجناس المستوفي: وهو ما كانت كلمتاه من نوعين مختلفين؛ إحداهما اسماً والأخرى فعلاً، أو أن تكون إحداهما حرفاً والأخرى اسماً أو فعلاً[2]. ومثال الجناس المستوفي بين الاسم والفعل، قول أبي تمام: [من الكامل]

مَا مَات مــن كــرم الزمــان فإنــه يحيــا لــدى يحــيى بــن عبــد الله

نلاحظ الجناس بين الكلنمتين(يحيا، يحي) فـــ(يحيا) الأولى فعل ماضٍ، و(يحي) الثانية اسم، وإن اتفقا في الرَّسم والإملاء. أما مثال الجناس المستوفي بين الفعل والحرف، فقول الشاعر: [من الطويل]

عَلَا نَجْمُــهُ فِــي عَــالِمِ الشِّــعر فجــأة علــى أنَّــه مــا زال في الشِّــعر شــادياً

فـــ(علا) الأولى فعل ماض من العلوِّ، و(على) الثّانية فهي حرف جرٍّ. ورغم اختلافهنا في الوظيفة فقد اقترنا في التركيب والاستعمال.

الثّالث: الجناس المتشابه: أحد أقسام الجناس المركّب هو عبارة «عمَّا تشابه فيه اللّفظان»[3]، كقول البستي:[من المتقارب]

إِذَا مَلَــكَ لَــمْ يَكُــنْ ذَا هِبَــهْ فَدَعْــهُ، فَدَوْلَتُــه ذَاهِبَــه[4]

---

[1]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص289.

[2]-عبد العزيز قليقلة: البلاغة الاصطلاحية، ص 338.

[3]- محمد أحمد قاسم:علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني)، ط2003/1، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان، ص115.

[4]-أبوالفتح البستي:ديوانه،تح:درية الخطيب ولطفي الصقال،مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،1989،دمشق،ص45.

فاللَّفظان متشابهان: (ذَا هِبَه، ذَاهِبَة)، لكن الأوَّل مركب، اقترن بـــ(ذا) بمعنى صاحب هبة، والثَّاني غير مركب: ذاهبة بمعنى زائلة، فوقع الاقتران والتَّلازم بين (ذا) و(هبه)، وبين (ذا هبة)، (وذاهبة).

الرابع: الجناس المُصَحَّف: وهو أن« يتَّحد اللَّفظان في الرَّسم والشَّكل والعدد والتَّرتيب، ويختلفا في النَّقط فقط». [1]، فاتِّحاد اللَّفظان في الرَّسم والشَّكل والعدد والتَّرتيب يمثل اقتراناً ثنائيًّا بين هذه الألفاظ، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء: 79، 80].فقد وقع الجناس في الآية بين (يسقين ويشفين)، وقول الرسول ﷺ: «**بَشِّرُوا وَلاتُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّروا**» [2].فقد وقع الاقتران والجناس بين: (بشروا ولا تنفروا)، و(يسروا ولا تعسروا)

2_ المزاوجة: ويسمى أيضاً الازدواج، إذا زاوج بين الشَّيئين، أي: قارب بينهما، فالمزاوجة بهذا المعنى اقتران ثنائي، ومفهومه في اصطلاح البلاغيين: «أن يزاوج المتكلِّم بين معنيين في الشَّرط والجزاء، بأن يرتِّبَ على كلٍّ منهما معنى رُتِّبَ على الآخر»[3]، كقول البحتري: [من الطويل] [4]

إِذَا مَا نَهَى النَّـــاهِي فَلَـــجَّ بِـــيَ الهَـــوَى أَصَـــاخَتْ إِلَـــى الوَاشِـــي فَلَـــجَّ بِهَـــا الهَجْـــرُ

فقد زاوج الشَّاعر وقرن بين النَّهي والإصاخة في الشَّرط والجزاء بترتيب اللِّجاج عليهما.

4_ الجمع: وهو «أن يجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد»[5] كقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف: 46].وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال: 90]. فقد جمعت الآية بين المال والبنون وقرنت بينهما في الذِّكر، واعتبرهما مظهراً من مظاهر زينة الحياة الدُّنيا، وجمعت بين الباقيات الصَّالحات، وعدَّهما من أسباب نيل ثواب الله تعالى وفضله.

---

[1]-جلال الدين السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي محمد الميحاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ص303.

[2]- محيي الدين بن شرف النووي: شرح النووي على مسلم، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير ج 16، ص401.

[3]-ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب: ص423، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 265.

[4]-البحتري: ديوان البحتري، دط، دتح، البيت من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان، ص844.

[5]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة: ص 274.

وقد يجمع بين أكثر من شيئين ويقرن بينهما في حكم واحد، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: 90].فنلاحظ أنَّ الله تعالى قرن في الآية بين (الخمر والميسر) و(الأنصاب والأزلام) في حكم واحد، ألاَ هو التَّحريم، ولذلك أمر باجتنابها جميعاً، وعدَّ هذه الأعمال من رجس الشَّيطان وعمله.

5_ الجمع مع التَّفريق: وهو« أن يجمع المتكلِّم بين شيئين في حكم واحد، ثم يفرِّق بين جهتي إدخالهما»[1]، كقوله تعالى: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: 12]، فقد جمع الله تعالى آدم وإبليس في الخلق، فكلاهما من خلق الله تعالى وصنعته، وفرَّق بينهما في أصل الخلق ومبدئه، فآدم خلقه من طين، وإبليس خلقه من نار. ونحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[الإسراء 12]. قرن الله بين اللَّيل والنَّهار، فجعلهما علامتين عظيمتين على وحدانيته وكمال صنعه وقدرته، ثم فرَّق بينهما، فجعل اللَّيل مظلماً لنسكن فيه، وجعل النَّهار مضيئاً مشرقاً بالنُّور ليحصل به الإبصار.

6_ الجمع مع التَّقسيم: «أن يجمع المتكلِّم بين شيئين أو أكثر، ويقرن بينهما في حكم واحد، ثمَّ يقسم ما جمع، أو يقسم أولا، ثم يجمع»[2].

ومثال الأول: قوله تعالى: «﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: 42]. فقد حكم الله في الآية بالوفاة على خلقه، فجمع وقرن بين وفاتين: الوفاة الكبرى والوفاة الصغرى، فـــ«**هو الذي يتوفى الأنفس**» ثم فصل بين الوفاتين على سبيل التَّقسيم، فالتِّي لم تمت في منامها يبعثها ويرسلها إلى الحياة من جديد إلى أجل مسمَّى، وهي وفاة النَّوم ؛لأنَّ النَّائم كالميِّت في كونه لا يبصر ولا يسمع، ويمسك التِّي قضى وحكم عليها بالموت الحقيقي.

7_ المُغايرة:وهي«مدح الشيء بعد ذمِّه، أو عكسه»[3]كقول الحريري في مدح الدينار: [من الرجز]

---

[1]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة: ص 375.

[2]-المرجع نفسه: ص375.

[3]-المرجع نفسه: ص276.

أَكْرِمْ بِــهِ أَصْــفَرَ وَاقَــتْ صُــفْرَتُهُ تَبّــاً لَــهُ مِــنْ خَــادِعٍ مُمــارِقِ

فقد مدح الدِّينار بذكر لونه الأصفر الذهبي،ثمَّ غيَّرَ موقفه منه فذمه فوصفه بالخداع والممارقة، فجمع في البيت بين المدح والذم وقرن بينهما،فزاد هذا الفنّ البلاغي المعنى سحراً وحسناً وجمالاً.ودلَّ من جانب آخر على تناسق دقيق بين ألفاظه في الكلام،وتأثيرا كبيراً في القلوب،وتعلُّقاً شديداً لمعناه في النُّفوس.

8_ الازدواج: ويسمى أيضا (الموازنة) وهو في الاصطلاح:«تجانُسُ اللَّفظين المُجاورين»[1] وعليه فإنَّ الازدواج بهذا المفهوم عبارة عن جملتين متساويتين في النُّطق، متشابهتين في المعنى. كأنَّ بين ألفاظهما تماثل صوتي أو إيقاعي. مثل قولهم: «مَنْ جَدَّ وَجَد، ومَن لَجَّ ولَج»[2]' . فيظهر لنا في هذه العبارة نوع من التَّجانس بين هذه ألفاظها في حروفها وحركاتها، ومجاورة واقتران بينها في التَّركيب. وكذا قولهم: (الفضيلة لا يجاريكم فيها مُجارٍ ولا يباريكم فيها مُبارٍ)، نلاحظ نوع من التَّجانس بين هذه الألفاظ المقترنة والمتجاورة في الوزن والحركات والسَّكنات.

9_السَّجع: عرَّفه ابن الأثير بقوله «تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد»[3]، وعرفه الخطيب القزويني بقوله: «السَّجع هو تواطؤ الفاصلتين من النَّثر على حرف واحد. وهو معنى قول السَّكَّاكي: الأسجاع في النَّثر كالقوافي في الشِّعر»[4]، فالتَّواطؤ بين فواصل الكلام اقتران ثنائي في حَدِّ ذاته، ويأتي السَّجع في هذا المعنى على أشكال، منها:

أ. **السَّجع المطرف:** وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في القافية، نحو قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: 13].حيث قرن بين الفاصلتين الراء وجمع بينهما في الآية، والأمر نفسه في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ: 6، 7]. حيث قرن بين الفاصلتين الدَّال وجمع بينهما.

---

[1]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة: ص293.

[2]-المرجع نفسه: ص276.

[3]-المرجع نفسه، ص293.

[4]-ابن الأثير ضياء الدين:المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، دت،دط،ج1، ص210.

ب. **السَّجع المُرَصَّع**: وهو ما اتفقت فيه ألفاظُ إحدى العبارتين أو أكثرهما في الوزن والتَّقفية، كقول الحريري: «هو يطبع الأسجاعَ بجواهر لفظه، ويَقْرَعُ الأسماع بزواجر وعظِهِ»، وكقولهم: «إن بعد الكدر صفواً، وبعد المطر صحوا»[1]

ت. **السَّجع المتوازي**: وهو ما اتفقت فيه الفقرتان في الوزن والتَّقفية، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [الغاشية 13، 14]. لاختلاف سُرُرٌ، وأكواب، وزناً وتقفية، ونحو قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾﴾ [المرسلات: 1. 2] ونحو: «حَسَدَ الناطقُ الصامتَ، وهلك الحاسدُ والشامتُ»[2].

وانطلاقا من من الإشارات الصَّوتية والمعجمية النَّحوية والبلاغية يمكننا القول أنَّ ظاهرة الاقتران الثنائي لامست وتماهت مع جميع المستويات اللُّغوية. وهذا التَّماهي إن دلَّ على شيءٍ فإنَما يدلُّ على أصالة هذه الظَّاهرة اللُّغوية وتجذُّرها في الممارسة اللُّغوية العربيَّة على الخصوص. كما يُعَبِّرُ هذا التَّماهي عن الجانب الجمالي والذوق اللُّغوي الرَّفيع عند المتكلِّم العربي، خاصَّة منهم الشُّعراء، ندرك ذلك من خلال الاستماع إلى قصائدهم، وتأثرهم بها، فيميلون إلى استعمال هذه الظَّاهرة للتَّعبير على أثرها في نفوسهم، يشهد على هذا ما قاله الشَّاعر طرفة بن العبد بعدما سمع بيت المسيِّب بن علس: [الطويل] [3]

وَقَدْ أَتَنَاسَى الهَـمَّ عِنْـدَ احْتِضَـارِهِ بِنَـاجٍ عَلَيْـهِ الصَّـيْعَرِيَةُ مُكْـدِمِ

لّما سمع هذا البيت قال: (استنوق الجمل)، فالشاعر طرفة أنكر على المسيّب استعمال صفة (الصَّيْعريَّة) والتِّي لا يوصف بها إلا النِّيَّاق، فبدل أن يتستعمل صفة الجمل، وهو يتحدَّث عن نفسه وهمومها، استعمل صفة من صفات النَّاقة وهي (الصَّيْعرية) وهي «سمة في عنق الناقة خاصة»[4]. قال إبو علي في التَّذكرة: «الصَّيْعرية وسم لأهل اليمن لم يكن يوسم بها إلاَّ النُّوق»[5].

---

[1]-الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة: ص442.

[2]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص293، 294.

[3]-المسيب بن علس:ديوانه،تح:عبد الرحمن محمد بن الوصيفي،ط1.2003، مكتبة الآداب، القاهرة، ص127.والصيعرية:من سمات النوق دون الجمال، وجملٌ مُنوَّق: ذَلُول قد أحسنت رياضته، وقيل هو الذي ذُلِّلَ حتَّى صُيِّرَ كالناقة.

[4]-البركاوي: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص72.

[5]-ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص336.

ويشهد على دور الذوق العام في ميله لاستعمال الاقتران الثنائي في الكلام ما ذكره الأصمعي، «أنَّ أبا العلاء سمع ذا الرمَّة يقول: قاتل الله أَمَة بني فلان ما أفصحها ! قلت لها: كيف كان المطر عندكم؟ فقالت: (عِثْنا كما شِئنا)» [1]. فلم تقل أُمْطِرْنا كما شئنا. وهو ما يقتضيه السُّؤال، ولهذا عجب ذو الرمَّة من فصاحتها.

كما يشهد على أثر الذَّوق العام للاقتران الثنائي قول النَّاس في أمثالهم: الملاحة في الفم، والحلاوة في العينين، والجمال في الأنف، والظرف في اللِّسان، ولهذا قيل: «إذا كان اللِّصُّ ظريفاً لم يقطع، يريد أنَّه يدافع عن نفسه بحسن منطقه»[2].

ومما ذكرنا نستنتج أنَّ للقدماء حاسة دقيقة في تذوق الكلام وأثره في نفوسهم، ولذلك نجدهم يتخيَّرون الألفاظ والعبارات التي تناسب بعضها البعض، وتقترن بها في دقَّةٍ متناهية اتساقاً وانسجاماً.

وهذا الاتساق والانسجام الظاهر في الكلام، يشير إلى أصالة الاقتران الثنائي في الدرس اللغوي العربي، فكلُّ ما توصَّلَ إليه الدَّرس الحديث، ما هو نتائج أخذها من هذا الدَّرس الأصيل.

10_ السَّلب والإيجاب:

هو مظهر للاقتران الثُّنائي، حيث يجمع المتكلِّم في كلامه بين نفيٍّ وإثبات في الوقت نفسه، يقول أبو هلال العسكري: «هو أن تبني الكلام على نفي الشَّيءِ من جهة، وإثباته من جهة أخر، أو الأمر به في جهة، والنَّهي عنه في جهة وما يجري مجرى ذلك»[3]، ويمثل له أبو هلال بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: 23] فقد قرن في الآية بين النَّهي الذي هو السَّلب، وبين الأمر الذي هو الإيجاب، فنهى الولد عن التَّأفُّف في وجه الوالدين ونهرهما، وفي الوقت ذاته أمر بأن يقول لهما قولاً كريماً هيِّنًا.والأمر نفسه في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: 44].

ومن هذا الباب قول رجل ليزيد بن المهلب: «قد عظُم قدرُك من أن يُستعان بك، أو يُستَعَان عليك، ولست تفعل شيئاً من المعروف، إلاَّ وأنت أكبر منه وهو أصغر منك، وليس العجب من أن

---

[1]-المصابيح في تفسير القرآن العظيم، للحسن بن علي المعروف بالوزير المغربي، ج1. ص598

[2]-أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دط، دار العلم والثقافة، القاهرة، ص262.

[3]-أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص413، 414.

تفعل، وإنَّما العجبُ من ألاَّ تفعل...»[1] فانظر كيف أحصى في كلمته هذه، وجمع فيها مجموعة من الألفاظ المقترنة على سبيل السَّلب والإيجاب، نحو: يستعان بك ويستعان عليك، أكبر وأصغر، تفعل ولا تفعل...

[1]-أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ص413. 414.

خاتمة الفصل الأول.

تطرقنا في هذا الفصل إلى التَّعريف بـــ(**الاقتران الثنائي**)، وذلك بتأصيله لغويّاً واصطلاحياً، ثمَّ بيَّنا معالمه في الدراسات اللغوية العربية والغربية معا؛ القديم منها والحديث، كما بينا مظاهره في اللغة.

وقد وجدنا أن مفهوم (**الاقتران الثنائي**) يدور في اللغة حول معنى "الجمع والوصل"، أمَّا في الاصطلاح فيدور على "الاجتماع المتكرر لوحدتين مجتمعتين في الاستعمال"، فهناك شرطان لرصد ظاهرة (**الاقتران الثنائي**) وهما:

الاجتماع في الاستعمال،على أن يكون هذا الاجتماع متكررا؛أي يحدث مرات عديدة،لا مرة واحدة.

كما وجدنا أن هذه الظاهرة قد تطرق إليها اللغويون القدماء، إمَّا تلميحاً وإمَّا تصريحًا، لكنهم عبروا عنها بمصطلحات أخرى: كالإتباع والمزاوجة، والمجانسة والمجاورة وعدم الافتراق، والمحاذاة، كما تطرَّق إليها المحدثون من العرب فسمُّوها (المتوارد).

أمَّافي الدراسات اللغوية الغربية فقد عبرت عن هذه الظاهرة بمصطلح (**COLLOCATION**) الذي ترجم بعدة ترجمات، منها: المصاحبة، الاقتران الثنائي، والرَّصف، والتَّضام، والعلاقات التركيبية.

كما وجدنا أن ظاهرة «**الاقتران الثنائي**» لا تقتصر على مستوى واحد في اللغة، بل تتوزع على مستويات اللغة جميعها، منها: الاقتران الصَّوتي، والاقتران المعجمي، والاقتران النَّحوي، والاقتران البلاغي.

وسيأتي الفصل الثاني ليبين المظاهر الدلالية لظاهرة «**الاقتران الثنائي**» بعد أن استابنت لنا معالمها ومظاهرها اللغوية.

الفصل الثاني

الاقتران الثنائي ومظاهره الدلالية

المبحث الأول

المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي عند القدماء

أولا: المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي عند المفسرين.

ثانيا: المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي عند البلاغيين.

ثالثا: المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي عند الأصوليين.

رابعا: المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي عند الفقهاء.

أولاً: المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي عند المفسرين:

لقد اعتنى علماء التَّفسير بدراسة القرآن الكريم عناية فائقة، وبذلوا في سبيل ذلك جهودا مضنيَّة من أجل معرفة مكان وزمان نزوله، لفهمه فهماً صحيحاً، ولن يتأتَّى هذا الفهم المراد لنصوصه إلاّ بمعرفة جملة من علومه، يستعين بها المفسِّرون للوصول إلى مراد الشَّارع من كلامه، وهي علوم كثيرة وعديدة مبثوثة في كتب علوم القرآن، تشكَّلت من مصطلحات أغلبها جاءت في شكل ثنائيَّات لفظية مقترنة ومتلازمة، قريبة في الشَّكل والمعنى مما أطلقنا عليه اسم (**الاقتران الثنائي**) دون أن يقصدوها بالدِّراسة كظاهرة لغوية، وإنَّما استعملوها كآلية ووسيلة يلجون من خلالها إلى النَّص القرآني، يبحثون من خلالها عن معانيه ودلالاته. ومن هذه العلوم المتناثرة في الدراسات القرآنية وكتب التفسِّير ما يُعرف بـــ(المكِّي والمدني، النَّاسخ والمنسوخ، العام والخاصّ، والمطلق والمقيَّد، والخاصُّ والعام...).

وانطلاقاً من هذه الإشارات البسيطة، سأقف عند مجموعة من هذه العلوم، التِّي أراها في نظري تشكل لنا مظهراً للاقتران الثُّنائي -موضوع دراستي- محاولاً معرفة كيف استعمله المفسرون في تفاسيرهم المختلفة للوصول إلى معرفة مراد الله تعالى ومقصده من كلامه في كتابه العزيز، واستنباط أحكامه وحِكَمِه، وتفسير شرائعه وبيانها للنَّاس.

أولاً: المكي والمدني:

في البداية ينبغي أن أشير إلى أنَّني أقصد بثنائية (**المكي والمدني**)، تلك السُّور القرآنية التي جَمَعَت في طياتها آيات مكيَّة وأخرى مدنيَّة، فمعرفتها وتحيينها تُعين المُفَسِّر وتُيَسِّرُ عليه «تفسير الآيات القرآنية تفسيراً صحيحاً، إذ يستطيع المفسِّر عند وقوع التَّعارض بين بعض معاني الآيات، التَّمييِّز بين النَّاسخ والمنسوخ مثلاً، فإنَّ المتأخِّر يكون ناسخاً للمتقدم »[1]، كما تُسهِّل عليه فهم السِّياقات المختلفة التي ترد فيها هذه الآيات القرآنية؛ كالسِّياق الزَّماني، والمكاني والتَّاريخي. ومعرفة هذه السِّياقات، ومعها المكِّي والمدني، تُمَكِّن المفسِّر من الإطلاع على كثير خصائص التَّشريع الإسلامي؛ كالتَّدرج في الأحكام والشَّرائع، وانتقال بعض الأحكام تدريجيًّا من الكراهة في الآيات المكيَّة، إلى التَّحريم في الآيات المدنيَّة، كما تكشف له أيضاً مزايا أسلوب القرآن المكِّي والمدني وخصائصه.

[1]-مناع القطَّان: مباحث في علوم القرآن: ط3، سنة 2000، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية. ص59.

تجدر الإشارة في هذا الموضوع أن أعظم ما يشير إليها (**المكي والمدني**) هو تعليم الدعاة والمربين فن التعامل مع الخصوم والمعاندين؛ فهو فن أو لنقول أسلوب «يشتدُّ ويلين، يجمل ويفصل، يَعِدُ ويتوعد، يرغب ويرهب، يطنب ويوجز، حسب أحوال المخاطبين وهذا في حدِّ ذاته مظهرٌ من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم »[1].

كما يُعتبر القرآن (**المكي والمدني**) مرآة عاكسة لسيرة الرَّسُول ﷺ وأحواله وأحوال أصحابه من حوله وخصومه أيضاً، فالقرآن المكِّي صَوَّر لنا جانباً من هذه السِّيرة الطَّاهرة في مكة المكرمة، وفي المقابل قدَّم لنا القرآن المدني كيف تطورت هذه الصُّورة في المدينة المنورة. وعليه يمكن لنا القول أنَّ القرآن الكريم بمكيه ومدنيه هو«المرجع الأصيل لهذه السِّيرة، الأمر الذي لايدع مجالاً للشَّكِّ فيما روي عن أهل السَّير موافقا له، ويقطع دابر الخلاف عند اختلاف الروايات»[2]. فـــ(**المكي والمدني**) بهذه الدَّلالة مُلْهِمٌ لكثير من الدَّارسين والباحثين، خاصَّة منهم المؤرخين وعلماء السِّير لوضع كُتُبٍ خاصة بالسِّيرة العطرة انطلاقا من القرآن الكريم مكيّهُ ومدنيّهُ. ومن صُوَّر اقتران (**المكي والمدني**) ومظاهره ما يلي:

أ_ اقتران آيات مكيَّة بسور مدنية: قد لا توصف الآية القرآنية الواحدة بكونها مكيَّة أو مدنيَّة بأكملها؛ لأنَّنَا كثيراَ مانجد في سورٍ مكيَّةٍ مَا بعض الآيات المدنيَّة، كما نجد في سورٍ مدنيَّةٍ مَا بعض الآيات المكيَّة، ولكنَّه كما يقول مناع القطان: «وَصْفٌ غالبٌ حسب أكثر آياتها...، فقد تأتي في التَّسميَّة: سورة كذا مكية إلاَّ الآية كذا فإنَّها مدنيَّة، وسورة كذا مدنية إلاَّ الآية كذا فإنها مكيَّة»[3]. فمجيء بعض السُّوَّر المكيَّة تحتوي على آيات مدنية، أو مجيء بعض السُّوَّرِ مدنيَّة تحتوي على آيات مكية، يُعتبر من منظورنا اقتراناً ثنائياً لهذه الآيات بالسُّوَّر التي وردت فيها.

والناظر في المصحف الشريف يجده قد حَفَلَ بكثير من هذه السور التي تُعَبِّرُ عن هذه الظاهرة، فنجد مثلاً سورة «الأنفال» وهي سورة مدنيَّة، استثنى منها العلماء قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾** ﴾ **[الأنفال: 30]**. قال مقاتل يُبَيِّن معنى هذه الآية فيقول: «الآية نزلت بمكة، والسِّياق الذي وردت فيه يدلُّ على

---

[1]-فهد بن عبد الرحمن بن سلمان الرومي: دراسات في علوم القرآن: ص: 146.

[2]-مناع القطَّان: مباحث في علوم القرآن، ط3، سنة 2000، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.ص 59.

[3]-المرجع نفسه: ص: 45.

ذلك، حيث تضمنت تلك الأحداث والمؤامرة التي دبَّرها قريش بدار النُّدوة ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه»[1]. غير أنها دُوِّنت في سورة الأنفال وهي مدنية للدلالة على أنَّ المكر والخديعة في نفوس أعداء الإسلام مستمرة غير محدودة، انطلقت من مكة ووصلت إلى المدينة. بدليل استعمال صيغة المضارع في «**يمكرون**» للدلالة على استمرار بغضهم وكرههم للإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام، ، فالنفوس الحاقدة على الإسلام لا يحدُّها مكان أو زمان، فهي مستمرة في حقدها على الإسلام ونبيِّه عليه الصلاة والسلام، ولكن رغم هذا الحقد الظاهر منه والدفين فإنَّه إلى زوال واندثار بإذن الله تعالى،قال سبحانه﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾[الفجر: 14].

ب_ اقتران آيات مدنية بسور مكية: نجد مثال هذا الاقتران مثلاً في سورة (الأنعام)، فهي سورة مكيَّة بالاتفاق، يقول ابن عباس: «أنَّها نزلت بمكة ليلاً جملة واحدة، إلاَّ ست آيات من السورة نزلت بالمدينة وهي: ثلاثاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنعام: 91، 92، 93].وقوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [الأنعام: 151، 153].وسورة الحج كلها مكية سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة المنورة، وهي من أوَّل قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾ [الحج: 19. 21].

جـــ _ ما نزل بمكة وحكمه مدني:

أي اقترن مكان النزول بالحكم الوارد في الآية، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[الحجرات13]. فهي «مكية باعتبار مكان النُّزول إذ نزلت بمكة يوم الفتح، ومدنية باعتبار زمن النُّزول؛ لأنَّها نزلت بعد الهجرة»[2]، وقد جاء هذا النَّوع من الاقتران في هذه الآية للدَّلالة على ذلك الوجود البشري الكبير المتنوع في أعرافه، وألوانه، ولغاته وثقافته، في مكة أو المدينة أو غيرهما من أرجاء السَّماوات والأرض، يرجع إلى أصل واحد، وخالقهم هو إله واحد. وقول الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ ۚ

---

[1]-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تح: محمود بم الجميل، ط1، 2013، مؤسسة زاد، مصر، ج2، ص424.

[2]-جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، دط، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص49.

دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: 3]، فقد نزلت هذه الآيات «يوم الجمعة والناس وقوف بعرفات، فبركت ناقة النبي ﷺ من هيبة القرآن»[1]. فهي مكية باعتبار مكان نزولها، مدنية باعتبار زمان نزولها؛ لنزولها بعد الهجرة، للدلالة على أنَّ هذا الدِّين قد كَمُلَ، فلا يحتاج إلى زيادة أبدًا، وأَتَمَّ نعمه الظاهرة منها والباطنة على عباده، ومنها الإسلام الذي رضيَّه لهم دينًا خَاتماً وشريعة محكمة.

د_ ما نزل بالمدينة وحكمه مكي:

ويمثل له العلماء بسورة (الممتحنة)،التي نزلت بالمدينة، فهي مدنية باعتبار المكان، ولكن الخطاب في آياتها موجَّه إلى مشركي مكة،وكذلك بداية سورة(براءة)حيث نزلت بالمدينة، والخطاب فيها لمشركي مكة[2].

ومثل هذا النوع من القرآن لا يسميه العلماء مكيا، كما لا يسمونه مدنيا على وجه التحديد والتعيين، بل يطلقون عليه اسم: ما نزل بمكة وحكمه مدني، أو ما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وهذا النوع من النزول هو مظهر في حد ذاته للاقتران الثنائي بين القرآن المكي والمدني، حيث نلاحظ مجيء آيات قرآنية مكية بسور مدنيَّة، فتكون السورة القرآنية الواحدة وهي مدنية النزول، قد جمعت في ثناياها أحكاماً مكية، وفي المقابل قد تأتي سور مكية وقد حوت على أحكام مدنية. وهذا الاقتران الثنائي بين هذه السور القرآنية وآياتها المكية منها والمدنية، قد أضفى على القرآن قوة وتمكنا من ناحية المعنى، والشمول وسعة الدراية بأحوال العباد والإحاطة بهم في كل مكان وزمان.من ناحية مكان النزول.

ثانيا: العام والخاص:

يتميَّزُ الخطاب القرآني خاصة التَّشريعي منه بمجموعة من الخصائص؛ من أبرزها مجيء الحكم الشرعي مخاطباً المكلفين خطاباً شاملاً أحياناً؛ فيشملهم جميعًا، وينطبق على جميع أحوالهم لغايةٍ أرادها الشَّارع الحكيم، وأحياناً أخرى قد يأتي الحكم الشَّرعي، فيخاطب به حالات خاصَّة محصورة في نطاق معيَّن، وهذا التَّلون في الحكم الشَّرعي يُعبَّرُ به عن مظاهر الإعجاز في كلام الله تعالى، من ناحيَّة، للدَّلالة على قوة اللغة وشجاعتها، التي جاء بها الخطاب التَّكليفي واتِّساع مادَّتها اللُّغوية،

---

[1]-بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، مكتبة دار التراث القاهرة مصر، ص: 195.

[2]-جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص: 49.

ومراعاته لأحوال المخاطبين، وإقرارا لمبدء التَّيسير ورفع الحرج عنهم من ناحية أخرى. وعليه فقد وردت في القرآن الكريم نماذج كثيرة لِتَلَوُّن الخطاب الشَّرعي بين العموم والخصوص، وسنتوقف في هذا المقام عند بعض النَّماذج القرآنية التي نراها تمثِّل هذه الظَّاهرة اللغوية:

أ_ **العام المراد به الخصوص:** وهو عبارة عن ورود نص قرآني فيه لفظ دالٌّ على العموم، ولكن المراد به مخصوص بعينه لوجود قرينة صرفته من العام إلى الخاص، كما في قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ**﴾ [آل عمران: 173]، فالخطاب في الآية وقع عامّاً «يقتضي دخول جميع النَّاس في اللَّفظين جميعاً، غير أنَّ المراد به بعض النَّاس؛ لأنَّ القائلين غير المقول لهم»[1].

والمراد بالأوَّل كما يذكر الإمام الطاهر بن عاشور: «نعيم بن مسعود الثقفي، والمراد بالثَّاني: أبو سفيان وأصحابه»[2].

قال الزركشي:«ومما يقوي أنَّ المراد بالنَّاس في قوله تعالى:« **إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ** »،واحد قوله تعالى:﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ** ﴾[آل عمران: 175]،وقعت الإشارة بقوله «**ذَٰلِكُمۡ**» إلى واحد بعينه، ولو كان المعنى به جمعاً لكان«إنَّما ذلكم الشَّياطين"فهذه دلالة ظاهرة في اللَّفظ»[3].ولذلك جعلوا الآية شاهداً على استعمال النَّاس بمعنى الواحد.

ويدلُّ على هذا قوله تعالى:« **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ** »[آل عمران: 175].فوقعت الإشارة بقوله «**ذَٰلِكُمۡ**» لفظاً عاماً إلاَّ أنَّه لم يرد به إلاَّ لفظاً مخصوصاً بعينه وهو في الآية "الشَّيطان"[4]. ومثاله أيضاً قوله تعالى:﴿ **فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ** [آل عمران: 39].والمنادي جبريل -عليه السلام- كما في قراءة ابن مسعود.وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ** ﴾ [البقرة: 199].والمراد بالناس إبراهيم عليه السلام، أو سائر العرب غير قريش.

---

[1]-بدر الدين الزركشي:البرهان في علوم القرآن، ج2، ص220.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: المجلد الثاني. ص169. البرهان في علوم القرآن، ج2، ص220.

[3]-بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ج2. ص220.

[4]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ومن اقتران العام بالخاصِّ ما مثَّلَ له بدر الدين الزركشي بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾ [الحجرات 04]، قال الضحاك هو: الأقرع بن حابس.فقرن في التعبير عن الخاص بالعام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران 97].فقد قرن في الآية لفظ النَّاس وهو حكم عام استغرق جميع الأفراد، بحكم الخاص؛ لأنَّ حكم وجوب الحج لا يتناول إلاَّ المستطيع منهم خاصة[1].

ومثَّلَ له أيضاً بقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [البقرة 187]، فقد جاء الأمر بالأكل والشرب عاماً، ثم حدَّدَه، أوخصَّصَه بوقت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187] [2]. ويتفرع عن هذا اقتران العام بالخاص فروع منها:

1_ عام مخصوص بالاستثناء:

كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ [النور: 1].فالخطاب جاء عامًّا لكل مَن سولت له نفسه قذف المحصنات، ثمَّ رتَّبَ عليه عقاباً ماديًّا، وهو الجلد ثمانين جلدة، وعقاباً معنوياً تمثَّلَ في ردِّ شهادتهم، وعدم قبولها، ثمَّ استثنى منهم التَّائبين، وهذا الاستثناء نوع من أنواع التَّخصيص وهو الذي يُسَمَّى: " التَّخصيص بالاستثناء"، ومنه وقع الاقتران بين العام والخاصِّ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المائدة الآية 33،34].وفي قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص الآية 88]،وكذلك في قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [النحل: 106].

---

[1]-بدر الدّين الزركشي: البرهان في علوم القرآن:ج2. ص221.

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2_ اقتران العام المخصوص بالغاية:

والمراد بالغاية: «نهاية الشَّيء المقتضية لثبوت الحكم قبلها، وانتفائه بعدها، ولها لفظان: (حتى) و(إلى)» [1] كقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ [البقرة: 222]. فقد نَهَى الله تعالى عن قرب الحائض، وأمر باعتزالها مدَّة حيضها، وقد جاء النَّهيُ في الآية عاماً ثم حدَّدَ له حدٌّ و لم يبقه على استمراره، فجعل له غاية، وغايته الطَّهارة منه فَخُصِّصَ بها. فالنَّهي المخصَّص بالغاية في الآية ليس لذات الحائض، وإنَّما للدَّلالة على ما يترتَّب عليه من أذي.ومثاله قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾[المائدة 6].

فقد ورد في هذا النَّص الأمر بغسل الأيدي عند القيام للصَّلاة عَامًّا دون تحديد المقدار الواجب غسله، إلاَّ أنَّه قرنه بتحديد المقدار الواجب غسله، للدَّلالة على تحديد غاية الغسل، وقد حدَّده بلفظ (**إلى المرافق**)، فكان هذا الاقتران دالاً على الحدِّ الواجب غسله من العضو المغسول. ويدلُّ على هذا قوله تعالى: « **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ** »[آل عمران: 175].فوقعت الإشارة بقوله «**ذَٰلِكُمْ**» لفظاً عَامّاً، إلاَّ أنَّه لم يرد به إلاَّ لفظاً مخصوصاً بعينه وهو في الآية (الشَّيطان)[2]. ومثاله أيضاً قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾ [آل عمران: 39].والمنادي جبريل -عليه السلام- كما في قراءة ابن مسعود. وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة: 199]. والمراد بالنَّاس هنا إبراهيم -عليه السلام- أو سائر العرب غير قريش.

3_ العام مخصوص بالصفة:

كقوله تعالى: ﴿ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ [النساء: 23]. فلفظ (نِسَائِكُم) في الآية دلَّ على حكم عام، شمل جميع الزَّوجات المدخول بهنَّ وغير المدخول بهنَّ، إلاَّ أنَّه خصص هذا العموم بوصف«**ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ** ». [3] فلفظ (دخلتم بهنَّ) قيْدٌ في تحريم الزَّواج بالرَّبائب التي تمَّ الدُّخول بأمهاتهنَّ، وهو في الوقت نفسه يشير إلى أنَّ مجرد العقد

---

[1]-بدر الدّين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ج2. ص541،

[2]-بدر الدّين الزركشي: البرهان في علوم القرآن: ج2. ص220.

[3]-فهد بن عبد الرحمن بن سلمان الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم، ط14، الرياض، السعودية، ص541.

لا يحرم الزَّواج بها، ما لم يدخل بأمها، فإذا دخل بأمها حُرمت عليه ابنتها.

4_ اقتران العام المخصوص بالشَّرط:

نحو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: 12]. فقد جاء في الآية لفظ (**أَزْوَاجُكُمْ**) «عامٌّ يشمل ذات الولد وغيرها، ثُمَّ خُصِّصَ هذا العام بالشَّرط (**إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ**)» [1]، فقد اجتمع في الآية لفظ عامٌّ اقترن بلفظ خاص عن طريق صيغة الشَّرط، للدلالة على أنَّ الزَّوجة التِّي يرث الزَّوج نصف مالها، شرطها أن تكون غير ذات ولد، فإن كان لها ولد، فنصيب الزَّوج يتناقص إلى الرُّبع. ومثاله أيضاً قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة 180].فلفظ « **أَحَدَكُمُ** » عام دلَّ على وجوب الوصيَّة لمن ترك خيراً، إلاَّ أنَّه خُصِّصَ بالشَّرط في قوله تعالى: «**إِنْ تَرَكَ خَيْراً**».

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: 33]، فالاسم الموصول(**الَّذِينَ**) من ألفاظ العموم، فقد أمر الله في الآية بمكاتبة كل من أراد الحرية ليصبح حرًّا، ولكن هذا العام خُصِّصَ في هذه الآية بشرط«**إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا**» أي باستطاعته أن يسدَّ وأن يعمل. فبين الاسم الموصول (الذين) وشرط الحجِّ (الاستطاعة) اقتران ثنائي.

5_ اقتران العام المخصوص ببدل البعض من الكل:

نجد ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة 71]، فقوله تعالى«**ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا**» يفيد العموم وخصص ببدل البعض[2] في قوله تعالى: «**كَثِيرٌ مِّنْهُمْ**» للدَّلالة على أن هذا الاقتران ورد في باب بدل البعض من الكل، كما يقول النُّحاة. ومنه أيضًا قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران

---

[1]-فهد بن عبد الرحمن بن سلمان الرومي ص540.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

97].فلفظ (**النَّاسِ**) في الآية يفيد العموم غير أنَّه خُصَّ بالبدل «**مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**» للدلالة على بدل البعض من الكل.

ب_ اقتران الخاص المراد به العموم:

كقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ** ﴾ [الطلاق: 1]، فالخطاب في الآية خاص موجه للنبي ﷺ ولكن دال لكل من يملك الطلاق[1]، ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأحزاب 50]. قال أبو بكر الصيرفي[2] (ت 330هـــ): كان ابتداء الخطاب له، فلمَّا قال في الموهوبة ، عُلِم أنَّ ما قبلها له ولغيره ﷺ[3].

جـــ _ النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط:

ومثالها في سياق النَّفي قوله تعالى: ﴿ **فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ** ﴾ [البقرة: 197]. نلاحظ اقتران (الرَّفث، والفسق، والجدال) وهي ألفاظ نكرة في سياق النَّفي، للدلالة على أنَّ هذه الأشياء ممنوعة في في كل زمان ومكان، ويتأكد منعها في الحجِّ؛ لأنَّ المقصود من الحجِّ الذل والانكسار لله والتَّقرب إليه بما أمكن من الطَّاعات، والتَّترُّه عن مقارفة السيئات، ليكون حجاً مبروراً. وقوله تعالى: ﴿ **لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** ﴾ [الصافات: 47]. نلاحظ أيضا اقتران (غول) الذي هو ذهاب العقل وفساده بـــ(ينزفون) بمعنى يسكرون بشرب خمر الجنَّة. وقد وردت اللَّفظتان «نكرتين في سياق النَّفي للدلالة على تنزيه خمر الجنَّة عن الآفات التِّي هي في خمر الدنيا»[4] والمعن ﴿ **خَالِصَةً لَّكَ** ﴾[الأحزاب: 50] «بيليس فيها ما يغتال عقولهم فيفسدها، ولا هم يسكرون بشربها كما تفعل خمر الدنيا»[5]. وقد

---

[1]–بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 218.

[2]–هو أبو بكر محمد بن عبد الله الفقيه الشافعي،المعروف بالصيرفي، بغدادي له تصانيف عديدة في أصول الفقه،توفى سنة 330هـــ.

[3]–بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص 218.

[4]–ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج3. ص179.

[5]–محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج3، ط1، 1995، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص25.

أفاد هذا الاقتران (النَّكرة في سياق النَّفي) العموم. ومثالها في النَّهي قول الله تعالى﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة: 84].فقد ورد لفظ (أحد) بعد نهي واقترن به، فأفاد الاقتران بينهما العموم. ومثالها في الشَّرط قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ [التوبة: 6]، ورد في الآية لفظ (أَحد) وهو نكرة بعد شرط، واقترن به فأفاد الاقتران بينهما العموم.

د_ اقتران الخاص بالعام في الكلام:

قد يقترن في الكلام لفظان يكون أحدهما خاصاً والآخر عاماً، «وذلك نحو قولهم لمن أعطى زيداً درهما: أعط عمراً، فإن لم تفعل فما أعطيت. يريد: إن لم تعط عمراً، فأنت لم تعط زيداً أيضاً، وخَرَّجَ ابن فارس (395هـ) على هذا المثال قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: 67]. قال: «هذا خاصٌّ، يريد هذا الأمر المحدَّد تبليغه، «**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ**» لم تبلِّغ هذا، « **فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ**» يريد جميع ما أرسلت به»[1]. فاقتران الخاصُّ بالعامِّ في الآية دلَّ على أنَّ الرَّسُول ﷺ مأمور بأن يُبَلِّغَ جميع ما أرسل به من الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:67]

ذ_ ذكر الخاص بعد العام:

ومثاله قول الله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة: 238]، فجاء الأمر بالمحافظة على الصلاة عاماً، ثمَّ خصص من هذا العام بالصَّلاة الوسطى. فقرن في الآية بين الصلوات الخمس وبين صلاة العصر. ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الأعراف:170]نلاحظ في الآية أنَّ الله تعالى أمر بأمرين ثم قرن بينهما؛ فقد أمر بالتَّمسُّك بالكتاب، وهذا الأمر شاملاً بحيث يشمل كل العبادات، ولكنَّه سبحانه خص الصلاة بالذِّكر إظهاراً لفضلها، فهي عماد الدين وركنه الركين، فلا دين لمن لا صلاة له كما يقولون.

ثالثا: التفصيل بعد الإجمال:

وصورته أن يأتي في النص القرآني خطابان أحدهما مجمل والآخر مفصَّل، فيكون التَّفصيل بعد

[1]-أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها. مطبعة البابلي الحلبي القاهرة. ص455.

الإجمال، للتَّشوق إلى معناه، وحفظه في النَّفس وذكره، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة 36]. فقد ذكر الله تعالى في الآية عدَّة الشُّهور مجملة، ثم فصَّلَه بتحديد أربعة منها حُرُم. وعكس ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة 196]. فقد فصَّل سبحانه وتعالى أولاً في حكم من عجز عن الهدي، و لم يجد من يسلِّفُهُ، فإنَّه يصوم ثلاثة أيام في الحجِّ وسبعة بعد الرجوع من منى إلى مكة أو إلى أهله، ثمَّ أجمل ثانياً هذا العدد في قوله: (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ)

ومن الإجمال بعد التَّفصيل قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف 142].فقد فصَّلَ سبحانه وتعالى أولاً في أيام المواعدة بقوله: «وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ » ثم أجملها في قوله «فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» وإن كان معلوماً من (الثلاثين) و(العشرة) أنَّها أربعون؛ إلاَّ أنَّ الله تعالى أعادها مجملة لنفي اللُّبس؛ لأنَّ (العشر) لما أتت بعد (الثلاثين) التي هي نصٌّ في المواعدة دخلها الاحتمال أن تكون من غير المواعدة، فأعاد ذكر (الأربعين) «نفياً لهذا الاحتمال، وليُعلم أن جميع العدد للمواعدة»[1].

ثالثا: الناسخ والمنسوخ:

يُعرَّفُ النسخ بأنَّه عبارة عن رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر، يقول الباقلاني (ت403هـ) هو: «رفع الحكم الشَّرعي بعد ثبوته واستقرار فعل وقته وتنفيذ موجبه»[2] أي أنَّ النَّاسخ رَفَعَ استمرار العمل بالحكم السَّابق، وعرفه الغزالي بأنَّه الخطاب الدَّال على ارتفاع الحكم الثَّابت بالخطاب المتقدِّم على وجه لولاه لكان ثابتاً، مع تراخيه عنه. وعند الشَّوكاني: رفع حكم شرعي بمثله مع تراخيه عنه[3].

فيظهر مما تقدَّم أنَّ النَّاسخ نص أو حكم جديد، جاء ليرفع الحكم الأوَّل أو ينسخ النَّص الأوَّل ويعوِّضه بحكم جديد ونص آخر، ويكون الحكم الجديد بدلاً عن الأوَّل، لقوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ

---

[1]-بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص478.

[2]-القاضي الباقلاني: التقريب والإرشاد،تح:عبد الحميد علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة،بيروت،ج3، ط1. 1998. ص76.

[3]-وهبة الزحيلي: أصول الفقه الإسلامي، ج2، دط، دار الفكر الجزائر، دار الفكر دمشق سوريا.ص934.

ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ ﴾ [البقرة: 106]، وقد دلّت ظاهرة النَّسخ في القرآن على منتهى حكمة الله تعالى، لتحقيق مصالح عباده، والرَّحمة بهم في تشريعه للأحكام والشَّرائع، إذ الشَّريعة مبناها قائم على تحقيق المصالح وجلبها، ودرء المفاسد. والنَّسخ بهذا المفهوم أنواع تمثل جميعها مظهرا للاقتران الثنائي، منها:

أ- نسخ الحكم وبقاء التلاوة:

ومفهومه أنَّ الله تعالى أنزل في كتابه الكريم بعض الآيات ذوات الأحكام، ثم نسخت هذه الأحكام فلم يعمل بها، وبقيت تلاوتها ثابتة في المصحف.كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المجادلة: 12، 13] فقد شرع الله في الآية ما تعرف بـــ(صدقة المناجاة) وجعل سبيلها مناجاة الرسول ﷺ. يقول ابن عباس ﷺ: «إنَّ صدقة المناجاة شُرعت قبل شرع الزَّكاة، ثم نسخت بوجوب الزكاة» وهو الظَّاهر في قوله تعالى: « فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ »، فجمع الله في الآية بين صدقة المناجاة المنسوخة وفريضة الزَّكاة الثَّابتة، وبقيت هذه الآية تتلى في القرآن الكريم، ونسخ الحكم وبقاء التَّلاوة للدلالة «على بقاء الإعجاز ببلاغة الآية»[1].

ب_ نسخ الحكم إلى بدل:

يمثل العلماء لهذا النَّوع من النَّسخ بقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ﴾ [البقرة: 187].فهي ناسخة لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾[البقرة: 183]؛ لأنَّ مقتضى هذه الآية الأخيرة أن يكون الصِّيام موافقاً لما كان عليه السَّابقون، وقد ذكروا أنَّهم كانوا «يأكلون ويشربون ويباشرون نساءهم ما لم يناموا أو يصلوا العشاء فإذا ناموا وصلوا العشاء لم يجز لهم شيء من ذلك إلى الليلة القابلة. فقد روى أن بعض الصَّحابة ومنهم عمر وكعب بن مالك قد أصابوا من نسائهم بعد ما ناموا، أو نامت نساؤهم، وشقَّ عليهم ذلك، وشكوا للنَّبي ﷺ». فأنزل الله الآية الكريمة: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المجلد الأول، ص663.

ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ [البقرة: 187] [1].

فكان النَّسخ إلى بدل وهو نسخ من الأثقل إلى الأخفِّ، للدَّلالة على تيسير ورفع الحرج، والمشَّقة على المكلَّفين. فالحكم المنسوخ وحكمه مقترنان في الآية اقتراناً ثنائيًّا، غير أنَّ أحدهما منسوخ والثَّاني ثابت مذكور.

رابعاً: المطلق والمقيد:

تَرِدُ بعض الأحكام التشريعية في آيات القرآن الكريم، تارة مطلقة غير مقيَّدة بقيد، وترد أحكاماً أخرى مقيَّدة بوصف أو شرط، وإطلاق اللَّفظ تارة وتقييده تارة أخرى عُدَّ من بلاغة الكلام وبيانه.

ويقصد بالمطلق:ما دلَّ عل الحقيقة بلا قيد، فهو يتناول واحداً لا بعينه من الحقيقة،يعرفه الزركشي فيقول:«ما دلَّ على الماهيَّة بلا قيد من حيث هيَّ هيَّ»[2]ويقصد بالمقيد:«ما دلَّ على ماهيَّة بقيد»[3]وفي هذا الموضع يبرز لنا الاقتران الثُّنائي بين لفظي المطلق والمقيد، وأمثلته في القرآن عديدة منها:

الرقبة المقيدة بالإيمان في كفارة القتل:

في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: 92]. فقد أوجب الله تعالى في كفَّارة القتل تحرير رقبة، ولم يتركها على إطلاقها، بل قيَّدها بالإيمان وقرنها به، وهذا التَّقييد شرط في صحَّة كفَّارة القتل. «لتعويض النَّفس المؤمنة التِّي قتلت، وفقدها الإسلام»[4]، بدليل ما رواه مالك في الموطأ في كتاب العتاقة والولاء «عن ابن شهاب عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنَّ رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ بجارية سوداء، فقال يا رسول الله إنَّ عليَّ رقبة مؤمنة فإن كُنْتَ تراها مؤمنة أعتقُهَا، فقال لها رسول الله ﷺ أتشهدين أن لا إله إلاَّ الله؟ قالت نعم، قال أتشهدين أنَّ محمداً رسول الله؟ قالت نعم. فقال رسول الله ﷺ أعتقها» [5]. واعتماد الشَّريعة لهذا

---

[1]-يوسف القرضاوي: فقه الصيام، ط2، 1995، دار الانتفاضة للنشر الجزائر، ص: 21.

[2]-الزركشي: البحر المحيط، ج5، ص5.

[3]-الشوكاني: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ص164.

[4]-سيد قطب: في ظلال القرآن، ج2، ص736.

[5]-مالك بن أنس: كتاب الموطأ، ط 2/ 1981، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، ص: 666.

النوع من الكفَّارات، يشير إلى حرص الإسلام على تعميم الحريَّة بكيفيات منتظمة، بإيجاد أسبابها ككفارة القتل المذكورة في الآية. وقد نبهت بهذا النَّمط من الاقتران كما يذكر الطاهر بن عاشور«إلى أنَّ الحرية حياة والعبودية موت، فمن تسبَّب في موت نفس حيَّة، كان عليه السَّعي في إحياء الميتة وهي المستعبدة»[1].

حمل المطلق على المقيد:

كما هو الشأن في كفارة الظهار، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾[المجادلة: 3].وفي كفارة اليمين في قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ ﴾ [المائدة: 89].اشتراط الإيمان في الرَّقبة بتقيِّيدها بالرَّقبة المؤمنة كما بيَّنته آية كفَّارة قتل الخطأ، في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ ﴾[النساء: 92].وبه قال المالكية وكثير من الشَّافعية وهذا من باب حمل المطلق على المقيد، وعليه فلا تجزئ الرَّقبة الكافرة في كفارة الظِّهار واليمين؛ لأنَّ كلام الله تعالى متَّحد في ذاته، لا تعدُّدَ فيه، فإذا نصَّ على اشتراط الإيمان في كفارة القتل، كان ذلك تنصيصاً على اشتراطه في كفارة الظِّهار.وعليه فبين الإيمان وكفارة القتل أو الظِّهار اقتران ثنائي لاينفك أحدهما عن الآخر.

اقتران السبب والحكم:

ويمثلون له بالصيام في كفارة اليمين، فقد جاء مطلقاً في القراءة المتواترة في قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡ ﴾ [المائدة: 89]، وجاء مقيَّداً بالتَّتابع في قراءة ابن مسعود: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات»، فاقترن في هذه القراءة المطلق وهو الصِّيام دون تحديد، ثمَّ قُيِّدَ في قراءة ابن مسعود بثلاثة أيَّام متتابعة. وعلى هذه القراءة حمل العلماء المطلق على المقيَّد؛ لأنَّ السَّبب الواحد لا يوجب المتنافيين، ولهذا قال قوم بالتَّتابع، ومنهم أبو حنيفة النُّعمان وسفيان الثَّوري وهو أحد أقوال الشَّافعي، وخالفهم من يرى أنَّ القراءة غير المتواترة – وإن كانت مشهورة– ليست حجَّة، فليس هنا مقيَّد حتَّى يُحمل عليه المطلق، والخلاف مبسوط في كتب الأصول والفقه.

---

[1]– الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: المجلد الثاني، ص159.

ثانيا: المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي عند البلاغيين:

إذا كان علم الدلالة أحد علوم اللغة وفرعا من فروعها كما بيَّنَه العلماء حديثاً؛ فهو «العلم المختص بدراسة معاني الألفاظ والعبارات والتراكيب اللغوية»[1]، أو هو«العلم الذي يتناول بالبحث والدراسة نظريَّة المعنى، أو هو العلم الذي يدرس المعنى، أو هو ذلك الفرع الذي يدرس الشُّروط الواجب توافرها في الرَّمز حتَّى يكون قادراً على حمل المعنى»[2]، سواء كان هذا الرَّمز عبارة عن لفظ مفرد أو مركَّب، فموضوعه الأساسي إذن هو دراسة المعنى على مستوى أصغر وحدة دلالية حاملة له وهي الكلمة، أو على مستوى أكبر وحدة دلالية حاملة للمعنى، ألاَ وهي التَّركيب أو العبارة أو حتى النَّص والخطاب، فإنَّنا نجد في المقابل قد تَنَاوَلَ بالدِّراسة المعنى نفسه، وبَحَثَ في مدلولاته على مستوى الكلمات المفردة أو على مستوى العبارات والتَّراكيب اللَّفظية ومعانيها، من خلال المباحث البلاغيَّة المعروفة، من بيانٍ ومعانٍ وبديعٍ، وقد ظهرت من خلال هذه المباحث بعض المصطلحات البلاغية في شكل مقترنات ثنائية تعبِّر عن روعة وجمال اللُّغة العربية، نتوسل بها للوصول إلى معاني هذه الثُّنائيَّات المقترنة، وأسرار اقترانها وبلاغة أسلوبها وجمال عباراتها.

وسأحاول في هذا المبحث أن أقف عند مجموعة من القضايا البلاغية، مكتفيًّا ببعض النَّماذج الكاشفة عن دلالة الاقتران الثُّنائي، في أبوابها الثَّلاثة منها: **المعاني، والبيان، والبديع، كما يلي:**

أوَّلاً:: دلالة الاقتران الثنائي في علم المعاني:

ومن خلال تتبع مباحث هذا الباب في البلاغة العربية يظهر لنا أنَّ بعض هذه الأبواب عبارة عن مظاهر وألوان للاقتران الثُّنائي منها:

المسند والمسند إليه:

يعتبر المسند والمسند إليه ركنين أساسيين لكلِّ جملة عربية، «فالمسند محكوم به أو مخبر به، والمسند إليه محكوم عليه أو مخبر عنه»[3]، والعلاقة التي تجمع بينهما تسمَّى الإسناد، وعليه فإن الإسناد هو عبارة عن انضمام أو اقتران كلمة (المسند) أو ما يجري مجراها بأخرى (المسند إليه) أو ما يجري

---

[1]-مبارك مبارك: معجم المصطلحات الألسنية: فرنسي، انجليزي، عربي، ط1، 1995، دار الفكر، بيروت، لبنان.ص218.

[2]-أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط5، 1998، عالم الكتب، القاهرة.ص11.

[3]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 35. انظر: أساليب بلاغية، لأحمد مطلوب، ص: 133. 136.

مجراها، «على وجه يفيد الحكم بإحداهما على الأخرى ثبوتًا أو نفيًا»[1]. نحو قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[التوبة: 68]. فقد أسند الوعد في الآية إلى الله تعالى، فلفظ الجلالة (الله) مسند إليه، (والوعد) مسند. فبين لفظ الجلالة والوعد اقتران ثنائي، دلَّ بصيغتة الماضية على إخبارٍ عن وعيد تقدَّم، وَعَدَهُ الله لهم تذكيراً به لزيادة تحقيقه، وإمَّا إشعاراً بأنَّه وعيد لا يتخلَّف كالعقد والالتزام.

ومن مظاهر دلالة الاقتران الثُّنائي في المسند والمسند إليه:

1_ اقتران الفاعل مع الفعل التَّام أو شبهه ودلالته:

نلاحظ هذا الاقتران ونجده في مثل قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[النحل: 1]. فقد قرن الله تعالى بين «الفاعل (أَمْرُ) الذي هو مسند إليه وفعله (أَتَى) لأنَّه مسند»[2]. واقترانهما دلَّ على أنَّ الأمر بالعذاب أو بالسَّاعة قد قُضيَّ فيه وانتهى، أمَّا زمان وقوعه، فهو مما استأثر الله بعلمه لنفسه، فإنَّه سبحانه لا يستقدم ساعة ولا يستأخرها.

2_ نائب الفاعل مع الفعل المبني للمجهول:

كما في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [القصص: **48**].

وقوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ ﴾ **[القيامة: 9]** [3] **وقوله تعالى:** ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ [الكهف: 49]. فقد قرن الله تعالى بين نائب الفاعل (موسى) وهو مسند إليه، والفعل المبني للمجهول (أُوتِيَ) وهو مسند، للدلالة على أنَّ ما كُلِّفَ به موسى –عليه السلام– ليس من عنده، وإنَّما كلُّ ما أوتي من كتاب ومعجزات هي من عند الله تعالى، وأنَّ موسى –عليه السلام– مجرد مبلِّغٌ عن ربِّه، كما قرن في الآية الثَّانية بين نائب الفاعل (الشَّمس) وهو مسند إليه، ونائب الفاعل (جُمِعَ) الفعل المبني للذي لم يسم فاعله، وهو مسند. والجمع بينهما للدلالة على ذهاب ضوئهما، فلا ضوء للشَّمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفهما، والذي جمع بينهما وقرن هو الله تعالى، وإنما لم يُذكر للدلالة على عظمته وقوته، وأنَّه معروف بآثاره، فلا يحتاج سبحانه إلى ذكر.

---

[1]–السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 36.

[2]–أحمد مطلوب: أساليب بلاغية (الفصاحة، البلاغة، المعاني)، وكالة المطبوعات، الكويت، ص133.

[3]–المرجع نفسه، ص134.

3_ المبتدأ الذي له خبر:

كقوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: 4]، فقد قرن الله بين الآخرة وهي مبتدأ مسند إليه، والأولى وهي خبره وهو مسند. والاقتران بينهما فيه إخبار من الله تعالى لنبيه ﷺ أنَّ ما أعدَّه له في الآخرة، خير له من دار الدنيا وما فيها.

والمسند والمسند إليه إمَّا أن يكونا كلمتين حقيقة كما رأينا في الأمثلة السابقة، وإمَّا أن يكونا كلمتين حكما، نحو: «لا إله إلاَّ الله ينجو قائلها من النَّار»، أي: توحيد الإله نجاة من النَّار، وإمَّا أن يكون المسند إليه كلمة حكما، والمسند كلمة حقيقة، نحو قولهم: (**تَسْمَعُ بِالْمُعِيدِي خَيْرٌ مِنْ تَرَاهُ**) أي: «سماعك بالمعيدي خير من رؤيته»، وإمَّا أن يكون المسند إليه كلمة حقيقة، والمسند كلمة حكما، نحو: «**الأميرُ قرُبَ قدومُه**»، أي الأمير قريب قدومه.

الذكر والحذف:ويراد به:كل لفظ يدل على معنًى في الكلام خليق بالذكر،لتأدية المعنى المراد منه، فالمتكلم قد يلجأ إلى الذكر في كلامه دون حذف، لأنَّ المقام يقتضي ذلك،لإزالة الإبهام واللبس،ومن أبوابه:

ذكر الصلة بعد الموصول:

فالاسم الموصول بحاجة إلى صلة متأخرة عنه ومقترنة به، ولذلك اعتبر النُّحاة الاسم الموصول اسماً ناقصاً، لا يتم معناه في نفسه إلاَّ بذكر أمرين: أحدهما الصلة، والصلة إمَّا أن تكون جملة، وشرطها أن تكون خبرية. بمعنى تحتمل الصدق والكذب؛ تقول: «**جَاءَنِي الذِي قَامَ**»، وإمَّا أن تكون صلة الموصول ظرف، وإمَّا أن تكون جار ومجرور، وشرطهما أن يكونا تامَّين، وقد اجتمعا في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأنبياء: 19].، وإمَّا أن تكون صلة الموصول وصفًا صريحًا.والأمر الثَّاني الذي يحتاجه الموصول: الضَّمير العائد من الصلة إلى الموصول، نحو (جاء الذي قام أبوه)، وشرطه أن يكون مطابقاً «للموصول في الإفراد، والتَّذكير، وفروعهما»[1].

[1]-محمد أسعد النادري: نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ص172.

ذكر الاسم المضمر المضاف إلى كلا وكلتا:

يذكر النحاة هذه المسألة في الباب الملحق بالمثنى، يقول ابن هشام: «وألحق به، أي: كِلَا، وكِلتَا، وشرط إجرائهما مُجرى المثنى إضافتهما إلى المضمر، فتقول: جاءني كلاهما، ورأيت كليهما، وكذا كلتا، قال الله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ [الإسراء: 23]، فأعربت (كلاهما) إعراب المثنى مرفوعاً وعلامة رفعه الألف؛ لأنَّه مضاف إلى الضَّمير»[1]، فذكر هذا المضمر وإضافته لهما شرط في إعرابهما إعراب المثنى،فإذا لم يذكر أعربتا بالحركات.وهو دليلٌ على العلاقة التَّلازميَّة القائمة بين هذا الاسم المضمر المضاف إلى كلا وكلتا، فبينهما اقتران وتلازم وتجاور لا يمكن فكُّه.

ذكر الاسم المجرور مع حرف الجر:

الاسم المجرور بحرف الجر يجب ذكره ولا يجوز حذفه، فبين حرف الجر والاسم المجرور به اقتران ثنائي لا يجوز فصل أحدهما عن الآخر؛ لأنَّ حرف الجر هو الذي يوصل المعنى إلى الاسم المجرور؛ فهو الذي يكمل مع الاسم المجرور معنى العامل بمعنى فرعي جديد، فتقول: (سلَّمتُ على الأصدقاءِ) يقوم حرف الجر (على) بإيصال معنى السَّلام إلى الاسم المجرور (الأصدقاء)، كما يقوم هذا الاسم المجرور بإكمال معنى السَّلام، وذلك بذكر من وقع عليه وهو الأصدقاء، ولولا توسط الجار (على) لما وصل معنى الفعل إلى من وقع عليه. ولو قلنا: (سلمتُ الأصدقاءَ) بحذف حرف الجر لتغير المعنى المقصود وصار للكلام معنى آخر مختلف عنه؛ لأنَّ عمل حروف الجر هو «جرُّ الاسم الواقع بعدها مباشرة جراً محتوماً ظاهراً أو مقدَّراً أو محليًّا»[2].

ذكر التَّمييز مع الأعداد:

فهناك أعداد تحتاج إلى تمييز مجموع: من الثلاثة إلى العشرة، فتقول مثلاً: (**عندي ثلاثة رجال وعشر نسوة**)، وهناك أعداد تحتاج إلى تمييز مفرد، وهو الأحد عشر والتِّسعة والتِّسعون وما بينهما، نحو قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ **[**سورة يوسف الآية **4]**، **وقوله تعالى:** ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: 12][3].

---

[1]-بركات يوسف هبود: شرح شذور الذهب، ط1، سنة 2005م، دار الفكر، بيروت، لبنان. ص: 83.

[2]-محمد أسعد النادري: نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية، بيروت. ص524.

[3]-بركات يوسف هبود: شرح شذور الذهب، ص: 600، 601 .

وذكر المبهم مع تمييزه:

نحو: (كم الاستفهامية والخبرية): وهي اسم دال على عدد مجهول الجنس والمقدار، يستعمل للتَّكثير، يفتقر إلى تمييز يبين جنس المراد منه وعدده.ومثال (كم الاستفهامية): (كم غلامًا عندك؟)[1]، ومثال (كم الخبرية): كم كتابا قرأت؟ للدلالة على الكثرة.

ذكر واو الحال مع جملته:

وأقصد بالجملة: الجملة الواقعة حالاً، فمن شروطها أن تشتمل على رابط يربطها بصاحبها، لتحقيق الاتصال بين الجملتين، ومن هذه الرَّوابط ما يسميه النحاة (واو الحال) والضمير معاً، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ [البقرة: 243].وقد يكون واو الحال وحدها نحو: دخل اللص والحارس نائم.

فقد شكلت لنا الجملة الواقعة حالاً مع واو الحال اقتراناً ثنائياً، لا يمكن أن نفرق بينهما، وإلاَّ اختل التَّركيب.

ذكر حرف العطف مع معطوفه:

نحو قوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ [الزخرف: 5]، فذكر حرف العطف (الفاء) مع معطوفه ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾، ومثل قولهم: (مرحباً بكَ وأهلاً وسهلاً)[2].

اقتران جواب الشرط بالفاء:

مثل قوله تعالى: «﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [يوسف: 26، 27]، فقد جاءت (صدقت) و(كذبت) جوابي الشَّرط؛ فاقترنا بالفاء؛ لأنَّهما ماضيان في اللَّفظ والمعنى؛ وحكم اقتران جواب الشَّرط بالفاء متى جاء الوجوب.

---

[1]-بركات يوسف هبود: شرح شذور الذهب، ص: 602.

[2]-محمد أسعد النّادري: نحو اللغة العربية، المكتبة العصرية، بيروت. ص490.

اقتران جواب الشَّرط بالتَّنفيس:

مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن ﴾[التوبة: 28]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: 172].ففي الآية الأولى جاء جواب الشَّرط (**يُغْنِيكُم**) مقترناً بـــ(**سَوْفَ**) فوجب اقترانه بالفاء، وفي الآية الثَّانية جاء جواب الشَّرط (**يَحْشُرُهُم**) جازماً، وقد اقترن بالسِّين؛ فوجب اقترانه بالفاء.

اقتران جواب الشَّرط مقترناً بقد:

في قوله تعالى: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [يوسف: 77]، فقد جاء فعل (**سَرَقَ**) جواباً للشَّرط الجازم؛ وقد اقترن بـــ(**قد**)؛ فوجب اقترانه بالفاء.

اقتران جواب الشَّرط بِنَافٍ لا ولم:

في مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة: 67]، فقد جاءت كلمة (**بلغت**) جواباً للشَّرط مسبوقاً بـــ(**ما**) النَّافية؛ فوجب اقترانها بالفاء. وإنَّما يميل المتكلِّم إلى أسلوب الذكر في كلامه دون الحذف، ليزيد المعنى لدى السَّامع وضوحاً وتجليةَ، نحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: 5]، أو لضعف الاعتماد على القرينة، أو لضعف فهم السَّامع، نحو قولهم: عبد الحميد بن باديس نعمَ الزَّعيمُ، يقول ذلك إذا سبق لك ذكر عبد الحميد بن باديس، وطال عهد السامع به، أو ذكر معه كلام في شأن غيره.أوللردِّ على الخطاب، نحو قولهم: الله واحدٌ، ردًّا على من قال: اللهُ ثالثُ ثلاثةٍ.

ذكر الأدوات التّي تدخل على الأسماء والأفعال:

أدوات تدخل على الأسماء وتقترن بها: كالنَّواسخ التي تدخل على الجملة الاسمية. نحو: أن وأخواتها، وكان وأخواتها وظن وأخواتها...أو أدوات تدخل على الأسماء فقط وتقترن بها وتلازمها فلا تفارقها: كحروف الجرِّ، وأدوات تختصُّ بالأفعال فقط :كأدوات النَّصب والجزم.

ثانيًا: دلالة الاقتران الثنائي في علم البيان:

1_ دلالة الاقتران الثنائي في التشبيه:

يعرف البلاغيون التَّشبيه بكونه «عقد مُماثلة بين أمرين، أو أكثر، لاشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرضٍ يقصدُه المتكلِّم» [1]، يقول ابن حجة الحموي: «العقد على أنَّ أحد الشَّيئين يسد مسدَّ الآخر في حال»[2] وهذا المفهوم للتَّشبيه يُعدُّ في نظرنا اقتران ثنائي بين كلمتين أو لفظين، بحيث لا تستغني إحداهما عن الأخرى، وهو ما يعرف في هذا الباب بالمشبَّه والمشبَّه به، والجامع بينهما يسميه البلاغيون الأداة، والغرض الذي من اقترانهما بيان وجه الشبه. ومظاهره الدَّلالية متعدِّدَة منها:

أولاً: دلالة الاقتران الثنائي في طرفي التشبيه:

يُنظر إلى طرفي التَّشبيه باعتبارين: إمَّا باعتبار الإفراد أو باعتبار التَّركيب:

أ_ دلالة طرفي التشبيه باعتبار الإفراد:

يأتي طرفا التَّشبيه بهذا الاعتبار إمَّا مفردين مطلقين أو مقيدين أو مفردين مختلفين:

مفردان مطلقان:

نحو قولهم مثلاً: ضوءه كالشمس، وخده كالورد. نلاحظ أنَّهم في المثال قد شبَّهوا الضوء بالشمس وقرنوا بينهما، للدلالة على الضياء والبهاء، وشبَّهوا الورد بالخدِّ وقرنوا بينهما، للدلالة على بياضه المشرب بالحمرة. وغير بعيد عنه نجد مثاله في القرآن في قوله تعالى: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾ [البقرة: 187]. فقد قرن الضمير (**هنَّ**) باللباس، والضمير (**أنتم**) باللباس أيضاً، للدلالة على الستر والعفاف، والجمال التي تمنحها الحياة الزَّوجية للزَّوجين. فكلاً منهما يستر صاحبه، ويمنعه من الفجور ويغنيه عن الحرام.

مفردان مُقيَّدان: نحو قولهم: الساعي بغير طائل كالراقم على الماء.حاتم كالغمام. اقتران (**السَّاعي بالرَّاقم**) في المثال الأول دل على انعدام الأثر والغاية لكل جهد يبدله الإنسان دون إعداد أو تخطيط، واقتران (**حاتم بالغمام**) دل على السخاء والجود.

---

[1]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص183.

[2]-ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب: ج1، ص377.

مفردان مختلفان:

نحو قولهم: ثغره كاللُّؤلُؤ المنظوم، وقولهم: العين الزَّرقاء كالسنان. فاقتران الثَّغر واللُّؤلُؤ دلَّ على النَّضم أو الانتظام، والعين والسنان دَلّ على القُوَّة والجَمَال.

ب_ باعتبار التَّركيب: ويأتي التَّركيب هنا على ضربين:

*** مركبان تركيبًا لا يُمكن إفرادُ أجزائهما:**

بحيث يكون المركَّب هيئة حاصلة من اقتران شيئين لا يمكن الفصل بين أجزائهما، للدلالة أنَّ هذا المركب كالشيء الواحد بالنسبة للمتكلم. فإذا انتزع وجهُ الشَّبه من بعضها دون بعضٍ، اختلَّ قصد المتكلِّم من التَّشبيه، نحو قول ا لشاعر: [الطويل] [1]

كَـــأَنَّ سُـــهَيْلاً وَالنُّجُـــومُ وَرَاءَهُ صُفوفُ صَـــلَاةٍ قَـــامَ فِيهَـــا إِمَامُهَـــا

فقد قرن الشاهر بين(النَّجم سهيل والنُّجوم وراءه) بصورة (الإمام والصُّفوف خلفه) وشبَّهه به، وإنَّما شبه به للدَّلالة على حسن التَّنظيم والاعتدال والجمال.

***مركبان تركيبًا إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة المشبه به:**

للدلالة على قوة ارتباط هذه الأجزاء ببعضها واقتران ألفاظها، كقول الشاعر: [من الكامل]

وَكَـــأَنَّ أَجْـــرَامَ النُّجُـــومِ لَوَامِعًـــا دُرَرٌ نُثِـــرْنَ عَلَـــى بِسَـــاطٍ أزرقِ

فقد قرن الشاعر في البيت بين سماء زرقاء واسعة تناثرت عليها النجوم البيضاء، وهو في البيت مشبَّه، وبين مشبَّه به وهو صورة بساط أزرق كبير، تناثرت فوقه مجموعة من الدُّرَرِ الفضية اللَّامعة، للدَّلالة على جمال هذا الشيء الأزرق وتلألئه، وهو ما يسمى في علم البلاغة بوجه الشبه الذي انتزع في المثال من متعدِّد، أو التَّشبيه التَّمثيلي.

ثانيًا: دلالة الاقتران الثنائي في طرفي التذَشبيه باعتبار تعددهما:

أ_ التشبيه الملفوف: وهو عبارة عن اقتران ثنائي بين كل طرف من أطراف التَّشبيه بمثله، كاقتران المشبَّه بالمشبَّه به، والمشبَّه به بالمشبَّه، حيث يؤتى بالمشبَّهات معًا على طريق العطف، أو غيره، ثم يقرنها بالمشبّهات بها كذلك.

---

[1]-أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديه)، دار الكتب العلمية، بيروت، ص242.

ب_ التشبيه المفروق: التشبيه المفروق: هو ما أتى به بمشبَّه ومشبَّه به، ثم بمشبَّه ومشبَّه به وهكذا .كقول الشاعر[1]: **[من الكامل]**

فَإِذَا شَـكَا فَالقَلْـبُ بَـرْقٌ خَـافِقٌ وَإِذَا بَكَـى فَدُمُوعـه الأمْطَـارُ

فقد شبه الشاعر القلب بالبرق الخاطف، وشبه انهمار الدموع بالأمطار في استمرار هطولها. والتشبيه بين هذه الألفاظ فيه اقتران وتلازم بينها، في شكل ثنائية زادت المعنى وضوحا في البيان، ورسوخا في النفس، وجمالا في التعبير، ومتعة والذوق.

ثالثا: مظاهر الاقتران الثنائي في البديع ودلالته:

1_ التَّورية: هي إرادة الشَّيء وإظهار غيره إيهاماً به.وفي اصطلاح البلاغيين: «أن يذكر المتكلِّم لفظاً مفرداً له معنيان»[2]؛ إمَّا على سبيل الحقيقة، أو على سبيل الحقيقة والمجاز، أحدهما ظاهر قريب يتبادر إلى الذِّهن وهو غير وارد، والآخر بعيد فيه خفاء وهو المعنى المراد، لكن يورَّى عنه بالمعنى القريب ليسبق الذِّهن إليه ويتوهمه قبل التَّأمل، وبعد التَّأمل ينتبه المتلقِّي فيدرك المعنى الآخر المراد. ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥ ﴾ **[يوسف: 95]**، نلاحظ في قوله تعالى: «إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ » معنيان مقترنان: معنى قريب متبادر إلى الذهن، أرادوا به الإيهام، وهو أنَّ يعقوب –عليه السلام– لايزال ضالاً مع أوهامه، طامعاً أن يرى يوسف–عليه السلام– ويلتقي به بعد هذه المدَّة الطَّويلة من الغياب، وضالاً في شغل نفسه بالحزن حتى يكون حرضاً (مريضاً) أو يكون من الهالكين.

ومعنى آخر لكنَّه بعيد، هو الذي قصدوه من كلامهم هذا، والمعنى أنَّه لا يزال على ضلاله في إيثاره يوسف على سائر إخوته، وهذا المعنى هو نفسه الذي كانوا قد ذكروه قبل أن يلقوا بأخيهم يوسف في الجب، وهو المشار إليه في بداية السُّورة حيث قال سبحانه: ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ﴾ [يوسف: 8][3].

---

[1]–ديوان علقمة الفحل، شرح السيد أحمد ضقر، مكتبة المحمودية التجارية، القاهرة، ط1. ص67.

[2]–السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص264.

[3]–عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني:البلاغة العربية، ج2، ص:374، 375. (بتصرف)

2_ الطباق يقال له أيضاً المطابقة:

«هو الجمع بين متضادَّين؛ أي معنيين متضادَّين في الجملة، ويكون بين اسمين». [1].وهذا الجمع هو نفسه الاقتران الثُّنائي، مقوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف: 8]، حيث قرن بين الاسمين(اليقظة والرقود)، أو بين فعلين، كقوله تعالى: «**يُحْيِي ويُمِيتُ**»، **فقد قرن بين الإحياء والإماتة**، أو بين حرفين، كما في قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[البقرة: 286] وفي هذا المعنى قال الحماسي: [من الطويل] [2].

تَـأخَّرْتُ أَسْـتَبْقِي الحَيَـاةَ فَلَـمْ أَجِـدْ لِنَفْسِـي حَيَـاةً مِثْـلَ أَنْ أَتَقَـدَّمَا

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ [فاطر: 19].

3_ الإبهام: ويراد به «أن يقول المتكلم كلاماً مبهماً يحتمل معنيين متضادين، لا يتميَّز أحدهما عن الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التَّمييز فيما بعد، بل يقصد إبهام الأمر فيهما»[3]، وهذا النَّوع من الكلام يذكر في باب المدح والهجاء خاصة، ولا يفهم من ألفاظه مدح ولا هجاء، بل ألفاظه صالحة للأمرين. ومثاله قول الشاعر: [من مجزوء الخفيف]

بَـــــــارِكَ الله للحســــــــــن وَلِبُــــــــــورانَ في الخَــــــــتَنْ

يَـــــا إِمَـــــامَ الهُـــــدى ظَفَـــــرْ تَ ولَكِـــــنْ بِبِنْـــــتِ مَـــــنْ

فلم يُعلم ما أراد بقوله: (بِبِنْتِ مَنْ)، في الرفعة أم في الصغر؟[4]

4_ مراعاة النَّظير:

ويسمى أيضاً التَّناسب، والائتلاف، والتَّوفيق، والمؤاخاة.وهو في الاصطلاح «أن يجمع النَّاظم أو الناثر أمراً وما يناسبه، سواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى أو لفظاً للفظ أو معنى لمعنى، إذ القصد جمع

---

[1]-الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة ج1، ص: 348، 349.

[2]-ديوان الحصين بن حمام الفزاري، من قصيدة عنوانها: (جزى الله أفناء العشيرة كلها). والبيت من شواهد ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص: 163.

[3]-ديوان الحصين بن حمام الفزاري، ص: 182

[4]-المصدر نفسه، ص: 182

شيء إلى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من أحد الوجوه»[1] كقول الشاعر: [من الخفيف][2]

كالقِســـيّ المُعْطَفـــاتِ بَـــلِ الأس هـــمِ مَبْرِيَّـــةً بَـــلِ الأوتـــار

فإنَّه لما شبه الإبل بالقسي، وأراد أن يكرِّرَ التَّشبيه، كان يمكنه أن يشبهها بالعراجين؛ لأنَّ المعنى واحد في الانحناء والرِّقة، ولكنَّه قصد المناسبة بين الأسهم والأوتار، لّما تقدم ذكر القسي. والمعنى نفسه أشار إليه الشَّاعر في مدح آل النبي ﷺ: [من الكامل][3]

أنـــتمُ بَنُـــو طـــه ونُـــون والضُّـــحى وبَنُـــو تَبَـــارَكَ في الكتـــاب المُحْكَـــمِ

وبَنُـــو الأبـــاطحِ والمشـــاعرِ والصَّـــفا والـــركنِ والبيـــت العتيـــق وزمـــزم

يعلق ابن حجة الحموي على البيتين فيقول: «هذا النَّاظم أحسن في مراعاة النَّظير، وأتى في البيت الأوَّل بحسن المناسبة، بين أسماء السور، وفي الثَّاني بحسن المناسبة بين الجهات الحجازية»[4]

5_ العكس:

وهو عبارة «تقديم لفظ من الكلام ثمَّ تأخيره»[5]، ويأتي على عدَّة وجوه، منها:

أ_ أن يقع بين أحد طَرَفي الجملة، نحو قولهم: (عادات السَّادات سادات العادات) .

ب_ أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين نحو قوله تعالى: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾ [آل عمران: 27].فذكر في الآية أوَّلاً: (الليل والنهار)، و(الحي والميت)، ثم عكسهما فذكر: (النهار والليل)، و(الميت والحي). وكذلك قوله تعالى: ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾[الروم: 19].

---

(1)–ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص: 292.

(2)–البحتري: ديوان البحتري: ج2، والبيت من قصيدة يمدح بها أبا جعفر بن حميد ويستوهبه غلاماً. ص55.

(3)–أبو الهدى الصيادي: الأسرار الإلهية شرح القصيدة الرفاعية في مدح السيد أحمد الرفاعي، دار الكتب العلمية، ص311.

(4)–ابن حجة الحموي:خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص: 292، 293.

(5)–المصدر نفسه: ج1، ص: 351.

ت_ أن يقع لفظان في طرفي جملتين نحو قوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: 10][1].

7_ تشبيه شيئين بشيئن:

وهو عبارة عن مقابلة المتكلم أو الشاعر« بين أربعة ويلتزم أنَّ كل واحد من المشبَّه يسد مسدَّ المشبَّه به»[2] ومثاله ما روي عن الشَّاعر بشار بن برد أنَّه قال: ما زلت، منذ سمعت قول امرئ القيس في وصف العقاب: [من الطويل] [3]

كَأَنَّ قُلُــوبَ الطَّيْــرِ رَطْبــاً ويَابِســاً لَدَى وَكْرِهَــا العُنَّــابُ والحَشَــفُ البَــالِي

لا يأخذني الهجوع حَسَداً له، إلى أن قلتُ في وصف الحرب: [من الطويل] [4]

كَأَنَّما النَّقْعُ يوماً فَوْقَ رُؤُوسِهم ســقفٌ كَوَاكِبَــهُ البــيضُ المبــاتِيرُ

8_ الجمع: ويراد به:

يقصد به «أن يجمع المتكلم في كلامه أو نثره أو نظمه بين شيئين فأكثر في حكم واحد»[5]، ومثاله قوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46].فقد جمع سبحانه وتعالى المال والبنون في الزينة وقرن بينهما، فلا يذكر المال إلا مع البنون.ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾[الرحمن: 5، 6].فجمع بين الشمس والقمر في الحسبان، وجمع بين النجم والشجر في السجود.وهذا الجمع من تمام الاقتران الثنائي بين هذه ال ألفاظ.

---

[1]-الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، دت، دط، دار الفكر العربي، ص: 358، 359.

[2]-المصدر نفسه، ص: 409.

[3]-امرؤ القيس: ديوان امرؤ القيس: رواية الأصمعي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، 1984، دار المعارف، القاهرة، ص38 يشير بقوله: رطباً ويابساً، إلى كثرة ما تأتي به العقاب من قلوب الطير، طعاماً لأفراخها، حتى ليفضل عنها، وقد شبه القلوب الرطبة بالعناب في لونها وشكلها وطرواتها، والقلوب اليابسة بالحشف، وهو أردأ التمر.

[4]-بشار بن برد: ديوان بشار بن برد، تح: السيد بدر الدين العلوي، ط1981، دار الثقافة، بيروت، ص107.

[5]-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص274.

9_ المزاوجة:

ويقصد بها أن يجمع المتكلم ويزاوج في كلامه «بين معنيين في الشَّرط والجزاء»[1]، ويرتِّب على كل منهما معنى، فتعطي لنا في التعبير ثنائية، ألفاظها مقترنة ومتلازمة، ومثالها ما جاء في قول البحتري[2]: [من الطويل]

إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْماً فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرَتِ القُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا

فزاوج البحتري بين الاحتراب وهو التحارب وتَذَكُّرِ القربى، الواقعين في الشرط والجزاء في تَرَتُّبِ فيضان شيء عليهما[3].

10_ التَّذييل:

وهو عبارة عن تعقيب الجملة بجملة أخرى بالمعنى نفسه لإرادة التَّأكيد، سواء كانت الثانية مستقلة بنفسها، أو لا، يقول ابن حجة الحموي بقوله: «أن يذيل النَّاظم أو النَّاثر كلاماً، بعد تمامه وحسن السكوت عليه، بجملة تحقق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيداً يجري مجرى المثل، بزيادة التحقيق»[4]كقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾[سبأ: 17]، بمعنى عاقبناهم بما كفروا، ثم أكَّدَ هذه المعاقبة بقوله «وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ»، فعُدّت هذه العبارة عند البلاغيين تذييل خرج في الكلام مخرج المثال الذي ليس له نظير.

9- السلب والإيجاب:

والمراد به «أن يبني المتكلم كلامه على نفي شيء من جهة، وإثباته من جهة أخرى»[5]، ومثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[الإسراء: 23] نلاحظ في الآية اقتران بين النهي عن أقل كلمة تُظهر فيها الضجر للوالدين ككلمة أفٍّ، وأمره بالقول الحسن اللين والطيب معهما.

---

(1)-السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص273.

(2)-البحتري. ديوان البحتري.البيت من قصيدة يمدح فيها الخليفة المتوكل على الله، ويذكر صلح بني تغلب، ص1299.

(3)-الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، دت، دط، دار الفكر العربي.، ص: 358.

(4)-ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1. ص245.

(5)-المصدر نفسه: ج2، ص: 268.

وعلى هذا الأساس جاء قول امرئ القيس: [من الطويل] [1]

هَضِيمُ الحَشَا لاَ يَمْلأُ الكَفَّ خَصْرُهَا وَيَمْلأُ مِنْهَا كُلَّ حِجْلٍ وَدُمْلُجِ

10_ المدح في معرض الذم:

ومعناه «أن ينفي صفة ذم ثم يستثني صفة مدح«، كقولك: لاعيب في زيد سوى أنه يكرم الضيف» ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الواقعة: 25، 26].

وإليه أشار النابغة الذبياني بقوله: [من الطويل] [2]

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

11_ التَّرصيع: هو عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت، أو فقرة النَّثر، بلفظة على وزنها ورويها، بعبارة أخرى: «هو توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز، أو تقاربها»، أمَّا التوافق فمثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار: 13، 14]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾ [الغاشية: 25، 26].وأمَّا التَّقارب، فمثاله قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ ﴾[الصافات: 117. 118].ومنه قول الشاعر: [من الكامل] [3]

فَحَرِيقُ جَمْرَةِ سَيْفِهِ لِلْمُعْتَدِي وَرَحِيقُ خَمْرَةِ سَيْبِهِ لِلْمُعْتَفِي

ففي هذا البيت وقع التَّرصيع في جميع ألفاظه، فإن المقابلة فيه حاصلة بين حريق ورحيق، وبين جمرة وخمرة، وبين سيفه وسيبه، وبين المعتدي والمعتفي[4].

ثالثا: المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي عند الأصوليين:

يُعَدُّ علم أصول الفقه في حقيقته بحث عن الدلالة في حد ذاتها، على مستوى الألفاظ والتراكيب والسياقات المختلفة، التي تأتي فيها الكلمة أو اللَّفظة، وقد عرَّفه علماء الأصول بأنه

---

[1]-امرؤ القيس: ديوان امرؤ القيس، دط، دتح، ص458.

[2]-النابغة الذبياني: ديوان النابغة الذبياني، شرح عباس عبد الساتر، ط3. 1996، دار الكتب العلمية، بيروت، ص32.

[3]-ابن النبيه: ديوان ابن النبيه، دط، ص109.

[4]-ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص409.

«القواعد التي يتوصل بالبحث فيها إلى استنباط الأحكام الشَّرعية من أدلتها التفصيلية، أو هو العلم بهذه القواعد»[1]، وكلمة القواعد الواردة في التَّعريف، عامَّة تشمل القواعد اللغوية التي تبحث في الدلالات الدقيقة للألفاظ ومعانيها، كقولهم: الأمر للوجوب، والنَّهي للتَّحريم، وهكذا سائر القواعد الأصولية، واللغوية التي تبنى على إثرها أحكام شرعية تفصيلية متعلقة بأحوال العباد، وبعبارة أخرى تبحث في «طرق دلالة النَّص على المعاني والأحكام» [2]، وتعتبر الدلالة على حد تعبير الغزالي (عمدة علم الأصول)؛ لأنَّ مهمة الأصولي استنباط الأحكام الشرعية من أدلَّتها التفصيلية، «وهذا يتوقف على فهمه للنص، وفهمه للنص متوقف على إدراك المعنى، ومعرفته لمرمى اللفظ ومدلوله مفرداً كان أو مركبًا»[3].

ومعرفة معنى اللفظ وإدراكه هو الدلالة بعينها، وقد نال الدرس الدلالي عند الأصوليين المترلة الرَّاقية والمكانة الرفيعة، ذلك لأنَّ الألفاظ ومعانيها هي أساس أبحاثهم ودراساتهم، وحتى يصلوا إلى دلالاتها وأحكامها، ومراد الشَّارع منها، عقد الأصوليون على اختلاف مدارسهم أبواباً، تناولوا فيها دلالات الألفاظ على المعاني في مباحث أصولية وعناوين، جاءت في شكل مصطلحات مركَّبة تركيباً إضافياً في شكل مقترنات ثنائية، منها: العام والخاص، المطلق والمقيَّد، الأمر والنَّهي.

أوَّلاً: العام والخاص:

إذا ورد نص عام في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله ﷺ فإنَّه يحمل على عمومه، ويشمل جميع ما يصلح له، ولا يخص أفراداً من جنسه دون غيرهم، إلاَّ إذا ورد دليل يصرفه من عمومه إلى التَّخصيص، ولذلك قال الأصوليُّون في قواعدهم: «يحمل العام على عمومه حتى يرد دليل التَّخصيص»[4].

فالعام والخاص بهذا المفهوم لفظان مقترنان اقترانا ثنائياً، يحملان دلالة شرعيَّة معيَّنة أرادها الله تعالى. ومن هذا المنطلق فقد يرد نص شرعي عام، فيبقى على عمومه، إلى أن تأتي قرينة تصرفه من العموم إلى الخصوص، فيكون الخاص قد اقترن بالعام فخصصه، ومثاله خطاب القرآن للرسول ﷺ في مسألة استغفاره للمنافقين، حيث خيره الله تعالى بين الاستغفار لهم من عدمه، قال تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ

---

[1]-وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ج1، ط1 سنة 1986، دار الفكر، دمشق، سوريا.ص24.

[2]-المرجع نفسه، ص 197.

[3]-المرجع نفسه، ص197.

[4]-عدنان ضيف الله الشوابكة: القواعد الأصولية تأصيل وتطبيق، ط 1، دار النفائس، عمان الأردن ص: 154.

لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ [التوبة 80]، **فبقي هذا الخطاب على عمومه إلى أن جاء التخصيص بالنهي في قوله تعالى:** ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة: 84]

وسبب نزول هذه الآية ما رواه كل من الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما مات عبد الله بن أبي سلول دُعِيَّ النَّبي ﷺ ليصلِّي عليه، فلما قام ﷺ وثبت إليه، فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي؟ وقال يوم كذا وكذا؟ أعدد عليه قوله، فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: (**أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَر**)، فلما اكثرت عليه قال: (**إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ لِيُغْفَرَ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا**). قال: فَصَلَّى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة: 84]

فالنبي ﷺ حمل اللفظ في الآية الأولى على عمومه، وهو إفادة التخيير، حتى ورد له التخصيص، وهو النهي عن الاستغفار للمنافقين فكان بين الدلالة الأولى التي تفيد العموم، والدلالة الثَّانية التي تفيد الخصوص اقتران ثنائي، فالعموم يبقى على عمومه حتى يحمله على التخصيص نص آخر.

ثانيا: الأمر والنهي:

عدَّ العلماء مبحث الأمر والنَّهي من أهم المباحث الأصوليَّة، لتعلقهما بأعظم مقاصد الشَّريعة الإسلامية، وهو طاعة العباد أوامر ربِّهم سبحانه وتعالى واجتناب نواهيه.

ومفهوم الأمر عند الأصوليين هو «اللفظ الدَّال على طلب الفعل على وجه الاستعلاء»[1]، سواء أكان بصيغة الأمر مثل قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ** ﴾ [آل عمران: 102] أم كان بصيغة المضارع المقترن بلام الأمر، كقوله تعالى: ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ** ﴾ [الطلاق: 7]، أم كان بالجملة الخبرية التي يقصد منها الطلب، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ** ﴾ [البقرة: 233]، فليس المقصود منه مجرد الإخبار عن إرضاع

[1]-ابن الحاجب: مختصر المنتهى، ج2، تح: محمد حسن إسماعيل، ط1، 2004، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 77.

الوالدات أولادهنَّ، وإنَّما المقصود الأمر بالإرضاع وطلبه من الوالدات[1]، أم كان بالمصدر النائب عن فعل الأمر "صبرا أيها المؤمن" أي: اصبر صبرا. ومفهوم النَّهي في اللُّغة المنع، أما في الاصطلاح: "القول الإنشائي الدَّال على طلب الكفِّ عن فعل على وجه الاستعلاء، وبعبارة أخرى هو ما دَلَّ على طلب الكفِّ عن الفعل[2]. ومبحث الأمر والنَّهي يُشكل في بعض مسائله وقضَاياه مظهراً للاقتران الثنائي، فمن مظاهره:

1_ **الأمر بعد النهي**: ورد في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ أوامر جاء بعدها مباشرة نواه، كما وردت نواه جاءت بعدها مباشرة أوامر، هذا التَّعاقب بين الأمر والنهي وتبادلهما في الآية الواحدة يمثِّل مظهراً للاقتران الثُّنائي، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة: 2]، فقوله تعالى «فَٱصْطَادُوا۟» «فعل أمر ورد بعد نهي فهو للإباحة باتفاق العلماء»[3].

وقد يرد الأمر إلى ما كان قبل النَّهي: أي أنَّ الأمر بعد النَّهي يعيد الحكم على ما كان عليه قبل ورود النَّهي، فإذا جاء الفعل مباحاً ثمَّ نهى عنه، ثمَّ أمر به فإنَّه يعود إلى الإباحة، وإذا كان الفعل واجباً ثم نُهي عنه ثم أمر به، فإنَّ الفعل يعود للوجوب.ولو كان الفعل مستحباً ثم نهى عنه ثم أمر به، فإنَّ الأمر يفيد النَّدب، وقد عدَّ علماء الأصول أنَّ هذا القول هو أرجح الأقوال، ولذلك قالوا: «الأمر بعد الحظر يَرُدُّ الحكم إلى ما كان عليه قبل الحظر»[4]، : **نحو** قوله الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[التوبة: 5]، فقتال المشركين كان واجباً، ثم حُرِّمَ لوجود الأشهر الحرم، ثمَّ أمر به بعد النَّهي، «فعاد الأمر على ما كان عليه سابقاً وهو الوجوب»[5].

2_ **النَّهي بعد الأمر**: ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ

---

[1]-وهبة الزحيلي: أصول الفقه الإسلامي، ج1، ص218، 219.

[2]-المرجع نفسه، ص: 233.

[3]-سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري: شرح المختصر في أصول الفقه لابن اللحام، ط1، 2007، دار كنوز اشبيليا، الرياض، ص376، 377.

[4]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

﴿ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾ [الجمعة: 9]، فقد جاء في مضمون الآية النَّهي عن البيع يوم الجمعة نستشفه من قوله تعالى: «**وذروا البيع**» أمرٌ يقصد به النَّهي عن البيع في هذا الوقت، ثم جاء بعد هذه الآية مباشرة الأمر بالانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله تعالى. وقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ ﴾ [المائدة: 2]

وقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ ﴾ [الأحزاب: 53]. قول الرَّسُول ﷺ: «**نَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الأَضْحَى بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَكُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَادَّخِرُوا، وَنَهَيْتُكُم عَنِ الانْتِبَاذِ فَانْتَبِذُوا وُكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَّارَةِ القُبُورَ فَزُورُوهَا وَلاَ تَقُولُوا هَجْرًا**»[1].فقرن في الحديث بين النَّهي عن النَّهي عن ادخَّار لحوم الأضاحي، ثم أمر بذلك على سبيل النَّدب، ونهى عن انتباذ في بعض الأواني، كالمزفت والمقير، ثم أمر به في أي وعاءٍ، لأنه الأواني لا تحلُّ شيئاً أو تحرمه، وعللَّ أن الإسكار يتعلَّق بالمسكر وليس بالظَرف أو الآنية، ونهى عن زيارة القبور ثم أمر بها، وعلَّل هذا الأمر بأنَّها تذكِّر الزّائر بالآخرة.

3_ الأمر المعلق بشرط أوصفة أو بوقت: قال الأصوليون: «إذا علق الأمر بشرط أو صفة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ ﴾ [المائدة: 6]» [2] فقد قَرَنَ الأمر بالطَّهارة في هذه الآية، وعلَّقه بشرط الجنابة أو الحدث الأكبر، فالحدث الأكبر يوجب الطَّهارة ويستلزمها، فبين الأمر وشرطه وهو في الآية الطهارة، اقتران لفظي وشرعي.فكلما وجدت الجنابة أو الحدث الأكبر وجبت الطهارة، ونحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾ ففي الآية اقترن الأمر بقطع اليد بصفة السَّرقة، فكلما وجدت السَّرقة وجد القطع. ونحو قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾ [الإسراء: 78] ففي الآية اقترن الأمر بالصلاة بوقت الدلوك.

---

[1]- رواه مالك في الموطأ، كتاب الضحايا، باب إدخار لحوم الأضاحي، رقم: 1045، انظر: عدنان ضيف الله الشوابكة: القواعد الأصولية تأصيل وتطبيق، ط1 سنة 2011، دار النفائس، الأردن، ص193، 195.

[2]-بدر الدّين الزركشي: البحر المحيط في أصول الفقه، ج3، ص316.

ثالثا: النَّكرة والنَّهي: النكرة ضد المعرفة، ويقصد بها«الاسم الموضوع لفرد معين، نحو: رجل، فرس، بيت...فالرجل هنا نكرة غير معروف، وكذلك بيت غير معروف...فهذه كلمات نكرة تدل على فرد غير محدد ولا معين»[1].

فهذه النَّكرة قد تقع في سياق النَّفي أو النَّهي أو الشَّرط أو الاستفهام. وهي بهذا التَّموضع تمثِّلُ مظهراً للاقتران الثُّنائي بين هذه الكلمة النَّكرة والسياق الذي ترد فيه، فمثال النَّكرة التي ترد في سياق النَّهي: قول الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء: 36]. فكلمة (شيئا) وقعت نكرة بمعنى أي شيء، كما أنَّها وقعت في سياق النَّهي في قوله تعالى: « وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا» فدلَّت على أنَّ هناك اقتران بين هذه الكلمة النَّكرة والسياق الذي وردت فيه وهو النَّهي، وهذا الاقتران يدل كما قرَّرَ علماء الأصول على العموم، وعليه فإنَّه لا يجوز أن نشرك بالله تعالى أي شيء. لا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، ولا عبداً صالحاً، ولا غيرهم.

وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: 22]، فكلمة (أنداداً) نكرة جاءت في سياق النَّهي في قوله تعالى: « **فَلَا تَجْعَلُوا**» فيدلُّ ذلك على عموم النَّهي عن جعل أي ند لله تعالى.

رابعا: النكرة في سياق النفي:

ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: 20]، فهذه الآية الكريمة وقعت فيها ثلاث نكرات هي: « نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ» وكل هذه الكلمات النَّكرة وردت في سياق النفي، فهي تدل على العموم.

وقول الله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: 47] فكلمة (أحد) نكرة وقعت في سياق النَّفي، في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ فأفادت العموم، فلا أحد يمنع رب العالمين من إيصال العقوبة أو غيرها لمن فعل هذا الفعل.

---

[1]-وهبة الزحيلي: أصول الفقه الإسلامي، ج1، ص: 228.

خامسا: النَّكرة في سياق الشَّرط:

ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس: 107]فكلمة (**ضر**)، وكلمة (**خير**)، وقعتا في سياق الشَّرط، (**فلا كاشف له إلا هو**)، (**فلا راد لفضله**).

فكلمة (**ضر**) نكرة اشتملت على كل أنواع الضرِّ: في المال في الولد في البدن، وقعت في سياق الشَّرط واقترنت به في قوله (**فلا كاشف له إلاَّ هو**)، كذلك كلمة (**خير**) وقفت في الآية نكرة، اشتملت على كل أنواع الخير، في المال والولد والبدن... وقعت في سياق الشَّرط واقترنت به. في قوله تعالى: (**فلا راد**) فلا يستطيع أحد رده عنك.

سادسا: النَّكرة في سياق الاستفهام:

ومثال ذلك قول الله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: 3]، فكلمة (خالق) نكرة وقعت في سياق الاستفهام واقترنت به (**هل من خالق**) فدلَّ على العموم، فلا خالق إلا الله تعالى ولا رازق إلاَّ الله تعالى.

سابعا: المطلق والمقيد:

من الأبواب الأصولية التي تظهر في بعض مباحثها ألفاظ مقترنة اقترانا ثنائيا؛ ما تعلَّقَ بأقسام اللفظ من حيث أوصاف ما يشتمل عليه، نجد ما يعرف عند الأصوليين بالخاص، وقد يرد اللفظ الخاص في هذا العلم بصيغ مختلفة، منها: المطلق والمقيد، والأمر والنهي، وعلى هذا الأساس اعتبر الأصوليون هذه الصيغ نوعاً من أنواع الخاص، تتشكَّل هذه الصِّيغ في شكل مقترنات ثنائية متلازمة، فقد يرد اللفظ مطلقاً لا يقيده قيد، وقد يرد مقيَّداً بصفة أو شرط أو نحوهما، كما يأتي الأمر الخاص في الإيجاب، ويأتي النهي الخاص في التحريم، وعلى هذا الأساس، فاللفظ من حيث أوصاف ما يشتمل عليه قسمان: مطلقٌ ومقيَّدٌ، وأمرٌ ونهيٌ.

علاقة المطلق بالمقيد:

ذكر الأصوليون في دلالتهما على الأحكام الشرعية، أنَّه يجب إعمال المطلق على إطلاقه ما لم يقم الدليل على تقييده، صارفا له عن إطلاقه ومبينا للمراد منه، والمطلق دلالته قطعية لأنَّه خاصٌّ،

فيجب العمل به، وإنَّما وجب إعمال المطلق على إطلاقه والعمل به؛ لأنَّ الإطلاق غرض مقصود للشَّارع، بما يحويه من معنى التيسير والتسهيل، وهذا شأن الشريعة السمحة.قال الله تعالى﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [المائدة: 101]، فالله سبحانه وتعالى أمرنا أن نحمل نصوص الكتاب والسنة على ما هي عليه، دون كثرة سؤال، فتكون العاقبة أن يتزل التشديد، كما شدَّدَ على بني إسرائيل في أمر البقرة، ومقتضى ذلك «أن نعمل بالمطلق على إطلاقه حتى يرد إلينا دليل»[1].

كما يجب العمل بالمقيد «على أساس التقييد، ولا يصح إهماله والعدول عنه إلى المطلق ما لم يقم الدليل على خلاف ذلك»[2]، كحمل النَّبي ﷺ المطلق على المقيَّد في مسألة الدَّم المحرم، فقد أُطلق في آية وقُيِّدَ في آية أخرى، فأمَّا الآية التي أطلق فيها فهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [البقرة: 173]، وأمَّا الآية التي قُيِّدَ فيها فقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: 145]

فالنَّبي ﷺ حمل المطلق على المقيَّد حيث قال: «**أُحِلَّت لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَان، فأمَّا المَيْتَتَان فَالحُوتُ وَالجَرَادُ، وَأمَّا الدَّمَان فَالكَبِد وَالطِّحَال**» [3]، فالطِّحال والكبد دم، «ولو لم يحمل ﷺ المطلق في سورة البقرة على المقيِّد في سورة الأنعام، لما أُحِلَّ أكل الطِّحال والكبد، فكان التَّحريم مختصًّا بالدم المسفوح دون غيره»[4].وكقطع النَّبي ﷺ يد السَّارق من الرُّسغ، علما أنَّ القطع أطلق في الآية، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ **[المائدة: 38]**.

---

[1]–عدنان ضيف الله الشوابكة: القواعد الأصولية تأصيل وتطبيق، ص: 208.

[2]–عبد الوهاب عبد السلام طويلة: أثراللغة في اختلاف المجتهدين، ط2، 2000، دار السلام للطباعةوالنشر، مصر، ص:402.

[3]–ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ج2، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، دمشق.ص: 1102، والإمام أحمد في مسنده، ج2، ص: 97.

[4]–عدنان ضيف الله الشوابكة: القواعد الأصولية تأصيل وتطبيق، ص: 212.

فالنَّبي ﷺ قطع اليد من الرُّسغ، وهذا حمل لمطلق قطع يد السَّارق الوارد في الآية، ذلك أنَّ السَّبب واحد، فالسَّبب هو السَّرقة والحكم وهو القطع.

كما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن أكل كل ذي ناب من السِّباع فتلت الآية قول الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا ﴾ فقالت: " قد نرى في القدر صفرة الدَّم"، فالسيدة عائشة رضي الله عنها حملت تحريم الدَّم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: 173][1]. على الآية التي قيَّدت الدَّم بأن يكون مسفوحًا في قوله تعالى:﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنعام: 145]، «لذلك لم تحرم صفرة الدم الباقية في العروق التي تطيش على القدر عند الطَّبخ، ولو لم تحمله على قيد السفح لحرم من باب تحريم الدم»[2].

ثامنا: المنطوق والمفهوم:

تعتبر الألفاظ عند الأصوليين قوالب حاملة للمعاني، والمعاني مستعملة في هذه الألفاظ القوالب، والمعنى المستفاد قد يؤخذ من اللَّفظ تصريحاً، فهو عندئذ (المنطوق)، وقد يؤخذ منه تلميحاً غير تصريح، وهو عندئذ (المفهوم)، ولذلك قسَّم علماء الأصول دلالة اللَّفظ على معناه وحكمه إلى قسمين في شكل ثنائية قائمة بين لفظي (المنطوق والمفهوم)

أولا: المنطوق: «وهو ما دل عليه اللفظ في محل النطق»[3]. وهو على قسمين:

1_منطوق صريح:

دل على معناه «بطريق المطابقة، أو التضمن»[4]؛ لأنَّ اللفظ وضع من أجله. مثل قوله تعالى:

---

[1]-عدنان ضيف الله الشوابكة: القواعد الأصولية تأصيل وتطبيق، ص: 214.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-تاج الدين السبكي:رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، ج3، تح:علي محمد عوّض، ط1، 1999، عالم الكتب، بيروت.ص484.

[4]-عبد الوهاب عبد السلام طويلة: أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، ص: 318.

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ **[البقرة: 275]**، نلاحظ أنَّ الآية القرآنية قد قرنت بين حكمين: البيع والربا، فدلّ الاقتران بين الحكمين في الآية بمنطوقها الصريح على جواز البيع وحرمة الربا.

2_ منطوق غير صريح:

دلَّ على معناه «بطريق الالتزام؛ وذلك لأنَّ اللفظ مستلزم لذلك المعنى. ومثاله قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ **[البقرة: 233]** فهو يدل على أنَّ النسب يكون للأب، والنَّفقة تكون عليه. وحرف اللَّام لم يوضع لإفادة هذين الحكمين، لكنَّ كليهما لازم للمنصوص عليه»[1]. وعليه فإنَّنا نلاحظ أنَّ الآية قرنت بين النَّسب والنفقة للدلالة على لزومهما الأب.

ثانيا: المفهوم: عرفه ابن الحاجب بأنَّه «ما دل لا في محل النطق»[2] أو«دلالة اللفظ على حكم لم يذكر في الكلام و لم ينطق به»[3]، بمعنى فهم غير المنطوق من المنطوق، بدلالة سياق الكلام ومقصوده. فهناك اقتران بين الكلام المنطوق وحكمه غير المنطوق المفهوم من سياق الكلام الوارد فيه.

ومثاله قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: 23] فقد قرن بين حكم مفهوم من منطوق الآية، وهو تحريم التَّأفف والنَّهر في حق الوالدين، وبيَّن حكم آخر ليس منطوقها، ولكنَّه يتعلَّق بأنواع الأذى الأُخرى، كالشَّتم والضَّرب وسائر ما يؤذي. فهذه الدلالة ليست دلالة بالملفوظ الذي هو محل النطق، ولكنَّها دلالة بما فُهم من هذا الملفوظ وهو المفهوم.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: 7، 8]ويفهم منه ما وراء الذرة.

فقد ذكر الله تعالى الأدنى للتَّنبيه إلى غيره، ولا يحصل هذا التَّنبيه ما لم يفهم الكلام وما سيق من أجله، فلولا معرفتنا أنَّ الآية الأولى سيقت لتعظيم حق الوالدين واحترامهما، لما فهمنا منع الضَّرب والشَّتم والنَّهي عن التَّأفُّف؛ لأنَّ النَّهي عن التَّأفُّف، هو تنبيه للنَّهي عن غيره من الأذى، الذي قد يلقاه الوالدان من الأبناء، فذكر الأدنى للتَّنبيه عن غيره.

---

(1)-عبد الوهاب عبد السلام طويلة: أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، ص319.

(2)-رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، ج3، تح: علي محمد عوّض، ط1، 1999، عالم الكتب، بيروت، ص484.

(3)-عبد الوهاب عبد السلام طويلة: أثر اللغة في اختلاف المجتهدين: ص325.

وعليه فإنَّ الأحكام المستفادة من اللفظ نوعان: إمَّا أن تستفاد من منطوق اللفظ مباشرة، وإمَّا أن يشير اللفظ إليها، وهو المفهوم، فالمنطوق والمفهوم بهذا المعنى وسيلتان يُتوصل بهما إلى معرفة المراد من الألفاظ، فالمعاني المستفادة من الكلام إمَّا أن نتوصل إليها من خلال ما يدل عليه منطوق الكلام مباشرة، فإن لم يدل عليها منطوق الكلام، عُدل إلى مفهومه، بعبارة أخرى ما دلَّ عليه اللَّفظ بمفهومه لا بمنطوقه، فإن دلَّ عليه بلفظه فهو المنطوق، وإلاَّ فهو المفهوم.

رابعا: المظاهر الدلالية للاقتران الثُّنائي عند الفقهاء:

لم يتخلف الفقهاء في إشاراتهم لظاهرة الاقتران الثُّنائي عن أقرانهم من اللغويين والمفسرين وكذا البلاغيين والأصوليين، فمن خلال الكثير من دراساتهم وبحوثهم وجدناهم يستخدمون الكثير من المصطلحات، هي في حقيقتها عبارة عن مقترنات لفظية ثنائية متلازمة، لايمكن فهمها أو الوقوف على مدلولاتها إلاَّ وهي مقترنة، للدلالة على أحكام وقواعد فقهية، في شتَّى جوانب الشريعة الإسلامية. وسنتطرق إلى بعض هذه المركبات الفقهية ودلالاتها كما وضعها الفقهاء، منها:

1_ **إحياء الليل**: للدلالة على ترك النوم طول الليل وشغله بذكر الله تعالى والصلاة فيه. قال الرسول ﷺ في حقِّ سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «**نِعْمَ الرَّجُلُ هُوَ لَوْ كَانَ يُقِيمُ اللَّيْلَ**»[1]

2_ **أصول الفقه**: وهو العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى الفقه.

3_ **إمام الحي**: هو إمام المسجد الخاص بمحلة القوم وحيهم.

4_ **تكبيرة الإحرام**: للدلالة على لفظ (الله أكبر) الذي هي مفتاح الصلاة، وهي ركن من أركان الصلاة والفريضة الثانية فيها بعد النية ولا تصح صلاة الفرد إلاَّ بالإتيان بها، يقولها المصلي بغرض الدخول في الصلاة، والانقطاع عن كل ما يشغله عنها. لقوله ﷺ: «**مفتاح الصلاة الوضوء، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم**» [2]

5_ **البيت العتيق**:هي الكعبة الشريفة سميت بذلك لقدامتها.قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾ [الحج: 29]

---

[1]-فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب قيام الليل، ج3، ص8.

[2]-رواه ابن الملقن، تحفة المحتاج، عن أبي سعيد الخدري، ج1، ص154.

6_ **تحية المسجد**:من أنواع صلاة النفل المستحب، وهي صلاة ركعتين على الأقل، عند دخول المسجد قبل الجلوس، لحديث النبي ﷺ: «**إذا دخل أحدُكم المسجدَ، فلا يجلس حتى يصلّي ركعتين**»[1]

7 _ صلاة الجنازة: للدلالة على الصلاة التي تقام على الميّت لا ركوع ولا سجود فيها، وهي أربع تكبيرات كل تكبيرة مصحوبة بأدعية للميت، وهي فرض عين، إذا قام بها البعض سقطت عن الآخرين.

8_ رحبة المسجد: للإشارة إلى صحنه وساحته، والرَّحْبُ: السَّعَةَ.

9_ سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى: معناه أُبرئ اللهَ تعالى من النقص والسوء.

10_ الصلاة الوسطى: لقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: 238]

11_ المسجد الضرار: وهو مسجد اتخذه المنافقون ضرارا وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله في عهد النبي ﷺ فأنزل الله فيه: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗا﴾ [التوبة: 108]

12_ إحياء الأرض: للدلالة على التصرف في أرض مَوَات وإعمارها بالبناء والغرس والزرع والسقي وغير ذلك من الأغراض الصحيحة.

13_ سجود السهو: أن يسجد سجدتين بتشهد وتسليم لنقص أو زيادة في الصلاة[2].

14_ لباس الإحرام: للدلالة على تجرد الحاج والمعتمر من المخيط والمحيط، ولباس إزارين أحدهما يضعه الحاج أو المعتمر على وسطه، والثاني يضعه على كتفيه.

15_ طواف القدوم: وهو طواف مثل الصلاة يؤديه الحاج عند قدومه المسجد الحرام.

16_ طواف الإفاضة: طواف يأتي به الحاج بعد عودته من عرفة وهو أحد أركان الحج.

17_ الصفا والمروة: جبلان بجوار الكعبة المشرفة يسعى بينهما الحاج والمعتمر سبعة أشواط.

---

[1]-ابن حجر العسقلاني:فتح الباري في شرح البخاري، باب إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس.

[2]-انظر: محمد عميم إحسان مجددي: (التعريفات الفقهية) معجم يشرح الألفاظ المصطلح عليها بين الفقهاء والأصوليين وغيرهم من علماء الدين رحمهم الله تعالى، ط1. 2003، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 19، 23. 35. 38.

18_ الحجر الأسود:جاء في الأثر أنه حجر نزل من الجنة أبيضاً ثم اسود من كثرة تقبيل الناس له وملامستهم له، وهو أحد زوايا الكعبة المشرفة ومنه يبدأ الحاج طوافه وينتهي، ويستحب تقبيله أو الإشارة إليه.

19_ إشارة النّصِّ:للدلالة على ما ثبت من نظم الكلام لغة لكنه غيرُ مقصود ولا سيق له النّصُّ، مثل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ﴾ [البقرة: 233]، فقد سيق لإثبات النفقة، وفيه إشارة إلى أنّ النّسبَ إلى الآباء.

20_ أصحاب الحديث: للأشارة لأهل الحجاز الذين اشتغلوا بالحديث النبوي الشريف و لم يقولوا بالرأي والقياس إلاّ نادرا.

21_ أصحاب الرأي: وهم أصحاب القياس من أهل العراق؛ لأنهم يقولون برأيهم وقياسهم فيما لا يجدون فيه حديثا أو أثراً مستنبطين من الكتاب والسنة والإجماع.

22_ أصحاب الفرائض: هم الذين لهم أسهم من التركة مقدرة في الكتاب أوالسنة أو الإجماع.

23_ أصول الدّين: هو علم الكلام ويسمّى بالفقه الأكبر: وهو علمٌ يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبهة.

24_ أهل الذّمَّة: المعاهدون من اليهود والنصارى وغيرهم ممن يقيم منهم ببلاد المسلمين.

25_ أهل السّنّة والجماعة: هم الذين التزموا طريق السُّنَّة التي كان عليها الصحابة ﷺ قبل بدُوِّ البِدع، كالاعتزال والتَّشيُّع والرَّفضِ وغيرها.

المبحث الثاني

المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي عند المحدثين

ويشمل:

أولا: مظاهر الاقتران الثنائي في علم الدلالة:

أ_ دلالة التضاد على الاقتران الثنائي.

ب_ دلالة الترادف على الاقتران الثنائي.

ت_دلالة التقابل على الاقتران الثنائي

ثانيا: مظاهر الاقتران الثنائي في لسانيات النص من خلال:

أ- التكرار.

ب-المصاحبة اللغوية.

ت-الإحالة.

ث-المشاكلة اللغوية.

ج- العكس والتبديل.

أولا: مظاهر الاقتران الثُّنائي في علم الدلالة:

ذكر أحمد مختار عمر لعلم الدلالة طائفة من التعاريف، فقد أورد أنَّ علم الدلالة هو«دراسة المعنى» أو هو«العلم الذي يدرس المعنى» أو «ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظريَّة المعنى» أو «ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرَّمز، حتى يكون قادراً على حمل المعنى» [1].

وعليه فمن خلال هذه التعاريف التي ساقها أحمد مختار عمر لعلم الدلالة نلاحظ أنَّ هناك علاقة ما بين اللفظ دلالته، سواء منها الدلالة «الصوتية والفونولجية والنحوية والمعجمية»[2] **فـــالدلالة الصوتية** تستمد من حروف الكلمة وأصواتها، كدلالة لفظي (النَّضح والنَّضخ) فكلاهما يستعملان للتَّعبير عن سيلان الماء، غير أنَّ لفظ (النَّضح) يستعمل في السَّيلان الضَّعيف، و(النَّضخ) للسَّيلان القوي. وهي الدَّلالة التي أشار إليها ابن جني في كتابه (الخصائص) في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني). **والدلالة الصرفية**، تُستمد من بناء الكلمة وصيغتها؛ لأنَّ بناء الكلمة له دور حاسم في الدَّلالة على معناها، سواء أبنيَّتها الزمانية: الماضيَّة والحاضرة وبناء الأمر، أو ما تعلَّق باللَّواصق والزِّيادات التي تلحق هذا البناء من حروف وأدوات، التي لها أثرها البارز في تحديد معنى الكلمة ودلالتها. **والدلالة النحوية**: تُستمد من ترتيب الكلمة في التَّعبير وانتظامها. **والدلالة المعجمية**، وهي دلالة عامة متعددة وقابلة للتَّغيير، تُسْتَمَدُّ من السِّياق الذي وُضِعَت فيه. هذه العلاقات الدَّلالية المتعدِّدَة أُعتبرت وسيلة من وسائل نمو اللُّغة واتساعها، حيث تتولَّدُ منها معاني ودلالات جديدة، كالتضاد، والترادف، والتَّقابل. وهذه المعاني أو الدلالات تمثل في الغالب العام مظاهر للاقتران ثنائي من خلال:(الكلمة وضدها) أو (الكلمة ومرادفها) و(الكلمة وما يقابلها)، وسأتوقف في القادم من البحث عند هذه الدلالات، كما يلي:

---

[1]-أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط5، 1998، . عالم الكتب، القاهرة.ص11.

[2]-محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط2، 1997، دار الفكر العربي، القاهرة ص213.

أوَّلاً: دلالة التضاد على الاقتران الثنائي:

يطلق التضاد عند علماء العرب على معنيين:

أحدهما: على المعنى وضده، فتكون الكلمة الواحدة بهذا المفهوم قد اقترن بها معنيان، إذا ذَكَرَ المتكلِّم أحدهما، ابتدر إلى ذهنه المعنى الثَّاني، كلفظ (الجون) كما يقول الثَّعالبي«الذي يُطلق على الأبيض والأسود؛ ولفظ (القُرُوءُ): للأطهار والحيض، ولفظ (الصَّريم): لليل والصبح، ولفظ (الخَيلولة): للشك واليقين، ولفظ (النِّدُّ): المِثلُ والضد، ولفظ (الزَّوجُ): الذَّكَرُ والأُنثى، ولفظ (النَّاهِلُ): العطشان والرَّيَّان... كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [التكوير: 17]، «قال أبو عبيدة: يقال عسعس الليل: إذا أقبل وإذا أدبر»»[1]

وقوله تعالى ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ﴾ [يونس: 54]، ، «قال الأصمعي: يقال أسررت الحديث كتمته، وأسررته أظهرته»[2]. ويستدلُّ –علي عبد الواحد وافي– على هذا المعنى بمجموعة من الألفاظ المتضادَّة التِّي تحمل المعنيين منها: « (الصَّارخ): للمستغيث والمغاث؛ و(البين): بمعنى الفراق والوصل؛ و(الخشيب) من السَّيف الذي لم يصقل، وهو أيضاً الذي أحكم عمله وفرغ من صقله؛ و(المسجور) الذي يطلق على المملوء والفارغ؛ و(البسل) بمعنى الحلال والحرام؛ و(الرجاء) المستعمل في الرغبة والخوف»[3].

والثَّاني: يُطلَق على «اللفظين يختلفان نطقاً ويتضادَّان معنىً؛ كلفظ الصغير في مقابل الكبير، والضَّعيف في مقابل القوِّي.والجميل في مقابل القبيح»[4].

و كلا المعنيين كان لهما حظ واهتمام في الدِّراسات اللغوية القديمة أو الحديثة، إلاَّ أنَّ اهتمام اللغويين المحدثين بالمعنى الأول وهو" اللفظ المستعمل في معنيين متضادين"، كما يقول أحمد مختار عمر كان ضئيلاً جداً، فممن درسه من اللُّغويين المحدثين نجد (أولمان) في كتابه المترجم: «دور الكلمة في اللُّغة»عند حديثه عن تعدُّدِ المعنى حيث يقول: «من المعروف أنَّ المعاني المتضادَّة للكلمة الواحدة، قد

---

[1]–أبو منصور الثعالبي: كتاب فقه اللغة وسرّ العربية، ص: 348، 349.

[2]–أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص202.

[3]–علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، ط3 سنة 2004، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.ص148.

[4]–أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 191.

تعيش جنباً إلى جنبٍ بقرون طويلة بدون إحداث أي إزعاج أو مضايقة»[1].

ويستشهد (أولمان) على رأيه هذا بمجموعة من الكلمات المتضادَّة بهذا المفهوم؛ فيقول مثلا: «فالكلمة اللاتنية (Altus) مثلاً قد يكون معناها: (مرتفع) أو (منخفض)، وهذا مرجعه إلى الإدراك النِّسْبِي للمدى، وهو إدراك تتحكَّم فيه وجهة نظر المتكلم. وكلمة (Sacer) هي الأخرى قد يكون معناها (مقدَّس) أو (ملعون)» [2].

وأمَّا المعنى الثَّاني للتضاد الذي يطلق على اللفظين يختلفان نطقاً ويتضادان معنىً، فقد نال حظاً واسعاً في مختلف الدِّراسات اللغوية قديمة كانت أو حديثة، خاصَّة في مجال صناعة المعاجم وهو المذكور فيها باسم: النَّقيض، والضِّد، والخلاف. فهذه المصطلحات تُعبر عن معنى واحد، يدل على أنَّ المعجميين بادلوا بينها في مواضع شتى؛ فنجد مثلاً في (لسان العرب): «الحرُّ ضِد البرد، والحار نقيض البارد، والحرارة ضِد البرودة»[3]، ونجد في المنجد: «الأَمَةُ خلاف الحُرَّة، والحَرُّ ضد عبد أو أَسير.....والمعنى نفسه استعمله البلاغيون بأسماء عديدة منها: الطباق والمطابقة والتطابق والتكافؤ والمقابلة....» [4]. إلاَّ أنَّ هذا القسم من التضاد، لم يعره اللغويون المحدثون كثيرا من الدراسة والبحث. يقول أحمد عمر في هذا المعنى: «وعلى الرغم من وجود ظاهرة استخدام اللَّفظ الواحد في معنيين متضادَّين في كلِّ اللُّغات، فإنَّ الاهتمام الذي لاقته هذه الظاهرة من اللُّغويين المحدثين كان ضئيلاً، وربما لم تشغل من اهتمامهم إلاَّ قدراً يسيراً، ولم تستغرق مناقشتهم لها إلاَّ بضعة أسطر...»[5].

العلاقة بين الكلمات المتضادة:

من خلال ما سبق ذكره نستنتج أنَّ التضاد علاقة لغوية قائمة بين الكلمات ومعانيها، وهذه العلاقة هي التي تستحضر المعاني في الذِّهن بمجرد ذكر هذه الألفاظ المتضادَّة، وفي هذا المعنى يقول إبراهيم أنيس: «الضِّدِّيَّة نوع من العلاقة بين المعاني، بل ربما كانت أقرب إلى الذِّهن من أيَّة علاقة أخرى، فبمجرد ذكر معنى من المعاني يدعو ضِدَّ هذا المعنى إلى الذِّهن، لا سيما بين الألوان، فَذكر

---

[1]-ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، ص: 118.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-ابن منظور: لسان العرب. ج4، دار صادر بيروت، ص177.

[4]-الزهراء مني: ظاهرة التضاد في لغة التضاد وأثرها في تفسير القرآن: ص 32. (رسالة ماجيستر، جامعة الجزائر)

[5]-أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص: 191.

البياض يستحضر في الذهن السواد» [1]. كأنَّه آلة طبيعيَّة يستعملها الذهن لاستحضار معاني الألفاظ، ومن هذا المنطلق تُعدُّ«العلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني، فاستحضار أحدهما في الذهن يستتبع عادة استحضار الآخر» [2].

من ناحية أخرى نلاحظ أنَّ التضاد أكسب اللغة اتساعاً كبيراً في دلالة الألفاظ على المعاني وهو الذي يسميه قطرب(ت 206ه) بالاتساع في الكلام فيقول: «إنّما أوقعت العربُ اللَّفظتين على المعنى الواحد؛ ليدلوا على اتِّساعهم في كلامهم، كما زحفوا في أجزاء الشِّعر؛ ليدلوا على أنَّ الكلام واسع عندهم، وأنَّ مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب»[3]، كقولهم: «الصَّريم، يقال للَّيل صريم، وللنهار صريم؛ لأنَّ الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل، فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع. وكذلك الصارخُ: المُغيث، والمستغيث، فالمغيث يصرخ بالإغاثة، والمستغيث يصرخ بالإستغاثة؛ فأصلهما من باب واحد»[4].

انطلاقاً من هذا المعاني الجديدة، الذي اكتسبتها اللغة عن طريق ظاهرة (التَّضاد) نلاحظ أنَّ ثَمة علاقة ظاهرة بين الكلمات المتضادَّة، إذ بواسطتها تنتقل معاني الألفاظ من لغة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر؛ فيؤخذ بهذه المعاني الجديدة في الكلام والتَّعبير. يقول الإمام السيوطي (ت911هـ) مؤكداً هذا المعنى: «إذا وقع الحرف على معنيين متضادين، فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحيٍّ من العرب والمعنى الآخر لحيٍّ غيره، ثمَّ سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء»[5].

للإشارة فإنَّ«المعاني التِّي تربطها علاقات ضدية إحداها أصلية ناشئة عن الوضع اللغوي، والأخرى طارئة ناشئة عن الاستعمال وضروراته الاجتماعية»[6]، فيظهر لنا أنَّ العلاقات الضدية الأصلية منها والناشئة، ما هي إلاَّ اقتران ثنائي نتج عنه تعدد المعنى للكلمة وضدها. وقد مر بنا سلفا كيف أنَّ كلمة (الجون) مثلاً اقترن بها لفظان أحدهما: الأبيض والثَّاني الأسود، وكلمة (القُرء) في القرآن اقترن بها أيضاً لفظان، أحدهما الطُّهر والثَّاني الحيض، ولفظ (الند) الذي جمع بين لفظ المِثل

---

[1]-إبراهيم أنيس: اللهجات العربية، ط8. 1992. دار الفكر العربي، ص: 166.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-جلال الدّين السّيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص: 305.

[4]-المصدر نفسه، ص: 306.

[5]-المصدر نفسه الصفحة نفسها

[6]-محمد يونس علي: مقدمة في علم الدلالة والتخاطب. ط1. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت. ص75.

والضد، ولفظ (الزَّوج) الذي عُبِّرَ به عن لفظ الذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: 49].

وانطلاقاً من هذه الأمثلة وألفاظها المتضادَّة يظهر لنا أنَّ هذا الأخير يشكل لنا مظهرا للاقتران الثنائي حيث جمع بين الكلمة وضدها، وهي الظاهرة التي كان لها الأثر البليغ والإسهام الكبير في إثراء اللغة واتساع معاني ألفاظها من خلال هذه الألفاظ الجديدة المتواردة على الكلمة الواحدة.

ويظهر لنا الاقتران الثنائي في مسألة التضاد بشكل جليٍّ من خلال أنواعه وأشكاله المتمثلة في:

1_ **التَّضاد الحاد:** كثنائية: (حي وميِّت)، (ذكر وأنثى)، (ليل ونهار) [1].

2_ **التَّضاد المتدرِّج:** كثنائية: (البرودة والحرارة) فهما يختلفان باختلاف المناطق والبلدان، (العسر واليسر) يختلفان باختلاف الأشخاص والمستويات المعيشة[2].

3_ **التَّخالف:** كثنائية: (كبير وصغير)، (مؤمن وكافر)، (قوي وضعيف) [3].

4_ **التَّضاد اللازم:** مثل: (نائم ومستيقظ)

5_ **التَّضاد في الإتجاه (الاتجاهي):**نحو: (فوق وتحت)، (أعلى وأسفل)، (ذهب ورجع)، (وصل وغادر)

كلُّ هذه المتضادَّات المختلفة تمثل مظهراً للاقتران الثُّنائي، تتألَّف من الكلمة وضدِّها، إذا ذكرت إحداهما ذكرت الثَّانية، للدَّلالة على سعة اللُّغة وتطورها في مجالات استعمالاتها المختلفة.

ب_ دلالة التَّرادف على الاقتران الثنائي:

يُعرف علماء اللغة الترادف بأنه عبارة عن: «دلالة لفظين، أو أكثر على معنى واحد. مثل: أسد وليث: للحيوان المفترس، وعقار وصهباء: للخمر، وبر وحنطة: للحبة المعروفة»[4]، فهذه الكلمات كما يقول إبراهيم أنيس: «اتَّحدت في المعنى واختلفت في الصورة، وإن كان اختلاف

---

[1]-نور الهدى لوشن: مباحث في علم اللغة، المكتبة الجامعية، الاسكندرية، ص193.

[2]-المرجع نفسه، ص390 (بتصرف)

[3]-المرجع نفسه، ص391(بتصرف)

[4]-عبد الغفار حامد هلال: علم الدلالة اللغوية، دط.ص107.

صورتها ظاهريا لا حقيقياً»[1]. واختلاف صورة الكلمة وبنيتها الشكلية وفق هذا الاعتبار رغم إحاد معناها، أدى إلى ظهور عدد من الألفاظ للكلمة الواحدة، تقترن بها وتلازمها وتستدعيها عند استعمالها الفعلي، فإذا ذكر (الأسد) مثلاً استدعى الذِّهن مجموعة من الأسماء الأخرى يقترن لفظ الأسد ويُسمى بها. والأمر نفسه مع لفظ (السَّيف)، و(العسل)...

ومن هذا المنطلق يمكن لنا أن نستخلص أسباب ظهور التَّرادف في اللغة، والتي شكَّلت في حَدِّ ذاتها مظهراً للاقتران الثنائي بين ألفاظ اللغة. منها:

_**اختلاف اللغات وتعدد اللهجات:** فبعد انتشار الإسلام في أصقاع العالم ودخل الناس في الإسلام أفواجاً، اصطحب هؤلاء النَّاس لغاتهم ولهجاتهم معهم؛ استعمالاً وتواصلاً، فحدث ما يعرف بالتَّأثير والتَّأثر بين اللُّغة العربية وغيرها من لغات هؤلاء الأقوام ولهجاتهم، فانتقلت إلى العربية كثير من ألفاظ الفارسية، والرُّومية، وغيرها. مثل: النَّرجس ويرادفه العنبر، والسندس والاستبرق، ويرادفه الحرير، والمسك ويرادفه في العربية المشموم... فبين هذه الألفاظ المترادفة (النَّرجس والعنبر)، و(المسك والمشموم) اقتران في المعنى.

وللدلالة على هذا المفهوم أورد إبراهيم أنيس أحاديث نبويَّة شريفة، وأحداث وقعت استدلَّ بها على ظاهرة التَّرادف، قد تكون سبباً أدى إلى اختلاف اللُّغات وتعدُّدِ اللَّهجات، ومما استدلَّ به على التَّرادُف، حديث لأبي هريرة ﷺ ومَا حَدَثَ له مع النَّبي ﷺ: «رُويَ أنَّ أبا هريرة لقي النَّبي ﷺ وقد وقعت من يده السكين، فقال له النَّبي ﷺ: ناولني السكين، فَالْتَفَتَ أبو هريرة يمنة ويسرة، و لم يفهم المراد بهذا اللفظ، فكرَّرَ له القول ثانيَّة وثالثة وهو يفعل ذلك، ثم قال: «آالمدية تريد؟» وأشار إليها. فقيل له نعم. فقال: أو تُسَمَّى عندكم سكيناً؟ ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ»، وإبراهيم أنيس يعلق على الحديث فيقول: «لعلَّ هذه الحادثة وقعت قبل نزول القرآن بلفظ السكين في سورة يوسف»[2].فبين السكين والمُديا ترادفاً شَكَّل في الوقت نفسه مظهراً من مظاهر الاقتران الثنائي في اللفظ والدلالة، فالمدية تعني السكين، والسكين تعني المدية.

كما استدلَّ على اختلاف اللُّغات وتعدُّدِ اللَّهجات في إثبات التَّرادف ما أورد «أنَّ رجلاً من بني كِلَاب أو من سائر بني عامر بن صعصعة، خرج إلى ذي جدن من ملوك اليمن، فَطَلَع إلى سطحٍ والمَلِكُ عليه، فلما رآه الملك اختبره فقال له (ثِبْ) يريد اقعد، فقال الرَّجل: (ليعلم الملك إنِّي سامعٌ

---

[1]-إبراهيم أنيس: اللهجات العربية، الناشر دار الفكر العربي، مطبعة الرسالة، مصر. ص: 139.

[2]-المرجع نفسه، ص: 139.

مُطيعٌ) ثم وَثَبَ من السَّطح، فقال الملك: ما شأنه؟ فقالوا له: إنَّ الوَثْبَ في كلام نزار الطمر(أي الوثوب إلى الأسفل)، فقال الملك: ليست عربيتنا كعربيتهم، من دخل ظِفَار حَمَّر، أي من دخل مدينة ظِفار اليمنية تكلَّم الحميرية»[1].فبين الوثوب والقفز إلى الأسفل علاقة دلالية في ذهن مستعمل هذه اللَّهجة؛ لأنَّ معناهما واحد لايفترقان في الدلالة عليه.

_ **المجاز:** قد تستعمل بعض الألفاظ في معان مجازية، فتتفق مع بعض الألفاظ في معانيها الحقيقيَّة، ثُمَّ ينسى المجاز، حتى يظن أنَّها حقائق، فتصبح تلك الألفاظ مترادفة، كإطلاق لفظ «(اللسان) على اللغة، و(العين) على الجاسوس، فقد شاع ذلك حتى عُدَّ ترادفاً بين اللسان واللغة، والعين والجاسوس»[2]. ويعتبر الوضع من الأسباب التي أدت إلى ظهور ألفاظ ذات دلالتين، ويقصد بالوضع «أن تَضَعَ إحدى القبيلتين أحد الاسمين، والأخرى الاسم الآخر للمسمَّى الواحد، من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى، ثم يشتهر الوَضْعان، ويخفى الواضعان، أو يلتبس وَضْع أحدهما بوضع الآخر؛ وهذا مبني على كون اللُّغات اصطلاحية»[3].فالمعاني الحقيقيَّة والمجازيَّة الموضوعة لهذه الألفاظ في حقيقتها اقتران ثنائي بينهما، إذ يعمد المتكلِّم أو المفسِّر إلى استحضار المعاني الحقيقيَّة للفظة ثمَّ يُبَيِّن بعدهما المعاني المجازية المرادة منها.

وفي الدراسات الحديثة نجد الاقتران الثنائي في الترادف يظهر في عدة أشكال، منها ما يعرف:

_ **التقارب في المعنى** (near synonymy) ويسمى كذلك التشابه أو التداخل: «ويطلق على اللفظين يتفقان في كثير من الملامح الدلالية، إلا أن كل لفظ منهما يختلف عن الآخر في ملمح دلالي أو أكثر، ونجده كثيراً في الحقول الدلالية حيث يميل كثير من الباحثين إلى تصنيف الكلمات ذات الملامح الدلالية المتقاربة تحت معنى واحد، مع الاحتفاظ بالفروق الدَّقيقة بين هذه الألفاظ في المجال الدلالي الواحد.وهذا ما أراده (جون لويتز) بالتَّرادف. مثل: عَامٌ، سَنَةٌ، حَوْلٌ»[4]، فكل هذه الألفاظ استعملت في اللغة العربية بنفس الدلالة. وقد وقعت في القرآن الكريم أيضا بالمعنى نفسه، قال تعالى: ﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ [البقرة: 259]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [البقرة: 96]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ

---

[1]-إبراهيم أنيس: اللهجات العربية، ص: 140.

[2]-عبد الغفار حامد هلال: علم الدلالة اللغوية ص: 109.

[3]-جلال الدين السّيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص: 308. 309.

[4]-أحمد مختار عمر: علم الدلالة: ص221

﴿ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة: 240] فمن خلال مواقع هذه الألفاظ الثلاثة من القرآن الكريم، يتبيَّن لنا أن بينها اقتران وتلازم في المعنى والدلالة. والأمر نفسه في بعض الألفاظ الأجنبية، فنجد مثلا كما كما يورد -أحمد مختار عمر -كلمة: Reply مع Answer، أو كلمة: Ill مع Sick، أوكلمة: Passes مع Own[1].

كما نجد ما يعرف بالتَّقارب الدلالي (Semantic Relation) ما هو إلاَّ عبارة عن اتِّفاق لفظين، أو تقاربهما في ملامح دلالية كثيرة، لكن يختلف كل لفظ منهما عن الآخر بملمح واحد على الأقل، ونجد هذا النوع من التَّرادف في كلمات الحقول الدلالية ذات المعاني المتقاربة، نحو كلمتي: (حُلْم)، و(رُؤْيا) في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ﴾ [يوسف: 5]، وقال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ [يوسف: 44]، والتي تمتلك تقارباً في المعنى، وكلمات: Craul، Skip، Hop، Run، Walk[2]. إنَّ هذا التقارب الدلالي شَكَّلَ لنا ألفاظاً مقترنة متفقة في معانيها وماهيتها.

_ الاستلزام (entailment):

ويقصد بالاستلزام ما يترتَّب على وجود كلمة ما في التركيب أو الجملة وجود كلمة أخرى، تقترن بها وتستلزمها، فإن وجود (س1) مثلا يترتب عليه أو يستلزم وجود (س2). فكل ما يصدق على (س1) يصدق على (س2)، ويمثل -أحمد مختار عمر- لهذا النوع من التَّرادف بقوله: «قام محمد من فراشه السَّاعة العاشرة، يستلزم أنَّ محمداً كان في فراشه قبل العاشرة مباشرة»[3].فيظهر لنا عن طريق الاستلزام أنَّ هناك ترابطاً أو اقتراناً واضحاً بين محمد وفراشه. أو بين الآذان والصلاة، وبين شهر رمضان والصيام، وبين الحج والعمرة، وبين الوضوء والصلاة...فبين هذه الألفاظ علاقة استلزامية، فكلٌّ لفظ يستلزم الثاني ويقترن به.

_ استخدام التعبير المتماثل: أو الجمل المترادفة (Paraphra): ويسميه القدماء من علماء اللغة بالتوارد ويقصد بهذا النوع «امتلاك جملتين لنفس المعنى في اللغة الواحدة»[4]. نحو قولهم: أصلح

---

[1]-أحمد مختار عمر: علم الدلالة: ص220.

[2]-المرجع نفسه: ص222.

[3]-المرجع نفسه: ص221.

[4]-المرجع نفسه: ص222.

الفاسد، و لمَّ الشَّعث، ورتق الفتق...

_ **الاندماج المعجمي:** ويمثلون للاندماج المعجمي بمثل التعبير عن التَّجمع: « Covered With Coment بكلمة واحدة هي: «Comented[1]»، وهو ما يعرف في الدراسات العربية القديمة بـــاسم ـــ(النَّحت)، فقد عُرِفَ عن العرب أنَّهم ينحتون من كلمتين أو أكثر كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار كقولهم: رجلٌ عبشمي، منسوب إلى عبدِ شمس، وفيه أنشد الخليل (ت170ه) [من الوافر]:

أَقُـــولُ لَهَـــا وَدَمْـــعُ العَـــيْنِ جَـــارٍ أَلَـــمْ يَحْزُنْـــكِ حَيْعَلَـــةُ المُنَـــادِي؟

فـــ(حيعلة) من قولهم حَيَّ عَلَى الصَّلاَة، وقولهم: صَهْصَلِق فهو من صَهَلَ وصَلَق، والصَّلْدَمُ من الصَّلْدِ والصَّدْم[2].

الترجمة: (Tronslation):

«ذلك حين يتطابق التعبيران، أو الجملتان في اللغتين، أو داخل اللغة الواحدة حين يختلف مستوى الخطاب؛ كأن يترجم نصٌّ علميٌّ إلى اللغة الشائعة، أو يترجم نص شعري إلى نثري»[3].فبين الكلمة الأصلية، والمعنى المترجم علاقة ثنائية تلازميَّة، إذ لا نستطيع فهم المعنى المراد من اللفظة إلاَّ بالرجوع إلى اللفظ المترجم، حينئذ ندرك مدى قوة العلاقة بين اللفظين أو الكلمتين.

التفسير: (Interpretation)

يمثل أحمد مختار عمر لهذا المعنى بهذه الرُّموز فيقول: «يكون (س) يفسر (ص) إذا كان (س) ترجمة (ص)، وكانت التعبيرات المكونة لـــ(س) أقرب إلى الفهم من تلك الموجودة في (ص)» [4] وعلى هذا الأساس قرر أحمد مختار عمر "أنَّ كلَّ تفسير ترجمة، لا العكس، لاختلاف فهم المعنى من شخص لآخر، فما يعد تفسيراً لشخص، قد لا يعد تفسيراً لشخص آخر"[5].

---

[1]-أحمد مختار عمر: علم الدلالة: ص222.

[2]-أبو منصور الثعالبي:كتاب فقه اللغة وسر العربية:ص: 356.(البيت بلا نسبة في لسان العرب:ج11، ص156، 708)

[3]-أحمد مختار عمر: علم الدلالة: ص222.

[4]-المرجع نفسه: ص223.

[5]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وانطلاقا مما سبق يظهر لنا بوضوح أنَّ الكلمات المترادفة تمثِّلُ مظهراً من مظاهر الاقتران الثُّنائي؛ لأنَّ الاقتران الثُّنائي كما رأينا هو عبارة عن الجمع بين كلمتين أو مصاحبة إحداهما للأخرى، لتؤدِّي وظيفة لغوية معيَّنة أرادها المتكلِّم نلمسها من خلال السياق، أو ميل اعتيادي وطبيعي لكلمة ما على الاقتران بكلمات أخرى، اتَّحدت في المعنى كما يقول إبراهيم أنيس «واختلفت في الصورة والشَّكل اختلافاً ظاهرياً لا حقيقياً» [1]. فالعلاقة بينهما علاقة اقتران وتلازم في المعنى والدلالة، وإن اختلفتا في الشكل والصورة.

ت_ دلالة التقابل على الاقتران الثنائي:

يُعرِّفه أحد علماء اللغة بقوله:«ثنائيات لفظية مختلفة تقابل ثنائية دلالية تقابلاً متضاداً متناقضاً»[2].فهو بهذا الاعتبار عبارة عن ألفاظ مقترنة ثنائيًّا تقابل بعضها بعضاً تشكل لنا ثنائية متضادة ومتقابلة. وهو أنواع، منها:

1_ **التقابل بين النظيرين:** كمقابلة: السِّنة بالنَّوم في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:255] فالسِّنة وهو النُّعاس من مقدِّمات النَّوم[3].

2_ **التقابل بين النقيضين:** مثل قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف:18] فاليقظة ضد الرُّقاد.

3_ **التقابل اللفظ والمعنى:** مثل قوله تعالى:﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة:82] فقد قابل بين الضحك والبكاء، والقليل والكثير.

ثانيا: الاقتران الثنائي في لسانيات النص:

من مظاهر الاقتران الثنائي في لسانيات النص ودلالته:

1_ التكرار: يُقصد بالتكرار«الإعادة المباشرة للكلمة»[4]، والتكرار بهذا المعنى يُعتبر آلية من آليات الإحالة. أي الإحالة إلى سابق؛ بمعنى الكلمة الثَّانية منهما تحيل إلى الأولى. وعليه فإن الكلمتين

---

[1]-إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية.ط8. 1992، مكتبة الأنجلو المصرية، ص139.

[2]-محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليًّا، ص34.

[3]-ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت. ط1997، ص2.

[4]-عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ط2، 2009، مكتبة الآداب، القاهرة.ص141.

المكرَّرتين لا تعبران على اقتران ثنائي إلاَّ إذا كان لهما الإحالة نفسها، بمعنى هناك تلازم بين الكلمتين المكرَّرتين لا يستقيم الكلام إلاَّ بذكرهما على هذا النَّمط. والتِّكرار بهذا المعنى أشكال وضروب، منها:

أ- **تكرار الكلمة نفسها:** وهو عبارة عن «تكرار الألفاظ في الاستعمال الواحد دون تغيير، أو إعادة الكلمة نفسها»[1]. ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾﴾ [المدثر: 18، 20]. فقد أعاد عبارة «**كيف قدر**»مرَّتين، وأعاد (**قدر**) ثلاث مرات؛ لأنَّ التَّقدير: أنَّ الوليد بن المغيرة فكَّرَ في بيان محمد ﷺ، وما أتى به، وقدَّرَ ما يمكنه أن يقول فيه، فقال سبحانه: « **فقتل كيف قدر**»، أي: القول في محمد، و«**ثم قتل كيف قدر**» أي: القول في القرآن، والمقصودبالضَّمير المستتر في هذه الجمل المتكرِّرَة (الوليد بن المغيرة) وهو نفسه المقصورد بالضَّمير المتَّصل (الهاء) في (**أنه**)؛ لأنَّه هو الذي نزلت في حقِّه هذه الآيات، بسبب طعنه في القرآن الكريم، والأمر نفسه في بقية الضَّمائر الأخرى: (في فكَّر وقدر، ثم قتل كيف قدر).كلُّها تحيل إليه وتقصده. وعلى هذا الأساس مثل لنا التكرار في هذه النصوص مظهراً للاقتران الثنائي وشكلاً من أشكاله.

ب_ تكرار النعوت لواحد: كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القلم: 10. 13]، وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الأعلى: 1، 4] ففي هذه الآيات تكرار لمجموعة من النعوت، والمنعوت واحد في شكل ألفاظ مقترنة ثنائيا.ففي آيات سورة القلم نجد: (هماز نميم)، (مناع للخير)، (معتد أثيم)، (عتل زنيم). والمتأمِّل في هذه الألفاظ ترك العطف بين ألفاظها؛ لاشتراكها في معنى واحد. بينما في الآيات سورة الأعلى ذَكَرَ حرف العطف وجمع به بين ألفاظها، وذكره في الآية يفيد عدم اتحادها في المعنى، فـــ«كل صفة منها مستقلة بذاتها»[2].

---

[1]-محمود بن حمزة الكرماني: أسرار التكرار في القرآن الكريم، تح:خيري سعيد، دط، دار التوفيقية للتراث، القاهرة. ص159.

[2]-بدر الدين الزركشي:البرهان في علوم القرآن، ج2، ص446.

ت-الترادف أو شبه التَّرادف: ويقصد به تكرار المعنى دون اللفظ، «ويعد الترادف بهذا المعنى ومظهراً للاقتران الثنائي، عن طريق استخدام كلمات لها معنى مشترك، ويهدف استخدام الترادف بدلاً من التكرار المباشر للكلمة إلى التنويع في الأسلوب، لنفي الشعور بالضجر والملل، حيث إنَّ المرادف المستخدم يضفي على المحتوى تنوعاً»[1]، كما يوحي الترادف بهذا المعنى بنوع من الانتقال من اللَّفظ إلى معناه، للتنبيه على خصوصيَّته وأفضليَّته. وهو عند ابن الأثير انتقال من العام إلى الخاص، فيكون أحدهما عاماً والثَّاني خاصاً، وهذا الانتقال كما يرى «يهدف إلى التركيز على المنتقل إليه، لبيان أفضليته وأهميته»[2]. كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ** ﴾ [آل عمران: 104]، فإن المتأمل في الآية الكريمة، يلاحظ اقتران قائم بين الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يلاحظ فيها نوع من أنواع التكرار، يحمل معنى الترادف، إذ لم يكرر الكلمة(**الخير**) وإنما جاء بمعنى من معانيها ألاَ وهو (الأمر بالمعروف)، والمعروف نوع من أنواع الخير. وهو الأسلوب الذي أشار إليه ابن الأثير، إذ يظهر فيه انتقال الألفاظ المترادفة من العام وهو الخير، إلى الخاصِّ وهو الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، للتَّنبيه والتَّأكيد على أهميَّة المنتقل إليه وأفضليَّته.

ث- الكلمة الشاملة:

«يقصد بالكلمة الشاملة في التَّعبير أو التركيب أنَّ إحدى الكلمات تشير إلى فئة، والكلمة الأخرى تشير إلى عنصر من هذه الفئة»[3]، كقوله تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ** ﴾ [آل عمران: 104]، وقوله تعالى: ﴿ **فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ** ﴾ [الرحمن: 68]، وقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾** ﴾ [الأحزاب: 72]، وقوله تعالى: ﴿ **حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ** ﴾ [البقرة: 238]، فـ«لفظ(**الخير**) في الآية الأولى لفظ شامل اقترن به لفظ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكلمة (**الفاكهة**) في الآية الثانية كلمة شاملة، اقترنت بها أنواع أخرى من الفواكه؛ كالنخل والرمان. وكلمة (**الأرض**) في الآية الثالثة كلمة شاملة، اقترنت

---

[1]-عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ط2، سنة2009، مكتبة الآداب، القاهرة، ص107.

[2]-جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص91.

[3]-عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ط2، سنة 2009، مكتبة الآداب، القاهرة.ص108.

بها الجبال، والصلاة الوسطى في الآية الرابعة اقترنت بالصلوات المفروضة»[1] وعليه نلاحظ أنَّ هذه الألفاظ الشاملة قد أشارت إلى معانٍ أو مجموعة من كلماتٍ أخرى محدَّدة واقترنت بها، والكلمات الأخرى كذلك أشارت إلى عناصر من تلك المجموعة واقترنت بها، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نعتبر أنَّ هذه الألفاظ الشَّاملة المقترنة بألفاظ هيَّ عناصر منها، قد انتقلت من الشُّمول أو العموم إلى الخصوص، في شكل ثنائيات مقترنة إمَّا عبر ألفاظها كما رأينا، أو عبر جملها؛كقوله تعالى:«**يدعون إلى الخير**» جملة شاملة؛ لاشتمالها على جملتين أخريين هما «**يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**» اقترنتا بها ولازمتها.

جـــ _ المجاورة:

ويُقصد بها تردُّد في البيت لفظتان متجاورتان، من غير أن تكون إحداهما لغواً لا يُحتاج إليه، كقول علقمة[2]: [من البسيط]

وَمُطْعَمُ الغُنْمِ يَــوْمَ الغُــنْمِ مُطْعَمُــة أَنَّــى تَوجَّــهَ وَالمَحْــرُومُ مَحْــرُومُ

فنلاحظ اقتران (الغنم بالغنم)، و(المحروم بالمحروم) وهذا الاقتران جاء من باب التِّكرار بالمجاورة تحقَّقَ كما يقول محمد عبد المطلب «على المستوى الصَّوتي والمستوى الدَّلالي على صعيد واحد»[3]

2_ المصاحبة اللغوية:

تعد ظاهرة المصاحبة اللغوية شكل للاقتران الثنائي، ومفهوم من مفاهيمه، والمصاحبة اللغوية تدل على معنى المرافقة أو المصاحبة بين زوج من الكلمات، لعلاقة ما تربطهما. كالتباين أو التعارض بين فعلين مثلاً أو اسمين. فنلاحظ مثلاً في قوله تعالى: ﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ** ﴾ [الملك: 2]، تبايناً واضحاً بين الاسمين (**الموت والحياة**) للدَّلالة على عظيم قدرته وسعة ملكه. أمَّا في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾** ﴾ [يوسف: 16]. فنلاحظ تعارضاً بين الفعلين " **ذهبوا– جاؤوا**" وهما متضادَّان. وَنَوَدُّ الإشارة في هذا المقام إلى أنَّ

---

[1]–جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص91.(بتصرف)

[2]–السيد أحمد الصقر: شرح ديوان علقمة الفحل، ط1. مكتبة المحمودية التجارية القاهرة، ص67.

[3]–محمد عبد المطلب:البلاغة والأسلوبية، ط1. 1994، مكتبة لبنان ناشرون. ص301. 302.

المصاحبة اللغوية لا تتوقَّف فقط على علاقتي (التَّباين والتَّعارض) بل هناك علاقات أخرى ترتبط بها، كالتَّضام والتَّوارد والتَّلازم والرَّصف، وكلُّ هذه العلاقات تسهم جميعاً في قوَّة الكلمات المتصاحبة في معناها ودلالتها. وقد قالوا قديما في المثل: (**بضدِّها تتميَّز الأشياء**)، فـــ(الأبيض والأسود)، و(الليل والنهار)، و(الموت والحياة)، تشير هذه الألفاظ المتصاحبة إلى كثير من المعاني والدلالات –عبر سياقتها المختلفة– التي يريدها المتكلم. كما نشير أيضاً إلى أنَّ هذا الدور لا يتوقَّف عند الاستعمال المعجمي فقط، بل يتعدَّاه إلى المستوى النحوي، والصرفي... وكذا ما يعرف في البلاغة العربية في باب المحسنات البديعية: كالطِّباق، والتَّضاد... والتَّناسب والتَّقابل. كقوله تعالى: ﴿ **لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام: 103]، حيث قرن الله تعالى بين صفتين من صفاته سبحانه وتعالى وهما (**اللطف والخبرة**)، وختم بهما هذه الآية الكريمة، وهو مناسب تماماً لما جاء في أولها؛ لأنَّ اللُّطف يناسب ما لايدرك بالبصر، والخبرة تناسب من يدرك الأشياء. وكقول الشَّاعر: [من البسيط] [1]

مَا أَحْسَـــنَ الـــدِّينَ وَالـــدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَـــا وَأَقْبَحَ الكُفْـــرَ والإفـــلاسَ بالرَّجُـــلِ

فقد قابل الشاعر وقرن بين (أحسن وأقبح)، وبين (الدين والكفر)، وبين (الدنيا والإفلاس)[2]، الأمر الذي زاد البيت الشِّعري قوَّة بين هذه الألفاظ المتصاحبة، وتماسكاً في دلالتها، واتساقاً في معناها.

3_ الإحالة[*]:

تعتبر الإحالة من أبرز مظاهر الاقتران الثنائي، ويطلق هذا المصطلح على «قسم من الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلَّة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء من الخطاب، فشرط وجودها هو الكلام أو الاستعمال، وهي تقوم على مبدأ التَّماثل بين ما سبق ذكره في مقام

---

[1]–أبو العتاهية: ديوان أبي العتاهية، دط، دتح، دار بيروت.1986.في قصيدة عنوانها: (ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا)، ص336.

[2]–ابن حجة الحموي:خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص138.

[*]– تعتبر الإحالة: reference: من أهم أدوات الاتساق النّصي ويقصد بها: "وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنما تحيل إلى عنصر آخر، لذا تسمى عناصر محيلة مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة...يعرفها جون لونز بأنها: العلاقة بين الأسماء والمسميات، وطبيعة هذه العلاقة تقتضي التطابق بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه.(انظر: لسانيات النص لمحمد خطابي، الدار البيضاء، ط2. 2006، ص16.

ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر»[1]، وبالتَّالي فهذه العناصر المحالة «غير مستقلَّة بذاتها؛ وإنَّما تحال إلى عنصر آخر، تسمى عناصر محالة، كالضَّمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، يشترط فيها التَّماثل والتَّطابق بين العنصر الذي سبق ذكره والعنصر المذكور بعده»[2]. ومن هذا المنطلق يتبيَّن لنا أنَّ العلاقة القائمة بين (العنصرين، المحال والمحال إليه) علاقة اقتران وتلازم. و(الإحالة) عند علماء اللُّغة على قسمين:

أ- إحالة داخلية:

.بمعنى تحيل عنصر أو عناصر داخل العبارة المستعملة إحالة: قبلية، أي تعود على عنصر سبق ذكره في الكلام، أو بعدية تعود على عنصر مذكور بعدها، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾** ﴾ [السجدة: 4، 9]؛ ففي هذه الآيات تجلَّت مجموعة من الإحالات: داخلية تشير إليها مجموعة من الألفاظ جاءت مقترنة في بعض العبارات، وغير مقترنة في عبارات أخرى، فمن العبارات التي جاءت فيها الإحالة في شكل ألفاظ مقترنة نجد: (**خلق السموات والأرض**)، (**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض**)، (**عالم الغيب والشهادة**)، (**العزيز والرحيم**)، (**السمع والأبصار**)، كلها محالة إلى عنصر داخلي قبلي، فهي ألفاظ ثنائية مُحالة إحالة قبلية؛ إلى لفظ ذُكِرَ قبلهما واقترنت به ولازمته، وهو لفظ الجلالة (الله)، وإنَّما أحيلت إليه لغرض «إحضاره في الأذهان بالاسم المختص به، قطعاً لدابر عقيدة الشِّريك في الألوهيَّة»[3].

ثم جاءت ثنائيات أخرى، عبارة عن صفات لهذا الإله الواحد الأحد، وآثار لهذه الألوهية، في شكل معجزات خارقة للعادة؛ من خلق وعلم وعزة ورحمة تعود إليه سبحانه تعالى، فهو خالق

---

[1]-الأزهر الزناد: نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ط1، 1993، المركز الثقافي العربي.

[2]-محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، ط 2، 2006، المغرب، ص16، 17.

[3]-محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج8، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ص211، 215.

السَّموات والأرض، ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ **[السجدة: 5]**؛ وكما نلاحظ هنا اقتران ثنائي بين (**من وإلى**) حرفي الابتداء والانتهاء، محيلاً هذه الثنائيات وتدبيرها إلى الله تعالى، للدَّلالة على شمولية تدبيره لعالم السَّماء والأرض وما بينهما. بدليل قوله تعالى: (ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ)، فالعزَّة تدلُّ على استغناء الله عن الغير، والرَّحمة تدلُّ على أنَّه سبحانه جعل حياتهم ملائمة لهم. كما نلاحظ أيضاً إحالات داخليَّة أخرى، كاسم الإشارة (**ذلك**) في قوله تعالى" ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ " الذي يحيل على (الله) وكذا الاسم الموصول (الذي) في قوله تعالى: " ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ" الذي يحيل أيضاً إليه سبحانه وتعالى.

ب_ إحالة خارجية:

وهي إحالة على عنصر خارج النَّص غير مذكور، ولكن قد نتعرف عليه من خلال السياق، مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾ [الأنعام: 74، 75] فقد تمت الإحالة في الآية عبر اسم الإشارة (كذلك) فهو يحيل إلى أحوال الموجودات المذكورة في الآية، كقوله: «مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ » الدَّال على وجود صانعها وهو الله تعالى.وقد ارتبطت هذه الإحالة بالسياق في الآية السَّابقة، عندما استنكر إبراهيم –عليه السلام– على أبيه وقومه، عبادة الأصنام من دون الله تعالى، بعدها أحالهم على عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، من خلال التأمل في آياته الدَّالة على قوته وعظيم خلقه.

وفي الخلاصة يمكن لنا أن نقول إنَّ الإحالة بأنواعها القبلية والبعدية بألفاظهما ومضمونهما يمثلان مظهراً للاقتران الثُّنائي. كما رأينا في الاقتران السابق بين (**خلق السموات والأرض**)، (**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض**)، (**عالم الغيب والشهادة**)، (**العزيز والرحيم**)، (**السمع والأبصار**)، فتُظهر لنا هذه الإحالة النص القرآني كالسورة الواحدة، مرتبطة الأجزاء يفسر بعضها بعضاً.

4_ المشاكلة اللغوية: المشاكلة اللغوية ظاهرة تعتمد على التكرار بين بعض الألفاظ المتجاورة والمتصاحبة، وتُعَّرف بأنَّها «ذكر الشَّيء بغير لفظه، لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً » [1]،

[1]–ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، .ص254.انظر:البلاغة والأسلوبية لمحمد بن عبد المطلب، ص301.

فالألفاظ المتشاكلة كما يقول عنها محمد عبد المطلب: «تكتسب من المجاورة تمازجاً في الدلالة، يخرجها عن النَّمط المألوف، ويعدل بها عن دلالة المطابقة إلى الناحية الإبداعية، وهذا التمازج في التكرار المجسم في العبارة، بل إنه يتحقق ذهنيا من خلال تقدير المجاورة في الدلالة ويستتبع ذلك من تمازجها»[1]

ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: 116]. كانت المشاكلة بين (نفسي، نفسك)؛ ففي هذا النص القرآني نلاحظ أن الله تعالى قد قرن بينهما، لكن مع تميز دلالي في معناهما، إذ الأصل:«تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك، فإنَّ الحقَّ تعالى وتقدس، لا يستعمل في حقه لفظ النَّفس، إلاَّ أنَّها استعملت هنا مشاكلة لما تقدَّم من لفظ النَّفس» [2]، وعليه فقد حقَّقَت المشاكلة بين اللَّفظين المذكورين نوع من التمازج والاقتران على مستويين: المستوى اللَّفظي والمستوى الدَّلالي.

7_ العكس والتبديل: وهو عبارة عن «**تقديم لفظ في الكلام ثم تأخيره**» [3]، وهو نوع من أنواع التكرار يشكِّل مظهراً جماليًّا على مستوى صياغة الكلمة المكرَّرَة، مثل قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الروم: 19]، فالآية هنا تهدف إلى بيان قدرة الله تعالى، التي تتحقق من خلال العكس بين (الحي والميت) و(الميت والحي)، فلو اكتفى سبحانه بإحدى الحالتين لما تَحقَّقَ المقصود من الآية الكريمة، ومن هنا ندرك أن الغاية الدلالية من ذكر هذين الكلمتين مقترنتين، إنَّما هو لتجانس الدلالة في الآية واستمراره وعدم انقطاعه، ومن هذا المنطلق ندرك أن العلاقة القائمة بين هذه العناصر المقترنة في الآية؛ ما هي إلا علاقة دلالية حققت نوعاً من الترابط والتوافق بين ألفاظ الآية ومعانيها. والأمر نفسه نلمسه في قوله تعالى: ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [آل عمران: 17] فالعكس واضح ومميز في قوله تعالى: « **تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ** » و« **وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ** » و«وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي» فهو يدل دلالة

---

[1]-محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص 301.

[2]-ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1.ص245.

[3]-المصدر نفسه، ص351.

صريحة وقوية على عظمة الخالق سبحانه وتعالى من جهة، كما يدلّ أيضاً على بلاغة القرآن وفصاحته من جهة أخرى.

8_ الإجمال والتّفصيل: وهو عبارة عن «موضوع عام يكون عادة كلمة تحتل رتبة دلالية أعلى قياسيا بالعناصر التي تشتق منه، أو هو عبارة عن مجموعة من الوحدات التي تحتل موقع المحمول في الجملة السابقة، ثم تصبح كل واحدة موضوعاً في الجملة اللاحقة»[1]، ومثاله قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: 105-108].فجمع الله تعالى وقرن بين (**شقي وسعيد**)، ثم فصل بعد ذلك بقوله: «**فأما الذين شقوا....**»، «**وأما الذين سعدوا...**» ويعبر عن هذا المعنى في البلاغة العربية باسم الجمع والتقسيم والتدرج، فقد أجمل الله في الآية، ثمَّ فصل.والتفصيل بعد الإجمال حقق للآية القرآنية في ألفاظها قوة وتماسكا وانسجاما على مستويين: التركيبي والدلالي.

9_ التباين:

ويسمى أيضا المطابقة أو الطباق أو التضاد، يعرفه القزويني بقوله هو:« الجمع بين المتضادين؛ أي معنيين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك: إمَّا بلفظين من نوع واحد، مثل:

الاسمين: كما هو في قوله تعالى: ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الفتح: 29]، فالمطابقة بين الرحمة والشدة، حيث جمع بينهما في شكل طباق خفي؛ لأنَّ الرحمة وإن لم تقابلها الشدة، إلاَّ أنَّها مسببة للين الذي هو ضد الشدة، وفي «الجمع بين هاتين الخلتين: الشدة والرحمة إيماء إلى أصالة آراء أصحاب محمد ﷺ وحكمة عقولهم، وأنَّهم يتصرفون في أخلاقهم، وأعمالهم تصرف الحكمة والرشد، فلا تغلب على نفوسهم محمدة دون أخرى، ولا يندفعون إلى العمل بالجبلة وعدم الرؤية»[2] والأمر نفسه عي الجمع بين (الركوع

---

[1]-محمد شاكر ناصر الربيعي: أحمد جاسم مسلم الجنابي: الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، العدد17، سنة 2014.ص457.

[2]-محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المجلد: 10، ص 205 .

والسجو) د، وبين (السجود وأثره).

والجمع بين هذه الألفاظ القرآنية وفق هذا الأسلوب، ينسجم تماماً كما يذكر سيد قطب مع «صورة عجيبة يرسمها القرآن بأسلوبه البديع، صورة مؤلفة من عدة لقطات، لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة، حالتها الظَّاهرة والمضمرة، فلقطة تصور حالتهم مع الكفار ومع أنفسهم: « **أشداء على الكفار رحماء بينهم**» ثم يضيف سيد قطب قائلاً «ولقطة تصور هيئتهم في عبادتهم: « **تراهم ركعا سجدا**»، ولقطة تصور قلوبهم وما يشغلها ويجيش بها: «**يبتغون فضلا من الله ورضوانا**»...ثم يقول مستنتجاً لآثار هذا الاقتران في الآيات: « وهذه اللقطات أضفت على النص القرآني انسجاماً وترابطا، لأنَّ هذه الصُّور ثابتة في حياتهم، فيها نوعٌ من التَّكريم من قِبَلِ الله لهؤلاء الصَّحابة، وردٌّ مباشر عن سهيل بن عمرو ومن وراءئه المشركون لصفات أنكرها على رسول الله وصحابته»[1].

أو فعلين: كما في قوله تعالى: ﴿**تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ**﴾ [آل عمران: 26]، **أو حَرْفَين:** كقوله تعالى: ﴿**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ**﴾ [البقرة: 286]،

وإمَّا بلفظين من نوعين: كقوله تعالى: ﴿**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ**﴾ [الأنعام: 122] أي: ضالاً فهديناه، ويُعرف هذا النوع بطباق الإيجاب، وهو يعتمد على إيراد أزواجاً من الألفاظ متصاحبة دوماً، حيث يستدعي أحدهما الآخر: تؤتي/ تنزع، تعز/ تذلُّ... بحكم العلاقة الجامعة بينهما، وهي علاقة التضاد. كل هذه الأنواع من الطباق تشير إلى وجود ترابط بين هذه الكلمات أو الفقرات أو الآيات القرآنية، وتحقِّقُ اقتراناً ثنائيًّا بين ألفاظها.[2]

10_ التتميم:

ويقصد به «أن تأتي في الكلام كلمة، إذا طُرحت من الكلام نقص معناه في ذاته، أو في صفاته»[3]، كأنَّ هناك اقتران أو تلازم بين الكلمة ومعناها، بحيث تأتي إحداهما متمِّمَة لمعنى الأخرى، فلا يكتمل المعنى إلاَّ بذكرهما، كما في قوله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً**

---

[1]–سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، ط15. 1988. دار الشروق. القاهرة. ص: 3331.

[2]–محمد شاكر ناصر الربيعي، أحمد جاسم مسلم الجابي: الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن: مجلة التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق. العدد: 17. 2014. ص: 457.

[3]–سعيد حسن البحيري: دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة: مكتبة زهراء الشرق. القاهرة. ص: 45.

طَيِّبَةً ﴾ [النحل: 97]. فقد قرن سبحانه بين (**الإيمان والعمل الصالح**)، فكلَّما ذُكِرَ الإيمان في القرآن إلاَّ وذُكِرَ معه العمل الصَّالح، فهما قرينان لا يفترقان، لا يصحُّ أحدهما دون الآخر، ثمَّ أعقبهما بقوله(**من ذكر أو أنثى**) وهو تَتْمِيم قيَّدَهُ بقوله (**وهو مؤمن**) وهو أيضاً تتميم ثان، حيث بَيَّنَ هذا التتميم «ما أُبْهِمَ من المعنى في قوله (**من ذكر أو أنثى**) فلا يكفي أن يَصْدُرَ العمل الصَّالح منهما، دون قَيْدٍ أوشرط، كي يكون مقبولاً عند الله تعالى، وإنَّما قيَّدَهُ بشرط أن يكون صاحبه متلبساً بوصف الإيمان، إنَّما استعمل القرآن هذا الأسلوب لتوضيح المعنى وبيانه»[1]، وعليه فقد أضفى هذا الاقتران على المعنى قوة في الذهن ورسوخاً في النفس، واتساقاً وانسجاماً بين ألفاظ الآية القرآنية ودلالتها، والتي من مقتضياتها أن لا إيمان دون عمل صالح، ولا قيمة لأي عمل صالح دون إيمان.

[1]-الأشكال البديعية في ضوء الانسجام في القرآن، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، ص 459، العدد17، 2014.

خاتمة الفصل الثاني

تناولنا في هذا الفصل المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي من جانبين:

جانب علماء اللغة القدماء، وجانب علماء اللغة المحدثين، ففي بياننا للمظاهر الدلالية عند علماء اللغة القدماء، تطرّقنا إلى المظاهر الدلالية عند الأصوليين، وعند المفسرين، وعند البلاغيين، ووجدنا أنَّ المفسرين قد تطرقوا إلى المظاهر الدلالية "للاقتران الثنائي" في مباحث عدة، منها: المكي والمدني، والعام والخاص، والتفصيل والإجمال، والنَّاسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد.

أمَّا البلاغيون فتطرقوا إلى الظاهرة في علوم البلاغة الثلاثة؛ ففي علم المعاني تطرقوا لظاهرة "الاقتران الثنائي" في علاقة الإسناد، وفي التعريف والتنكير، والإيجاز والإطناب، والفصل والوصل...

ففي علم البيان تطرقوا إليها في مباحث التشبيه، والاستعارة بأنواعها، والكناية بأقسامها...

وفي علم البديع تطرقوا إليها في مباحث كثيرة منها: الطباق، والمقابلة، ومراعاة النظير، والطي والنشر... وغيرها من المباحث.

أمَّا الأصوليون فقد تناولوا تلك المظاهر في مباحث من قبيل: الحقيقة والمجاز، والأمر والنهي، والعام والخاص، والمطلق والمقيد... وغيرها من المباحث.

أمَّا بخصوص المظاهر الدلالية "للاقتران الثنائي" عند المحدثين، فتجلى ذلك في علمين هما: علم الدلالة، ولسانيات النص؛ ففي علم الدلالة تجلَّت مظاهر "الاقتران الثنائي" في التصاد، والترادف، والتقابل، وتجلت في لسانيات النص في مباحث، منها: التكرار، والإحالة، والاستبدال، والحذف... وغيرها.

وسيأتي الفصل الثالث راصداً الاقتران الثنائي في الربع الأخير من القرآن الكريم معنى ودلالة.

الفصل الثالث

الاقتران الثنائي وأثره البلاغي في القرآن الكريم

المبحث الأول: الاقتران الثنائي في الأسماء والصفات.

المبحث الثاني: الاقتران الثنائي في صفات الرسل والأنبياء.

المبحث الثالث: الاقتران الثنائي في ألفاظ العقيدة والإيمان.

المبحث الرابع: الاقتران الثنائي في ألفاظ الكائن الحي.

المبحث الخامس: الاقتران الثنائي في ألفاظ الطبيعة والكون.

المبحث السادس: الاقتران الثنائي في ألفاظ الجهات.

مدونة الاقتران الثنائي في ألفاظ القرآن الكريم – الربع الأخير أنموذجا–

المـــدونة:

تُعدُّ مادة المدونة التي اعتمدناها في دراستنا لظاهرة الاقتران الثنائي، والتي اقتصرنا فيها على دراسة نماذج مختارة في الربع الأخير من القرآن الكريم، لإبراز آثارها البلاغيَّة ومظاهر السِّحر البياني فيها.

واعتمدنا في ذلك «رواية حفص عن عاصم»، لتوفُّرِ وسائل ضبطه لكلمات القرآن الكريم، وكثرة استعماله في البحوث العلمية، ولا يخفى على كلِّ دارس ما تزخر به هذه الألفاظ المقترنة ثنائيًّا من معاني ودلالات. وكيف لا؟ وهي مستقاة من كلام الله المعجز المنزل على سَيِّدِ الأنام ﷺ وحيا، والحامل لأسمى المعاني وأرقى صور البيان، التي تتحدَّى أساطين البلاغة والبيان على مرِّ العصور إلى أن تقوم الساعة، مما كان له تأثير عميق في نفسي وساقني إلى محاولة تتبُّع هذه الظاهرة وبيان أبعادها المختلفة، ولبلوغ ذلك حَصَرْتُ الدِّراسة في الربع الأخير من القرآن الكريم، وبدأت بإحصائها مرتبة في جداول خاصَّة، حيث أحصيت ما يقارب مئتي اقتراناً ثنائياً تشمل مجالات وحقولاً دلالية مختلفة بلغت ستة ألا وهي:

1_ حقل الأسماء والصِّفات.

2_ صفات الرُّسل والأنبياء.

3_ ألفاظ العقيدة والإيمان.

4_ ألفاظ الطَّبيعة والكون.

5_ ألفاظ الكائن الحي.

6_ ألفاظ الجهات.

وقد تناولنا في أولها دراسة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، مثل: العزيز الحكيم، والسميع البصير، والغنيُّ الحميد.

وفي ثانيها درسنا جملة من صفات الرسل والأنبياء وخصائصهم وفق وظائفهم الربانية التي كُلِّفُوا بها، وتميزوا بها عن غيرهم، كالبشير النذير، والنذير المبين، والرسول الكريم.

وفي ثالثها سلطنا الضوء على اقتران الإيمان بالعمل الصالح، والخير بالشر، والدنيا بالآخرة،

والسر بالعلانية، والصلاة بالزكاة، والغيب بالشهادة، والهداية بالضلال، واليسر بالعسر، والإثم بالفواحش والعدوان، والصراط بالاستقامة، والعذاب بالألم.

وفي رابعها: تناولنا بالدراسة ألفاظ: الإنس والجن، والذكر والأنثى، والسائل والمحروم، واللهو واللعب، والموت بالحياة، والسر والجهر، والصدق والكذب، والخوف والحزن.

وفي خامسها: تناولنا الاقتران الثنائي بين ألفاظ السماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والمشرق والمغرب، والعشي والإبكار.

وفي سادسها: بحثنا في ألفاظ المغرب والمشرق، واليمين واليسار.

بعد هذا الفرز للالفاظ المقترنة ثنائيا بدأنا بالدراسة التفصيلية لها، حيث اقتصرنا في دراستنا التطبيقية على نماذج محددة لهذه الثنائيات للدلالة على أهمية آثارها البلاغية، وما تضيفه من دلالات وجمال أخَّاذ على السياق، كما تقف دليلاً ماديًّا على دِقَّةِ القرآن الكريم المتناهية في اختيار ألفاظه وحسن توظيفها. وتَمَّ الإقتصار على بعض النَّماذج فقط لإبراز هذه الدلالات، كما اكتفينا على ثلاثة نماذج (آيات قرآنية) من كلِّ اقتران لفظي وأحصيناه، بشرط أن تتكرر في الربع الأخير أكثر من مرة، لإبراز خاصية هذا اللفظ المفترن وبيان ما يحمله من دلالة لا تكون في غيره.وبهذا القيد لم نتطرق للألفاظ المقترنة المذكورة مرة واحدة في القرآن الكريم الأمر الذي سيؤدي إلى ضخامة المدونة المتعلقة بهذه الظاهرة اللُّغوية.

وقد قدمنا هذه النماذج في جداول تتصدر كل مبحث أو اقتران ثنائي لتسهيل الوصول إليها وتيسير معرفة السور القرآنية الواردة فيها. وقد بدأنا دراستنا لمحتويات هذه المدونة بالدلالة اللغوية أولاً لألفاظ الاقتران في المعاجم العربية المختلفة القديمة منها على الخصوص، والحديثة أحيانا. ثمَّ ثنينا بالبحث في دلالاتها الاصطلاحية، وثلثنا بالبحث عن دلالاتها ومعانيها وسر ورودها مقترنة عند المفسرين، وذلك بتحديد السياقات القرآنية التي ورد فيها ذكر الألفاظ المقترنة، وقد اعتمدنا بالدرجة الأولى المصادر القديمة في التَّفسير ثم الحديثة أيضاً. وبعدها بحثنا عن آثارها البلاغية من معان وبيان وبديع من خلال هذه المصادر في التفسير والبلاغة، لما لهذا الجانب من أهمية في دراستنا. والجدير بالذكر أننا حاولنا أثناء بحثنا في هذه الآثار إبداء رأينا في كلِّ أثر منها كلَّما دعت الضرورة وقدر المستطاع، وفي بعض الأحيان نورد الأثر البلاغي دون تعليق إيمانا منَّا بأنَّ رأي كل من المفسِّر وعالم البلاغة قد وفاه حقه.

فالمدونة التي اعتمدناها زاخرة بأرقى الألفاظ وأسمى المعاني التي تتألَّف منها هذه الثُّنائيات، وهي بهذا الاعتبار تشير إلى قوة ارتباط وتلاحم هذه الألفاظ بعضها ببعض، مما يؤكد صعوبة تعويض أو استبدال لفظ بآخر في كلِّ اقتران لفظي، فكل سياق يستلزم لفظا يقترن بلفظ معين دون غيره وهو المقصود بالاقتران الثنائي في ألفاظ القرآن الكريم، إذ لايمكن لأي لفظ أن يؤدي دور لفظ آخر في السياق نفسه.

وأخيرا وفي الوقت الذي أزعم أنني بذلت جهدا لايستهان به في التنقيب عن هذه الظاهرة، وإماطة اللثام عمَّا تحمله من ثراء دلالي، وصور ناطقة بالبيان الأخَّاذ، الذي يسحر الألباب والأفئدة على حد سواء، فإنني لا أدعي مطلقاً أنني قد أحطت بكل مل يتعلق بهذه الظاهرة اللغوية ونبشت عن آثارها وتفاصيلها العميقة، فهذا ما لا يتأتَّى لي في هذه المرحلة على الأقل.

وخلاصة القول فإن هذا الجهد المتواضع يضاف إلى الجهود المضنية التي بذلها من سبقوني على مدار عقود من الزَّمن طويلاً وأبدعوا فيها أيما إبداع.

الرقم	الشاهد	السورة	الآية
01	﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾	يس	40
02	﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴾	ص	18
03	﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾	ص	.69 .70
04	﴿ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	غافر	8
05	﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾	غافر	28
06	﴿ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾	غافر	33
07	«﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾»	غافر	40
08	﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾	غافر	46
09	«﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾	غافر	55
10	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	غافر	56
11	﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾	غافر	58
12	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ	غافر	64

	فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾		
13	﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	فصلت	4–1
14	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾	فصلت	29
15	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾	فصلت	30
16	﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	الشورى	11
17	﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾	الشورى	13
18	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾	الشورى	20
19	﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾	الشورى	49–50
20	﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	الشورى	52
21	﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	الزخرف	43
22	﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾	الزخرف	68
23	﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾	الدخان	17
24	﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	الدخان	25
25	﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	الدخان	52
26	﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	الجاثية	37

27	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	الأحقاف	13
28	﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٧ ﴾	الأحقاف	17
29	﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾	الأحقاف	24
30	﴿ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ ﴾	محمد	36
31	﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾	المجادلة	1
32	﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾	الفتح	2
33	﴿ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾	الفتح	3
34	﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾	الفتح	7
35	﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾	الفتح	8
36	﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴾	ق	17
37	﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴾	ق	43
38	﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴾	الذاريات	15
39	﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾	الذاريات	19
40	﴿ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٣٧ ﴾	الذاريات	37
41	﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾	الذاريات	.50 51
42	﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	الذاريات	56
43	﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧ ﴾	النجم	.36 37
44	﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ٤٦ ﴾	النجم	.45 46

45	﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ ﴾	الرحمن	5. 6
46	﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴾	الرحمن	17
47	﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾	الرحمن	33
48	﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٢٤ ﴾	الحديد	24
49	﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ﴾	المجادلة	1
50	﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	الحشر	22
51	﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٦ ﴾	الممتحنة	6
52	﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	الجمعة	8
53	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ۝٦ ﴾	التغابن	6
54	﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	التغابن	18
55	«﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾	الطلاق	7
56	﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	الملك	13
57	﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٥ ﴾	القلم	15
58	﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴾	الحاقة	40. 41
59	﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ ﴾	المعارج	19– 20
60	﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝٢٥ ﴾	المعارج	24– 25
61	﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾	المعارج	37

62	﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾	المعارج	40
63	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ ﴾	نوح	5
64	﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ ﴾	نوح	9 –8
65	﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	المزمل	9
66	﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴾	المدثر	31
67	﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴾	المدثر	37
68	﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ ﴾	التكوير	.19 20
69	﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴾	الانفطار	5
70	﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣ ﴾	المطففين	13
71	﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ ﴾	الانشقاق	24
72	﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣ ﴾	الأعلى	13
73	﴿ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾	الأعلى	.18 19
74	﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠ ﴾	البلد	.17 20
75	﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ ﴾	الشمس	4–3
76	﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ ﴾	الليل	10 .4
77	﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ﴾	الشرح	6 .5
78	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ ﴾	البينة	.6 .7

79	﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾	الزلزلة	7. 8.
80	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾	العصر	3

الحقول الدلالية للألفاظ المقترنة ثنائيا في الربع الأخير من القرآن الكريم:

الحقول الدلالية	الألفاظ	الآيـــات	السور	أرقام الآيات
حقل الأسماء والصفات	أسماء الله الحسنى	﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	غافر	8
		﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	الجاثية	37
		﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	الفتح	7
		﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	غافر	56
		﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾	الشورى	11
		﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾	المجادلة	1
		﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾	الحديد	24
		﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾	الممتحنة	6
		﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾	التغابن	6
حقل	الرسل	﴿ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾	ص	70 -69

		﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾	الذاريات	51 -50
		﴿ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٢٦﴾ ﴾	الملك	26
		﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾	فصلت	4-1
		﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾	الفتح	8
		﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾	الدخان	17
		﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ ﴾	الحاقة	40
		﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ ﴾	التكوير	20 -19
		﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾	الشورى	11
		﴿ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾	النجم	36 -35
		﴿ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾	الأعلى	19
حقل العقيدة والإيمان	الإيمان والعمل الصالح	﴿ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ ﴾	ص	24
		﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾	غافر	58
		﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾	العصر	3
	الخير والشر	﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ	المعارج	21-19

		مَنُوعًا ﴾		
	البيّنة	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾		7-6
	الزلزلة	﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾		8-7
	الزمر	﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾	الدنيا والآخرة	26
	غافر	﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾		39
	الشورى	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾		20
	الشورى	﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	الصراط المستقيم	52
	الزخرف	﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾		43
	الفتح	﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾		3
	المزمل	﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾	الصلاة والزكاة	20
	الأعلى	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾		15-14
	البيّنة	﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾		5
	الأحقاف	﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	العذاب الأليم	24
	الذاريات	﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾		37

		﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	الانشقاق	24
	الغيب والشهادة	﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾	الحشر	22
		﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	الجمعة	8
		﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	التغابن	18
	الفضل والرضوان	﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾	الفتح	29
		﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾	الحشر	8
	الهداية والضلال	﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾	الزمر	37-36
		﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾	غافر	33
		﴿ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾	المدثر	31
حقل العقيدة والإيمان	اليسر والعسر	﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾	الطلاق	7
		﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾	الليل	10-4
		﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾	الشرح	6-5
	جنات وعيون	﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾	الدخان	25
		﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ ﴾	الدخان	51-

				52
		﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾		15 الذاريات
	الإثم والعدوان	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ		8 المجادلة
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾		9 المجادلة
حقل الكائن الحي	الإنس والجن	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾		29 فصلت
		﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾		56 الذاريات
		«﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾		33 الرحمن
	التقديم والتأخير	﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾		2 الفتح
		﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾		37 المدثر
		﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾		5 الانفطار
	الخوف والحزن	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾		30 فصلت
		﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾		68 الزخرف
		﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾		13 الأحقاف
	الذكر والأنثى	﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾		40 غافر

		﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾	الشورى	49
		﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾	النجم	45
	السائل والمحروم	﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾	الذاريات	19
		﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾	المعارج	25 -24
	السّر والجهر	﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	الملك	13
		﴿ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾	نوح	9 -8
		﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾	الأعلى	7
حقل الكائن الحي	الصدق والكذب العداوة والبغضاء	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾	الزمر	32
		﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾	غافر	28
	اللهو واللعب	﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾	محمد	36
		﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾	الحديد	20
	الموت والحياة	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾	ق	43
		﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	الحديد	17
		﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ﴾	الأعلى	13

	أساطير الأولين	﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	الأحقاف	17
		﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	القلم	15
		﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	المطففين	13
حقل الكون والطبيعة	السموات والأرض	﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾	الزمر	5
		﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	غافر	64
		﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	الحشر	1
	الشمس والقمر	﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	يس	40
		﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾	الرحمن	6-5
		﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾	نوح	16
	الليل والنهار	﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾	فصلت	37
		﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾	نوح	5
		﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ ﴾	الشمس	4-3
	والمغ	﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾	الرحمن	17

		﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾	المعارج	37
		﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ﴾	المزمل	9
	العشي والإبكار، الإشراق	﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾	غافر	46
		﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾	غافر	55
		﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴾	ص	18
حقل ألفاظ الجهات	المشرق والمغرب	﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴾	الرحمن	17
		﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾	المعارج	40
		﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	المزمل	9
	اليمين والشمال	﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴾	ق	17
		﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾	المعارج	37
		﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾	البلد	20 -17

المبحث الأول

الاقتران الثنائي في الأسماء والصفات.

أولا: العزيز الحكيم.

ثانيا: السميع البصير.

ثالثا: الغني الحميد.

أولاً: العَزِيز الحَكِيم:

1_ نماذج اقتران (العزيز الحكيم):

الرقم	الآيــة	السورة	رقم الآية
01	﴿ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	غافر	8
02	﴿ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	الجاثية	37
03	﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	الفتح	7

2_ دلالة (العزيز الحكيم)

أ_ دلالة العزيز:

الدلالة اللغوية:

العزيز صيغة من صيغ المبالغة على وزن (فَعِيل)، يأتي في اللُّغة بعدة معانٍ منها:

الندرة والنفاسة: يُقَالُ «عَزَّ الشيء إذا قَلَّ حتى يكاد لايُوجَد من قلَّته»[1]وسمى الله تعالى نفسه به؛ لأنَّه لا مثيل له ولا نظير. روى أبو داود عن عاصم بن كليب عن أبيه ﷺ، قال: (كنَّا مع رجل من أصحاب النَّبي ﷺ يقال له مجاشعٌ من بني سليم **فَعَزَّتِ** الغنم، فأمر منادياً فنادى أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: «**إنَّ الجَذَعَ يُوَفِّي مما يُوَفِّي منه الثَّنِيُّ**»[2]، عزت الغنم: بمعنى: قَلَّت.

المَنَعَة وَالغَلَبَة: يقال: «عز يعز: للمنيع الذي لا يغلب، قال الزجاج: هو الممتنع فلا يغلبه شيء، وقال غيره: هو القوي الغالب كل شيء، وقيل هو الذي ليس كمثله شيء»[3]. قال تعالى: ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴾ [ص: 23]. أي: « غلبني في مخاطبته، أي أظهر في الكلام عزة علي

---

[1]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: تح: عبد الحميد هنداوي، ط2002/1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3، ص145.

[2]-أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الأضاحي، باب ما يجوز من السّنّ في الضحايا، تح: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، بيروت ص425.

[3]-ابن منظور: لسان العرب، ج5، دط، دتح، دار صادر بيروت لبنان، ص376.

وتطاولا»[1].

القوة والشدة: يقال«عز يعز»: للشديد القوي القاهر الصلب، قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: 14]. أي قوينا وشددنا. قال الرازي (ت606هـ): «العزيز: الذي عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء، فلا ينال جنابه لعزته، وعظمته، وجبروته، وكبريائه»[2].

رفعة الشأن:

بمعنى الشريف الرفيع الشأن، قال تعالى عن المنافقين﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: 8]. أي «ليخرجن الجليل الشريف منها الذليل. وفي الحديث: قال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: هل تدري لِمَ كان قومك رفعوا باب الكعبة؟ قالت: لا. قال: تعزَّزُوا أن لا يدخلها إلاَّ من أرادوا. أي تكبَّروا وتشدَّدُوا على الناس»[3]. فالعِزَّةُ وفق هذا الاعتبار تحمل معاني: القوة والشدة والغلبة، وكذا الرفعة والامتناع، وفي التنزيل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: 8]، أي: « له العزة والغلبة سبحانه وتعالى»[4].

فاسم (العزيز) نلاحظ أنَّه قد اجتمعت فيه كل هذه المعاني النفِيسَة الجليلة القدر، فهو سبحانه وتعالى العزيز الذي لامثيل له ولا نظير، القاهر المنيع الذي لا يغلب، القوي الشديد، رفيع الشأن، وشَرِيف المقام.

الدلالة الاصطلاحية:

لا يختلف كثيراً المعنى الاصطلاحي لاسم (العزيز) عن معناه اللغوي، فالعزيز هو « الخطير الذي يقل وجود مثله، وتشتد الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه.»[5]، وهو أيضا الذي« يحتاج إليه

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص235.

[2]- فخر الدين الرازي:كتاب لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، ط1. 1323ه، المطبعة الشرقية، مصر. ص147.

[3]-ابن منظور:لسان العرب: ج5، دط، دتح، دار صادر بيروت لبنان، ص374.

[4]-المصدر نفسه: ص: 376.

[5]-محمد بن محمد الغزالي: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، دط، دتح، ص23.

كل شيء في وجوده، وبقائه، وصفاته، فهو قد عزَّ عن كل شيء، لا يُنال جنابه لعزَّتِه وعظمته وجبروته وكبريائه»[1].

وعلى هذا الأساس فإنَّ القوَّة، والغلبة، والقهر من دلالات اسم (العزيز)، وهذه الدلالات في حقيقتها صفات لله سبحانه تعالى، لا ينازعه فيها أحد من خلقه، فهو القوي، وقد وصف نفسه بذلك فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذرايات: 58]، وهو الغالب، فقال: «﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: 21]، وهو القاهر وقد قال﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[الرعد: 16]. وهو المنتقم من أعدائه وانتقامه شديد،قال﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[إبراهيم: 47].

ب_ دلالة الحكيم:

الدلالة اللغوية:

ورد اسم الله تعالى(الحَكِيمُ) على وزن (فَعِيل) بمعنى (فاعل)، ويَرِدُ أيضاً بمعنى (مُفْعَل) أي: مُحكَم من الإحكَام: بمعنى الإتقان. ومن الحِكمَة: بمعنى «العدل والعلم والحلم، يقال: أحكمته التَّجارب؛ إذا كان حكيماً»[2].وإنما سمِّيت بذلك:

_ إمَّا لأنَّها «تمنع صاحبها من الجهل، كما جاء في الحديث: «**إنَّ الجَنَّةَ لِلمُحَكَّمِينَ**»[3] وهم قوم كما أورد ابن فارس «حُكِّمُوا مخيَّرين بين القتل والثبات على الإسلام وبين الكفر، فاختاروا الثبات على الإسلام مع القتل فسموا المحكمين»[4].

_ وإما لأنها تعني اختيار أحسن الأشياء ملائمة لما يختار له، ووضع الأشياء في مواضعها.

كما قد يأتي بمعنى (العليم) الذي يَعْرِف أفضل المعلومات بأفضل العلوم. كما يأتي بمعنى «المقدس عن فعل ما لا ينبغي، والذي لا يقول ولا يفعل إلاَّ الصواب»[5].

---

(1)–محمد عبد المجيد الزميتي: أسماء الله الحسنى ومرادفاتها وتأويلاتها، ط3. 1998، مكتبة الآداب، القاهرة، ص 10.

(2)–الخليل بن أحمد:كتاب العين، ج1تح:عبد الحميد الهنداوي، ط1، 2003، دار الكتب العلمية، ص343.

(3)–ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ط1. 1421ه. المملكة العربية السعودية، دار ابن حزم، ص223.

(4)–أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج2. تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، ص91. 92.

(5)–أحمد مختار عمر: أسماء الله الحسنى: دراسة في البنية والدلالة، مكتبة لسان العرب، ص29.

فلفظ (الحكيم) بهذا الاعتبار يأتي بمعنى العادل الذي يضع الأمور في موضعها الصحيح، كما يأتي بمعنى العليم، الذي يعرف أفضل المعلومات بأفضل العلوم، ويأتي أيضاً بمعنى المقدَّس، وهو المنزه عن فعل ما لا ينبغي...

الدلالة الاصطلاحية:

الحكيم عند الإمام الرازي(ت604هـ) هو: «الذي يفعل لداعية الحكمة لا لداعية الشهوة. وهو في حقِّ الله تعالى دال على أنَّه عالم بجميع المعلومات، وأنَّه غني عن جميع الحَاجَات»[1]. ويُضيفُ ابن القيم الجوزية متوسعًا في معنى (الحكيم) فيقول هو:«الذي إذا أَمَرَ بأمر كان المأمور به حسنا في نفسه، وإذا نَهَى عن شيءٍ كان المنهي عنه قبيحا في نفسه، وإذا أخبر بخبر كان صادقًا، وإذا فعل فعلاً كان صوابا، وإذا أراد شيئًا كان أَولى بالإرادة من غيره، فهذا الوَصفُ الدَّال على الكمال لا يكون إلا لله تعالى»[2]

فالله تعالى هو الحكيم الموصوف بالحكمة في أمره ونهيه، وعطائه ومنعه، وثوابه وعقابه...قال تعالى مؤكدا هذا المعنى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[التين: 8]، أي حكيم في قضائه، وفي علمه، وفي فعله.

3_ تفسير(العزيز الحكيم):

_ **النموذج الأول:** قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [غافر: 8]. ورد اقتران (**العزيز الحكيم**) هنا في سياق الدعاء الذي رفعه حملة العرش إلى ربِّهم سبحانه وتعالى، فقد سألوه أن يغفر للذين تابوا واتبعوا سبيله، وأن يُدخِلَهم جنات عدن التي وعدهم، ويلحق بهم من صلح من أبنائهم وأزواجهم، وختَمُوا دعاءهم بقولهم: «**إنك أنت العزيز الحكيم**»؛ لأنَّ (العزيز) هو «الذي لا يمتنع عليه مقدور، و(الحكيم) الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه حكمته، ومن ذلك: الوفاء بالوعد»[3]. فاقتران

---

[1]-فخر الدين الرازي: التفسير الكبير: ج27، ط1، 1981، د: تح، دار الفكر، بيروت لبنان، ص: 238.

[2]-ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد، ج1، ص463.

[3]-البيضاوي: يأنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: ج5، دط، دار إحياء التراث العربي، ص52.

(العزيز الحكيم) في الآية دل على أن الوفاء بالوعد، لا يقدر عليه إلاَّ من كان قويا قادرا على الوفاء به لمن وَعَدَهُ، بدليل الرجاء الوارد في سياق الآية، لإلحاق الأبناء بآبائهم في الجنة، فهو أثر من آثار هذا الوفاء، تحقيقا لمصلحتهم، التي تكمن في اصطحاب أهلهم وأولادهم معهم إلى الجنة التي وعدهم الله بها، لتكتمل فرحتهم وسرورهم، فجاء الاقتران(العزيز بـــالحكيم) في ختام هذه الآيات مناسباً تماماً لهذا المعنى.

النَّموذج الثاني: قال الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية: 36-37]. دل اقتران (العزيز الحكيم) في الآية على أنَّه لا يستحق الحمد أحد إلاَّ الله سبحانه وتعالى، فكل شيء في هذا الكون يحمد الله ويشكره على أفضاله، ونعمه التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى، كما دلَّ أيضاً على كمال قدرته سبحانه وتعالى وعظمتها، قال: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ وإنَّما وصف نفسه بذلك «لظهور آثار هذه القدرة فيهما. ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (العزيز) القاهر لكل شيء الذي لا يغلب، (الحكيم) فيما قدَّرَ وقَضَى»[1].و من هذا المنطق دل اقتران (العزيز الحكيم) على قوَّة الله تعالى، وبيان غلبته لأعدائه؛ فكان من أثاره نصره للمؤمنين عليهم، وغنَّمهم أرضهم، وديارهم وأموالهم؛ لأنَّه هو سبحانه الغالب الذي لا يغلب، الحكيم في صنعه وفعله وتدبيره. والجمع بينهما في الآية دليل على كمال عزته، وكمالها لا يتحقق إلا بوجود الحكمة الدالة على وضع هذه القوة في مكانها؛

لأن الحكمة يُرَاد بها وضع الشيء في موضعه الحقيقي، فعزَّته سبحانه لا تقتضي ظلماً وجوراً، كما قد يفعل صاحب القوة المظلوم، فقد تأخذه العزة بالإثم فيظلم، ويجور ويعتدي، لعدم سيطرته على تصرفاته، وتمكنه منها، رُوِيَ عن بعض الأعراب أنه سمع قارئاً يقرأ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾[المائدة: 38] وختمها بقوله: (**والله غفور رحيم**) فقال: «ما هذا كلام فصيح، وهو ليس التلاوة. وإنَّما التلاوة «واللهُ عزيزٌ حَكِيمٌ» فقال: بخ بخ بخ، عزَّ، فَحَكَمَ فَقَطَعَ» [2]

---

[1]-البيضاوي: يأنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: ج5. ص110. السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن مُعلاّ اللويحق، ط1. 2003، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ص745.

[2]-ابن القيم الجوزية: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، دط، دتح، ص190.انظر: البحر المحيط، ج4، ص255.

النموذج الثالث: قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ ﴾ [الفتح: 7] أشار اقتران (**العَزِيز الحَكِيم**) إلى شدة العذاب الذي توعد اللهُ به المكذبين من المنافقين والكافرين، تَبَعاً للسياق في الآيات قبلها، بدلالة لفظ (الجنود) في الآية الذي يشير إلى القوة والبطش ولتقرير هذا المعنى ختم الآية بقوله ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾« فذكر (العزَّة) هنا إشارة إلى هذه القوة والبطش والانتقام من أعدائه، قال تعالى﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾**[الزمر: 37]**. وقال: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: 42]» [1].عزيز في قوته حكيم عدل لا يظلم عنده أحد قال تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[يونس: 44].عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً يُعْطِى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزِى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَم بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدُّنْيا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَة يُجزى بِهَا.**» [2]

وعليه وانطلاقاً من هذه معاني لهذه الآيات القرآنية التي حَوَت هذا الاقتران الثنائي وخُتِمَت به، يتَّضِح لنا أنَّ هناك علاقات معنوية متينة، جمعت بين هذين الاسمين وبين الآيات القرآنية التي ورد فيها أو التي سبقته أو لحقته.

4_ الأثر البلاغي لاقتران (العزيز الحكيم):

أ_ التَّأكيد: يُعدُّ التَّأكيد من الظواهر البلاغية الأكثر دوراناً واستعمالاً في القرآن الكريم، خاصة في خواتيم الآيات القرآنية، التي تنتهي بالأسماء الحسنى؛ مفردة كانت أو مقترنة، واستعماله في هذه المواضع يراد به إثبات وبيان الإعجاز البلاغي للنص القرآني، ونلمس أثره البلاغي الجلي من خلال أدواته المتعددة، والتي منها:

التَّأكيد بـــ(إنَّ وضمير الفصل أنت):

نلاحظ هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[غافر: 8]. فالآية عبارة عن دعاء وتضرع على لسان الملائكة، يظهر فيه ارتقاء«من طلب وقايتهم من العذاب، إلى طلب إدخالهم مكان النعيم، هُم ومن صلح من أبائهم وأزواجهم وذريَّاتهم. والدعاء لهم مع علمهم أنَّهم موعودون

---

[1]–فخر الدين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج28. ص85.

[2]–الحديث: عن أنس بن مالك رواه الإمام مسلم في صحيحه، رقم2808.

بالإجابة فيه تأدُّب مع الله تعالى؛ لأنَّه لا يُسأل عما يفعل»[1]، ثم ختموا تضرعهم بقولهم﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾؛ لأنَّه لا يستجيب للدعاء ولا يُوَفِّ بالوعد إلاَّ عزيز، أي: قوي قادر على الاستجابة والعطاء، حكيم في وعده ووفائه. واللافت للنظر أنَّ (العزيز الحكيم) هنا اقترن بأداة التَّأكيد (إنَّ)؛ لغرض الاهتمام بهذا الدعاء، وهو الأمر الذي دفعهم وجرأهم على الدعاء لعزته سبحانه وحكمته.

كما اقترن أيضاً بضمير الفصل (أنت) واستعماله هنا، تأكيد ثان للدعاء، واستجلاب لاستجابة الله تعالى لهم، وللمبالغة في وصف الله تعالى بما يليق بكمال عزَّته وحكمته، كما دل استعمال ضمير الفصل (أنت) لقصر الصفتين عليه سبحانه وتعالى دون غيره.

والملاحظة اللافتة للانتباه هنا، هي استعمال القرآن الكريم لأسلوب (التأكيد) في كثير من الفواصل القرآنية المختومة بالأسماء الحسنى، إنَّما يأتي غالبًا في سياق الدعاء، والطلب، والامتنان، والثناء على الله بما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، وعليه فإنَّ اقتران (**العزيز الحكيم**) جاء فاصلة لهذه الآيات؛ للدلالة على اتصَاف الله بالأسماء الحسنى، والصفات الكاملة، وهي الدلالة الدافعة لوجوب الثناء عليه سبحانه، بما يليق به من أوصاف الكمال والجلال، وحاجة الخلق له والتضرع إليه في شؤونهم العاجلة والآجلة. ولعل الهدف الأساس من وراء التأكيد بهذا النمط، هو إرادة ترسيخ معاني هذه الأسماء في قلوب المخاطبين ونفوسهم بأساليب التأكيد هذه المتنوعة حتى لا يوصف الأسلوب القرآني بالجمود.

التأكيد بالتعريف:

«يدل الاسم المعرف بالألف واللام على معان متعددة، تكشفها القرائن المختلفة اللفظية منها وغير اللفظية»[2].وقد نبه النحاة، ومعهم البلاغيون إلى أن المتكلم قد يميل في كلامه إلى استعمال الاسم المعرف بـــ(أل) على غيره من المعارف الأخرى، للدلالة على معنى يريدُه، تشير إليه أداة التعريف، كإرادة الإيجاز في الكلام، ولأهميتها قَسَّم النحويون اللام التي تدخل على الاسم فتفيده تعريفا إلى قسمين: اللام الجنسية، واللام العهدية، أما الجنسية فهي على نوعين:

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص92.

[2]-حبنكة الميداني: البلاغة أسسها وعلومها وأفنانها: ط1. 1996، دار القلم، دمشق، ص436.

إحداهما: «لام الحقيقة والماهية، وهي التي لا يصح أن يستعمل بدلها كلمة (كل)، فيشار بها إلى الحقيقة الشائعة في الأفراد، دون النظر إلى دلالتها على عمومٍ أو خصوصٍ. **وثانيهما:** اللام التي تفيد استغراق أفراد الجنس كلهم حقيقة، أو عُرفا، وهي التي تدل على ما تدل عليه لفظة (كل) لو كانت بدلها»[1]. مثل قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[التغابن 18].أي عالم كل غيب، وكل شهادة، وعزيز كل عزة؛ لايغلب ولا يغلبه غالب ولا يقهره قاهر، بل هو القاهر فوق عباده، وحكيم كل حكمة، فهو الحاكم الذي له الحكم المطلق، وإليه يرجع الأمر كله، يحكم على عباده بقضائه وقدره، ويحكم بينهم بدينه وشرعه.

ب_ التقديم والتأخير: التقديم والتأخير عند البلاغيين أنواع: تقديم بالعلة، وبالرتبة، وبالشرف، وبالمكان، والتقديم بالزمان، ومن التقديم بالعلة تقديم العزيز على الحكيم في هذه الآيات، ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[الجاثية: 37].قدم (العزيز) على (الحكيم)؛ لأنَّ «السياق قبلها يقتضي هذا التقديم، فالحديث كان فيه عن عناد الكافرين وإعراضهم عن منهج الله، فسلط الله عليهم النار، لا يخرجون منها ولا هم يُستعتبون، فناسب ذلك تقديم (العزيز) الذي لا يغلبه شيء ولا يفوته»[2]، على (الحكيم) في إلحاق هذا العذاب بهم لكبريائهم، وجبروتهم، ومنازعتهم إيَّاه كبرياءه سبحانه، المُشارُ إليها في الحديث القدسي:«**الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**» [3]

أمَّا في قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّـٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّـٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[غافر: 8] فقد قدم (العزيز)؛ لأنَّ العزة كما يذكر –الطاهر بن عاشور– «تقتضي الاستغناء عن الانتفاع بالأشياء النفيسة، فلما وعد الصالحين الجنة لم يكن لله ما يضنه بذلك فلا يصدر منه مطل. وأخر (الحكيم) لأن الحكمة تقتضي معاملة المحسن بالإحسان»[4].

---

[1]–حبنكة الميداني: البلاغة أسسها وعلومها وأفنانها، ص437.

[2]–محمد السيد عبد الرزاق: الإعجاز البلاغي في التقديم والتأخير، مقال منشور بمركز تفسير للدراسات القرآنية، موقع الكثروني، ص3.

[3]–أبو داود: سنن أبي داود، الحديث رواه أبو هريرة، رقم الحديث: 4090.

[4]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص93.

وأما وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[الفتح: 7]. فقد قدم (العزيز) على (الحكيم) لأنَّ السياق هنا سياق إنذار ووعيد بهزيمة المنافقين، بدلالة ذكر لفظ (الجنود) في الآية الذي يدل على القوة والغلبة، فناسب ذلك صفة (العزيز) « الذي لا يغالب»[1]، القادر الذي لا يمتنع عليه شيء أراده، بدلالة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[الحج: 74]، ثم ذكر بعدها صفة(الحكيم) وهو المدبر الذي يحكم الصنع ويحسن التدبير، فتكون القدرة بهذا المعنى متقدمة على حسن التدبير. وهو المعنى الذي أشار إليه ابن القيم الجوزية بقوله: « قدم العزة التي تدل على قوته، على الحكمة التي تدل على كمال اختياره للأشياء ووضعها في المكان المناسب لها، فقدم وصف القدرة؛ لأنَّها متعلقة بأفعاله وآياته، وهي مظنة مشاهدة الخلق على حكمته؛ ولأنَّها متعلقة بالنظر والتفكر والاعتبار، والحكمة هي غاية الأفعال، فهي بذلك متأخِّرة تأخر الغايات عن وسائلها.

فالقدرة تتعلق بالإيجاد، والحكمة تتعلق بغايته، فقدم الوسيلة في الذكر على الغاية؛ لأنَّها الأسبق في الترتيب الخارجي»[2]. غير أن الإمام الفخر الرَّازِي (604هـــ) يرجع سبب تقديم (العزيز) على (الحكيم) إلى السياق الذي ورد فيه هذا الاقتران، ومناسبته إلى الكلام الذي سبقه في الآية نفسها، فيقول لَّما ذكر قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾«وفيها إشارة إلى شدة العذاب، ختم كلامه بذكر العزة فقال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾إشارة إلى شدة العذاب»[3] وقدَّمها على الحكمة؛ لأنَّ عذابه وشدَّته استحقَّها هؤلاء المنافقون والكافرون. ويوضح أبو السَّعُود هذا المعنى بصيغة أخرى، فيقول:«لأنَّه غالبٌ على أمره، يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه»[4]حكيم في إمضاء أحكامه وفق ما تقتضيه حكمته سبحانه وتعالى.

ومن هذا المنطلق نخلص إلى أن تقديم (العزيز)على(الحكيم) يعود إلى سياقات متعدِّدة ومختلفة ورد فيها هذا الاقتران، فهي التي اقتضت هذا التَّقديم من جهة، ومن جهة أخرى يعود هذا التَّقديم إلى معنى(العزيز)إذ هو«الغالب، فلمَّا عزَّ في ذاته بالغلبة، حَكَمَ على كل شيءٍ، فلم يخرج عن حكمة ملكه شيء»[5].

---

[1]-الطاهرة بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج26، ص154.

[2]-ابن القيم الجوزية:بدائع الفوائد،تح:علي بن محمد العمران،ج1،ط2. 1427ه،دار عالم الفوائد، مكة المكرمة،ص: 119.

[3]-فخر الدين الرازي: التفسير الكبير: ج28، ص: 85.

[4]-أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج3، ص35.

[5]-يحي بن إبراهيم العلوي اليمني: كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز. دتح، ط مطبعة المقتطف، مصر. 1994، ج2، ص59.

ت_ الاعتراض(*):

يظهر هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾[غافر: 8. 9] في عبارة﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ يقول الطاهر بن عاشور وَقَعَ اقتران (العزيز الحكيم) «اعتراضاً بين دعوتين، الأولى قوله تعالى ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ﴾، والثَّانية قوله تعالى﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [1] وقد زاد هذا الاعتراض المعنى قوة وتسديداً، ولذلك قالوا:«الجملة المعترضة تارة تكون مؤكدة، وتارة تكون مشددة؛ لأنَّها إما ألاَّ تدل على معنى زائد على ما دل عليه الكلام، فهي مؤكدة، وإما أن تدل عليه وعلى معنى زائد، فهي مشددة»[2] وعليه فإن اقتران (العزيز الحكيم) في الآية فيه إشارة إلى رغبة شديدة وحرص أشد من الملائكة لإجابة دعائهم من قبل الله تعالى، لهؤلاء الصَّالحين من عباده. كما أشار أيضا إلى ذلك الحُبِّ الذي تكنه الملائكة لأهل الفضل والصلاح« لما بين نفوسهم من تناسق وتناسب»[3]. ومن جهة ثالثة فإن اقتران (العزيز الحكيم) الذي وقع اعتراضاً في الآية فيه إشارة ثالثة، أشار إليها حملة العرش في دعائهم لربّهم سبحانه وتعالى، وهي أنَّ الدعاء بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا يكون أقرب إلى الإستجابة؛ فقد دعوه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا لتحقيق هذا الرجاء وتلبية هذا الدعاء، وهو أمر فيه إقرار من حملة العرش بأنَّ الله تعالى هو القوي الغالب على أمره، الحكيم في عطائه ومنعه؛ لأنَّ الله تعالى إذا دُعِيَ بأسمائه الحسنى استجاب لدعاء من دعاه، فمجيء الاقتران الثنائي هنا على سبيل الاعتراض حمل معنى التَّذكِير والتَّنبيه على فَضلِ أسماء الله

(*)–يُقصد بالاعتراض" جملة تعترض بين كلامين، تفيد زيادة في معنى وغرض المتكلم".(1) يمثل له البلاغيون بقوله تعالى: «فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم»[الواقعة: 75. 76] وقد وقع قوله تعالى: « وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم » جملة اعتراضية وقعت بين القسم وجوابه، زادت المعنى فائدة في الغرض من القَسَم، وهو الإشارة إلى دلائل عظمة الله سبحانه وتعالى. (انظر: ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص279.)

(1)–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص93.

(2)–الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص56.

(3)–المصدر نفسه، ج24، (بتصرف).

الحسنى، وأنها سبب في إجابة الدعاء. قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:180]

ث_ العدول في الفاصلة:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [غافر:7. 8] كان من المفروض أن تكون الفاصلة هنا حسب السياق:«إنك أنت الغفور الرحيم»، لسؤال المغفرة والرحمة من الله تعالى للذين تابوا واتبعوا سبيله، ولكنه عدل عن هذه الفاصلة إلى فاصلة: «**إنك أنت العزيز الحكيم**»، والسر في هذا العدول، أنه لا يستطيع أن يغفر لمن استحق العقوبة ثم تاب ورجع إلا من لا يُردُّ له حكم أو قرار، والذي لا يُرد له حكم ولا قرار هو الله تعالى؛ لأنه «عزيز لا يغلب، حكيم لا يضع الشَّيء إلاَّ في موضعه، فلا يُتهم في غفرانه وتوبته على من استحق العقوبة فوصف (الحكيم) هنا احتراس حسن؛ لأن الحكمة فيها فعل»[1].

ثانيّاً: السميع البصير:

1_ نماذج اقتران (السميع البصير):

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	غافر	56
02	«﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	الشورى	11
03	﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾	المجادلة	1

[1]-عبد العظيم المطعني:خصائص التعبير القرآني، ط 1. 1992، القاهرة، ص230.

2_ دلالة (السميع البصير):

أ_ دلالة السميع:

أ_ الدلالة اللغوية: السمع في اللغة: «ما وَقَرَ في الأُذُن من شيءٍ يسمعه. تقول: سَمِعَت أذُني زيداً يقول كذا وكذا، أي: سَمِعْتُهُ». [1] يقول ابن فارس: «(سمع): السين والميم والعين أصلٌ واحدٌ، وهو إيناس الشيء بالأُذُن من الناس، وكلُّ ذِي أُذُن. والسَّمع: الذِكرُ الجميلُ، يُقال: قد ذهب سمعه في النَّاس، أي صيتُهُ، ويقال: سَمَاع اسم فعل أمر بمعنى استمع»[2].

ب_ الدلالة الاصطلاحية: يأتي بمعنى السامع للمبالغة وهو: « المدرك للموجودات العليم بحركاتها وسكناتها، فلا تَصدُر إلاَّ عن تدبيره، ويسمع أصواتها الحادثة بسمعه القديم المتره عن مشابهة الحادث، فلا تختلف عليه دعوات خَلْقِهِ، ولا يشتغل بشيءٍ عن شيءٍ سبحانه وتعالى﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[الكهف: 26]»[3] يَسمَعُ السِّرَّ والنَّجوَى، يستوي عنده الجهر والإسرار، والنُّطق والسُّكُوت.

ب_ دلالة البصير:

الدلالة اللغوية:

البصير من أبنية المبالغة بمعنى: عظيم البصر، وهو في اللغة العربية بمعنى: « العليم بالأشياء، يُقال بصُرت بالشيء إذا صِرتُ به عالماً، وأبصرته إذا رأيته»[4].

والبصير في لسان العرب: « الذي يشاهد الأشياء كلها ظاهرها وخافيها بغير جارحة، والبصر عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات، يقال: وإنَّه لبصير بالأشياء أي عالم بها»[5]. ومن هذا المنطلق فإنَّ لفظ البصير جاء في اللغة بمعنى: العِلمُ بالأشياء، والرُّؤية البصريَّة، أو مشاهدة الأشياء ورؤيتها رؤية دقيقة.

---

[1]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج2، ص175.

[2]-أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة: ج3، ص102.

[3]-أبو القاسم القشيري: شرح أسماء الله الحسنى، ط1986/2، دار آزال، ص129.

[4]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج1، ص253، 254.

[5]-ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص64

الدلالة الاصطلاحية:

البصير: يُعَرِّفُ الخطابي اسم (البصير) بأنَّه: «العالم بخفيَّاتِ الأمور»[1]. ويُعرّفه البَيْهَقِي فيقول هو: «المدرك للأشخاص والألوان التي يُدركها المخلوقون بأبصارهم من غير أن تكون له جارحة العين، وهو الذي لا تخفى عليه خافيَّة من غير موصوف بالحسِّ المركب في العين». [2] تستوي عنده رؤية هذه الأشياء المُبصَرة في اللَّيل والنَّهار، في الظَّلام والضِّياء.

والبصير بهذه المعاني صفة من صفات الله تعالى، الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار السَّموات والأرض، قال تعالى:﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء:218. 220].فقد أثبت الآية:

أوَّلاً: أنَّ للهَ تعالى بَصَراً يليق بعظمته، يرى جميع خَلقِهِ بكيفيَّة لا يَدرِكُهَا العقل البشري، ولا يتصوَّرُها لقصوره وعجزه.

ثانيًا: أنَّه ذو بصيرة بالأشياء، عالم بها، خبير بأمرها، لا تخفى عليه خافيَّة.

وعليه فإنَّ اللهَ تعالى لما وَصَفَ نفسه بأنَّه (البصير) فهو بهذا يعني أنَّه يرى جميع الأشياء دقيقها وجليلها، عالمٌ بها مدركٌ لها لا تخفى عليه خافيَّة.قال تعالى:﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:19].

3_ تفسير(السميع البصير):

النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[غافر: 56]. الخطاب في الآية موجه للرسول ﷺ يأمره فيه: «أن يستجير بالله من شر الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان ومِن الكبر؛ أن يَعرِضَ في قلبه منه شيء»[3] وجدالهم للرسول ﷺ يوحي بعدم قبولهم لدعوته وتكبرهم

---

[1]-أبو سليمان الخطابي: شأن الدعاء، تح: أحمد يوسف الدقاق، ط3. 1992، دار الثقافة العربية، ص61

[2]-أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي:كتاب أسماء الله وصفاته، تح:محمد محب الدين أبو زيد، ج1، مكتبة التوعية الإسلامية، ص 203.

[3]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20. تح: عبد اللع عبد المحسن التركي، دار هجر، ص350.

عليه، والأمر بالاستعاذة دليل على بشاعة هذا السلوك وفظاعته وقبحه.«**إنه هو السميع البصير**» «يسمع ما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول، بصير بما تعمله جوارحهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء».[1]وإنما عبَّر بالسَّمع والبصر عند الاستعاذة من الكبر؛ لأنَّ الكبرَ يظهر ويُرى في تصرف المتكبِّر وأفعاله، ويسمع في كلامه وتعبيراته، ويُرى في تصرفاته وقسمات وجهه، ولذلك أمره أن يفوض أمره إليه سبحانه، ليتولاَّه من كيد الحاسدين؛ لأنه «(سميع) لما تقول ويقولون، (بصير) بما تعمل ويعملون». [2] فالله تعالى بهذا الاقتران بَيَّنَ له قيمة الاستعاذة ومنزلتها من جهة، وبشَّرَه بأنه سبحانه ناصره عليهم وعَاصِمَه من شرِّهم من جهة أخرى.

النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[الشورى: 11].ورد في الآية اقتران (**السميع البصير**) في سياق إثبات الله تعالى لنفسه السمع والبصر، بعد أن نفى المثل مطلقًا. فهو سبحانه «السميع لما ينطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء ولا يعزب عنه علم شيء منه» [3]. فاقتران ﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ دلَّ على أنَّ اللهَ تعالى «سامعٌ للمسموعات مبصرٌ للمرئيات»[4]محيطٌ بكلِّ شيءٍ، محصٍ لكل صغيرة وكبيرة، لا يعزب عن علمه شيء من ذلك. والغرض من هذه الإحاطة السمعية والبصريَّة لله ربِّ العالمين مجازات النُّفُوس بما عملت من خيرٍ أو شرٍّ. كما تتجلَّى لنا دلالة أخرى من اقتران ﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ في الآية وهي الإشارة إلى أن علاقة الله تعالى بخلقه مستمرة دائمة غير منقطعة، فرغم وصف نفسه بأنه﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾ إلاَّ أنَّ الصلة بينه وبين ما خلق كما يقول سيد قطب:«ليست منقطعة لهذا الاختلاف الكامل، فهو يسمع ويبصر، ثم يحكم حكم السميع البصير»[5].

---

[1]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20. ص350.

[2]-محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف، ط3. 2009، دار المعرفة، بيروت، ص960.

[3]-ابن جرير الطبري:جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20، ص: 478.

[4]-الفخر الرازي: التفسير الكبير أومفاتيح الغيب، ج27، ص: 154.

[5]-سيد قطب: في ظلال القرآن، ج5، ط15، 1988، دار الشروق، القاهرة، ص: 3146.

النموذج الثالث:

ورد اقتران ﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾[المجادلة: 1]. بمعنى «أنَّ الله سميع لما تتجاوبانه وتتحاورانه، بصير بما تعملون» أي (سميع)«لمن يناجيه ويتضرَّع إليه، (بصير) بمن يشكو إليه.» [1] لأنَّ سمعه سبحانه وتعالى أزلي، أي سميعاً «قبل أن يخلق الخلق سينشأ منهم ما يُبصر وما يُسمع، فهو سميع لما يقال بصير بما يفعل.» [2] لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السَّماء، وقد جاء اقتران (السميع البصير) في سياق إثبات اتصال السماء بالأرض، كما يقول سيد قطب «بصورة مباشرة محسوسة، ومشاركتها الحياة اليومية لجماعة من الناس مشاركة ظاهرة»[3] ثم تقرر الأحكام التي تنظم حياة البشر بصورة تشعرك بمراقبة لصيقة لكل ما يقوله الإنسان أو يفعله، ومن هذه القضايا قضيَّة المرأة التي حاورت الرَّسول ﷺ في شأن أسرتها، فسمع الله هذه المحاورة وسجلَّها في كتابه الكريم وعَقَّبَ عليها بحكمه الجامع المانع المذكور في الآيات بعد قوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: 1]

3_ الأثر البلاغي لاقتران (السميع البصير): من الظَّواهر البلاغية التي صاحبت اقتران (السميع البصير) واستوقفتنا:

أ_ التَّأكيد[*]: ومنه:

_التَّأكيد بالتَّذييل[**]:

نلمس هذا الأثر في قوله تعالى: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾[المجادلة1].فقد أفادت الآية الكريمة أنَّ الله تعالى أخبر أنَّه قد سمع

---

[1]–فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الفكر، ج22. ص456.

[2]–متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، 1991، ص14983.

[3]–سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص 3502.

[*]–التأكيد تابعٌ يقرر أمر المتبوع في النسبة والشمول، وقيل عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله، ومن أنواعه: التأكيد اللفظي والتأكيد المعنوي. انظر: (معجم التعريفات للشريف الجرجاني، تح: محمد الصديق المنشاوي، ص45)

[**] –التذييل هو: أن تأتي بعد تمام الكلام بمشتمل على معناه من جملة مستقلة بنفسها لإفادة التوكيد والتحقيق، لدلالة منطوق الكلام أو دلالة مفهومه.(انظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع، لبدر الدّين بن مالك الشهير بابن الناظم، ص217)

الحوار الذي دار بين المرأة الأنصاريَّة (خولة بنت الحارث بن ثعلبة رضي الله عنها) والرَّسول ﷺ في مسألة طلاقها من (زوجها أوس بن الصَّامت الخزرجي) وشكواها لله تعالى، فأطلع الله رسوله على هذه القضية. وقد عبر الله عن هذا بقوله﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾[المجادلة: 1] فالمعنى إلى هذا الحدِّ تام وكامل ومفهوم، ويحسن السكوت عليه، غير أنَّ الأسلوب القرآني لم يكتف بهذا فحسب، بل عَمَدَ بعدها

مباشرة إلى الإتيان بجملة تشتمل على المعنى السَّابق لتأكيده وتحقيقه، فقال سبحانه «**إن الله سميع بصير**» فوقعت هذه الجملة كما يقول الطَّاهر بن عاشور «تذييلاً مؤكداً للجملة السَّابقة «**والله يسمع تحاوركما**» [1] وأفاد التَّذييل هنا التَّأكيد على أنَّ الله تعالى عَالِمٌ بكل صوت وبكلِّ مرئي يصدر من أي مخلوق، ومن ذلك محاورة المجادلة ووقوعها عند النَّبي ﷺ ويؤكِّدُ هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: 7]

_التأكيد بـــ (إنَّ):

تُعَدُّ الأداة (إنَّ) من أكثر أدوات التَّأكيد دوراناً في القرآن الكريم، لا سيَّما مع الأسماء الحسنى المقترنة، مثل (**السميع البصير**). حيث ورد الاسمان مؤكدين بـــ(إنَّ) في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة1]، بمعنى السميع لجميع الأصوات في جميع الأوقات على اختلاف الحاجات، البصير لجميع المرئيَّات في كل مكان أو زمان، ومن ذلك سماعه ورؤيته واطلاعه على حوار المرأة المجادلة للرسول ﷺ، والحوار الذي دار بينهما، فقد سمعه سبحانه، وأكَّدَ ذلك بأداة التَّأكيد الثَّقيلة (إنَّ) ورتَّبَ عليها أحكاماً، للدلالة على أنَّه سبحانه«يسمع كلّ مسموع ويبصر كل مبصر»[2]فسَمعُهُ تعالى ثابتٌ، وإحاطته بالأمور مؤكدة، وهذه الدلالة تقتضي من العبد أن يكون مع ربِّه سبحانه ذليلاً له خاضعاً، دائم المراقبة له والإحسان في العبادة والمعاملة، والبعد عن المعاصي والذنوب؛ لأنَّ ربَّه سميع بصير.قال

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج11، ص: 9.

[2]-محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف، ص1086.

الرسول ﷺ حين سأله جبريل- عليه السلام- عن الإحسان قائلاً: «فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قال: **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[1]

_التَّأكيد بالقصر[*] أو بضمير الفصل:

نجد هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[غافر.20].وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[غافر 56].نلاحظ في الآيتين التَّأكيد بأداتين: بـــ(إنَّ) وبـــضمير الفصل (هو) ودلالة التَّأكيد بضمير الفصل هنا يفيد حصر العبادة على الله تعالى، وقصرها عليه، فهي حق للسميع البصير وحده دون غيره؛ لأنَّه سبحانه له كمال السمع وكمال البصر، وفي إثبات العبادة لله تعالى، وحصرها في حقِّه في الوقت نفسه «تعريض بآلهتهم التي لا تسمع ولا تبصر فكيف ينسبون إليها الألوهية»، من جهة أخرى يضيف ابن عاشور قائلاً إن إثبات هاتين الصفتين لله تعالى من مقتضيات قضائه بالحقِّ، لأنَّ الذي يقضي بالحق لا يُخطئ في أحكامه ولا يحكم بالباطل، لأنَّه سميع بصير، ولذلك قصر هذه الصفات على نفسه مؤكدا لها بأداتين، بأداة التوكيد وضمير الفصل. [2] لتترسَّخَ معانيها في النُّفوس وتنطبع دلالاتها في الأفئدة والقلوب.

ب_ تقديم السميع على البصير: إنَّ النَّاظر في الآيات القرآنية النَّماذج محل الدراسة المشتملة على أسماء الله الحسنى في فواصلها يلاحظ بوضوح تقديم لفظ(السميع) على لفظ(البصير).هذا التَّقديم لا يخلو من دلالات وفوائد عميقة، ينبغي الانتباه إليها، منها: التَّقديم بالرُّتبة، لـــ «تعلُّق السَّمع بكل ما قَرُبَ كالأصوات وهَمسِ الحركات، فإنَّ مَن سَمِعَ حسَّكَ وخَفِي صوتك أقرب إليك – في العادة- ممَّن يُقال لك أنَّه بصير أو عليم بك»، وإن كان بصره سبحانه وعلمه تعالى متعلِّقاً بكلِّ ما ظهر وبطن، وعلى كل قريب أو بعيد، ولكن ذِكرُ السَّميع أولاً هنا له دلالة أوسع، «أراد من عبده

---

[1]-ابن رجب: جامع العلوم والحكم . مؤسسة الرسالة، ط1. 2004. بيروت، ص: 27.

[*]-القصر:تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، ويسمى أيضاً الحصر، لأن الحصر قصر شيء على آخر، فهما بمعنى واحد، وينقسم إلى حقيقي وإضافي، فالحقيقي ما كان الاختصاص فيه بحسب الواقع والحقيقة، والإضافي ما كان الاختصاص فيه بحسب الإضافة إلى شيء معين.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص118.(بتصرف).

أن يلحظها. هذه الدلالة هي التّي نسميها بالخشوع المفضي إلى دوام مراقبة الله تعالى، والتّي من ثمراتها غرس معنى الخوف من الله تعالى في القلب والوجدان، فكان أولى بالتّقديم من صفة البصير»[1]. وفيه أيضاً إشارة إلى قرب الله الشديد من الإنسان؛ لأنَّ الذي يسمعك يكون عادة أشد قرباً منك، بخلاف البصير، فقد يراك من مكان بعيد.قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق: 16] ولا شكَّ أنَّ الله تعالى يسمعنا ويرنا أينما كنا.

ت_ التّعليل: نلمس هذا الأثر ونلاحظه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[غافر 56]. فاقتران (السميع البصير) جاء في سياق الأمر بالاستعاذة من الجدال في آيات الله بغير علم، ثم علَّلَ هذا الأمر بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾«للدوام على الاستعاذة بالله تعالى»، [2]. وهذا التعليل يدل على أن الله تعالى مُطَّلِعٌ على أقوالهم وأعمالهم، قادرٌ على إبطال ما يصنعون، وغيره لا يستطيع مهما أوتي من علم أن يَطَّلِعَ على تصرفاتهم ومكرهم وخداعهم لمحدودية علمه وسلطانه.

أما قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[المجادلة: 1] فقد أخبر الله تعالى في الآية أنه سمع شكوى هذه المرأة وأجابها إلى قولها بدليل قوله ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ ثم عقَّب على الأمر كله معللاً استجابته لتضرع هذه المرأة بقوله: «**إنّ الله سميع بصير**» والتعليل بهذه العبارة كما ذكر أبو السعود «بطريق التحقيق، أي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات»[3]كما نلاحظ أن الوصف بكونه سميعاً بصيراً قرنه باسم الجلالة، وكرره في هذه الآية ثلاث مرات للتربية على المهابة والخشية.

---

[1]-ابن القيم الجوزية:بدائع الفوائد، ج1، ص112.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص175.

[3]-أبو السعود: تفسير أبي السعود، ج8، ص216. محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج3، ص238.

ثالثا: الغني الحميد:

1_ نماذج اقتران (الغني الحميد)

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤ ﴾	الحديد	24
02	﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦ ﴾	الممتحنة	6
03	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦ ﴾	التغابن	6

2_ دلالة الغني الحميد

أ_دلالة الغَني

الدلالة اللغوية:

الغَنِيُّ في اللغة صفة مشبهة لمن اتَّصفَ بالغِنَى، جاء في معجم العين: «الغِنَى مقصور في المال، واستغنى الرَّجل: أصاب غِنًى، والغنية: اسم من الاستغناء، وتَغَنَّى بمعنى استغنى، والغَنَاء: الاستغناء والكفاية»[1]، وعند ابن فارس: الغِنَى هو الكفاية، يقال:«لا يُغْنِي فلان غَنَاء فلان، أي لا يكفي كفايته» [2].

ومن هذا المنطلق فلفظ (الغَنِيُّ) في اللغة يطلق ويراد به الكفاية والاستغناء عن الآخرين، فالغنيُّ هو الذي لا يحتاج إلى أحد، وكلُّ أحد يحتاج إليه؛ لكفايته واستغنائه عن الآخرين، فالغَنِيُّ المطلق الغِنَى بهذا الاعتبار هو الله سبحانه وتعالى، لا يشاركه في غناه أحد من العالمين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

[1]-الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين: ج3، ص194.

[2]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج4، ص397.

ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ [فاطر:15]

الدلالة الاصطلاحية:

يقول سليمان الخطابي:«الغَنِيُّ: هو الذي استغنى عن الخلق وعن نصرتهم وتأييدهم لملكه، فليست له حاجة إليهم، وهم إليه فقراء محتاجون، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ [محمد:38] [1] قال الزجاج:«الغَنِيُّ هو المستغني عن الخلق بقدرته، وعز سلطانه، والخلق جميعاً فقراء إلى فضله وإحسانه، فهو سبحانه ليس بمحتاج إلى أحد فيما خلق ويخلق، ودبر ويدبر، ويعطي ويرزق، ويقضي ويمضي، لا رادَّ لأمره وهو على ما يشاء قدير»[2]. قال ابن القيم: [3]. [من الكمال]

وهـــو الغـــنيُّ بذاتـــه فغنـــاه ذا تيٌّ لـــــه كـــــالجود والإحســـــان

فالله تعالى هو الغَنِيُّ وغناه سبحانه مطلق، فهو الغَنِيُّ بذاته، وبصفاته عن كل ما سواه، قال البيهقي: الغنيُّ هو«الكامل بما عنده، فلا يحتاج إلى غيره» [4]؛ لأنَّ الحاجة نقص، والمحتاج عاجز عمَّا يحتاج إليه، والمحتاج إليه له فضلٌ بوجود لديه ما ليس عند المحتاج، وعليه فإنَّ الحاجة والعجز مستحيلان في حق الله تعالى؛ لأنَّه هو الغنيُّ عن خلقه بملكه وإرادته وقوته.

ب_ دلالة الحميد:

الدلالة اللغوية:

الحميد في اللغة على بناء (فَعِيل) صيغة مبالغة، من الفعل: حَمِدَ يَحْمُدُ حَمْداً، قال ابن فارس:«الحاء والميم والدال أصل واحد يدل على خلاف الذم، يقال: حَمِدْتُ فلاناً أحمده، ورجل محمود ومحمد، إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة» [5]، ولَّما كان الحمد نقيض الذم، فهو بمعنى الشكر والثناء، جاء في لسان العرب:«الحمد والشكر متقاربان، لكن الحمد أعمُّ من الشكر؛ لأنك

---

[1]-سليمان خطابي: شأن الدعاء، ص92، 93.

[2]-الزجاج: تفسير الأسماء، ص63.

[3]-ابن القيم: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ط1. 1428ه، تح: محمد عبد الرحمن العريفي، دار عالم الفوائد، مكة، ص177.

[4]-البيهقي: الأسماء والصفات، ص182، انظر: المنهاج في شعب الإيمان، ج1، ص196.

[5]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج2، ص100.

تحمد الإنسان على صفاته. الذاتية وعلى عطائه، ولا تشكره على صفاته»[1]، وأضاف الراغب فقال:«والحمد أخص من المدح، وأعم من الشكر، لأنَّ المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره، وما يقال منه وفيه بالتَّسخير، فقد يمدح الإنسان بطول قامته، وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول، والشكر لا يقال إلاَّ في مقابلة نعمة، وعليه فكلُّ شكر حمد، وليس كل حمد شكراً، وكل حمد مدح، وليس كل مدح حمداً.» [2].

الدلالة الاصطلاحية:

قال الحليمي (ت403هـ):«الحميد هو المستحق لأن يحمد؛ لأنه جل ثناؤه بدأ فأوجد، ثم جمع بين النعمتين الجليلتين: الحياة والعقل، ووالى بين منحه، وتابع آلاءه ومننه حتى فاتت العد، فمن ذا الذي يستحق الحمد سواه، بل له الحمد كله لا لغيره، كما أن المنَّ منه لا من غيره.» [3]. قال ابن القيم[4]: [من الكامل]

وَهُوَ الحَمِيدُ فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٍ أَوْ كَانَ مَفْرُوضاً مَدَى الأَزْمَانِ

3_ تفسير (الغني الحميد)

النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [الحديد:24] نلاحظ في الآية أنَّ اقتران (الغني الحميد) جاء في سياق تذكير الله تعالى لمن بخل وشحَّ و لم ينفق في سبيل الله ومرضاته، وفَرِحَ بما أوتي من مال وبنين، أو جاه ومكانة، فاستغنى بها عن ربه، ذكرهم بأنه تعالى: «هو الغني عن ماله ونفقته، وعن غيره من سائر خلقه، وهو الحميد إلى خلقه بما أنعم عليهم من نعمه»[5] الظاهرة والباطنة، التي لاتعد ولا تحصى، فإن قصَّروا فإنَّ«وبال ذلك عائدٌ عليهم»[6]؛ لأنَّ (الغني) كما عرفه ابن عا شور هو:«الموصوف بالغِنَى، أي عدم الاحتياج...

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص156.

[2]-الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص256.

[3]-الحليمي: المنهاج في شعب الإيمان، ج1، تح: حليمي محمد فوده، ط1. 1979، دار الفكر، القاهرة، ص202.

[4]-ابن القيم: الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية.ص177.

[5]-الطبري: تفسير الطبري، ج22، ص423.

[6]-فخر الدين الرازي: تفسير الرازي، ج29، ص241.

و(الحميد) وصف مبالغة، أي كثير الحمد للمنفقين» [1].

النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة:6] الملاحظ أن اقتران (الغني الحميد) في الآية جاء في سياق تذكير من «تولى عما أمره الله تعالى به وندبه إليه، لكنه أعرض عنه وأدبر وولى مستكبرا، ووالى أعداء الله وألقى إليهم بالمودة، بأنَّ الله هو (الغني) عن إيمانهم به، وعن طاعتهم إياه، وهو (الحميد) بأياديه وآلائه عندهم»[2]، أو (الحميد) لمن «يمتثل أمره ولا يعرض عنه، أو (الحميد) لمن لم يتخذ عدون ولياً» [3]. وعليه وانطلاقا من هذه المعاني لاقتران (الغني الحميد) عند المفسرين، فإنه بالإضافة إلى ذلك فيه «إشارة إلى أنَّ من كان يرجو الله واليوم الآخر، لا يترك الاقتداء بهؤلاء الرسل والأنبياء، فإن تركه فهو دليل على عدم رجاء الله تعالى واليوم الآخر، الذي هو شأن الكفرة، بل مما يؤذن بالكفر، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [4] وفي الآية كذلك إشارة إلى وعيد لمن ترك الاقتداء بالرسل والأنبياء، وإشارة أخرى إلى أنَّ هذا الترك مظهر من مظاهر التولي عن الله تعالى الكفر به، والله تعالى لا يرضى لعباده التولي عن أمره كما لا يرضى لعباده الكفر به، قال الألوسي معقبا على اقتران (الغني الحميد):«فإنه مما يوعد بأمثاله الكفرة»[5] قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:7]

النموذج الثالث:

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٦﴾ [التغابن:6] جاء اقتران (الغني الحميد) في عذا النص القرآني في سياق حديث القرآن عن صنف من الناس كفروا بالله تعالى، واستكبروا وجحدوا رسالته ورسله، الذين أرسلهم إليهم،

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص414.

[2]-الطبري: تفسير الطبري، ج22، ص570.

[3]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج28، ص150.

[4]-الألوسي: روح المعاني، ج28، ص74.

[5]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فلما كان موقفهم منهم هذا الجحود والاستكبار، أخبرهم الله تعالى بأنه (غني حميد)، أي:«غني عن جميع خلقه، محمود عند جميعهم، بجميل أياديه عندهم، وكريم فعاله فيهم»[1] فهو سبحانه وتعالى (غني) «عن العالمين، فضلاً عن إيمانهم وطاعتهم، (حميد) يحمده كل مخلوق بلسان الحال، أو مستحق للحمد بذاته، وإن لم يحمده حامد»[2] بدليل أن الله تعالى «لم يلجئهم إلى الإيمان به، و لم يضطرهم إليه مع قدرته على ذلك»[3].

إنَّ اقتران (الغني الحميد) في هذه المواضع القرآنية يدل على كمال الله تعالى في غناه، فهو سبحانه غني عن جميع خلقه، وعن إيمانهم وأموالهم، وهم الفقراء إليه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:15] ودليل أيضا على كمال الله في حمده، بدليل أنه سبحانه وتعالى يعامل خلقه معاملة من يحمدونه عليها، إمَّا بلسان حالهم أو بلسان مقالهم.

كما نلاحظ في اقتران (الغني الحميد) ترغيب للعباد إن سألوا الهداية والعافية، في الدنيا والآخرة، أن يسألوها من (الغني الحميد) فهو سبحانه المحمود في غناه، يمدحه الخلق ويثنون عليه؛ لأنه فقراء إليه، وهو سبحانه وتعالى (الغني الحميد) غني محمود، له الكمال في غناه، وله الكمال في حمده.

كما أنَّ اقتران (الغني الحميد) يملأ قلب المؤمن ثقة بالله تعالى وتوكلاً عليه سبحانه دون غيره من المخلوقات؛ لأنه سبحانه يملك خزائن السماوات والأرض، وما يملكه باق ودائم، لا ينفد ولا يزول، وما يملكه الخلق ويزول.

4_ الأثر البلاغي لاقتران (الغني الحميد)

من أبرز الآثار البلاغية المترتبة عن اقتران (الغني الحميد) نجد منها:

أ_ التأكيد:

التأكيد بـــ (إنَّ):

جاء التأكيد بـــ(إنَّ) في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الحديد:24] في سياق الحديث عن صنف من النَّاس ذَكَرَ الله تعالى أنه يبغضهم

---

[1]-الطبري: تفسير الطبري، ج23، ص8.

[2]-أبو السعود: تفسير أبو السعود، ج8، ص256.

[3]-محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف، ص1112.

ولا يحبهم، وهم البخلاء الأشحاء، الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله، ويأمرون النَّاس بالبخل حتى لا يذكر غيرهم بخير، فيتساوون في الوصف، فنسوا أن المال الذي يبخلون به هو مال الله تعالى، وهو الذي آتاهم إياه ورزقهم به. وقد ذكَّرهم بهذا في الآية قبلها حيث قال:«**ولا تفرحوا بما آتاكم**» أي: ما آتاكم من خير ورزق، فأسند إيتاء الخير إليه سبحانه، فإذا رأى الإنسان نفسه غنيًّا، فذاك الغِنَى هو مما آتاه الله تعالى وحده، فالله هو الغنيُّ وحده، فلما ذكرهم بهذا أكَّدَ على غناه بأداة التوكيد الثقيلة (إنَّ) وقصره عليه بالتعريف فقال: (الغنيُّ)؛ لأنه لا غنيَّ على الحقيقة سواه، ثم أردف هذا الوصف بوصف آخر وقرنه به، فقال (الحميد) وعرفه أيضا ليؤكد بأنه هو المحمود في غناه، والمحمود في صفاته كلها على جهة التأكيد والثبوت، فلا محمودَ على الحقيقة سواه.

التأكيد بالتذييل:

نلمح هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤ ﴾[الحديد:24] إنَّ اقتران (الغني الحميد) في الآية وقع تذييلاً أكَّدَ به المعنى وتَّمَه، ذلك أنَّ البخل والشح في حقيقته ما هو إلاَّ مظهرٌ من مظاهر الإعراض عن الله تعالى والتولي عن أمره، والتولي عن الله تعالى يتضمَّن البخل والشح ويشمله، بدلالة أداة الشرط (مَن) التي تفيد العموم، فكل من بخل وشحَّ بما آتاه الله من نعمة وفضل، أو أمر به وحث الناس عليه، معدود عند الله تعالى ممن تولَّى عن أمره وأعرض عنه، فلما وقعت (مَن) شرطية احتاجت إلى جواب، فجاء الاقتران الثنائي «فإن الله الغني الحميد» جوابا لها؛ لأنَّ مضمونها كما يقول الطاهر بن عاشور «علة للجواب، والتقدير: ومن تول فلا يضر الله شيئاً، ولا يضر الفقير؛ لأن الله غني عن المتولين، له عباد يطيعون أمره فيحمدوهم»[1].

والأثر نفسه (التذييل) نلمحه في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦ ﴾ [التغابن] فقد جاءت الآية تتحدث عن موقف الكافرين من الرُّسل الذين بعثهم الله إليهم بالهدى والبينات، ولكنهم كفروا بهم وتولوا عنهم واستغنوا، فاستغنى الله تعالى عنهم وعن طاعتهم فقال:«واستغنى الله والله غني حميد» فوقع (الغني الحميد) هنا تذييلاً لهذا المعنى، ذلك أن عبارة (واستغنى الله) كافية في اثبات استغناء الله تعالى وعدم حاجته إليهم، ثم قال بعدها«والله غني حميد) تأكيدا لهذا الاستغناء، فهو سبحانه (غنيّ) عن كل شيء فيما يطلب

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص413.

منه، (حميد) لمن امتثل أمره»[1].

والملاحظة الدقيقة التي يشير إليها هذا الأثر البلاغي (التأكيد) أنه لم يأت بصيغة واحدة ثابتة، بل جاء في هذه المواضع بعدة صيغ، فقد أكد تارة بأداة التأكيد الواسعة الاستعمال في الكلام، وهي (إنَّ)، وجاء بصيغة التذييل، كما جاء في حالة التعريف الذي يفيد التأكيد، إنَّ هذا التنوع في استعمال أسلوب التأكيد يدلُّ على أن الله تعالى أراد به ترسيخ الإيمان بأن هذه صفات لله تعالى، لا يستطيع مخلوق أن يجمع بينهما لنفسه كما جمعهما الله تعالى لنفسه واتصف بهما، كما أراد اله تعالى بهذه الصيغ للتأكيد أن يترسخ أيضا الإيمان بها في قلوب المؤمنين ونفوسهم، فتطمئن القلوب، وتنشرح الصدور، بأنَّ الغني حقيقة، والمحمود بحقٍّ هو الله تعالى. كما أنَّ استعمال القرآن لهذه الأساليب التوكيدية وانتقاله في تأكيد المعنى من أسلوب لآخر دليل على عدم جمود النص القرآني ومرونة لغته وثرائها.

ب_ التعريض:

لقد وصف الله تعالى نفسه في القرآن بأنه (الغَنِيُّ الحَمِيدُ) فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤ ﴾ [الحديد:24] فمن أعرض عن الإنفاق في سبيل الله وأبى، فإنَّ الله تعالى هو (الغني) «غني عن هذا البخيل وعن إنفاقه، وهو (الحميد) محمود في ذاته، لا يضره من أعرض عن أمره ورفض شكره، بالتقرب إليه بشيء من نعمه وأفضاله، مستغني عنهم، موعودون بالعذاب، مذمومون»[2] على فعلهم هذا، وعليه فإنَّ اقتران (الغني الحميد) في هذا المقام؛ مقام الأمر بالإنفاق والنهي عن البخل، تعريض بهؤلاء الأغنياء الأشحاء المذمومين، الذين لم يعملوا بما أوتوا من خير ونعيم ما يحمدون عليه ويشكرون.

ت_ المبالغة:

نلمح هذا الأثر البلاغي في الآيات النماذج الثلاثة موضع الدراسة، فصفة (الغني) استعملت للدلالة على أنَّ الموصوف بها لا حدَّ له في غناه، فغناه مطلق، لا يحتاج لأي مخلوق، والمخلوقون يحتاجون إليه، دلَّ هلى ذلك لفظ (الغني) و(الحميد) اللذان جاءا على بناء (فعيل) للدلالة على المبالغة التي تفيد ثبات الغنى في حقه سبحانه ودوامها وعدم انقطاعها، وثبات الحمد في حقه وكثرته للمنفقين في سبيله وعدم انقطاعه عنهم.

---

[1]-المرجع نفسه، ج28، ص270.

[2]-الألوسي: روح المعاني، ج27، ص188.

ث_ القصر:

ورد هذا الأثر البلاغي في قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٤ ﴾[الحديد:24] نلاحظ في الآية ورود الاقتران الثنائي (الغني الحميد) بدون ضمير الفصل في قراءة نافع وابن عامر وأبي جعفر، وهو المرسوم في مصحف المدينة والشَّام في قوله تعالى:«فإن الله الغني الحميد» بدون ضمير فصل، وجاء في قراءة الجمهور قوله تعالى:«فإن الله هو الغني الحميد» بضمير فصل بعد اسم الجلالة، وهو المرسوم في مصحف المدينة والشام، فهما روايتان متواترتان، فاقتران

(الغني الحميد) في قراءة نافع بدون ضمير فصل«يفيد القصر؛ لأنَّ تعريف المسند والمسند إليه من طُرُق القصر»[1]، وفي المقابل فإن القراءة بضمير الفصل تفيد تأكيد القصر، كما هو الحال في قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦ ﴾ **[الممتحنة:6]** فالضمير في قوله تعالى «**هو الغني الحميد**» تأكيد للقصر، وهو قصر إدعائي لعدم الاعتداد بغنى غيره ولا بحمدهم، أي هو الغنيُّ عن المتولين، لأن النهي عما نهوا عنه، إنما هو لفائدتهم، لا يفيد الله شيئا عهو سبحانه الغني عن كل شيء.

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص415.

المبحث الثاني

الاقتران الثنائي في صفات الرسل والأنبياء.

1. النذير المبين
2. البشير النذير.
3. الرسول الكريم.
4. إبراهيم وموسى.

أولاً: (النذير المبين):

1 _ نماذج لاقتران (النذير المبين):

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	ص	70-69
02	﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	الذاريات	51
03	﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	الملك	26

2_ دلالة (النذير المبين):

أ_ دلالة النذير:

الدلالة اللغوية: قال ابن فارس: «النون والذال والرَّاء كلمة تدلُّ على تخويفٍ أو تخوُّف، ومنه الإنذار: وهو الإبلاغ، ولا يكاد يكون إلاَّ في التَّخويف، ومنه قولهم: تناذروا: خوَّفَ بعضهم بعضاً، ومنه النَّذرُ: وهو أن يخاف إذا أخلف.» [1] أما الإنذار عند الرَّاغب فهو: «إخبارٌ فيه تخويف، كما أنَّ التَّبشير إخبار فيه سرور.» [2].وهو المعنى الذي أشار الله بقوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾[الليل: 14]. وجاء في اللسان: «النَّذير صوت القوس؛ لأنَّه ينذر الرَّمية. وقيل: نذير الجيش: طليعتهم الذي ينذرهم أمر عدوهم، أي يُعلمهُم. نحو قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[فاطر:37].وقيل النَّذير هو الرُّسول لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[الفتح: 8].وقال بعضهم:النَّذير هو الشَّيب»[3] يقول الشَّاعر في هذا المعنى:[من المتقارب] [4]

نَـــــذِيرٌ وَلَكِنَّـــــهُ صَـــــامِتٌ وَضَـــــيْفٌ وَلَكِنَّـــــهُ شَـــــامِتٌ

واشْـــــخاصُ مَـــــوتٌ ولكنَّـــــهُ إلى مَـــــنْ يُودِعُـــــه ثَابِـــــتٌ

---

[1]–أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج5، ص414.

[2]–الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: تح: صفوان عدنان داوودي، ط4/ 2009. دار القلم، دمشق، ص797.

[3]–ابن منظور: لسان العرب: ج5. ص201.

[4]–بديع الزمان الهمذاني: ديوانه، تح: يسري عبد الغني عبد الله، ط3. 2003، دار الكتب العلمية، بيروت، ص47.

قال ابن عباس: «لما أنزل الله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[الشعراء: 214] أتى رسول الله ﷺ الصَّفا فصعد عليه ثم نادى: يا صاحباه فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء ورجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: يا بني عبد المطَّلب، يا بني فلان لو أخبرتكم أنَّ خيلاً ستفتح هذا الجبل تريد أن تُغِير عليكم صدقتموني. قالوا: نعم. قال فإنِّي نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تَبًّا لكم سائر القوم أمَا آذنتمونا إلاَّ هذا.» [1].فأنزل الله تعالى: «﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾[المسد: 1. 2]

الدلالة الاصطلاحية:

النَّذير كما عرَّفه المنَّاوي: «الإعلام بما يحذر، ولاَ يكون إلاَّ في التخويف، يسع زمانه الاحتراز منه، فإن لم يسع كان إشعاراً»[2]. فهو المُخبِرُ بأمر فيه هلاك؛ لتجنب الأسباب المؤدية إليه.

ب_ دلالة (مُبين):

الدلالة اللغوية:

المبين: اسم فاعل من بَيَّنَ، وهو بمعنى: «الواضح البليغ، بَيِّنٌ ظاهرٌ، ومن الفعل أَبَانَ، إبانةً، فهو مُبينٌ. يقال:أَبَانَ الأمر إذا ظَهَرَ واتَّضَحَ، وأَبَانَ الشَّيء: أوضحه وأظهره، وبَيَّنَ آراءه: أوضَحَهَا، وفسَّرها بوضوح. وبَانَ الهلالُ: اتَّضَحَ»[3]

فلفظ (مُبين) ومن خلال هذه المعاني يُقصد به في اللغة: «الكلامُ الذي يفهم منه مراد المتكلم عند الإطلاق» [4].

الدلالة الاصطلاحية: المبين في الاصطلاح: «الذي يوضحُ ما أنذر منه، والأسباب المؤدية إليه، والوسائل المنجية منه، مع إقامة الحجَّة على صِدْقِه ونصحه»[5].

---

[1]-صحيح البخاري رقم الحديث: 4971، صحيح مسلم رقم: 208.

[2]-محمد عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح حمدان. القاهرة: 1410. ص64.

[3]-معجم وقاموس المعاني متعدد اللغات والمجالات، معجم إلكتروني موقعه: almaany/ com dictinary.

[4]-محمد قلعجي: معجم لغة الفقهاء.ط2/ 1988.دار النفائس. بيروت. لبنان. ص401.

[5]-عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ج2، ط1. 2009، دار الرشيد، الجزائر، ص318.

3_ تفسير(نذير مبين):

النموذج الأوَّل:

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [ص: 69-70]. خطاب للنَّبي ﷺ يُعلِمُ فيه قريش أن لا علم له بالملإ الأعلى، وهم: الملائكة وآدم وإبليس«**إذ يختصمون**» قال: ابن عباس رضي الله عنه في شأن آدم عليه السَّلام حين قال تعالى﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾[البقرة: 30]. وإيراد (نذير مبين) في الآية تذكيرٌ له بوظيفته الأساسيَّة التي من أجلها بُعِثَ إلى الخلق.فقد أُمِرَ أن يقول أنَّ وظيفته محصورة ومتعلقة بما يُوحَى إليه لا يتجاوزه، (**نَذِيرٌ**) «أنذر وأبلّغ ولا أفرّط في ذلك »[1] (**مُبِينٌ**) واضح في إنذاري، وظاهر في بياني، وإنَّما حَصَر وظيفته في هاذين الوصفين، لأنَّ الكلام كما يذكر الشعراوي موّجه:« للمخالفين، فناسبهم قوله تعالى «**إنّما أنا نذير مبين**» وليس للمؤمنين لأنهم أهل البشارة»[2].

النَّموذج الثَّاني:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: 51].يلاحظ اقتران(نذير مبين) ورد في سياق الحديث عن مظاهر قدرة الله تعالى وقوته في الخلق والتَّدبير﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[الذاريات: 49] والآية فيها إشارة إلى أنَّ الله تعالى هو الذي خلق من جميع الكائنات زوجين، بمعنى: صنفين متقابلين. وهذه الإشارة فيها تنبيه يُذكر بقدرة الله على خلق ما يشاء، وأنَّه ليس كغيره ممن شأنه فعل نوع واحد دون خلافه. واستشعار العبد هذه القدرة يدفعه إلى التَّفكر والتَّدبُّر. ويغرس فيه قِيَّمِ الخوف والاعتبار، والحذر من مخالفة أمره وعصيانه. وعلى هذا الأساس جاء معنى (نذير مبين) أي: «منذر لكم من عذاب الله، ومُخَوِّفٌ بَيِّنُ النذارة»[3].

---

[1]-الزمخشري: تفسير الكشاف، ص931.

[2]-الشعراوي: تفسير الشعراوي: ص12997

[3]-عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن، ص683.

ولذلك أمر سبحانه بالإيمان به وطاعته وعدم عصيانه على لسان نبيه ﷺ بقوله: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الذاريات: 50]، والتَّعبير بلفظ (الفرار) في الآية فيه رمز أو إشارة إلى أنَّ من وراء المعصيَّة، وعدم الاستجابة عقاباً شديداً وعذاباً أليماً، يستوجب الفرار منه. فجمعت هذه الكلمة(الفرار) كما يذكر الثَّعالبي «بين التَّحذير والاستدعاء»[1].ثمَّ عَقَّبَ على الأمر بالفرار إلى الله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ «(**نذير**) أنذركم عقابه، وأخوّفكم عذابه الذي أحلَّه بهؤلاء الأمم الذين قصَّ عليكم قصصهم، (**مبين**) يبين لكم نذارته»[2]. وإنما جمع بين الإنذار والتبيين لبيان وظيفة الرسول ﷺ القائمة على هذه الثُّنائيَّة (**الإنذار والتّبيّين**) وهما أساسا البلاغ البيِّن الواضح، الذي لا يشوبه غموض أو لبس، لمن كان له قلب أو ألقى السَّمع وهو شهيد.

النَّموذج الثالث:

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾[الملك: 26] نلاحظ اقتران (**نذير مبين**) جاء جواباً لسؤال المشركين عن قيام السَّاعة، وموعدها ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الملك: 25]، فبين الله تعالى أن أمر السَّاعة ووقتها، علمٌ استأثر الله به لنفسه، لم يُطلِع عليه مَلَكٌ مقرب أو نبيٌّ مرسل.

وقد عَلِمَ الرُّسول ﷺ ذلك فأجابهم قائلاً: ﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[الملك: 26] أي: العلم بوقت قيام الساعة عند الله تعالى، لا يعلمه غيره. ثمَّ بَيَّنَ وظيفته التي أُرسل بها وفصَّلَها قائلاً لهم: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ أنها تقوم أساساً على أمرين:(**الإنذار والتبيين**). ومن هذا المنطلق ندرك أن الرسول ما هو إلاّ منذر من عذاب الله تعالى، بيِّن النَّذارة لا لبس فيها ولا غموض.

إنَّ اقتران (**نذير مبين**) في هذه الآيات وفي غيرها، جاء في سياق حديث القرآن عن علم الغيب، حيثُ بَيَّنَ سبحانه أنَّ هذا العلم قد استأثر به سبحانه لنفسه، لم يُطلِع عليه أحداً من خلقه، وهذا ما ندركه من الآيات السَّابقة، من ناحية، ومن ناحية أخرى بَيَّنَ أنه لم يرسل الأنبيَّاء والرُّسل لإخبار الناس عن زمن قيَّام الساعة، وإنّمَا أرسلهم لإنذار الناس من عذاب أليم إن لم يؤمنوا به

---

[1]-عبد الرحمن الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ج5.تح: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط1/ 1997. دار إحياء التراث العربي. بيروت. لبنان. ص: 305.

[2]-ابن جرير الطبري: تفسير الطبري: ج21، ص549.

ويطيعوه. وبيَّن أنَّ أسلوب الرُّسل في الإنذار بَيِّنٌ وواضح لا غموض فيه ولا التباس، لإقامة الحجة يوم القيامة على المخالفين؛ من العصاة والمشركين. فاقتران(**نذير مبين**) كما نتصوره فيه دعوة إلى الإيمان بالله تعالى وطاعته، وفيه تخويف من معصيته ومخالفة به، ودليل بَين وواضح أنَّ النَّبي ﷺ قد جمع في دعوته للمشركين بين الأمرين: النذارة والتبيين.

فهو نذير (**بيِّن**) أو نذير (**مُبين**) جمع بينهما، فهو نذير (**بَيِّن**) وواضحٌ، قد أعلى الله ذكره ونشر خبره، فليس أمره بخَفِي وليست دعوته بالسرية، إلا ما كان في بدايتها للمصلحة- وهو ﷺ في الوقت ذاته (**مُبِين**) لما يغضب الله ويسخطه ويوجب عقوبته أكمل بيان. إنَّ ورود الاقتران الثنائي (نذير مبين) في هذه المواضع، قد زاد المعنى وضوحاً وبياناً، وزادت الآيات رونقاً وجمالاً. بما تركت فيها من آثار بلاغية وبيانية كثيرة، زادت المعنى رسوخاً في الأذهان، وخشية في القلوب، واستقامة في الأفكار والتصورات، وصلاحاً في السلوك والأعمال. ومن هذه الآثار البلاغية نجد مثلاً : التعليل والتأكيد، والقصر. وهو ما سنتوقف عنده في المبحث التالي.

4_ الأثر البلاغي لاقتران (نذير مبين):

أ_ القصر:

ذكر البلاغيون أنَّ القصر ما هو إلاَّ تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، فالشيء الأوَّل هو المقصور، والشيء الثاني هو المقصور عليه، والطريق المخصوص هو ما يسمى بالطرق والأدوات المعروفة لدى البلاغيين.ففي قوله قال تعالى:﴿إِنۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[ص:70].نلاحظ القصر من طريقين:[1]:

القصر عن طريق النفي والاستثناء:

فقد نفى الرسول ﷺ علمه بما يحدث في الملإ الأعلى، حين يختصم المتجبِّرون والطُّغاة وأتباعهم في النَّار، ثمَّ استثنى مبيِّناً أنَّ علمه متعلِّقٌ فقط بما أُخبِرَ به عن طريق ما يوحى إليه من القرآن الكريم، وعبَّرَ عن هذا المعنى بقوله:﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٦٩ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾ [ص69. 70]

كأنَّ الآية الكريمة تحصر الحكمة من إنزال الوحي على قلب الرسول ﷺ؛ وهي الإنذار والتبيين

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص298.

للعصاة والمشركين، ولذلك سمى بعض المفسرين هذا الحصر بـــ:(حصر حكمة.) [1].

القصر بـــ(أنما): ورد القصر في الآية بـــ(أنَّما) المفتوحة الهمزة وهي أخت (إنَّما) المكسورة الهمزة، التي من معانيها إفادة الحصر.فقوله تعالى: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[ص: 70]، «أفادت حصر صفة الرسول ﷺ في الإنذار. ويستلزم هذان الحصران حصراً ثالثا، وهو أنَّ أخبار القرآن هي في حقيقتها وحي من الله تعالى، وليست أساطير الأوّلين كما زعموا»[2].

ومن خلال هذه المعاني نستخلص أن اقتران(**نذير مبين**) قد ترتب عنه ثلاثة أنواع من القصر: قصر باللفظ وهو عبارة عن قصر بالنفي والاستثناء. وقصر بالكناية وهو أن القرآن أخباره كلها من الله تعالى وليست أساطير الأولين.

القصر الإضافي:

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٱلْخَبِيرُ﴾[الملك: 25] سؤال طرحه الكافرون على الرسول ﷺ على سبيل السخرية والتهكم. فأجابهم الرسول ﷺ مبينا لهم أن مسألة الساعة وموعدها، علمٌ استأثرَ الله به لنفسه، قائلاً: «﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[الملك: 26]. ثم بيَّنَ لهم دوره ووظيفته التي أرسل بها وحَصَرَهَا في أمرين: ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ :(**نذيرٌ**) لكم أحذركم عاقبة كفركم، و(**مبين**) أبيِّنُ لكم ما أمرني الله ببيانه غاية البيان. وعليه فإنَّ قوله ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ «قصرٌ إضافيٌّ؛ بمعنى ما أنا في هذه القضيَّة إلاَّ نذيرٌ بوقوع هذا الوعد، لا أتجاوز ذلك إلى كوني عالماً بوقته.» [3] وقد بيَّنَ هذا الاقتران أنَّ الإنذار والتبيين من أهمِّ ما أرسل به النَّبي ﷺ، بالإضافة إلى البِشَارة. ولما كان سياق الكلام يدورُ حول يوم القيامة، والوعيد فيها، فإن وظيفة الرسول ﷺ في هذا المقام لا يتعدَّى الإنذار والتَّرهيب، لأهوالها الإنذار البيِّن والواضح.

ب_ التَّعليل:

قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص299.

[2]-المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

[3]-المرجع نفسه، ج29. ص49.

مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات: 50. 51]. أمر الله تعالى في الآية بالفرار إليه، وأَمْرُهُ هذا متضمن الأمر بالإنتهاء عن التكذيب بيوم الدين، والإشراك به سبحانه وتعالى، وهذه العبارة جاءت استعارة تمثيلية «بتشبيه حال تورطهم في الضلالة بحال من هو في مكان مخوف، يدعو حاله إلى أن يفرَّ منه إلى من يجيره»[1]. فقد شبَّه القرآن حال الرَّسول ﷺ بحال نذير قوم، على وشك تعرضهم لغزو عدو. قائلا لهم ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ فوقع هذا البيان بصيغة التحذير«تعليلاً للأمر بالفرار في قوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ذلك أن الغاية من الإنذار إنَّما يراد به السلامة من العقاب، فصار الإنذار بهذا الاعتبار تعليلاً للأمر بالفرار إلى اللهِ تعالى والتوجه إليه».[2]

ت_ الأسلوب الحكيم(*):

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الملك: 25، 26] لم تقتنع قريش بالحجج والبراهين التي عرضها عليهم النَّبي ﷺ، و لم تستوقفهم لِيَتَدَبَّرُوها أو يُفكِّرُوا فيها، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ ﴾ [الملك: 23]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الملك: 24] وإنما انحصر عنادهم في قوله تعالى: «**وإليه تحشرون**» فقد كفروا بيوم الحشر وجحدوا به، وأنكروا أن يحدِّثهم القرآن عنه، أو ينذرهم النَّبي ﷺ به. بل بلغ بهم الإنكار والكفر والجحود بهذا اليوم، إلى أن قالوا مستهزئين: ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ﴾[سبأ: 7-8].وكانوا يقولون: ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ «فَأَمَرَ الله نبيَّه ﷺ أن يرُدَّ عليهم بعبارة على خلاف ما كانوا يترقبونه، وهو ما يُعرف في البلاغة (بأسلوب الحكيم)» [3] فقد سألوه عن القيَّامة وموعدها، فترك سؤالهم و لم يجبهم عنه، وأجابهم عن سؤال لم يسألوه عنه، مبينا أنَّه ما كان ينبغي لهم أن يسألوه عن قضية السَّاعة أو القيَّامة، ثم أحالهم في هذه المسألة على الله تعالى قائلا: ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ثم أردف قائلاً ﴿ وَإِنَّمَآ

---

(1)–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص19.

(2)–المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

(*)–هو أحد المحسنات المعنوية في علم البديع وهو أحد مباحث البلاغة، ويعني: تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، إمَّا بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإمّا بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد ويريد، تنبيهاً على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى.(انظر: جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي، ص282.)

(3)–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص49.

﴿أَنَا۟ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾فذكرهم بوظيفته التي بُعِثَ من أجلها، وهي أنَّه نذيرٌ مبينٌ، ومن وراء إنذاره إن لم يؤمنوا عذابُ يومٍ عظيم.

ث_ التَّأكيد:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: 50. 51]. نلاحظ اقتران (**نذير مبين**) في الآية جاء مؤكدا بالأداة (إنَّ). فعندما قال: (**نذير**) إنما يقصد به (منذر)، فالنذير هو المنذر.

وهنا قال: ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[الذاريات: 51].يعني بَيِّن النَّذارة، واضح الحجَّة، ومع ذلك قال: ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ يلمس الدَّارس من قوله هذا إصراراً على دعوته، وتأكيداً على أنَّه ملتزم بوظيفته الموكولة إليه، واثقٌ من حجّته، مستمرٌّ في سبيله، للوصول إلى هدفه وتحقيق غايته، صادقٌ في دعوتهم للرُّجوع إلى الله، والفرار إليه، ليعبدوه دون غيره.

كما نلاحظ في الآية نفسها أنَّ الله تعالى أكدَّ على هذا المعنى بأسلوب التَّأكيد وقدَّمه لعباده قبل أن يُبَيِّنَ لهم الأمر الذي أنذر منه، وهو الشرك، فقال: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: 50. 51.]

ثانيا: البشير النذير:

1_ نماذج اقتران البشير النذير:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ **بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾	فصلت	1- 4
02	﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا **وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾	الفتح	8

2_ دلالة اقتران (البشير النَّذير):

أ_ دلالة البشير:

الدلالة اللغوية:البشير مأخوذ من: بَشِرَ بالخير بِشرًا بمعنى:«فَرِحَ به وسُرَّ، ومنه بَشَّرَ فلاناً بالأمر إذا فَرَّحَهُ به.وبَشَرَ بِشَارةً بمعنى:حَسُنَ وجَمُلَ فهو بشيرٌ.وأصل هذا أنَّ بَشَرَة الإنسان تنبسط عند السُّرور.ومنه قولهم:فلان يلقاني ببشر؛أي:منبسط الوجه»[1] قال الأعشى: [الكامل] [2]

وَرَأَت بِـــــأَنَّ الشَّـــــيبَ جَـــــا نَبَـــــهُ البَشَاشَـــــةُ وَالبشَـــــارَةُ

كما يُقال:«أَبْشَرَت الأرض إذا أخرجت أوَّل نبتها.ومنه تباشير الصبح: أوائله. وفلان مُؤدَمٌ مُبَشَّرٌ إذا كان كاملاً من الرِّجال»[3] والبِشْرُ كذلك هو:«الطَّلاقة، وفي التَّنزيل العزيز: ﴿فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ [التوبة: 111]، وقال: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30].وأتاني أمرٌ بَشِرْتُ به أي:سُرِرْتُ بِهِ.وفي الحديث:(**مَنْ أَحَبَّ القُرْآنَ فَلْيَبْشِر**)[4] أي: فليفرح وَلْيُسَر، أراد أن محبة القرآن دليل على محض الإيمان»[5].

فلفظ (البشير) يُطلق في اللغة على المبشر الذي ينقل الأخبار المفرحة والسارة إلى الآخرين، والتي ينبسط لها الوجه عند سماعها وينشرح. كما يطلق على مَنْ ينقل الأخبار السَّيِّئة على سبيل التَّهكم والاستهزاء، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[آل عمران: 21]

الدلالة الاصطلاحية:

البشير هو: المبشر والمخبر الصَّادق، يُخبر بالخبر الذي يتغيَّر به وجه المُخبَر في الخير إذا أطلق، وهو الأصل كقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: 21]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ

---

[1]-ابن منظور:لسان العرب:ج4.ص60.

[2]-الأعشى: ديوان الأعشى، البيت من قصيدة يهجو فيها شيبان بن شهاب الجحدري، دط، دتح، ص155.

[3]-ابن منظور: لسان العرب: ج4. ص62.

[4]-الحديث رواه الدارمي بإسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اقرؤوا القرآن، فإن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن، وإنَّ هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن، ومن أحَبَّ القرآن فليبشر»

[5]-ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص61.

هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر: 18]. وإذا قُيِّدَ استعمل في الشر، كقوله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾. [الانشقاق: 24]. «على سبيل السُّخريَّة بالمشركين والكفار والاستهزاء بهم». [1]

ب_ دلالة النذير:

الدلالة اللغوية والاصطلاحية: سبقت الإشارة إليها في اقتران (النذير المبين).

3 _ تفسير:(البشير النذير):

النموذج الأول:

قال تعالى﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [فصلت: 1. 4]. ورد اقتران (**البشير النَّذير**) في الآية عند الحديث عن موقف المشركين من القرآن الكريم ومصدره، فالقرآن كما جاء في الآية تتزيل مِن الذي وصف نفسه بـــ(الرَّحْمَن الرَّحِيم) فهو بهذا الاعتبار تابع للموصوف في: أنَّه رحمة من اللهِ تعالى للعالمين؛ لأنَّ الذي أنزله رَحْمَانٌ رَحِيمٌ، من جهة، ومن جهة أخرى مُنَزَّلٌ لتحقيق « المصالح الدينية والدُّنْيَويَّة بمقتضى الرَّحمة الرَّبانيَّة المشار إليها في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء: 107]»[2] عربيٌّ مفصَّلٌ في آياته وأحكامه، بيِّنٌ غير غامض ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ فآياته مشتملة على وعدٍ ووعيدٍ، مواعظ ونصائح، فيها تهذيبٌ للأخلاق، وتربيَّة للنُّفوس ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: 1]. ثم أضاف مبيِّنًا صفته الثَّالثة وغايته الكبرى، فقال﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾فقوله (**بشيراً**) «بشيراً لمن آمن به، كما في قوله: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[البقرة: 97].(**ونذيراً**) لكل من كفر به، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[الفرقان: 1]» [3]

---

[1]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج9. ص232.

[2]–أبو السعود: تفسير أبي السعود، ج8. دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص2.

[3]–ابن عطية الأندلسي:المحرر الوجيز، ج5.تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، 2001، دار الكتب العلمية، بيروت، ص4.

والجمع بين (**بَشِيراً وَنَذِيراً**) فيه خصوص وعموم؛ لأنَّ لفظ (**البَشِيرُ**) يحمل بشارة خاصّة لكلِّ من آمن باللهِ تعالى، ولفظ (**نَذِيراً**) يحمل إنذاراً عامًّا، وقد يحمل إنذاراً خاصًّا، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ **[مريم: 97]**. يقصد الذين كفروا به «من قريش، فإنَّهم أهل لدد وجدل بالباطل، لا يقبلون الحق؛ واللدّد: شدَّة الخصومة.»[1] فصار بهذا المعنى لفظ (**بَشِيراً**) خاصا لمن آمن، ولفظ (**نَذِيراً**) عاما وقد يكون خاصا.

وإنَّما استعمل اللَّفظين (**بَشِيراً وَنَذِيراً**) وصفا للقرآن الكريم لما فيه من الآيات المبشِّرة للمؤمنين الصَّالحين من جهة، ولما فيه من الوعيد للكافرين وأهل المعاصي من جهة أخرى. والجمع بينهما في هذا النّص القرآني جاء للدلالة على أنَّ الله تعالى لا يضيع أجْرَ مَن عَمِل صالحاً، فله من الثَّواب والأجر الوفير جزاءً لإيمانه وطاعته، وللدلالة أيضاً على أنَّ الله ليس بغافل عن الكافرين والمشركين، فهو أعلم بهم وبما يصنعون، يُنذرهم ويتوّعدهم بعذاب أليم، ينتظرهم إن لم يتوبوا ويعودوا إليه. وعليه فإن اقتران (**البشير النذير**) يحمل في دلالاته تنبيه لطائفتين من الناس؛ فهو بشيرٌ للذين آمنوا به وصدَّقُوا بما جاء فيه فاتبعوه، ونذيرٌ للمعرضين الكافرين به، المكذبين بما جاء فيه.

النموذج الثَّاني:

أما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾[الفتح: 8]. فالخطاب في الآية للنَّبي ﷺ ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرَّفه أولاً بالرسالة، وبعثه إلى كافة الناس، شاهداً على أعمال أمَّتِه. وشرَّفه ثانيا بالبشارة «(مبشِّراً) لمن قَبِلَ هذه الشَّهادة وعمل بها ووافقه عليها، (ونذيراً) لمن ردَّ شهادته وخالفه فيها»[2] أو«مبشِّراً لمن آمن به وأطاعه بالثَّواب، ونذيراً لمن خالفه وعصى أمره بالعقاب»[3]. فَكِلَا المعنيين صحيحين، فلا يُبَشِّرُ بالثَّواب والجنّة إلاَّ من قَبِلَ شهادته وأطاعه، ولا يُنذر بالعقاب إلاَّ من ردَّ شهادته وعصاه. وعليه فإنَّ اقتران ﴿**وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** ﴾ يُعدُّ أسلوباً دعويًّا بديعاً أراد الله تعالى لنبيِّه ﷺ أن يتَّصف به ويعمل بمقتضاه. وعلى هذا الأساس يكون اقتران(بشيراً ونذيراً) متمِّمًا لأسلوب التَّرغيب والتَّرهيب. والسر في استعمال هذا الأسلوب يَكْمُنُ في مُراعاة النُّفوس، وميلها لصاحب البِشَارة، وقبولها لما يبشّر به، ووقوفها على وجل لأسلوب التخويف والإنذار، لعَلَّها

---

[1]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 15. ص645.

[2]-فخر الدّين الرّازي: تفسير الرازي المشتهر بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج28. ص: 85.

[3]-الخازن:لباب التأويل في معاني التنزيل، تح:عبد السلام شاهين، ج4.ط1 .2004، دار الكتب العلمية، بيروت، ص765.

تتوقَّف عن غييها، ولا يكون ذاك إلاَّ لمن كان (مبشّراً ونذيراً). والهدف من إيراد هذا الاقتران في وصف أسلوب النَّبي عليه الصلاة والسلام ودعوته، هو تبيان خصائص الأسلوب الدعوي لمن اقتدى بالرسول ﷺ وانبرى للدعوة إلى اللهِ تعالى، بأنَّ هذه الدعوة مبناها على ركيزتين: البِشَارَة والإنذار، البِشَارة لأهل الطَّاعات، والإنذار لأهل المعاصي، ليتوبوا ويعودوا إلى الله تعالى.

4_ الأثر البلاغي لاقتران (البشير النذير):

أ_ التشبيه البليغ:

يقول المولى عزَّ وجلَّ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[فصلت: 1. 4]. البشير عند المفسرين «اسم للمُبَشِّر المُخبر بخبر يسُرُّ المُخْبَر، والنَّذِير اسم للمخبِر لأمر مَخُوف»[1] فقد شبَّه الله تعالى في الآية « القرآن الكريم بالبشير؛ لاشتماله على آيات مبشِّرَة للمؤمنين الصالحين، كما شبَّهه بالنّذير لاشتماله على آيات قرآنية فيها وَعدٌ وَوَعِيدٌ للكافرين وأهل المعاصي. فالكلام بهذا المعنى تشبيهٌ بليغٌ».[2] ذَكَرَ فيه طرفي التَّشبيه فقط وهما (القرآن الكريم) و(البشير النَّذير) مقتصراً عليهما دون بقيّة أركان التَّشبيه؛ للدلالة على تطابقهما وعدم تفاضلهما، أي: أن المشبَّه هو عينه المشبَّه به، وفي هذا مبالغة في التعبير عن المعنى، مما يزيده قوة وعُمقا، ورسوخا في الذهن..وحَذفُ أداة التَّشبيه ووجه الشَّبه، فيه إعمال لفكر القارئ أو السَّامع لإدراكه. وهي عملية تترك في النَّفس أثراً كبيراً.

ذلك أنَّ الشيءَ إذا نِيلَ بعد الطَّلب له، والاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نَيله أحلَى، وموقعه في النفس أجل وألطف. كالبحث عن الجوهر في الصدَفِ، لا يبرز إلاَّ بعد أن تشقه عنه.

ب_ التأكيد بـــ(إنَّ):

من أبرز الآثار البلاغية الملاحظة في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الفتح: 8]. التَّأكيد. حيث سَبَقَ اقتران (مُبَشِّراً ونَذِيراً) أداة التَّأكيد (إنَّ) لإضفاء مزيدٍ من الاهتمام لدى المُخاطَب، لإدراك وظيفة الرسول ﷺ ومهمَّته الأساسيَّة لإرساله من قِبَل الله تعالى إلى خلقه، وتحديد هذه الوظيفة للرسول ﷺ لغرض أن تكون كالمقدِّمة لحادثة صلح الحديبية. والصُّلح يقتضي

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير ج24، ص232.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أولاً: الشهادة على حيثياته، كما يقتضي تبشير المتمسكين ببنوده، وإنذار من تسول له نفسه نقضه أو مخالفته. ويقول الطاهر بن عاشور: «وذكرت الآية حكمة الله في إرساله ما له مزيد بالواقعة المتحدث عنها، فذكرت أوصاف ثلاثة هي: شاهد ومبشِّر ونذير، وقدم منه وصف الشاهد لأنَّه يتفرَّع عنه الوصفان بعده.» [1]

ت_ الطباق:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [الفتح: 8] الخطاب في هذا النَّص القرآني للرسول ﷺ يصفه بجملة من الصفات: الشَّهَادَةُ والبِشَارَةُ والإنذار.خصَّه اللهُ تعالى بها وهو يتوَّلى ذلكم الصلح الذي عقده مع قومه (صلح الحديبية) الذي كان سَبَباً في أعظم فتح عرفته الإنسانية (فتح مكة). فقد افتتح الكلام في الآية بأداة التأكيد (إنَّ) منوهاً بها على وظيفته، مبيِّناً له الغاية منها.ثم يأتي بطباق الإيجاب ﴿ وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ زيادة في تفصيل وظيفته.فهذا الاقتران تفريع عن هذه الشهادة كما أشار إلى ذلك الطاهر بن عاشور حيث يقول«قدَّم وصف الشاهد لأنه يتفرَّع عنه الوصفان بعده» [2].

فالطرف الأول لهذا الطباق: (مُبَشِّراً) وهو ضد الإنذار، للدلالة على الوظيفة الأولى للرسول ﷺ ألا وهي البشارة والتبشير.وهو من أَجل وظائف الرَّسول ﷺ التي حرص أن يلقنها لأصحابه كمنهج في الدعوة إلى الله تعالى. بدليل حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[الأحزاب: 45]. وقد كان أمَرَ عليًّا ومعاذ رضيَّ الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن. فقال لهما معلِّمًا: «**انْطَلِقَا فَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَيَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، فَإِنَّهُ قَدْ أُنْزِلَ عَلِيَّ** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾»[3]. بلاغة نبويّة راقيّة، تجلَّى فيها فنُّ الطباق بجلاء ووضوح، والذين يبشِّرُهم كما جاء في سياق الآية هم أصحابه الذين شهدوا معه صلح الحديبية، وكان بعضهم قد رفض بعض ما جاء في هذا الصلح، فجاءت هذه الكلمة تطمئنهم وتبشِّرهم إلى أنَّه سيكون بعد هذا الصلح فتحٌ مبينٌ. ثم يأتي الطرف الثاني في الطباق عكس التبشير،

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج26. ص155.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 26. ص155.

[3]-محي الدين يحي بن شرف النووي: شرح النووي على مسلم، باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير، ج16، ص401.

وهو (الإنذار) الذي يعني التخويف والتهديد. والذين ينذرهم هم العاصون. وعليه فقد جمع الله تعالى في هذه الآية الكريمة بين الضدين؛ بين البِشَارة التي فيها الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، والإنذار الذي فيه التخويف والتهديد، الأمر الذي قد يترتَّبُ عليه الخُسْرَانُ في الدنيا والآخرة. والغرض الذي توخَّاه الخطاب القرآني من هذا الطباق، إنَّما هو توضيحُ المَعنَى وترسيخه في الأذهان؛ لأنَّ الأشياء بأضدادها تتضِّحُ.

جـــ_ التَّقديم والتَّأخير:

إنَّ المتأمل في الآيتين، من قوله تعالى ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[فصلت: 1. 4]. ومن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الفتح: 8].اللَّتان تضمَّنَتَا ألفاظ البِشارة والإنذار، يلاحظ في أغلبها تقديم ألفاظ البِشارة والتَّبشير على ألفاظ العقوبة والإنذار.

للدلالة على أنَّ اللهَ تعالى يُقدِّم الرَّحمة على العذاب، والبِشَارة على الإنذار، والخير على الشر، والجنَّة على النَّار. وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنَّما يَدُلُّ على رحمته سبحانه وتعالى الواسعة، حيث قال: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ۝٥٠﴾[الحجر: 49. 50]. فقد قدَّمَ المغفرة والرّحمة على العذاب، كذلك شأن الإسلام قرآناً وسنة، عقيدة وشريعة، فهو دينُ بِشَارة، ورحمة، ومغفرة قبل أن يكون دين إنذار وتخويف.ولذلك جاءت الآيات القرآنية في كثير من السُّوَرِ تدعو جميعها إلى التَّبشير والتَّيسير والرَّأفة والرَّحمة.قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾[غافر: 7]. وجاء في الحديث الشَّريف: «**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»[1] أي إنَّ تجاوزه عن خطايا البشر، يسبق اقتصاصه منهم وسخطه عليهم، وبذلك كان أفضل الرُّحَمَاء: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[المؤمنون: 118].

كما جاءت أكثر وَصَايَا النَّبي ﷺ لأصحابه وللمسلمين عامَّة: بَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا.ومَا النَّبيُّ ﷺ إلاَّ رحمةً للبشريَّة جمعاء، فكان من شأنه هذا أن يقدِّم البِشَارة على الإنذار.

---

[1]-أخرجه البخاري:كتاب بدء الخلق، باب كا جاء في قوله تعالى:«بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ»[البروج: 21، 22]، رقم: (7554)، وأخرجه مسلم: باب في سعة رحمة الله وأنهما سبقت غضبه، رقم: 2751.

وهذا لا يمنع أن يُقَدِّمَ القرآن الكريم في بعض الآيات الإنذار على البشارة في سياق خاص اقتضى هذا التقديم، كما ورد في مواضع أخرى غير الربع الأخير، نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: 188]. «وإنما قدَّمَ وصف النَّذِير على وصف البَشِيرِ، هنا؛ لأنَّ المقام خطاب المكذِّبين المشركين، فالنَّذارة أعلق بهم من البِشَارة» [1]

ثالثا: رَسُولٌ كَرِيمٌ:

1 _ نماذج اقتران (رَسُولٌ كَرِيمٌ):

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾	الدخان	18
02	﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾	الحاقة	41 -40
03	﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾	التكوير	20 -19

2_ دلالة الرسول الكريم

أ_ دلالة الرسول:

الدلالة اللغوية: الرسول في اللغة مأخوذ من البَعثِ أو الإرسال؛ فإن كان مأخوذ من البَعثِ، دلَّ كما يقول أحمد بن فارس على«الانبعاث والاسترسال، ومنه الرَّسلُ: وهو السَّير السَّهل، يقال: ناقة رَسلَةٌ: لا تكلِّفُكَ سِيَاقاً؛ ليِّنَة المفاصل. وشَعرٌ رَسْلٌ إذا كان مسترسلاً ممتدًّا»[2]. وإن كان مأخوذ من الإرسال؛ فإنَّ لفظ (الرسول) دلَّ على أنَّه مُرسَلٌ برِسالة. والرَّسُول بهذا الاعتبار: «هو الذي يتابع أخبار من بعثه.أخذاً من قول العرب: (جاءت الإبلُ رَسْلاً) أي متتابعة، وسميَّ الرَّسُولُ رسولاً لأنَّه ذُو رسالة. يقال: أرسلت فلانا في رسالة فهو مرسَلٌ ورَسُولٌ»[3] وقد يراد بلفظ (الرَّسُول) القولُ المُتَحَمَّل، كقول الشّضاعر: [من الوافر] [4]

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: المجلد4. ص209.

[2]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج2. ص: 392.

[3]-ابن منظور: لسان العرب: ج 11. ص: 283. 284.

[4]-السمين الحلبي: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج2، تح: محمد باسل عيون السود، ط1. 1996، دار الكتب العلمية، بيروت، ص90.والبيت لنفيلة الأكبر الأشجعي. (انظر: النهاية ج1، ص45)

أَلاَ أَبْلِـــغْ أَبَـــا حَفْـــصٍ رَسُـــولاً فِدًى لَـــكَ مِـــن أخِـــي ثقـــة إزاري

وقد يراد به القولُ والرِّسَالة.والرَّسُول يقال «للواحد والجمع، ففي الواحد قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التوبة: 128] وفي الجمع، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[الشعراء: 16]. والجمع: رُسُلٌ. نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾[العنكبوت: 31]». [1] وقد اختصر الشَّريف الجرجاني (ت 816هـ) المعنى اللُّغوي للفظ (الرَّسُول) بقوله هو: «الذي أمره المرسل بأداء الرِّسَالة بالتَّسْليمِ أو القَبْضِ.» [2]

الدلالة الاصطلاحية:

الرَّسُول إنسانٌ حرٌّ ذَكَرٌ أوحى الله إليه بشرع، وأُمِرَ بتبليغه إلى قوم كافرين، أو لم تبلغهم رسالةٌ سابقةٌ، فهو الذي ينبئه الله تعالى بوحيه الشَّرعي، ثم يوجِّهُه إلى من خالف أمره، أو إلى قوم لم يأتهم نذير من قبله. ويختصر أبو هلال العسكري معنى الرَّسُول بقوله:«هو حامِلُ البَيَان ليؤدِّيه إلى غيره» [3] وأمّا النَّبي «فهو من أوحي إليه بأمر من غير أن يحمِّله البلاغ» فالرَّسول بهذا الاعتبار أعمُّ من النّبي، فكلُّ رسول نبي، وليس كلُّ نبي رسول. قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[مريم: 51] فدلَّت الآية على أنَّ الرِّسالة أمر زائد عن النُّبوة. قال: « الكلبي والفراء: كلُّ رسول نبي من غير عكس. ولا يرى المعتزلة هذا الرَّأي، فهم لا يفرِّقُون بينهما ذلك أنَّ الله تعالى خاطب محمدا ﷺ تارة بوصف النّبي وبوصف الرّسول تارة أخرى.» [4]

ب_ دلالة الكريم:

الدلالة اللغوية:

الكريم صفة مشبَّهة للموصوف بالكرم، جمعه: كِرَام وكرماء، وهو صفة من صفات الله تعالى، قال: ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾[النمل: 40]. يأتي في اللُّغة بعدَّة معاني منها:

---

[1]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص352. 353.

[2]-الشريف الجرجاني: معجم التعريفات: تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص 96.

[3]-أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، ص269.

[4]-المصدر نفسه: ص96.

الشَّرف: قال الخليل (ت 170هـ): «الكريم مأخوذ من الكَرَمِ، وهو شَرَفُ الرَّجُل»

التَّنزُّه والتَّرفُّع: يقال: «تَكَرَّمَ عن الشائنات: أي تنزه، وأكرمَ نفسه عنها رَفَعَهَا» [1].

المكافئة والهديَّة: جاء في لسان العرب أنَّ رجلاً أهدى إلي النَّبي ﷺ راوية خمر.فقال: «إنَّ اللهَ حَرَّمَهَا.فقال الرَّجُل: أفلا أُكَارِم بها يهود؟ فقال: إنَّ الذي حَرَّمَهَا حَرَّمَ أن يُكارَمَ بها»[2] .أراد بقوله: أُكارم بها يهود؛أي أهديها إليهم ليُثِيبُوني عليها.قال الشَّاعر دكين بن سعيد الدرامي: [من الرجز]

يَـــا عُمَـــرَ الخَيْـــرَاتِ وَالمَكَـــارِمِ إِنِّـــي إِمْـــرُؤٌ مِـــنْ قَطَـــن بـــن دَارِمِ

أَطْلُبُ دَيْنِي مِنْ أَخٍ مُكَارِمِ

«أراد من أخٍ يكافئ على مدحي إيَّاه كما يأتي الكريم بمعنى الصَّفُوح»[3].

الدلالة الاصطلاحيَّة:

الكريم اسم جامع لكلِّ ما يُحمَد، فهو الكثير الخير والجود، المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه، الجامع لأنواع الخير والشَّرَفِ. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: 13]. أي «أفضلكم وأشرفكم منزلة في الدُّنيا والآخرة أتقاكم». [4] فإذا وُصِفَ الله به «فهو اسم لإحسانه وإنعامه، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[النمل: 40].وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه. ولا يُقَال كريم حتَّى يظهر ذلك منه» [5].

ويعرّفه الإمام الشَّعراوي فيقول: «الكَرَمُ مَلَكَة في النَّفس يصدرُ عنها السِّخاء، والسَّخاء فوق المطلوب، فلا يقال لمن يؤدِّي حقَّ الله في ماله: إنَّه كريمٌ، ولكن يقال: هو مؤدٍ لركنٍ من أركان الإسلام. إنَّما الذي يؤدِّي فوق ما طُلِبَ منه فهو الكريم».[6]

تفسير (رَسُولٌ كَرِيم):

النَّموذج الأوَّل:

---

[1]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج4. (باب الكاف)، ص24.

[2]-ابن منظور:لسان العرب ج12، ص511، 512

[3]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير: ج3. ص167.

[5]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص707.

[6]-محمد متولي الشعراوي: تفسير جزء (عَمَّ). ص: 162.

جاء اقتران (رَسُولٌ كَرِيم) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾[الدخان: 17]. فاصلة لآية جاءت في سياق التَّهديد والوعيد لمشركي قريش، حيث شبَّه حالهم مع الرَّسُول ﷺ وأصحابه، بحال فرعون وقومه مع سيدنا موسى -عليه السلام-. والمعنى أنَّنا «عاملناهم معاملة المختبر ببعثة موسى إليهم فكذَّبوا فأهلكوا، فهكذا أفعل بأعدائك يا محمد إن لم يؤمنوا.»[1] وهو أمر ليس ببعيد ولا مستحيل عن الله تعالى وإن كانوا في حال قوة، فهو سبحانه قادر عليهم. واختلفوا في معنى (كريم) في الآية، قال الإمام القرطبي: «كريم الأخلاق في قومه بالتجاوز والصفح، أو كريم على ربه إذ اختصَّه بالنبوة وإسماع الكلام»[2]. وكل هذه المعاني صحيحة، لأنَّ اللهَ لا يصطفي من خلقه لتبليغ رسالاته إلاَّ الأشراف والأخيار، يؤكد ذلك قوله تعالى ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[الحج: 75]. واختيار الرُّسل والأنبياء وفق هذه المواصفات لهداية الخلق من تمام رحمة الله تعالى بعباده، فهو سبحانه لا يأخذ الكافرين والمعاندين بغتة دون إنذار، حتى يبعث فيهم رسولاً من أفضلهم وأكرمهم. كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[الإسراء: 15]. فقد وصفه في الآية موضوع الدراسة بكونه (كريماً)؛ أي: كريم النَّفس، فائق في صنفه، من خيرة الرسل والأنبياء، ومن أزكى وأفضل الناس. يدعوهم إلى الرجوع إلى الله تعالى وإفراده بالعبادة. وإذا كذَّبوا وجحدوا أخذهم الله بعذابه وبطشه وانتقامه.

النَّموذج الثَّاني:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[الحاقة: 40. 41]. فالرسول في الآية هو محمد ﷺ. ووصفه بأنَّه كريمٌ؛ بمعنى كريمٌ في صنفه، فلفظ (الرسول) إذا أضافه إلى البَشَرِ، قَصَدَ به الرَّسُول محمد ﷺ كما هو الحال في سورة الحاقَّة. وإذا أضافه إلى ملك من الملائكة وهو جبريل -عليه السلام- كما هو الحال في سورة التَّكوير، فقد قصد به جبريل -عليه السلام- لأنَّهُ الكريم بين الملائكة، وإن كان المقصود به هو محمد ﷺ فهو أكرم وأفضل الأنبيَّاء -عليهم الصلاة والسَّلام- وأَنْفَسِهُم، قال ابن كثير: «شريفٌ حسن الخلق بهي المنظر. كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ

---

[1]-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج19، ط1. 2006، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص: 111.

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

كَرِيمٌ ﴾[النمل: 29]» [1].فناسبه اقتران الرسول بالكريم، لأنَّه لايكون رسولا حتى يكون كريما جليل القدر.

أمَّا قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾[التكوير: 19].ففد جاء الوصف بـــ (رسول كريم) في مقام الحديث عن القرآن الكريم، فقد سبق الوصف بالأداة (إنَّه) «والضَّمير في أداة التَّأكيد يعود إلى القرآن الكريم، رغم أنَّه لم تتم الإشارة إليه فيما سبق من الآيات القرآنية، غير أنَّه معلوم؛ لأنَّه جاء في سياق الإخبار بوقوع البعث، والإخبار بوقوعه إنَّما جاء في القرآن الكريم الذي كذَّبُوا به، وأنكروا أن يكون كلام الله تعالى»[2]. فأخبرهم الله تعالى بأنَّ هذا القرآن بَلَّغَهُ (رَسُولٌ كَرِيمٌ). والرَّسُول الكريم هنا كما يذكر بعض المفسِّرين يجوز أن يراد به: «جبريل عليه السلام. ووصف جبريل بالرسول لأنه مرسل من الله تعالى إلى النبي محمد ﷺ بالقرآن.كما يجوز أن يراد به الرسول ﷺ»[3].

4 _ الأثر البلاغي لاقتران (رَسُولٌ كَرِيم):

أ_ المدح والثَّناء: ذكر الطَّاهر بن عاشور أنَّ اقتران (رَسُولٌ كَرِيم) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾[التكوير: 19].«تعبير فيه ثناء على القرآن الكريم. عبَّر عنه بالضَّمير في قوله (إنَّه) العائد على القرآن، وإنَّما لم يذكره باسمه تعظيماً له وتفخيماً. فهو معلوم من المقام بدلالة الضَّمير (الهاء).»[4] فالتَّعبير عنه بالضَّمير من باب المدح له والثَّناء عليه.

وعبارة (رَسُولٌ كَرِيمٌ) وقعت تنويهاً بـــالمَلَكِ وثناء عليه للدلالة أنَّ ما نزل به صدقٌ؛ لأنَّ كمال القائل يدلُّ على صدق القول. بدليل وصف الله تعالى للقرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ [الواقعة: 77]. أي هو كتابٌ عظيم، مُنَاسِبٌ لصفة مَن كُلِّفَ بإنزاله، وهو جبريل-عليه السلام- الذي وُصِفَ بأنَّه (كريم). والكريم هو «العزيز على الله سبحانه وتعالى، المُتَعَطِّفُ على المؤمنين »[5] المتحلِّي بصفات الكمال، كالشَّرف والمجد والرِّفعة والسَّخاء، ومن أعظم الكرم الذي

---

[1]-ابن كثير: تفسير القرآن ج4، ص604.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص154، 155.

[3]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5]-الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج30، ص59.

اتَّصَف به جبريل –عليه السلام– أنَّه لا يبخل ولا يكتم ما أمره الله تعالى بإيحائه إلى أنبيائه، قال تعالى مؤكداً لهذه الصِّفة: ﴿وَمَاهُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: 24]. والضَنُّ في الآية بمعنى الشُّح. ومن علامات تكريمه أيضا أنَّ اللهَ تعالى كرَّمه بحمل الوحي، وتنزيل الشرائع والأحكام من السَّماء إلى الأرض، وتعليم الأنبيَّاء عليهم الصلاة والسلام.

وعليه فإنَّ اقتران(رَسُولٌ كَرِيم) وَقَعَ مدحا وثَنَاء من الله تعالى لجبريل –عليه السلام– كما وقع في الوقت نفسه مدحاً للرَّسول ﷺ وثناء عليه؛ لأنَّ الكريم هو «الذي يؤدِّي فوق ما طُلِبَ منه، وهذا لا يعني أنَّ جبريل أو الرسول ﷺ الموصوفين بهذه الصِّفة قد أَتَيَا بشيءٍ من عندهما، زيادة على ما كُلِّفَا به، بقدر ما يعني أنَّهما أحبَّا هذه الرسالة فأدَّياها بكل قوة وحب وإخلاص»[1].

ب_ التَّأكيد:

التَّأكيد بـــ(إنَّ والضَّمير واللَّام):

التَّأكيد بهذه الحروف الثَّلاثة يُعدُّ أقصى ما تتحمَّلُه الجملة في اللغة العربيَّة، ليكون التَّأكيد على أكمل وجه، ثم يقابل هذا التَّأكيد بأقصى قمَّة الإنكار. فندرك عبر هذا الأسلوب أنَّ الإنكار قد وقع حقيقة، فيأتي التَّعبير بهذا التَّأكيد وبأدواته الثَّلاث(إنَّ، والضَّمير، واللَّام) لمواجهة هذا الإنكار. فقد أنكر كفار قريش أن يكون مصدر القرآن هو الله تعالى، ونسبوه إلى محمد عنه.فقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَاهُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة: 40-41]. وقال: «﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَاهُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التكوير: 19-20]. فالآيتان جاءتا في سياق الرد والتَّكذيب لادعاء كفار قريش الذين قالوا: إنَّ القرآن الكريم من قول محمد، وليس من عند الله تعالى. فردَّ عليهم الله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ مؤكِداً واتَّهموه بقول الشِّعر وممارسة الكهانة. فردَّ الله عليهم مكذِّباً لهم، ومؤكداً أنَّ القرآن الكريم كلامه سبحانه وتعالى، وما جبريل أو محمد إلا مُبلِّغ رده عليهم لهم بثلاثة أدوات للتَّأكيد: (إنَّ) و(الهاء) وهو ضمير يعود على القرآن، و(اللَّام) في قوله تعالى (لَقَولُ) إنَّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى حقًّا، وليس قول أحد من خلقه.

يقول الطاهر بن عاشور: «إنَّ جبريل –عليه السلام– يُبَلِّغُ ألفاظ القرآن إلى النَّبي كما أمره الله تعالى فهو قائلها. أي صادرة منه ألفاظه لا من جبريل –عليه السلام– أو محمد ﷺ»[2]. ويردف قائلاً: «وإنَّما أجرى اللهُ

---

[1]–محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، تفسير جزء عم، ص162.

[2]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المجلد: 12، ص155. (بتصرف)

تعالى القرآن على لسانيهما: جبريل –عليه السلام– ومحمد ﷺ لمكانتهما ﷺ فيحكيها عنده سبحانه وتعالى، فهما من أكرم خلقه وأَنْفَسِهم وأفضلهم. ووصف الرَّسول ﷺ بأنَّه (كَرِيمٌ) «كناية على أنَّ ما نزل به صدق؛ لأنَّ كمال القائل يدلُّ على صدق القول» [1] فيه أيضاً ردٌّ على كفَّار قريش الذين اتَّهموا الرَّسُول ﷺ بالشعر والكَهَانَة.

رابعاً: إبراهيم وموسى:

1. نماذج اقتران (موسى وإبراهيم)

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية
01	﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ **وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ** أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾	الشورى	13
02	﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ **مُوسَىٰ** ﴿٣٦﴾ **وَإِبۡرَٰهِيمَ** ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾	النجم	37 -36
03	﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ **إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ** ﴿١٩﴾ ﴾	الأعلى	19-18

2. التَّعريف بـــ (موسى وإبراهيم) –عليهما الصَّلاةُ والسَّلام–

أ. إبراهيم –عليه الصلاة والسلام–:

هو «إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح –عليه السَّلام–، كان إبراهيم –عليه السَّلام– يكنى(أبا الضيفان)، وهو الذي أزال اللهُ به الشُّرور وأبطل به الضَّلال من الأصنام والأوثان... قال تعالى: ﴿**وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ**﴾[الأنبياء: 51]»[2].وهو من أُولِي العزم من الرسل –عليهم الصلاة والسلام–.

ب. موسى –عليه الصلاة والسلام– : هو «موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم–عليهم السلام–، قال تعالى: ﴿**وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ**

[1]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المجلد: 12، ص155. (بتصرف)

[2]–ابن كثير: قصص الأنبياء، ط1981، دعر التجليد الفني، الجزائر، ص128.

رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ [مريم: 51. 52]» [1] ذكره الله تعالى في مواضع كثيرة ومتفرِّقة من القرآن، وذكر قصَّته في مواضع متعدِّدة مبسوطة وغير مبسوطة، وقصَّته من أكثر القصص وروداً ودوراناً في القرآن الكريم.

3. تفسير(موسى وإبراهيم): – عليهما الصلاةُ والسلامُ–

النَّموذج الأوَّل: جاء اقتران (إبراهيم وموسى) في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: 13]. في سياق حديث القرآن عن أكبر منَّة أنعم الله بها على عباده، وهي نعمة الدين، الذي شرعه لعباده ورضيه لهم، وهو الإسلام، بواسطة صفوة من الرُّسل والأنبياء، وهم أولو العزم المذكورون في الآية: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، **ومحمد** ﷺ، وذكرُهم بهذا التَّرتيب دليلٌ على أنَّ منهجهم واحد، بقِيَمِهِ وأخلاقه، . ومجيء اقتران (إبراهيم وموسى) –عليهما الصلاة والسلام– بهذا النَّسَقِ رُوعيَ فيه المجال الزَّمَني بينهما في التَّكليف بالرسالة وتبليغها، فقد بُعِثَ إبراهيم –عليه والسلام– أولاً، ثم بُعِثَ موسى –عليه السلام– من بعده، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فيه إشارة إلى أنَّهما «من أكابر الأنبياء وأصحاب الشَّرائع المعظَّمة، والأتباع الكثيرة وأولو العزم»[2] كما قرن الله تعالى في الآية أيضاً في اسم ما كُلِّفَا بتبليغه من قِبَلِ الله تعالى بـــ(الصُّحُف) دون غيرهما من كتب الأنبياء والرُّسُل، ففي سورة النَّجم: ﴿صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ ﴾[النجم: 36]، وقال﴿ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[الأعلى: 19]. وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنَّ هذا الدِّين تطابقت على صحته الأنبياء وكتبهم.

النموذج الثَّاني: قال الله تعالى: «﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم: 36. 37]. ويقصد بصحف موسى–عليه السلام– في الآية: «أسفار التَّوراة، ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم: 37] ويخبر بما في صحف إبراهيم.» [3] والذي ورد فيهما قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم: 38. 39] فلا تحمل نفس

---

[1]–ابن كثير: قصص الأنبياء، ط1981، دعر التجليد الفني، الجزائر، ص296.

[2]–محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف، ص975.

[3]–الخازن: تفسير الخازن، ج4، ص213.

ذنب نفس أخرى، وليس لهذه النَّفس إلاَّ عملها خيراً كان أو شرًّا. فالاقتران في الآية يحيل من خلال الآيات اللاَّحقة إلى «قطع الأمل في الانتفاع بعمل الغير، فإذا علم الإنسان ذلك عمل وسَعَى واجتهد.فـــ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾[المدثر: 38]» [1]

النَّموذج الثَّالث: أمَّا في قوله تعالى: «﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾[الأعلى: 18. 19]. فإنَّ اقتران (إبراهيم وموسى) يشير إلى أنَّ ما سبق ذكره في السُّورة من قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾قد تمَّت الإشارة إليه في الصُّحف الأولى دون أن يحدِّدَها، ثمَّ حدَّدَها بأنَّها ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[2] والجمع بينهما في الآية دليلٌ على تواتريَّة الأخبار فيهما، والتَّوافق بين النبيِّين فيما أخبرا به من الأحكام والحلال والحرام، دلَّ على وحدانيَّة المصدر والتَّلقِّي.

4.الأثر البلاغي لاقتران (موسى وإبراهيم) –عليهما السَّلام– :

أ. التَّفسير بعد الإبهام:

نلاحظ هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾[الأعلى: 18. 19]. يذكر الإمام النسفي (ت710هـــ) إنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ فيه «إشارة إلى قوله تعالى﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾﴾[الأعلى: 14. 17]، أي: معنى هذا الكلام وارد في تلك الصُّحف»[3]. وذِكرُ الصُّحف في الآية وَرَدَ مبهما، إذ لم يحدِّد هذه الصُّحف ولا أصحابها، ثمَّ جاء قوله تعالى ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾مبيِّناً ومفسِّراً لهذا الإبهام، فَأَعلَمَ نبيَّه محمد ﷺ بأنَّ هذه الصُّحف التي وردت فيها هذه المعاني هيَّ صُحُف إبراهيم وموسى –عليهما الصَّلاةُ والسَّلام– . فوقعت الجملة (صُحُف إبراهيم وموسى) بدل من (الصحف الأولى). قال الإمام أبو السعود (ت951هـــ): «وفي إبهامهما ووصفها بِالقِدَمِ ثمَّ بيانها وتفسيرها تفخيم لشأنها»[4]

---

[1]–محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، ص14722.

[2]–النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج3، ص632.(بتصرف)

[3]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]–أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج9. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص147.

ب. التَّقديم والتَّأخير:

نلاحظ في آيتي الشُّورى والأعلى أنَّ اللهَ تعالى قدَّم اسم النَّبي إبراهيم -عليه السَّلام- على النَّبي موسى-عليه السَّلام-، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾ [الشورى: 13]. وقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩ ﴾ [الأعلى: 18. 19].. بينما في آية النَّجم فقد تمَّ تقديم اسم النَّبي موسى على النبي إبراهيم -عليهما الصَّلاة والسَّلام-، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ٣٧ ﴾[النجم: 36. 37]. والتَّقديم الحاصل في الآيتين الأوليين تقديم رُوعِيَ فيه السبق بالزَّمان والإيجاد، فإبراهيم-عليه السلام- أسبق بالزَّمان من موسى -عليه السلام-، ويضاف إلى السَّبق بالزَّمن، السَّبق بالشَّرف، فإبراهيم -عليه السلام- هو أبو الأنبياء، فشرف الأبوَّة مقدَّم على شرف البنوَّة. ولذلك تقدَّم إبراهيم-عليه السلام- في الموضعين على موسى-عليه السلام-، وأمَّا تقديم موسى-عليه السلام- على إبراهيم -عليه السلام- في سورة النجم فهو يرجع إلى وجهين ذكرهما الزَّركشي «أحدهما أنَّه في سياق الاحتجاج عليهم بالترك، وكانت صحف موسى-عليه السلام- منتشرة أكثر من انتشار صحف إبراهيم -عليه السلام- وثانيا مراعاة رؤوس الآي»[1]

[1]-بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص239.

المبحث الثالث

الاقتران الثنائي في ألفاظ العقيدة والإيمان.

1. الإيمان والعمل الصالح.
2. الخير والشّر.
3. الدّنيا والآخرة.
4. السّرّ والعلانية.
5. الصّراط المستقيم.
6. الصّلاة والزّكاة.
7. العذاب الأليم.
8. الغيب والشّهادة.
9. الفضل والرّضوان.
10. الهداية والضلال.
11. اليسر والعسر.
12. جنّات وعيون.
13. الإثم والعدوان.
14. الإثم والفواحش.

أولاً: الإيمان والعمل الصالح:

1_ نماذج اقتران الإيمان والعمل الصالح:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ ﴾	ص	24
02	﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾	غافر	58
03	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾	العصر	3

2 _ دلالة الإيمان والعمل الصالح:

أ_ دلالة الإيمان:

الدلالة اللغوية:

الإيمان من (أَمِنَ): «الهمزة والميم والنُّون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التِّي هي ضِد الخيانة؛ ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق». [1] وعند الخليل(ت170ه): «والأمنة من الأمن: اسم موضوع من أمنت، والأمان: إعطاء الأمنة، والأمانة نقيض الخيانة، تقول العرب: رجل أمان إذا كان أميناً، والإيمان: التصديق نفسه، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾[يوسف 17]، أي بمصدِّق» [2]، والأمن ضد الخوف، «تقول: (آمنت زيداً عمراً) بمعنى جعلته آمناً منه، ثم استعمل في التصديق مجازاً لغوياً لاستلزامه ما هو معناه، فإنَّكَ إذا صدَّقت أحداً آمنته من التَّكذيب. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾[يوسف: 17]، أي: بمُصَدِّقٍ، وفي(مؤمن) مع التصديق: إعطاء الأمن» [3].

---

[1]-أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج1، ص133.

[2]-الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج 8، ص387، 388.

[3]-أبو البقاء الكفوي: الكليات، ط1998/2، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ص212.

فالإيمان وفق هذه الاستعمالات يجمع بين التصديق الذي هو ضد التكذيب، والثقة والطمأنينة والاستقرار وعدم الخوف، وهي معاني متعاضدة متآلفة، يجمعها لفظ الإيمان في استخداماته المختلفة وفق سياقات متنوعة؛ كالسياقات الشرعية.

الدلالة الاصطلاحية:

جاء في التعريفات: الإيمان هو: «الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان، وقيل: من شَهِدَ وعَمِلَ ولم يعتقد فهو منافق، ومن شَهِدَ ولم يعمل واعتقد فهو فاسق، ومن أخَلَّ بالشهادة فهو كافر»[1] ومن هذا المنطلق فإنَّ الإيمان كما يورد الجرجاني على خمسة أوجه: «إيمان مطبوع، وإيمان معصوم، وإيمان مقبول، وإيمان موقوف، وإيمان مردود؛ فالإيمان المطبوع: هو إيمان الملائكة، والإيمان المعصوم: هو إيمان الأنبياء. والإيمان المقبول: هو إيمان المؤمنين.والإيمان الموقوف: هو إيمان المبتدعين. والإيمان المردود: هو إيمان المنافقين» [2]

ب_ دلالة العمل الصالح:

دلالة العمل:

الدلالة اللغوية:

يُعَرَّفُ العمل لغويا بأنَّه المهنة. قال الخليل: «عمل يعمل عملاً فهو عامل، والعمالة أجر ما عمل لك، والعَمَلَةُ: الذين يعملون بأيديهم ضروباً من العمل حفراً أو طِينا أو نحوه»[3]. والعامل على الصَّدَقَة التي يسعى إلى جمعها، وفي اللسان العمل: «المهنة... وأعمله غيره واستعمله. واعتمل الرجل: عمل بنفسه، واستعمل فلان غيره إذا سأله أن يعمل له، واستعمله: طلب إليه العمل». [4]

ومن هذا المنطلق يمكن لنا أن نستنتج أن العمل عبارة عن مهنة، أو وظيفة، أو أي مجهود يبذله الفرد للحصول على منفعة ما. أو هو بالمختصر المفيد هو: مجموع المهام التي يقوم بها الفرد وينجزها. فقولهم: عَمِلَ عَمَلاً أي فعل أمراً وواظب عليه.

---

[1]-أبو البقاء الكفوي: الكليات، ص212.

[2]-الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، ص37.

[3]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج3. ص230. 231.

[4]-ابن منظور: لسان العرب: ج11. دار صادر بيروت، ص475.

الدلالة الاصطلاحية:

يُعرف العمل اصطلاحا بأنه: «كل جهد مشروع يبذله الإنسان، ويعود عليه أو على غيره بالخير والفائدة والمنفعة، سواء أكان هذا الجهد جسمياً كالحرف اليدويَّة، أم فكريا كالتَّعليم والقضاء».[1] وبهذا الاعتبار فالعمل معناه شامل ومتنوع، يتناول جميع مجالات الحيَّاة بشرط أن تكون مشروعة. فيشمل الأعمال اليدويَّة، كقول النَّبي ﷺ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»[2].ويشمل أيضا وظائف الدولة، وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ«**مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ فَكَتَمَنَا مَخِيطاً فَمَا فَوْقَ كَانَ غلُولاً يَأْتِي بِهِ يَوْمَ القِيَّامَةِ**»[3] وهكذا يتبيَّن لنا أن كل جهد وعمل مشروع ماديا أم معنويا يُعَدُّ في نظر الإسلام عملاً.

دلالة الصلاح:

الدلالة اللغوية:

الصلاح في اللغة «خلاف الفساد، ومعناه استقامة الحال، ولا يقال صَلُحَ إلاَّ إذا تغيَّرَ واستقام حاله.ويجوز أن يقال: الصَّلاحُ وضع الشَّيء على صفة ينتفع به سواءٌ انتفع به أو لا»[4].

الدلالة الاصطلاحية:

الصلاحُ في الاصطلاح: سلوك طريق الهدى، أو هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل، والصالح: المستقيم الحال في نفسه، القائم بما عليه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد. والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين (وفي وقف الحصاف): «مَن كان مستوراً ليس بمهتوك ولا صاحب ريبة وكان مستقيمَ الطريقة سليم الناحية من الأذى، قليل السوء ليس يعاقر النبيذ ولا ينابذ عليه، وليس بقذاف للمحصنات ولا معروفا بكذب، فهذا عندنا من أهل الصلاح» [5].

---

[1]-فاخر عاقل: التربية قديمها وحديثها. ط2. دار الملايين. بيروت: 1974. ص345.

[2]-صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، الحديث رقم: 1988.

[3]-النووي: رياض الصالحين، ص128. والحديث رواه مسلم.

[4]-أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، ص222.

[5]-أبو البقاء الكفوي: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ط2. 1998، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص561.

وإصلاح الله تعالى للإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بالحكم له بالصلاح، قال: ﴿ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾[محمد: 2]، وقال: ﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ [الأحزاب: 71]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[يونس: 81]، فالمفسد يضاد الله في فعله، فإنَّه يفسدُ، والله تعالى يتحرَّى في جميع أعماله الصلاح.«والصَّالحات: كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسُّنة.» [1]، وجمع الصَّالحات يفيد: «الجملة من الأعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف». [2]

دلالة العمل الصالح الاصطلاحية: العمل الصالح وفق الاعتبارات السابقة: كل ما يقرب العبد إلى الله تعالى من قول أو عمل، ويستوجب الحسنات ويُذهبُ السَّيئات، ويُنال به رضا الله سبحانه وتعالى. قال المنَّاوي: «هو العمل المراعى من الخلل، وأصله الإخلاص في النيَّة وبلوغ الوسع في المحاولة بحسب علم العامل»[3] وكأنَّ المنَّاوي يشير إلى شروط صلاح العمل المقبول وضوابطه، إذ لا يكون العمل صالحا كما قرَّرَ العلماء إلاَّ إذا توفر فيه شرطان، ذكرهما الله تعالى في القرآن: أوَّلهما أن يكون العمل الصالح خالصاً لوجه الله تعالى ليس فيه ريَّاء، لقوله تعالى: «﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[البينة: 5]. وثانيهما: أن يكون موافقاً لشرع الله تعالى، ليس فيه إثم أو معصية أو قطيعة رَحِم، أو فاحشة، أو شرك بالله تعالى، فإن سقط أحد هذين الشَّرطين بطل العمل، و لم يكن صالحاً مقبولاً. لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: 27] والخلاصة فإنَّ العمل الصالح في حقيقته، هو كلُّ ما استقام من الأعمال، بدليل العقل والكتاب والسنة، مع إخلاص النيَّة وبلوغ الوسع في المحاولة.

4_ تفسير (الإيمان والعمل الصالح)

النموذج الأول: قال تعال: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ ﴾[ص: 24] يدل اقتران (الأيمان بالعمل الصالح) في الآية كما يشير الرازي (ت604هـ) «على أن المتَّصفين بهذا الوصف مأموني الجانب، لا يظلمون ولا يعتدون على غيرهم، بما ملأ الله قلوبهم من الإيمان الذي من مقتضياته الأمن والسلامة، ومن آثاره العمل الطَّيِّب الصَّالح» ثم

---

[1]-محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف: ص62.

[2]-المصدر نفسه. الصفحة نفسها.

[3]-عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط1، 1990. عالم الكتب، القاهرة، ج1، ص527.

يبيِّن حقيقة العلاقة القائمة بين المتَّصفين بهما فيقول: « واعلم أن هذا الاستثناء يدلُّ على أنَّ الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات لا يبغي بعضهم على بعض، فلو كان داود -عليه السلام- قد بغى وتعدى على ذلك الرجل للزم بحكم فتوى داود ألاَّ يكون هو من الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات، ومعلوم أن ذلك باطل»[1].

فالإمام الرازي (ت604هـ) بهذه المعاني التي أشار إليها، لم يبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي السابق، فالاقتران بين الإيمان والعمل الصالح هنا يشير إلى الأمن والطمأنينة وعدم الغي والظلم. فالذين آمنوا لا يظلمون ولا يعتدون على غيرهم، عكس الكافرين فإنَّ من صفاتهم الظلم والبغي والاعتداء.من أجل ذلك لم يسو الله سبحانه وتعالى بينهما، أي بين الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات، وبين غيرهم من الكفَّار والفجَّار.

النموذج الثاني:

أما اقترانه في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓـُٔۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: 58]. ففي الآية شبَّهَ الله تعالى الكافر بالأعمى؛ لاشتراكهما في عدم الرُّؤيا، فالكافر لا يبصر دلائل الله وآياته بعينيه، فيتدبَّرها ويعتبر بها. وشبَّهَ المؤمن بالبصير، الذي يرى بعينيه دلائل الله، فيتدبَّرها ويؤمن بها، فتقوده إلى وحدانية الله وعظيم سلطانه، كذلك لا يستوي من آمن بالله وأطاعه ومن عصاه وخالف أمره.[2]

والمقصود من نفي هذا الاستواء بين هذه الحالات -كما يشير الألوسي- بيان لتفاوتهم يوم القيامة في منازلهم وأحوالهم فلا «يستوي الغافل والمستبصر والمحسن والمسيء، لا بد أن يكون لهم حال أخرى يظهر ما بين الفريقين من التفاوت بعد البعث»[3] هذا التفاوت يقتضي كما يقول الطاهر بن عاشور«تفضيل أحدهما على الآخر، والأفضل هو صاحب الحال الأفضل، وهو البصير إذ لا يختلف الناس في أن البصر أشرف من العمى في شخصٍ واحدٍ، ونَفي الاستواء بدون متعلق يقتضي العموم في متعلقاته، ولكنه يخص بالمتعلقات التي يدل عليها سياق الكلام، وهي آيات الله ودلائل

---

[1]-الفخر الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ج26، ص197. ابن جرير الطبري: تفسير الطبري: ج18، ص172.

[2]-انظر: الطبري: تفسير الطبري، ج20، ص350. انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج4، ص105. عبد الرحمن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 707 (بتصرف)

[3]-الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج24. ص79. 80.

صفاته، ويسمى هذا العموم العموم العرفي» ويُضيفُ قائلاً «وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓـُٔ﴾[غافر: 58] زيادة بيان لفضيلة أهل الإيمان بذكر فضيلتهم في أعمالهم... فلا يستوي الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات والمسيئون في أعمالهم، وفي عدم الاستواء هذا، إيماءلا إلى اختلاف جزاء الفريقين في الثَّواب والعقاب»[1]

النموذج الثالث:

أماً في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: 3].أي:«آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم»[2] فجمعوا كما يقول الصابوني بين« الإيمان والعمل الصالح، فهؤلاء هم الفائزون»[3]والتعبير في الآية بـــ(الإيمان والعمل الصالح) فيه إظهار للعقيدة المعبَّر عنها في الآية بـــ(الإيمان) ولا بُدَّ لهذا الإيمان من عمل يترجمه إلى سلوك؛ لأنَّ«وجود العقيدة بدون أن تترجم إلى سلوك تكون كلاماً لا قيمة له»[4]ولذلك قَرَنَ الله تعالى (الإيمان بالعمل الصَّالح) للدلالة على وجود عقيدة تقوم على أساسين، نظري وتطبيقي، فأمَّا النَّظري فيتمثَّل في (الإيمان القلبي الصَّادق الصَّحيح)، وأمَّا التَّطبيقي، فيتمثَّل في (العمل الصالح)، ومن أجل ذلك كان هذا العمل الصالح هو المظهر السلوكي السوي للإيمان المستقر في القلب.

4_ الأثر البلاغي لاقتران (الإيمان والعمل الصالح):

أ. التَّقديم والتَّأخير:

إنَّ المتأمل في جميع الآيات التي اشتملت على ثنائية (الإيمان والعمل الصالح) في القرآن الكريم، يلاحظ تَقديم لفظ (الإيمان) على تركيب (العمل الصالح) نحو قوله تعالة: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: 24]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓـُٔ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [غافر: 58]، وكذا قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [العصر: 3]، ولعلَّ سر

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص177.

[2]-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج4، ص704.

[3]-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير: ج3. ص436.

[4]-محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي (تفسير جزء عم). ص: 525.

هذا التقديم يَكمُنُ في شرف الإيمان ومنزلته، فهو أوَّل ما يُطالب به العبد ليكون مسلما خالصا؛ إيمان بالله ورسله وكتبه... ومن جهة ثانية؛ يعتبر الإيمان معيارا للحكم على العمل بكونه صالحا أم غير ذلك، فإذا لم يسبق العمل الصالح إيمان كان هذا العمل هباء منثورا، وعليه فلا عمل صالح ولا قيمة له عند الله تعالى دون إيمان وتصديق بالله عز وجل؛ لأنَّ الإيمان هو العقيدة التي ينبع عن أصلها السلوك. ولا جدوى من إيمان بلا عمل صالح، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[الفرقان: 23].وقال تعالى: «﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾[الكهف: 105].

ب_ التقابل: قال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [غافر58]. نلاحظ في هذه الآية القرآنية أنَّ الله تعالى قابل بين الإيمان والعمل الصالح، غير أنَّ المتأمِّل يدرك لأوَّل وهلة أنَّ العلاقة القائمة بينهما ليست علاقة تقابل في الحقيقة؛ وذلك لانعدام التضاد بين ألفاظهما، فالإيمان كما هو معروف "**ما وَقَرَ فِي القَلْبِ**" وهو المأمور به شرعاً، والعمل الصالح (**بُرْهَانٌ وَدَلِيلٌ**) على الإيمان وأثرٌ من آثاره، يؤكِّدُ هذا المعنى الحَسَنُ البَصرِي رحمه الله تعالى بقوله: «ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدَّقَهُ العمل. وإنَّ قوماً خرجوا من الدنيا ولا عمل لهم وقالوا: نحن نحسن الظنَّ بالله وكَذَبُوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل». [1] وعليه فإن العلاقة بينهما علاقة تكامُل. أمَّا التَّقابل بينهما فهو ما أشار إليه الأصوليون بقولهم: «الأمر بالشيء نهيٌ عن ضده»[2] فالأمر بالإيمان يتضمَّنُ النهي عن الكفر وهو ضد الإيمان، والأمر بالعمل الصالح يقتضي النَّهي هن كل عمل سيء غير صالح. فالتقابل إذن قائم بين« الإيمان والكفر، والعمل الصالح والعمل السيء»[3]. للدلالة على أنَّ الإيمان بالله تعالى لا يتمُّ إلا بترك الكفر، ولا يكتمل العمل الصالح، إلاَّ بترك العمل السيء، من أجل هذه الدلالة قَرَنَ القرآن الكريم بين الإيمان العمل الصالح.

---

[1]-أحمد بن تيمية: الفتاوى الكبرى، ج1، كتاب التوحيد، ص57.

[2]-وهبة الزحيلي: لأصول الفقه الإسلامي، ج1، ص228.

[3]-محمد علا: ثنائيات في القرآن دراسة في الخصائص المنهجية وجوانب التكامل والتقابل، مقال بمجلة(مجلة الفكر الإسلامي المعاصر) العدد68، ص23.

ت_ الإطلاق والتَّقييد: نلاحظ في جميع المواضع التي اقترن فيها الإيمان بالعمل الصالح، مجيء لفظ الأيمان مطلق لم يُقَيَّد بأي ركن من أركانه، في حين ذُكِرَ في مواضع أخرى مقيداً بأحد أركانه، كالإيمان بالله تعالى واليوم الآخر وكتبه ورسله... كما في قوله تعالى في وصف المتقين: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ ﴾ [البقرة: 3. 4]. وقوله تعالى: «﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ [البقرة: 2875]. وفي حديث عمر بن الخطاب ﷺ أنَّ جبريل -عليه السلام -سأل رسول الله ﷺ قائلاً: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمَ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» [1] وورده مطلقاً كما هو الحال في هذه الآيات. لمقصد شموليَّته لكلِّ متعلقاته وأركانه، في المقابل ورد (العمل) مقيَّداً بلفظ (الصلاح) وهو شرط مشروط لقبول الأعمال عند الله تعالى. فليس كلُّ عمل يصدر من الإنسان مقبول أو معتبر، بل لابدَّ له من ضوابط منها الصلاح. لقول تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ ﴾ [فاطر: 10]. والعمل الصالح المقبول عند الله تعالى متوقِّفٌ على شرطين، أحدهما: : الإخلاص لله تعالى لقوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البيّنة: 5].

وثانيهما: متابعة الرسول ﷺ فيما جاء به من الشرائع، لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**» [2] وهو ما عبَّر عنه ابن القيم الجوزية بقوله: «فإنَّ الله جعل الإخلاص والمتابعة سبباً لقبول الأعمال فإذا فُقِدَ لم تقبل» [3].وانطلاقاً من هذه الضوابط التي تضمنها اقتران (الإيمان والعمل الصالح) ندرك قيمة كلا منهما، فهما في حقيقتهما وجهان لعملة واحدة، فلا إيمان دون عمل صالح، ولا عمل صالح معتبر دون إيمان؛ بمعنى آخر: الإيمان الكامل والتَّام هو الذي ينتج عملا صالحا، فهو بهذا الاعتبار ثمرة من ثمراته، وعلامة من علاماته، وأثر من آثاره، ولذلك وجدنا الرسول ﷺ يشير إلى هذا الأثر في كثير من أحاديثه، منها قوله عليه الصلاة والسلام:

---

[1]-ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. ط1. 2004. مؤسسة الرسالة.بيروت. ص27. والحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه.

[2]-الحديث أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها.

[3]-ابن القيم الجوزية: الروح، ص135.

«**وَالصَّلَاةُ نُورٌ، الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ.**» [1] أي دليل على إيمان العبد، وقوله ﷺ: « **لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ**»[2]. لذلك كان الإيمان عند الحسن البصري:ما وقر في القلب وصدقه العمل.

ثانيًا: الخير والشر

1_ نماذج اقتران الخير والشر:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ ﴾	المعارج	21-19
02	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾	البينة	7-6
03	﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾	الزلزلة	8 -7

2_ دلالة (الخير والشر)

أ_ دلالة الخير:

الدلالة اللغوية: كلمة (الخير) في أصل وضعها اللغوي تدل على العطف والميل. قال أحمد بن فارس: «الخاء والياء والراء أصله: العطف والمَيْل، ثم يحمل عليه، فالخير خلافُ الشَّرِّ؛ لأنَّ كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه»[3]. ومنه جاء لفظ الاستخارة؛ وهي عبارة عن ستعطاف؛ لأنَّك تسأل خير الأمرين لك. ويقال: «وامرأة خيِّرَةٌ بمعنى فاضلة، وقومٌ خيارٌ وأخيارٌ... في صلاحها،

---

[1]-الحديث رواه مسلم عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه وأصل الحديث قوله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائع نفسه، فمعتقها، أو موبقها»

[2]-الحديث أخرجه أحمد والبزار وأبو يعلى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما خطبنا رسول الله ﷺ إلاَّ قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دينَ لمن لا عهدَ له»، الترغيب والترهيب، ج4، ص77.

[3]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج2. ص232.

وامرأة خيِّرة في جمالهما ومبسمها. أي من أفاضل النَّاس»[1]. قال ابن منظور: «الخير: ضدَّ الشر، وجمعه خُيُورٌ.

قال الشَّاعر: [من الوافر] [2]:

ولا قيـــــتُ الخُيُـــورَ وأخطـــأتني خُطُـــوبٌ جمَّـــةٌ وعلـــوتُ قِرْنـــي

وهو خيرٌ منك وأخيرُ... فإن أردت معنى التَّفضيل قلتَ: فلانٌ خيرُ النَّاس، ولا تقول أخيرُ. لا يثنَّى ولا يُجمعُ؛ لأنَّه في معنى أفعل"[3] قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: 20].

«أي تجدوه خيراً لكم من متاع الدنيا.وفلانة الخيرة من المرأتين، وخيَّرَهُ أي: فَضَّلَهُ. قال تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ [التوبة: 88].والخيرات جمع خِيَرة، وهيَّ المرأة الفاضلة في كل شيء»[4] وفي القرآن الكريم أيضاً: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾[الرحمن: 70].وهنَّ حور العين خيراتٌ في الأخلاق. والخير كذلك: «الرَّجُلُ الكثير الخير، والعرب تسمِّي الخيل: الخير.لما فيها من خير. قال ابن الأثير: الخير ضِدَّ الشر، يقال: وخار الله لك: أي أعطاك ما هو خير لك. والخَيْرَةُ بسكون الياء: الاسم منه، فأمَّا بالفتح فهي الاسم من قولك اختاره الله ومحمد ﷺ خِيرَه الله تعالى، والاستخارة: طلب الخِيرَةِ في الشيء، وهو استفعال منه، يقال استخِرِ الله يخِرْ لَكَ»[5].

ومما تقدم يتبين أن لفظ (الخير)في اللغة حمَّال أوجه؛ منها: العطف والميل، وهو خلاف الشر لمقابلة الخير بالشر, والتفضيل مثل قولهم: (فلان خيرُ الناس)، وتأتي أيضاً الرجل الكثير المال، والجمال والميسم والصلاح في الدين نحو: (رَجُلٌ خَيِّرٌ) و(امرأة خيرة) فاضلة في صلاحها، كما يرد لفظ

---

[1]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج2. ص232.

[2]-النمر بن تولب العكلي: ديوان النمر بن تولب، تح: محمد نبيل طريفي، ط1. 2000، دار صادر، بيروت، ص133. "والنمر بن تولب بن زهير بن أقيشْ العِكْلِي، عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعر (الرباب) و لم يمدح أحداً ولا هجا، جواداً وهابا لماله، يشبه شعره بشعر حاتم الطائي."(انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، ج1، ص299)

[3]- ابن منظور: لسان العرب: ج4. ص264.

[4]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]-ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج2. تح: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزّاوي، ط1. 1963، المكتبة الإسلامية، ص: 91.

(الخير) بمعنى الكرم والشَّرف، ونهر الكوثر في الجنَّة. ويرد أيضاً بمعنى اختيار الأفضل، وعادة ما توصف به الأمور ذات النهايَّة السَّعيدة والمحبَّبة لدى الإنسان.

الدلالة الاصطلاحية:مفهوم الخير في اصطلاح العلماء مفهوم واسع، فهو«كلُّ ما يرغب فيه النَّاس من أصحاب الفطر السَّليمة، كالعقل، والعدل، والفضل والمال»[1]، كما يُعَرَّفُ بكونه«**إرَادة الْحَسَن مع القدرة على القبيحِ، وفعل الحسن مع القدرة على القبيح**»[2]والخير في الدِّراسات الاجتماعية والفلسفية هو«الأساس الذي تُبنَى عليه مفاهيم الأخلاق كلها؛ لأنَّه المقياس الذي نحكم به على قيمة أفعالنا في الماضي والحاضر والمستقبل»[3]. وبشكل مختصر يمكننا القول أنَّ الخير هو كل ما ينفع الإنسان ويحقق مصالحه الدنيوية والأخروية ضمن ضوابط وأطر ترضي الله ورسوله عليه الصَّلاة والسَّلام.

ب_ دلالة الشر:

الدلالة اللغوية: لفظ (الشر) في أصل وضعه اللغوي يعني الانتشار والتطاير. قال أحمد بن فارس: «الشين والرَّاء أصل واحدٌ، يدلُّ على الانتشار والتطاير، ومن ذلك قولهم: الشر ضد الخير. وقوم أشرار خلاف الأخيار. ثم توسَّعوا في هذا الأصل فقالوا: رجلٌ شرِّيرٌ إذا انتشر شرُّهُ وكثُر، والشر: بسطك للشيء في الشَّمس. والشَّرَر: ما تطاير من النَّار، والواحدة: شَرَرَة، قال تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾[المرسلات: 32]» [4].

وإنَّما سميَّ بذلك لاعتقاد الشر فيه. وهو عند الخليل:« السُّوء»[5].أمّا الرّاغب فالشر عنده «الذي يرغبُ عنه الكلُّ، كما أن الخير هو الذي يرغب فيه الكل.» [6] وفي القرآن قال تعالى: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾[يوسف: 77]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾ [الأنفال: 22]. وجاء في الحديث: «**والخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**» أي: «الشر لا يتقرب به إليك ولا

---

(1)-ورد هذا التعريف جوابا عن سؤال عن حقيقة الخير والشر والحسن والقبح، فتوى رقم: 47924موقع اسلام واب ربيع الأول1425.

(2)-محمد بن جماعة: موقع إسلام اليوم، http: //islamtoday.net/nawafeth/services/saveart-43-175050.htm

(3)-جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1. ص549.

(4)-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج3. ص180. 181.

(5)-الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج2. ص320.

(6)-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص 445.

يبتغى به وجهك، وأنَّ الشر لا يصعد إليك وإنَّما يصعد إليك الطيب من القول والفعل، وهذا أدبٌ في الثَّناء على اللهِ تعالى». [1]

الدلالة الاصطلاحية: الشر عند الجرجاني:«عدم ملائمة الشيء الطبع»[2] فهو سلوك يقع على خلاف الطبع، يَرغَبُ عنه العقلاء والأسوياء ويكرهونه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الحج:72]

3_ تفسير(الخير والشر):

النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾[المعارج: 19. 20]. ورد اقتران (**الخير والشر**) في سياق الحديث عن طبيعة الإنسان وجِبلَّتِه، فقد جُبِلَ حسب الآية على الضجر، لا يصبر على بلاء، ولا يشكر على نعماء.(خُلق هلوعاً) و(الهلع): «شدَّةُ الحرص وقلَّة الصَّبر، يقال: جاع فهلع»[3]، والمراد بالإنسان في الآية: العموم بدليل الاستثناء منه، والاستثناء معيار العموم، ثم فسَّره الكلام الذي جاء في الآية بعده حين قال: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ أي: «إذا ناله شَرٌّ أظهر شدَّةَ الجزع وبالغ فيه، والشرُّ: الأذى كالفقر أو المرض »[4]، و(الجزع) ضد الصَّبر، بمعنى استولى عليه اليأس والقنوط. وقال في المقابل: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ أي: إذا ناله خير بَخِلَ به ومنعه النَّاس، و(الخير) هنا: «ما ينفع الإنسان ويلائم رغباته، كالمال والغِنَى والصِّحَّة. والمعنى: إذا صحَّ الغَنيُّ منع المعروف وشحَّ بماله»[5]، أي كان مبالغاً في المنع والإمساك.

فالجمع بين (الخير والشر) في الآية يشير إلى طبيعة الإنسان التي جمعت بين الضدين؛ الخير والشر، فالإنسان بطبيعته إذا أصابه شر ضَجَرَ، وإذا أصابه خير بَخِلَ وأمسَكَ. وهي الطَّبيعة التي أشار

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب: ج4. ص: 400. 401.

[2]-الشريف الجرجاني:التعريفات، ص166.

[3]-فخر الدين الرّازي:تفسير الفخر الرازي، ج30.ص128. تفسير التحرير والتنوير:مجلد: 12.ص: 170.

[4]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]-محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف ص:1140.التحرير والتنوير، ج29، ص170.

إليها النَّبيُّ ﷺ بقوله: «**شَرُّ مَا أُعْطِيَ ابْنُ آدَمَ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ**»[1]. والمُراد من ذكر هذه الطَّبيعة الإنسانية التَّنبيه إلى خطرها على الغاية التي من أجلها خلق الإنسان؛ ألاَ وهيّ عبادة الله تعالى وعمارة الأرض في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة، والسبيل إلى ذلك متوقف على إشاعة الخير ونشره، ومحاربة الشر وكَبحه.لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[الحج: 77].

وإنما تمكن (الشر) بالإنسان وتلبَّس به لضعف إيمانه بالله تعالى كما يقول الشعراوي: «الذي بإمكانه أي(الإيمان) أن يكسبَه طمأنينة وسكينة وتقبلاً لتقلبات الحياة، فتجده مع أول مَسٍّ من فَقرٍ أو احتياج أو مصيبة أو شر تجده جزوعاً شديد الجزع، وإذا أصابته نعمة صغرت، أو كبرت تجده لا يعترف بفضل الله عليه أنه رزقه، فتراه يمنع الخير الذي وصله عن الناس، فلا يؤدي حق الله عليه لأنه ضعيف الإيمان»[2].

النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧﴾[البينة: 6. 7].فالكلام في هذه الآية موجَّهٌ إلى صنفين من الخلق أنكروا رسالة الحقِّ والدينِ القَيِّم جحدوا نبوَّةَ الرَّسُول ﷺ وهم أهل الكتاب والمشركين. فأعقب هذا الجحود وذلك الإنكار منهم وعيدٌ من الله تعالى لهم، فقد توعَّدَهم بـــعقابين، أمَّا أحدهما فهو: الخُلُودُ في عذاب جهنَّم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[البينة: 6]، وأمَّا الثَّاني فقد وصفهم سبحانه وتعالى بأقبح الأوصاف في الدنيا، وهو (الشر) وذلك في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾وإنما كان أهل الكتاب والمشركين شرُّ النَّاس، بل أشدهم شَرًّا؛ لأنَّهم سَبَقَ لهم و«أن تلبَّسُوا بأسباب الهدى، حيث كانوا على الحنفيَّة السَّمحة، فعدلوا عنها إلى عبادة الأصنام والأوثان.» [3]. فنفى الله عنهم الخير وأثبت لهم الشر، وهو المعنى الذي أشار إليه الإمام الرازي(ت604هـــ) وهو يفسِّرُ قوله تعالى:

---

[1]-البخاري في كتاب الرقاق باب: القصد والمداومة على العمل (الحديث رقم: 6466)، ومسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة العمل الدائم (الحديث رقم: 217. 783).

[2]-محمد متولّي الشعراوي: تفسير الشعراوي: ص 16388.

[3]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: مجلد: 12. ص483.(بتصرف)

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ ذكر أنَّ الآية تفيد «النَّفْيَ والإثبات، بمعنى تنفي عنهم الخير وتثبت لهم الشر، فهم شرٌّ من السُّرَاق؛ لأنَّهم سَرَقُوا من كتاب الله صفة محمد ﷺ، وشرٌّ من قطَّاع الطُّرُقِ؛ لأنهم قطعوا طريق الحقِّ. عن الخلق، وشرٌّ من الجُهَّال الأجلاف؛ لأنَّ الكِبْرَ مع العلم يكون كفر عناد فيكون أقبح»[1] لأجل هذا استحقُّوا حكم الله القاضي بخلودهم في النَّار، وهو حكم مؤكد بأحد أدوات التَّأكيد (**إنَّ**) «للردِّ عليهم أي(أهل الكتاب) مهما تظاهروا بالصَّلاح في بعض أعمالهم أو آدابهم، ما دامت مقطوعة الصِّلَة بالله تعالى ورسالته الأخيرة (الإسلام)، واسْتَعْمَلَ الظَّرْفَ(**في**) للدلالة على خلودهم في النَّار، وأنَّهم غير خارجين منها وأكَّدَهُ بعبارة (**خالدين فيها**)». [2] ثم قابل الله حال هؤلاء بحال الذين آمنوا فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾[البينة:7]. فقد وعدهم الله تعالى على إيمانهم به في الدُّنيا وعلى عمل الصَّالح بوعدين: أحدهما في الدُّنيا وهو كونهم(خير البريئة)، أي خير النَّاس وأفضلهم عند الله تعالى، وثانيهما في الآخرة وهو جنَّاتُ عَدْنٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها.

النموذج الثالث: أمَّا اقتران (الخير والشر) في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: 6. 7]. فقد ورد في سياق إثبات البعث والجزاء.والإخبار بِعِلْمِ الله تعالى الذي أحاط بكل شيءٍ، خيراً أو شرًّا، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾ والمعنى: «فمن يفعل من الخير زِنة ذرَّة من التراب، يجده في صحيفته يوم القيامة ويلق جزاءه عليه.»[3]. ثم يقابل الخير بالكلام عن الشر كعادة القرآن الكريم فقال: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾ أي: ومن يفعل من الشر زنة ذرَّة من التُّراب، يجده كذلك، ويلق جزاءه عليه.وقد عبَّر القرآن عن هذه المشاهد بلفظ (الرُّؤيا) و لم يعبر عنه بلفظ (الجزاء أو العقاب) وإنما قال: «**يره**» للدلالة على أنَّ الإنسان «يرى عمله محضراً بدقَّة»[4]فهو سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا ﴾ [الكهف: 49]. واقتران الخير بالشر في هذه الآيات دلالة على أنَّ الله تبارك لا يغفل من عمل الإنسان، الصَّغِيرُ منه والكَبِير، كما يدلُّ على

---

[1]–فخر الدين الرازي: تفسير الفخر الرازي: ج32. ص 50.

[2]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص483. (بتصرف)

[3]–فخر الدين الرازي: تفسير الفخر الرازي. ج31. ص: 61.

[4]–عائشة بنت الشاطئ: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج1، ط7، دار المعارف، ص100.

إحاطته سبحانه بكلِّ شيء ولا تخفى عليه خافيَّة، وعلى عدالة الله المطلقة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ ﴾ [النساء: 40].

والجمع بين (الخير) و(الشر) في السورة له دلالات ومعاني حق على كل ذي لُبٍّ أن يقف عندها، منها: الدلالة على علم الله تعالى الذي وسع كل شيء وأحاط به، بدليل قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: 80]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطًا ﴾ [النساء: 126]، والدلالة أيضا على عدالته المطلقة، وميزانه الذي لا يوجد له مثيل أو نظير في الأرض، فلا يُظلَمُ عنده أحد، فمن يعمل خيراً يجزى به، ومن يعمل شرًّا يجزى به ولا يلومنَّ إلاَّ نَفسَهُ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: 40]، وقال: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان: 16]، كما دلَّ اقتران (الخير والشر) على أنَّ الجزاء من جنس العمل، والله تعالى يحاسب على القليل والكثير، فإذا كان الأمر كذلك، وجب على الإنسان ألاَّ يحتقر شيئاً من عمله خيراً كان أو شرًّا، وكأنَّه بهذا الاقتران يريد أن يشير إلى طبيعة القلوب؛ قلب المؤمن الذي يخاف ربَّه، فيحاسب نفسه على الخير والشر، وقلب العاصي الذي لا يتأثَّر بما يفعله، ولا يفرق بين الخير والشر.

4.الآثار البلاغية لاقتران (الخير والشر):

أ_ المقابلة: والمقابلة أن يُؤتى بمعنيين أو أكثر، ثمَّ يُؤتى بما يقابل ذلك على التَّرتيب، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ ﴾ [المعارج: 19. 20]. مقابلة بين الخير والشر، وبين الجزع والمنع، فالشر وهو الأذى كالمرض والفقر، قد قابله بالخير وهو ما ينفع النَّاس كالصحة والغنى، ثم قابل كلّ طرف بما يوافقه، فأتى في أوَّل الآية بألفاظ، وأتى بأضدادها في آخرها، فقابل **الخير بالشر**، وقابل **الجزع بالمنع**.

وقد دلَّت هذه المقابلة على أنَّ من طبيعة الإنسان إتِّباع الهوى والتَّسرُّع في المواقف والآراء، وأنَّه كثير الهلع والجزع، فإن مسَّه خيرٌ استأثر به لنفسه فأمسك وبخل وشحَّ به، ومنع أن يصل أثره إلى غيره، وفي المقابل إن نزل به شرٌّ اشتدَّ قلقه وجزعه، وقلَّ صبره على ما أصابه. وهذه المقابلة في

حقيقتها دعوة إلى الإنسان نفسه، ليضبط طبيعته ويحد من إفراطها في غيِّها، فيتأنَّى ولا يتسرَّع، ودعوة إلى الخير في حدِّ ذاته والتَّمسك به ونشره، ودعوة أيضاً إلى عدم الاستئثار به دون الغير، وفي الوقت نفسه دعوة إلى الصَّبر وعدم الجزع إذا أصابه شر أو شدَّة وضيق، حتى لا يدفعه إلى المنع والقتر. وقريب من هذا المعنى وهذه المقابلة يأتي حديث النبي ﷺ: «**إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ**»[1] فقابل النَّبِيُّ ﷺ في الحديث بين«مَفَاتِيح وَمَغَالِيق، وَبَيْنَ الخَيْر وَالشَّرِّ، وَبَيْنَ طُوبَى وَوَيْل».

ب_ التَّفصيل بعد الإجمال: يقصد بالإجمال والتَّفصيل ذكر الشَّيء ثمَّ تقسيمه إلى عناصر مختلفة، أو ذِكر شَيء وتفريقه على عناصر متعدِّدَة. وهو أسلوب بلاغي فريد، ونمطٌ من أرقى أنماط تفسير القرآن بالقرآن، يكشف عن الحكمة العقليَّة التي تُشَكِّلُ النَّص المكتوب. ومعلوم أن العقل ذو طبيعة تفصيلية يميل دوماً إلى تحليل الفكرة إلى عناصر جزئية يُفهَمُ من خلالها المعنى ويتَّضِح. وفي قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨**﴾ [الزلزلة: 6. 7] ضرب من هذا الإجمال الذي بعده التَّفصيل، فقوله تعالى (**ليروا أعمالهم**) وقع إجمالاً فَصَّلَهُ الاقتران الثُّنائي عن طريق المقابلة بين شطري الآية: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ**﴾وقوله ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ**﴾ فاقتران (الخير والشر) في الآية جاء«تفصيلاً للإجمال الواقع قبله في لفظ (ليروا أعمالهم)» [2]. ومجيء هذا التَّفصيل بعد الإجمال ليكشف لنا عن الدلالة الجزائية التي قَصَدَ إليها القرآن الكريم عَبرَ هذه الثنائية؛ فمن يعمل خيراً يجازى به ولو كان ذرَّة، ومن يعمل شَراً يعاقب عليه ولو كان ذرَّة. وكشفَ أيضاً عن جانب من جوانب التَّرغيب والترَّهيب من خلال المقابلة بين عنصري هذا التَّفصيل، فورد التَّرغيب بلفظ (الخير) فهو جزاء لمن يعمله، وورد التَّرهيب بلفظ (الشر) فهو عقاب لمن يعمله. وأضاف الزمخشري (ت538هـ) مَعنىً آخر يكمل المعاني السَّابقة، فاقتران(الخير والشر) في الآية حسبه صنَّفَ النَّاس إلى صنفين أو فريقين «فمن يعمل مثقال ذرَّة خيراً من فريق السُّعداء، ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا

---

[1]- ابن ماجه: سنن ابن ماجه، ج1، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار إحياء الكتب العربية.ص86. 87. الحديث عن أنس بن مالك، رقم 237. باب: (من كان مفتاحاً للخير)

[2]-الألوسي: تفسير روح المعاني، ج30، ص211.

من فريق الأشقياء»[1] ومصدر هذا التَّقسيم وأساسه كما قال «قوله تعالى: ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة: 6]»[2]

ت_ الطباق: يُعدُّ الطباق من أكثر المحسِّنات البديعية استعمالاً في القرآن الكريم، لما له من تأثير كبير في النُّفوس وإيضاح المعنى عن طريق تقابل كثير من دلالات الألفاظ المتضادة، فهو الذي يجمع بين المتضَادَّين على مستوى الألفاظ، أو بين معنيين متقابلين على مستوى الجملة. وقد ورد هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[الزلزلة: 7، 8]. فالطِّباق قائم بين اللَّفظتين (خَيْرٌ وَشَرٌّ). والذي قرن بينهما رغم تضادَّهما هو المناسبة في دلالتهما على الجزاء، وهذه الدلالة قائمة على أساس الثواب والعقاب. فمن يعمل خيرا سيكون الخير ثواباً له على عمله، ومن يعمل شراً سيكون الشرُّ عقاباً له على عمله.

ث_ التَّفريع: نلمح هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: 7، 8]. تفريعاً على قوله: ﴿ لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ يسمِّيه الإمام الطاهر بن عاشور[3]: «تفريع فذلكة»[*]، فبعد أن أثبت البعث في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ ﴾ **[الزلزلة: 1، 6]** وهو الأصل.«انتقل إلى الحديث عن الجزاء في أسلوب التَّرغيب والتَّرهيب وهو التَّفريع؛ فقال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[4] فذكر أولاً الأصل المتمثِّل في البعث وأهواله، ثمَّ ذكر بعده الفرع، والمتمثِّل في الجزاء وأنواعه.وهو لازم من لوازم البعث، ليجازى المؤمن على إيمانه وعمله الصَّالح، ويعاقب الكافر والمنافق على كفره وعمله الطَّالح.

---

[1]-محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف، ص1216.

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج12، ص494.

[*]-الفذلكة:هي الخلاصة، أي مُجمل ما فُصِّلَ، فيقال: فذلكة المقال أو الموضوع أو الكتاب، والفعل: (فذلك كلامه) أي: أجمل ما فصله، والكلمة وإن كانت محدثة لم ترد في المعاجم القديمة، فهي منحوتة من (فَذَلِكَ كَذَا وكَذَا) التي تقال عند التفصيل.

[4]-المرجع نفسه، ج12. ص494.

ج_ التَّقديم والتَّأخير:

نلاحظ في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: 7، 8] تقديم الخير على الشر، ترغيباً في فعل الخير وترهيباً من فعل الشر، وإشادة بالخير وأهله، وفي هذا المعنى يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره للآية «فالكلام مسوقاً للتَّرغيب والتَّرهيب معا، ثم أوثر جانب التَّرغيب بالتَّقديم في التَّقسيم على جانب التَّرهيب تنويهاً بأهل الخير»[1]،

يورد الإمام الزمخشري في هذه المسألة قصَّة لأعرابي الذي أخّرَ خيرا يره، فقيل له: قدَّمتَ وأخَّرتَ، فقال: [من الطويل] [2]

خُذَا بطـــن هَرشـــي أو قفاهـــا فإنـــه كلا جـــانبي هرشـــي لهـــن طريـــق

ويعقب الطاهر بن عاشور عن الأعرابي فقال: «وقد غفل هذا الأعرابي عن بلاغة الآية المقتضية التَّنويه بأهل الخير» [3]

ولعلَّ في تقديم الخير في الكلام والاستعمال على الشر، يُشَار به إلى طبيعة الإنسان وفطرته وجبلَّته، فهو مجبول على فعل الخير والدَّعوة إليه، وعلى كره الشر والإشادة به. كما يدلُّ على عظيم قَدرِ الخير وعلوِّ شأنه في النُّفوس، ونَفَاسَةُ أهله وسلامة طباعهم.وأُخِرَّ الشر لدناءة قدره في النُّفوس، ووضاعة أهله وسوء طباعهم.قال أحدهم: «الحياة العظيمة ينبغي أن تقاس بالأعمال، وليس بالسِّنين»[4]

ح_ الإيضاح بعد الإبهام (التَّفسير):

يُقصدُ به أن تكون الآية الثَّانية موضحة وكاشفة لما أُبهِم وخَفِيَ في الآية الأولى، ليظهر المعنى

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص495.

[2]-الزمخشري: تفسير الكشاف، ص1216.وأصل الحادثة أن عقيل بن علفة المري على عمر بن عبد العزيز- وكان جافيا- فقال له عمر: ما أراك تقرأ من كتاب الله شيئاً. قال: بلى إنِّي لأقرأ. قال: فاقرأ، فقرأ: «إذا زلزلت الأرض زلزالها» فلما بلغ آخرها قلب الآيتين وقرأ: «فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره» فقال عمر: ألم أقل لك إنك لا تحسن تقرأ؟ قال: أو لم أقرأ؟ قال: لأن الله عز وجل قدم الخير وأنت قدمت الشَّرّ، فقال عقيل: [من الطويل]:

خُذَا بطن هَرشي أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشي لهن طريق.

انظر: طرائف ونوادر العلماء والمتعالمين لـــ: إبراهيم عبد الله سلقيني.

[3]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص494.

[4]-عبد الله بن الداوود:متعة الحديث (موسوعة شاملة للأمثال والحكم والأشعار والنوادر والطرائف)، دار الرشاد، قسنطينة، ص201.

كما يقول الزركشي: «في صورتين، فيكون بذلك ألذّ في النَّفس وأشرف عندها، وأقوى لحفظه وذكره»[1]، وهو في الوقت نفسه أسلوب من أساليب العرب في كلامهما، تُرِيدُ به التَّفخيم والتَّعظيم، إضافة إلى أنَّ المبهم عادة هو أوَّل ما يطرق الأسماع، فقد تذهب به إلى مذاهب ومعاني شتَّى، فيحتاج إلى تفسير وإيضاح، كما أن مجيء المعنى موضَّحا بعد إبهام متمكِّنًا في النَّفس تمكنًا قويًّا، لوقوعه بعد البحث والطَّلب، فهو في النَّفس أعزُّ وألذُّ من المعنى المساق بلا تعب، وألذُّ لتشوُّق النُّفوس إلى معرفته؛ لأنَّ الشَّيء إذا عُلمَ بعد تشوُّق النُّفوس إليه للعلم به من جميع وجوهه وزواياه، فإذا عُلِمَ معناه من جميع زواياه ووجوهه كانت لذَّته في النَّفس أشدّ من العلم بمعناه من جهة واحدة.كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ **[المعارج: 19]**.، والهلع في الآية «لفظ غامض من غوامض اللُّغة، فُسِّرَ بكونه صفة غير محمودة، فوصف الإنسان هنا بها لوْمٌ عليه في تقصيره عن التَّخلُّق بدفع آثارها»[2]، 21] والهلع كما يفسره القرطبي هو: « أشد الحرص وأسوأ الجزع وأفحشُهُ»[3] وذكر الزمخشري أنه يُروى «عن أحمد بن يحي: قال لي محمد بن عبد الله بن ظاهر: ما الهلع؟ فقلت: قد فسَّرَهُ الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: 20، 21]. أي: إذا ناله شَر أظهره شدَّة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه من الناس»[4]

وانطلاقاً من هذه المعاني يتبيَّن لنا أن اقتران (الخير والشر) جاء مفسرًّا وموضحاً الإبهام في لفظ (الهلع) الذي استشكل معناه على كثير من المفسيرين، وهو من باب تفسير القرآن بالقرآن.وقد ورد هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم، فكثيراً ما نتوقف عند ألفاظ أو كلمات واقعة في آية من آيات القرآن، تبدو للدارس أو الباحث غريبة وغير واضحة، تعقبها آيات بعدها توضِّحها وتفسِّرها. كقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: 6] ثم وضَّحه الله تعالى في الآية الموالية من قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: 7]

---

[1]-بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص477.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص170.

[3]-الطبري، تفسير الطبري: ج23، ص266، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج21، ص236.

[4]-الزمخشري: تفسير الكشاف، ص1140.

د_ الإيغال[*]:

يُقصَدُ بالإيغال: «أن يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه، قبل أن يأتي بقافيته، فإن أراد الإتيان بها ليكون الكلام شعراً، أفاد بها معنى زائداً على معنى البيت»[1] وعند أبي هلال العسكري: «أن يستوفي معنى الكلام قبل بلوغ مقطعه، ثمَّ يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً، وشرحاً، وحسناً، وأصل الكلمة من قولهم، أوغل في الأمر إذا أبعد في الذَّهاب فيه»[2] بمعنى أنَّ المتكلِّم يتجاوز المعنى الذي أراده ليبلغ إلى معنى زائداً عما أراده. ويُستدل على هذا المفهوم للإيغال بقول ذي الرمة: [من الطويل] [3]

قِفِ العِيسَ في آثارِ مَيَّةَ واسْأَلِ رُسُوماً كَأخْلاَقِ الرِّداءْ المُسَلْسَلِ

«فقد تمَّ كلامه قبل القافية، فلما احتاج إليها أفاد بها معنًى زائداً»[4]، ومن أمثلته في القرآن ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: 6. 8]، فالكلام قد تمَّ معناه عند قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾غير أنَّه لم يكتف بهذا المعنى، فزاد عليه قوله: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ من باب الإيغال أو الزِّيادة في المعنى والمقصد؛ لأنَّ المخاطب بقوله تعالى «لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ » وقع في نفسه تشوقاً وتشوُّفًا لرؤية هذه الأعمال، ورؤية آثارها؛خيراً كانت أو شرّاً. من أجل ذلك جاء قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: 7. 8] فوقعت هذه الزِّيادة مفصِّلة، ومبيِّنة لآثار الأعمال وعواقبها. فزادت المعنى كمالاً

(*)–يُعدُّ الإيغال ضرب من ضروب المبالغة، إلاَّ أنه في القوافي خاصة لا يعدوها، وهو مشتق من الإبعاد، يقال: أوغل في الأرض إذا أبعد فيها، وقيل سرعة الدخول في الشيء، يقال أوغل في الأمر إذا دخل فيه بسرعة. سئل الأصمعي: من أشعر الناس؟ قال: الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيراً، أو يأتي إلى المعنى الكبير فيجعله خسيساً، أو ينقضي كلامه قبل القافية فإذا احتاج إليها أفاد بها معنى.(انظر: في البلاغة العربية: علم البديع لعبد العزيز عتيق: ص113.

(1)–ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص29.

(2)–أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص380.

(3)–العِيس: الإبل التي يخالط بياضها شقرة، والواحد: أعيس. مِيَّة: اسم امرأة، وهي محبوبة الشاعر. الرسوم: آثار الديار. أخلاق الرداء المسلسل: الرداء المقطع البالي.

(4)–ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص29.

وتماماً، ودفعت المخاطب إلى الإقدام على عمل الخيرات والابتعاد عن أعمال الشَّرِّ. ولو لم يأت بها لم تحصل هذه المعاني.

ذ_ التَّوشيح:

يُقصدُ بالتَّوشيح «أن يكون معنى أول الكلام دالاً على لفظ آخره»[1] وإنَّما سميَّ بهذا الاسم؛ لأنَّه يُترل فيه المعنى مترلة الوشاح، فيترل أول الكلام وآخره، مترلة محل الوشاح من العاتق والكشح، اللذين يلقى عليهما الوشاح. ومثاله في القرآن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[آل عمران: 33] يقول ابن حجة في الآية: «فإن معنى اصطفاء المذكورين، ما دلَّت عليه الفاصلة؛ لأنَّ المذكورين نوع من جنس العالمين.»[2] كما يأتي في هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[الزلزلة: 6. 8]. ذلك أنَّ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[الزلزلة: 6] يستدعي تقسيم هذه الأعمال والجزاء عنها إلى قسمين: «فإن كان العمل مثقال ذرَّة من الخير كان الجزاء خيراً، وإن كان العمل مثقال ذرَّة من الشَّرِّ كان الجزاء شَرّاً»[3]وهذا المعنى هو المعبَّرُ عنه بقولهم الجزاء من جنس العمل.

---

[1]-ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص227.

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-محمد رمضان البع:دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم، مجلة جامعة الأقصى، المجلد13، العدد2، 2009.ص9.

ثالثاً: الدنيا والآخرة

1_ نماذج اقتران الدنيا بالآخرة:

الرقم	الآيـــة	السورة	الآية
01	﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾	الزمر	26
02	﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴾	غافر	39
03	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾	الشورى	20

2_ دلالة اقتران (الدنيا والآخرة):

أ_ دلالة الدنيا:

الدلالة اللغوية:

الدنيا على وزن (فُعْلَى) من الدُّنو؛ أي القرب. قال ابن فارس: «الدَّال والنُّون والحرف المعتل يقاس بعضه على بعض، بمعنى القريب، ومن ذلك: الدَّنِيُّ بمعنى القريب. وسميت الدُّنيا دُنيا لسبقها للأخرى، أو لدنوِّها إلى الزَّوال. جاء في الحديث قال ﷺ: «**إِذَا أَكَلْتُم فدنُّوا**» أي كلوا مما يليكم ومما يدنوا منكم»[1].

وجاء في اللسان: «دنا وأدنى إذا قَرُبَ، وأدنى إذا عاش عيشًا ضيِّقًا بعد سَعَةٍ، والأدْنَى: السِّفلُ. والدَّنِيءُ: الخِسِّيس، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ**﴾ [البقرة: 61]. أي: الذي هو أخسّ. والدَّنِيءُ من الرِّجال: السَّاقط الضَّعيف» [2]، ويُعَبَّرُ بالأدنى – كما أشار الرّاغب– «تارة عن الأصغر، فيقابل بالأكثر، نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ**﴾

[1]–أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج 2، ص303.انظر: مختار الصحاح، ج1، ص89.

[2]–ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص78.

[المجادلة: 7]. وتارة عن الأرذل فيقابل بالخير، نحو قوله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: 61]. وتارة عن الأقرب فيقابل الأقصى، نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ [الأنفال: 42]» [1].

فالدنيا من خلال هذه المعاني اللغوية تأتي بمعنى الدَّناءة الجامعة لأنواع التَّرف والمصائب والفتن والمنازعات، وهذا المعنى اللُّغوي للفظ (الدنيا)لايختلف كثيرا عن معناها الاصطلاحي الشرعي كما سيأتي.

الدلالة الاصطلاحية:

اختلف العلماء في بيان المعنى الحقيقي أو الاصطلاحي للفظ «**الدنيا**» على أقوال، فقيل: «الدنيا ما على الأرض من الهواء والجو، وقيل الدنيا هي كل المخلوقات من الجواهر والأعراض. والأوَّل أولى لكن يزاد فيه مما قبل قيام الساعة ويطلق على كل جزء منها مجازا». [2]إلاَّ أنَّ الدنيا في حقيقتها الشرعية دار ابتلاء ومتاع إلى حين. كشف عن هذه الحقيقة القرآن الكريم بشكل مستفيض، فأخبر بأنَّها دار ابتلاء. جاء ذلك في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: 2]. كما أخبر أيضا بأنَّها متاع الغرور، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185]، ومتاع الغرور يفسره ابن منظور بقوله«كل شيء ينتفع به ويتبلَّغُ به، والفناء يأتي عليه، ولذا سُميَّ الذي يقطع إحرامه بين الحجِّ والعمرة متمتعًا، وسُميَّ الزَّواج بامرأة بنيَّة الفراق بعد مدَّة زواج متعة؛ لأنَّه لا يريد إدامتها لنفسه». [3].

ومما سبق ذكره يمكن القول أنَّ الدنيا في مفهومها الشرعي: دار ابتلاء ومتاعٌ، ومتاعها قليل كيفما كان امتداده بالمقارنة بالآخرة، وعليه فالدنيا زائلة وفانية، بخلاف الآخرة التي هي حياة بلا موت. فكلُّ هذه السمات تُعَبِّرُ عن حقارة هذه الدنيا في منظور الإسلام، وهي سمات كلها عيوب؛ فهي: متاعٌ، ولعبٌ ولهوٌ، وزينةٌ وتفاخرٌ وتكاثرٌ في الأموال والأولاد، ولذلك كان على الإنسان العاقل التَّنزه عنها وعدم التَّعلُّق بها واتخاذها مطيَّة للآخرة.

---

[1]-الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن318. 319.

[2]-ابن علان: الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، ج1، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1. 2004، دار الكتب العلمية، بيروت، ص39.

[3]-ابن منظور: لسان العرب.ج8، ص: 329.

ب_ دلالة الآخرة:

الدلالة اللغوية: وردت كلمة الآخرة في اللغة العربية مقابل الدنيا والأولى. جاء في اللسان: «الآخِرُ خِلافُ الأولِ، والأنثى: آخِرَة. حَكَى ثعلبُ: «**هُنَّ الأولاَتُ دخُولاً والآخِرَاتُ خُروجًا**»»[1]. وروي عن النبي ﷺ قولُهُ وهو يمجِّدُ ربَّهُ عزَّ وجَلَّ: «**أَنْتَ الأوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعَدَكَ شَيءٌ**» [2]. وقد جاء في شِعر العرب ما دلَّ على أنَّ الآخرة هي الحياة الثَّانية بعد الموت. قال الشاعر عوف بن الأحوص في هذا المعنى [3]: [من الطويل]

حَبَت دُونهم بِكْـرٌ فلـم نسـتَطِعهُم كـأنَّهم بالمشـرِفيَّة سـامِرُ

ومَا بَرِحَـتْ بكْـرٌ تَثُـوبُ وتَـدَّعِي ويَلْحَـقُ منـهم أَوَّلُـونَ وآخِـرُ

وقال المثلم بن رباح المري: [4] [من الكامل]

إِنِّي مُقَسِّـمُ مَـا مَلَكْـتُ فَجَاعِـلٌ أَجْـرًا لِـآخِرَةٍ وَدُنْيًـا تَنْفَـعُ

وهي دار البقاء بعد الموت، جاء في الأثر: «**اعْمَل لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أبداً وَاعْمَل لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوُتُ غداً**»، قال الشاعر: [من البسيط] [5]

لاَ دَارَ لِلْمَـرْءِ بَعْـدَ المَـوْتِ يَسْـكُنُهَا إِلَّا التِّي كَـانَ قَبْـلَ المَـوْتِ يَبْنِيهَـا

الدلالة الاصطلاحية:

الآخرة اسم يجمع كل ما يكون بعد هذه الحياة الدنيا، فهي«الحياة بعد الموت.» [6] لقوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾[الضحى: 4]. تبدأ من قيام الساعة وتستمر في خلود لا

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب. ج1. ص38. مادة (أ خ ر).

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-عودة خليل أبو عودة: التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن- دراسة دلالية مقارنة- ط1/ 1985. مكتبة المنار: الزرقاء، الأردن.ص371.والبيتان من قصيدة عوف بن الأحوص، مطلعها: لّما دنوْنا لِلْقِيابِ وأهلِها أُتيحَ لنا ذِئْبُ مع الليل فاجر.

[4]-أبو سعيد عبد الملك بن قُريب بن عبد الملك: الأصمعيات (اختيار الأصمعي)، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، ط5. بيروت. ص: 253.

[5]-ديوان الإمام علي رضي الله عنه. جمعه ورتبه: عبد العزيز الكرم، ط1. 1988. ص: 210.

[6]-أحمد مختار عمر: المكتر الكبير، ط1/ 2000. سطور: الرياض.ص429.

يعلم مداه إلاَّ الله تعالى. حيث يحي الله سبحانه فيها الخلائق، ويبعثهم بعثًا جديدا بعد موتهم وفنائهم. وإنّما سميَّت بالآخرة لتأخُّرها عن الدنيا فلا حياة بعدها.

والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان السِّتة، فلا يصحُّ الإيمان ولا يقبل إلاَّ به، لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: 177].ولقوله ﷺ في مسألة الإيمان: «**الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**» [1].

وسميَّت الآخرة في القرآن بعدَّة أسماء، كلها تدلُّ على ما يجري فيها من حقائق وأهوال، منها: يوم الدين؛ لأنَّ فيها إدانة للخلق ومجازاتهم على أعمالهم. قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: 3]، ويوم الخروج؛لأنَّ فيه خروج النَّاس من قبورهم إلى الحياة الأخرى، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ [ق:42]، كما سمي يوم القيامة؛ وفيه قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 60].

ت_ تفسير(الدنيا والآخرة):

النموذج الأوَّل: يقول الله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: 26]. ورد اقتران (الدنيا والآخرة) هنا في سياق إخبار الله تعالى عن حال الكافرين المكذِّبين لأنبيائه ورسله، وما سيلحقهم من عذاب أليم، وعن مكان هذا العذاب وشدَّته، فبيَّن مكانه بأنَّه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ﴾ ولّما لم يخطر ببالهم أطلق عليه (**الخزي**) بقوله: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ﴾. والخزي هو«الذُّل والصَّغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء، وما أشبه ذلك من نكال الله»[2]إذ فيه «قطع رقابهم بالسُّيوف وهم في عزَّة من قومهم وحرمة عند قبائل العرب.» [3] فهذا العذاب هو الذي يذّلهم ويخزيهم في الحياة الدنيا، وما ينتظرهم يوم القيَّامة من العذاب أكبر كمًّا وكيفًا.

---

[1]-ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ط1. 2004، مؤسسة الرسالة، بيروت، والحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رواه مسلم. ص28.

[2]-محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف، ص939.

[3]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص396.

والجمع بين الدنيا والآخرة في هذا الموضع لبيان شموليَّة العذاب الذي ينتظرهم. فهو عذابٌ لا يتعلق فقط باليوم الآخر، بل هو عذابٌ يصيبهم في الدنيا أيضاً. يمهِّدُ به لعذاب الآخرة. فقد ذكر الثَّعالبي أن عذاب الدنيا «متَّصِلٌ بعذاب الآخرة، بل هو تمهيدٌ لذلك العذاب الأكبر»[1]. كأنَّ اللهَ تعالى قَضَى أن يكون على مرحلتين: المرحلة الأولى في الدُّنيا معجَّلٌ لهم به، لعلَّهم يتوبون ويرجعون إلى ربِّهم، أو ليكون عِبرَة لغيرهم ليكفُّوا عن غيِّهم، فإن لم يرعووا جاءت المرحلة الثَّانية من العذاب في الآخرة مدَّخَراً لهم بعد موتهم، فهو أكبر وأعظم، يتناسب تماماً وعِظَم الجُرم الذي اقترفوه ووقعوا فيه، وإنَّما ذُكِرَ العذابُ بهذا التَّرتيب على سبيل التَّرهيب والتَّخويف.

النموذج الثَّاني:

قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: 39]. فالآية هنا تذكير بحقيقة الحياتين؛ الدنيا والآخرة، جاء هذا التَّذكير على لسان مؤمن آل فرعون في سياق نصحه وإرشاده لفرعون وقومه. بعد أن استهوتهم الحياة الدنيا وزينتها، وزُيِّنَ لهم سوء أعمالهم وصُدُّوا عن سبيل الحق صدوداً كبيراً. حيث كشف لهم عن قيمة الحياة الدنيا فقال: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ﴾ بمعنى متاعها قليلٌ وزائلٌ غير دائم. وفي المقابل شوَّقهم إلى الآخرة ونعيمها.فقال ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ أي: دار الاستقرار والخلود؛ فحياتها دائمة، لازوال فيها ولا انتقال منها، «والمراد بالدار الآخرة الجنة والنار لأنهما لا يفنيان»[2].

وذِكرُ (**الدنيا والآخرة**) والجمع بينهما في الآية لبيان حقيقتهما والتَّمييز بينهما وبيان خصائصهما، فبيَّنَ أن الحياة الدنيا فانية ومتاعها قصير، لا خلود فيها ولا دوام، يتنعَّم النَّاس فيها قليلاً ثم تنقطع وتزول، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن: 26. 27]. فينبغي لكل عاقل ألاَّ يركن أو يتعلَّق بها، وبيَّن في المقابل أنَّ الآخرة بما فيها، من نعيم باقيَّة غير فانيَّة مستمرَّة ثابتة، وصفها بأنَّها دار الخلود والبقاء مؤكِّداً بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: 39]. أي استقرار أهلها وخلودهم فيها. لذلك ينبغي على كلِّ عاقل أن يتعلَّق بها، ويؤثرها بالعمل الصَّالح الذي سيسعده يوم القيَّامة ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا

---

[1]-الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج5. ص90، فخر الدين الرّازي: تفسير الرازي: ج26. ص275.

[2]-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 18. ص: 361. الصابوني: صفوة التفاسير: ج3ـــ ص: 74.

وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران: 30]

النموذج الثَّالث:

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: 20]. ففي الآية مقابلة لفريقين؛ فريق المؤمنين أكثر همهم الدَّار الآخرة، يسعى ويعمل لها وهو مؤمن، رَتَّبَ اللهُ تعالى له على هذا الاختيار زيَّادة في الأجر ومضاعفة في الثَّواب، فقال: ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾، وفريق من الذين لا يؤمنون هِمَمُهُم قاصرة على الحياة الدنيا، يريد بعمله الدنيا ومتاعها، فقد ضَمِنَ الله تعالى له بَعْضَ ما يطلبه من متاعها عاجلاً في الدنيا ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ فلا حظ له في الآخرة من الثواب والنعيم.

واقتران (**الدنيا بالآخرة**) في هذه المواضع القرآنية وفي غيرها أراد الله تعالى به – وهو أعلم بمراده سبحانه – أن يوازن للمؤمن ويقارن له بين حياتين أو دارين؛ إحداهما عاجلة، متاعها قليل وهي الحياة الدنيا، والأخرى آجلة متاعها دائم مستديم لا ينقطع، وهي دار النَّعيم. ليختار بأيِّهما يتعلَّق قلبه وإرادته. فالمؤمن لا ريب سيختار الدَّار الباقيَّة على الدار الفانيَّة، فيعمل لاختياره بإخلاص وإيمان راجيّاً مرضاة الله تعالى وثوابه الذي وعد به.

3_ الآثار البلاغية لاقتران (الدنيا والآخرة):

أ_ التَّقديم والتَّأخير:نلاحظ في قوله تعالى: ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: 26] تقديم لفظ ﴿ٱلدُّنْيَا ﴾على لفظ ﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ لاعتبارات كثيرة منها:

_ أَنَّ الدنيا هي دار العمل والجهد والتَّعب، والآخرة دار الجزاء والحساب. والعمل مُقَدَّمٌ على الجزاء، بل هو نتيجة وثمرة العمل، لأجل ذلك تُوضع موازين الجزاء يوم القيَّامة لِيُجْزَى الإنسان على العمل الذي قدَّمه في حياته الدنيا. قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: 7.8]. من جهة أخرى فإنَّه من المعلوم بالضَّرورة لدى المؤمن أنَّ العمل يكون في الدُّنيا والجزاء عنه يكون في الآخرة.

_ ومنها ما يعود إلى الاشتقاق اللغوي لكلا اللَّفظين؛ فالدنيا مشتقَّة مِنْ دَنَا وَأَدْنَى إذا قرب

وجاء أولاً، كما قال ابن منظور: «يقال: ما يزداد منّا إلاَّ قرباً ودناوة»[1]، والآخرة خلاف ذلك. فقدَّم القريب الأوَّل على البعيد الأخير.

ـ والاعتبار الثَّالث أنَّ الدنيا وسيلة ومطية للآخرة، وليست غاية في حدِّ ذاتها، وأنَّ الغاية والهدف هي الآخرة. فَقُدِّمَت الوسيلة على الغاية.

ـ ولكنَّ الاعتبار الأهَّم في سِرِّ التَّقديم والتَّأخير في هذه الثنائيَّة؛ اعتبار السياق الذي ورد فيه اقتران (**الدنيا والآخرة**)، في الآيتين، ففي قوله تعالى: ﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:26]. قَدَّمَ لفظ ﴿ٱلدُّنْيَا ۖ﴾على لفظ ﴿ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ لأنَّه جاء في سياق الإخبار عن طبيعة العذاب، الذي توعَّدَ الله به المكذِّبين بالله وبرسوله ﷺ ومدَّته. فهو عذابٌ شاملٌ ودائمٌ غير منقطع، شاملٌ في الدنيا والآخرة. فهذا الإخبار فيه تخويف وترهيب للمكذِّبين ودعوة للعاصين للرُّجوع إلى الإيمان بالله ورسوله، والتَّصديق الجازم بهما. وفي الآية الثَّانية جاء اقتران (**الدنيا والآخرة**) في سياق الوعظ والإرشاد. وهذا الفنّ الخطابي يعمد الواعظ فيه دوما إلى التَّخلية قبل التَّحلية كما يقال، فقد جاء عن بعض الصَّحابة قولهم: كان النَّبيُّ ﷺ «يفرغنا ثم يملؤنا» كذلك فعل مؤمن آل فرعون، فقد وصف لهم الدنيا ومتاعها، بأنه قليلٌ، تزهيداً لهم فيها، وتخلية وتصفية لقلوبهم منها، ثمَّ رَغَّبَهم في الآخرة وَوَصَفَهَا بأنَّها دار القرار والأمن والاستقرار، وهذا يعني أنَّ متاعها دائمٌ ومستمرٌّ لا ينقطع. وفي آية الشورى أَخَّرَ (الدنيا) قَدَّمَ(الآخرة) في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: 20] لأنَّ الآية واقعة في سيَّاق التَّرغيب والتَّرهيب. «فقدَّمَ مريد الآخرة في الذِّكْرِ على مُرِيدِ حرث الدنيا، وهذا يدُلُّ على التَّفضِيل»[2]

المُشارُ إليه بقوله ﷺ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[3] وبقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ [الشورى: 20] أي بتضعيف الثَّواب وتسهيل سبل الخيرات والطَّاعات له.بينما قال في مريد الدنيا: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ وكلمة (مِن) كما

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص78.

[2]-فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج27، ص162.

[3]-صحيح مسلم، الحديث رقم 855، عن أبي هريرة ﷺ.

قال الرازي «للتَّبعيض، بمعنى أنَّه يعطيه بعض ما يطلبه ولا يؤتيه كلّه»[1]. لقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[الإسراء: 18]. فقد رغبهم في الآخرة فقدمها عن الدنيا.

ب_ التَّأكيد: ورد هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: 39]. بثلاث أدوات: أسلوب القصر، وإنَّ، ولام التَّأكيد. ؛ أمَّا أسلوب القصر فقد اُفتُتِحت الآية بأداة النِّداء (يا قوم) [2] «ليلفت إليه أذهانهم ويستصغي أسماعهم، بحكم أنَّهم قومه»[3]. يُريدُ أن يُعلِمَهم حقيقة الحياة الدنيا، فهي مجرد متاع زائل، ولتأكيد هذه الحقيقة أتبعها بالأداة (**إنّما**) لزيادة تقريرها في أذهانهم، وتحقيراً لشأنها وتنفيراً من التَّعَلُّق بها. والقصر في الآية «قصر موصوف وهو (**الحياة الدنيا**) على صفة (متاع) أي لا صفة للدنيا إلاَّ أنَّها نَفعٌ مُؤَقَّت.وهو قصر قلب لتنزيل قومه في تهالكهم على منافع الدنيا، منزلة من يحسبها منافع خالدة.» [4]ثم تحدث بعده عن الآخرة ومتاعها فقال: ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾، فقد أكد هذه الحقيقة: بثلاثة أدوات: بأداة التأكيد (إنَّ) بضمير فصل (هي)، وبلام التأكيد؛ للتَّأكيد بهذه الأدوات على أنَّ الآخرة هي دار قرار، للدلالة على أنَّها دار الأمن والاستقرار، نعيمها ومتاعها دائم ومستقر لا ينقطع. كما قد يشير ضمير الفصل في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ إلى قصر آخر، يسميه البلاغيون «قصر قلب يَراد به تأكيد القصر الموصوف السَّابق، والذي يعني أنَّ القرار والدَّوام للحياة الآخرة، وللحياة الدنيا»[5]

خ_ التفصيل بعد الإجمال: وقع هذا الأسلوب البلاغي في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: 39]. والآية عبارة عن موعظة ونصيحة من مؤمن آل فرعون يعظ فيها قومه، والملفت للنظر بدايته في موعظته بأسلوب النِّداء مستخدماً أحد أدواته (يا) للفت الأذهان إلي موعظته وشد الأسماع إليها وبالتالي انقياد القلوب إليها. واعتمد في موعظته على أسلوب بلاغي جميل زاد موعظته رونقاً وجمالاً وانتباها ألا وهو «الإجمال ثم أعقبه

---

[1]-فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج27، ص162.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص148.(بتصرف)

[3]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]-المرجع نفسه، ج24، ص149.

[5]-المرجع نفسه، ج24، ص149، 150.

بالتفصيل»[1] حيث قال في بداية كلامه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: 38]. وسبيل الرشاد لفظ مجمل، وهو على إجماله تتوق النفوس إلى معرفة حقيقته. «وإعادة النداء تأكيد لإقبالهم، إذ لاحت له إقبالهم على موعظته، فأكملها بتفصيل ما أجمله في المراد من (سبيل الرشاد). فذكَّرَهم بأنَّ الحياة الدُّنيا محدودة بأجل غير طويل، متاعها زائل، وأنَّ وراءها حياة أبدية تتضمَّن سعادة أبديَّة.»[2]

ج_ التقابل:

نلاحظ من خلال هذه الآيات النماذج لاقتران (**الدنيا والآخرة**) أن السياق قد قابل في النموذج الأول بين الخزي والعذاب، وبين الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: 26]، وقابل في النموذج الثاني بين متاع الحياة الدنيا ومتاع الآخرة، وحرث الآخرة وحرث الدنيا. فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: 39]، وفي النموذج الثالث قابل بين حرث الآخرة وحرث الدنيا، فقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: 20]. نلاحظ من خلال هذه التقابلات أنَّ حياة الإنسان منقسمة إلى مرحلتين متقابلتين؛ مرحلة دنيوية وأخرى أخروية، وبيَّنَ في هذا التقابل مميزات كلا منهما؛ فالحياة الدنيا عمرها قصير، ومتاعها قليل، وهي أيضا دار لهو ولعب وزينة وتفاخر في المال والأولاد، بدليل قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ﴾ [الحديد: 20]، ودار غرور وترف، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد: 20] وفوق هذا فهي دار لاكتساب الحسنات والطيبات لمن آمن بالله تعالى وعمل صالحاً.

أما الحياة الآخرة، فهي الدار الحقيقية بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64]، ودار الأمان والاستقرار، متاعها دائم ومستمر، لا يزول

---

[1]-فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ج24، ص149.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.(بتصرف).

ولا يفنى، بخلاف الحياة الدنيا. فالتَّقابل بين الحياتين بيَّن الفرق بينهما، وجلَّى حقيقتهما، حتى لا يتعلق المسلم بالعاجل الفاني، على حساب الصالح الباقي، قال تعالى ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: 46]، كما أشار التقابل أيضاً إلى وجوب الإيمان بالحياة الآخرة، الذي يعد ركناً من أركان الإيمان بالغيب، وأشار من جهة أخرى إلى حقيقة العمل النافع، فالعمل للآخرة الذي سماه القرآن (حرث الآخرة) يعود بالفوز والنجاة لصاحبه، بينما العمل للدنيا(حرث الدنيا) إنَّما هو في حقيقته متاع زائل. وعليه نستنتج أنَّ الذي يعمل من أجل الدنيا فقط لا حظ له في الآخرة، وأنَّ الذي يعمل لأجل الآخرة يكون له حظ ونصيب من الدنيا.

كما يستوقفنا هذا التقابل على دلالة أخرى لا تقل أهمية عن الدلالات السابقة، وهي التقابل الأخلاقي، فالآخرة مجال تتم فيها التفرقة بين الصالح والطالح، والمُحسن والمُسيء بشكل دقيق وعادل، لكمال المعايير الإلهية، الأمر الذي قد يغيب عن الإنسان في الحياة الدنيا بشكل أو بآخر، .فقد يسود فيها الطالح ويُقصى منها الصالح لقصور المعايير البشرية.

نلاحظ أيضاً تقابلاً بين الحياتين من نوع آخر، وهو التقابل الزمني، فقد جاءت آيات قرآنية في سور كثيرة، تحدد زمن الدنيا بل قدرته بألفاظ شتَّى منها: عشية أو ضحاها، ساعة من نهار، ساعة من نهار يتعارفون فيها، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾ [يونس: 45]، وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ﴾ [الأحقاف: 35] للدلالة على قصر الحياة الدنيا وزَمَنِهَا، وللتأثير أيضاً على المخاطب حتى لا يتعلق بشيءٍ محدد وزائل. بينما لم يتحدد زمن الآخرة، بل أطلقه، وعبر عنه بألفاظ الخلود والدوام، فيوم واحد من أيَّام الآخرة، بألف سنة من أيام الدنيا. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: 47].

وتتقابل الحياة الدنيا والآخرة أيضا فيما يعرف بالحال أو في الكيفية، فقد جاء وصف حال الدنيا في القرآن على أنَّه لهو وزينة، ولعب وتفاخر... كما في قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: 20] فحال الدنيا متقلب، غير مستقر ولا ثابت؛ سَعَة وضيق، نقصان وزيادة، شدة وعسر، فرح وحزن، غنى وفقر... في المقابل فإنَّ الآخرة للمؤمن لا تتغيَّر ولا تنقص، بل كلُّها زيادة وحسن،

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: 26]

كل هذه الدلالات التي جمعها التَّقابل بين (الدنيا والآخرة) أشار إليها النبي ﷺ بقوله: «**مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ، إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَل أَحَدُكُم إِصْبَعَه هِذِه –وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ– فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُر بِمَ يَرْجِع؟**»[1]

رابعاً: السر والعلانية:

1 _ نماذج اقتران السر والعلانية

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾	يس	76
02	﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾	نوح	.9

2_ دلالة اقتران (السر والعلانية)

أ_ دلالة (السر)

الدلالة اللغوية:

يدلُّ الأصل اللغوي للفظ (السر) على الإخفاء والكتمان، خلاف الإعلان، يقول أحمد بن فارس: «السِّين والرَّاء يَجْمَع فروعه إخفاء الشَّيءِ، فالسِّرُّ خلاف الإعلان، يقال: أَسْرَرْتُ الشَّيءَ إسرارا خلاف أعلنته»[2]. ثُمَّ توسَّعوا في هذا الأصل اللغوي، حتَّى عَدَّه الخليل من الألفاظ المشتركة ذات الدلالتين، فقال: «أسررتُ الشيء: بمعنى كتمته، كما يأتي بمعنى أظهرته، ومنه قوله تعالى:

[1]–الحديث رواه مسلم في صحيحه باب فناء الدنيا.رقم: 2858.عن المستورد بن شداد.(قال أبو نعيم: هو حديث غريب من حديث فضيل عن سفيان، وصححه، وكذا صححه الحاكم وأقره الذهبي.) انظر: منحة الوهاب في تخريج أحاديث الشهاب لأبي عبد الله محمد بن محمد الحجوجي، تح: هشام بن محمد حيجر

[2]–أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج3. ص67. 68.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ﴾ [يونس: 54]. أي: أظهروها، ويأتي أيضاً بمعنى: كتمته»[1]. فلفظ (السر) حسب المعاجم العربية من الألفاظ المشتركة التي تأتي بمعنى الإظهار والإخفاء.

الدلالة الاصطلاحية:

(السر): في اصطلاح العلماء: «ما يُسرُّه المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها، فإن لم يعزم عليها فهو الإخفاء»[2] وقيل: «بأنَّه الحديث المُتَكَتَّمُ في النَّفس.» [3] ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: 7]. وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾ [التوبة: 78].

ب_ دلالة (العلانية):

الدلالة اللغوية:

العلانية خلاف السر، مأخوذة من (عَلَنَ) والمعالنة والإعلان أي: المجاهرة. والأصل فيها كما يقول ابن منظور: «إظهار الشيء وشيوعه. يقال: عَلَنَ الأمر علانية إذا شَاعَ وَظَهَرَ. كما يقال: رجلٌ عُلَنة: أي لا يكتم سره ويبوح به، وفي حديث المُلاعنة: تلك امرأة أعلنت، أي: أظهرت الفاحشة»[4]. وأكثر ما يستعمل لفظ (العلانية) أو (الإعلان) في المعاني دون الأعيان والذَّوات. كقولهم: علوان الكتاب، يقول الراغب: «يصح أن يكون من: عَلَنَ اعتبارا بظهور المعنى الذي فيه لا بظهور ذاته.» [5].

إلاَّ أنَّ ثمَّة فَرْقاً دقيقاً نلاحظه بين الإعلان والجهر، يشير إليه أبو هلال العسكري فيقول: «الإعلان؛ إظهار المعنى للنَّفس، فلا يقتضي رفع الصَّوت به، والجهر يقتضي به، ومنه يقال: رجل جَهِيرٌ وجهوري إذا كان رفيع الصوت»[6].

---

[1]-الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج2. ص235.ابن منظور: لسان العرب: ج4. ص356.

[2]-أبو البقاء الكفوي: الكليات: ص514.

[3]-الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص404.

[4]-ابن منظور:لسان العرب، ج13.ص288. 289. أحمد بن فارس مقاييس اللغة:ج4.ص111.الزمخشري: أساس البلاغة، ، ص676.

[5]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص582.

[6]-أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية: ص287.

الدلالة الاصطلاحية:

يمكن اعتبار (العلانية):كل ما يعلنه المرء من الأمور التي كان قد أسرها في نفسه، أو أخفاها عن علم الناس وأنظارهم، من قولٍ أو فعل أو كتابة، بحيث يمكنهم الاطلاع عليها دون عائق.

3_ تفسير(السر والعلانية)

النموذج الأول:

قال تعالى ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ **[يس: 76]**. ورد اقتران (يسرون ويعلنون) هنا في سياق تعليل نهي الله لنبيه ﷺ عن الحزن لتكذيب الكفار له، واتهامهم له بأنَّه شاعر، ووصفهم للقرآن بكونه لون من ألوان الشعر، الأمر الذي أحزنه، فخاطبه الله تعالى بقوله: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾، ثم بين له ما يهون عليه الأمر ويذهب عنه الحزن قائلاً: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ وفيه أيضاً «وعيد لهؤلاء المشركين بمؤاخذتهم بما يقولون، والمعنى أنَّ الله سبحانه وتعالى محص عليهم أقوالهم وما تسره أنفسهم مما لا يجهرون به، فيؤاخذهم بذلك كله، بما يكافئه عن عقابهم ونصره عليهم»[1].

فالجمع بين (**يُسِرُّونَ وَيُعْلِنُونَ**) واقترانهما فيه معالجة ربانية لنفس الرسول ﷺ، بحيث لا يبقى في نفسه حزنا بخصوص هذه الأقوال الصادرة من قادة قريش. كما يدُلُّ أيضاً على سعة علم الله تعالى إحاطته الواسعة، بمكنونات الإنسان وظواهره، فلا يخفى عنه شيء في ظاهر الإنسان وباطنه، سرّه وعلانيته... والإيمان بهذه الإحاطة الإلهية يدفع المؤمن إلى مراقبة ربِّهِ في كل ما يأتي أو يدع، فيطيعه فيما أمر، ويجتنب ما نهى عنه وحرم.

النموذج الثاني: قال تعالى على لسان نوح –عليه السلام–: ﴿ ثُمَّ إِنِّيَ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح: 9].جاءت هذه الآية في سياق بيان أحد أساليب الدعوة التي انتهجها نوح–عليه السلام– في دعوة قومه إلى الله تعالى، وقد تراوحت هذه الدعوة بين ثلاثة أساليب: الأول: أسلوب الرفق واللين، وقد قوبل هذا الأسلوب بالرفض والإصرار على الكفر والعناد، والثاني: أسلوب الجهر بالدعوة والمواجهة المباشرة، والثالث: أسلوب يقتضيه الموقف والمقام، يقوم على أمرين، أحدهما

[1]–ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج4، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1. 2001، دار الكتب العلمية. ص463. الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: المجلد9. ص72.

الإعلان عند اقتضاء الحاجة، والثَّاني الإسرار عند الضرورة. قال الإمام الطبري (ت310ه): «يقول: صرحت لهم، وصحت بالذي أمرتني به من الإنذار...وأسررت لهم ذلك فيما بيني وبينهم في خفاء»[1].

والجمع بين الإعلان والإسرار في الآية تنويع وتجديد في أساليب الدعوة التي سلكها نوح –عليه السلام– مع قومه؛ لأن «الجمع بين الحالتين (الإعلان والإسرار) أقوى في الدعوة وأغلظ من إفراد أحداهما[2]». فنوح –عليه السلام– في دعوة قومه إلى الله ونبذ عبادةالأصنام، توخى كما يقول الطاهر بن عاشور الأسلوب الأكثر تأثيراً ونفاذاً إلى قلوبهم؛ «فيجهر حين يكون الجهر أجدى، مثل مجامع العامة، ويسر للذين يظنهم متجنبين لوم قومهم عليهم في التصدي لسماع دعوة نوح–عليه السلام–، ويشهد لهذا الأسلوب في الدعوة استعماله وتوزيعه لضمائر الغيبة في قوله ﴿ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ على مختلف هيئات الناس وأحوالهم »[3].

ونلاحظ أيضاً أنَّ اللهَ تعالى أكد أسلوب الإسرار في الدعوة ليدل أن نوح – عليه السلام– كان على درجة فائقة من الذكاء، حيث راعَ شعور المدعوين، حيث جعل لكل صنف من الناس أسلوباً خاصا يدعوهم به إلى الله تعالى، والإسرار أسلوباً استعمله في دعوة سادة القوم وقادتهم، لشعورهم ربما بالإحراج، إذا تمت دعوتهم أمام أتباعهم، فهو من باب: أنزلوا الناس منازلهم. وعليه فإنَّ اقتران (السر والعلانية) في الآية فيه تبيِّين لأساليب الدَّعوة إلى الله تعالى الكثيرة، منها هذا الأسلوب، وعليه فإننا نلاحظ أنَّ نوحاً –عليه السلام– وهو يدعوا قومه إلى الله تعالى قد زاوج بين الأسلوبين، واستعمالهما هنا إشارة إلى الحكمة البالغة التي يتوجَّبُ على الدعاة أن يتعاملوا بها مع المدعوين إلى الله تعالى.

4_ الأثر البلاغي لاقتران (السر والعلانية):

أ_ التعليل:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يس: 74. 76]. يظهر لنا

---

[1]–ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج23. ص292. 293.

[2]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: المجلد12. ص197.

[3]–المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

من خلال القراءة المتأنية لهذا النص القرآني أن اقتران (السر والعلانية) ورد «تعليلا للنهي عن حزن النبي ﷺ لإعراض المشركين عن دعوته » في قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ «حتى لا ينشغل بال الرسول ﷺ بإعراضهم عن قبول الدين الحق، وأن الله تعالى سيكفيه أمر من ناوؤوه وعادوه»[1]، ثم علَّلَ هذا النَّهي بإخبار نبيِّهِ ﷺ بأنَّه عَلِيمٌ بأحوالهم الخفية في نفوسهم، والظاهرة في أقوالهم وأفعالهم. وفي هذا الإخبار دليل على عِلمِهِ الشَّامل والمحيط بكل شيءٍ. ومن هذا المنطلق يتَّضِحُ لنا أنَّ التعليل هنا«كناية على أنَّهُ سبحانه وتعالى قد أحصى عليهم أقوالهم ما أخفوه وما أعلنوه»[2] وهو التَّعليل الذي يسميه أبو السعود«تعليل صريح النهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الإشعار»[3] لأنَّ علم الله بسرِّ الإنسان وعلنه، يستلزم مجازاتهم عن جميع أفعالهم وأقوالهم الظَّاهرة والباطنة؛ لأنَّ الله لا يعزب عن علمه شيء فهو بكل شيء عليم.

ب_ التأكيد:

نلاحظ هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ [نوح: 9]، فالجمع بين الإعلان والإسرار في الآية يمثِّلُ جانباً من جوانب التطور والرقي والتميز في أسلوب دعوة نوح –عليه السلام– إلى الله تعالى، بينه عند اعتذاره إلى الله تعالى، وشكواه إليه، بسبب عدم استجابة قومه إلى دعوته، فقد بين أنَّ دعوته كانت مزيجاً من الأساليب والطرق؛ جهر وإسرار، هذه الأساليب دليل واضح وقوي على أنَّه كان شديد التمسك بدعوته، وتبليغ رسالته مهما كانت الأحوال والظُّروف، فقد دعاهم (جهاراً)، ثم صَعَّدَ في أسلوب دعوته، وارتقى بها حين قرن فيها بين الجهر والإسرار، فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴾ وهو هنا يتحدَّثُ عن أسلوبه في الدَّعوة إلى الله تعالى، حيث استعمل أسلوب الجهر والإعلان تارة، كما استعمل أسلوب السر والمبالغة في الإسرار تارة أخرى، وفي ذلك دلالة على حرصه بأن يصل برسالته ودعوة قومه إليها وهدايتهم إلى النهاية، يظهر هذا الحرص والإصرار من خلال أسلوب التَّأكيد الظاهر في الآية، فقد عبَّرَ عن أسلوب الجهر بلفظين يؤكِّد أحدهما الآخر، عبَّرَ بلفظ الجهر فقال: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴾[نوح:8] ثم أكده بلفظ (العَلَنِ) فقال ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ ﴾. وعبر عن أسلوب السر بلفظين أيضا على سبيل

---

[1]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: المجلد: 9. ص72.

[2]–المرجع نفسه، ج23، ص72.

[3]–أبو السعود: تفسير أبي السعود، ج7، ص179، 180. انظر: تفسير النسفي: ج3، ص113.

التَّأكيد، فقال: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ نلاحظ مجيء اللفظ (إسراراً) كما يذكر ابن عاشور منتصباً «على أنه مفعول مطلق مفيد للتَّأكيد.» [1].

ويظهر من خلال استعماله للأسلوبين أنَّه كان على درجة عالية من الذكاء والفطنة. حيث رَاعَى الظروف، والنفوس، وأنزل الناس منازلهم. فقد استعمل أسلوب الجهر والإعلان مع الناس عموماً في النوادي، والأماكن العامة. واستعمل أسلوب الإسرار كما يشير ابن عاشور مع «سادة قومه وقادتهم، لأنَّهم يمتعضون من إعلان دعوتهم بمسمع من أتباعهم»[2]

وقد أشار هذا الأثر البلاغي إلى حرص النبي نوح -عليه السلام- على النجاح في إيصال رسالته وتبليغها لقومه استجابة وتنفيذاً لأمر ربِّه سبحانه وتعالى بكل الوسائل والأساليب، والتِّي منها الجهر والإسرار، فلم يقصر أو يفرط في تنفيذ أمر ربه سبحانه وتعالى.

ب_ التأكيد بالتذييل:

وقع اقتران (**السر والعلانية**) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ تذييلا لتعليل نهي النبي ﷺ عن الحزن في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [يس: 74. 75]. فإن الوقوف عند قوله تعالى ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ مع الابتداء «**إنا نعلم**» أحسن من الوصل، والمعنى فيها تام، وواضح يحسن السكوت عليه. فعبارة الاقتران الثنائي ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ليست من كلامهم، يقول الإمام الطاهر بن عاشور: «لا يخطر ببال سامع أنهم يقولون: إنَّ الله يعلم ما يسِّرون وما يعلنون، ولو قالوه لما كان ذلك مما يحزن النبي ﷺ فكيف ينهى عن الحزن منه»[3]

وعليه فإنَّ جملة الاقتران ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ حققت معنى الكلام قبلها من نهيِ النبي ﷺ، عن الحزن من كلام المشركين المعرضين عن دعوته، وأكدت له أنَّ علم الله قد أحاط بأحوالهم كلها، جزئياتها وكلياتها لا يغيب عن علمه شيء سبحانه وتعالى.

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص197

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-أبو السعود: تفسير أبي السعود، ج23، ص73.

ت_ التقديم والتأخير:

نلاحظ في قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [يس: 76]. تقديم (السر) على (العلن) للدلالة أولا على «إحاطة علم الله تعالى بأحوالهم، واستيعاب علمه جزئيات الأمور وكلياتها»[1] والمبالغة ثانيا في بيان شمولية علمه تعالى، وإحاطته بجميع المعلومات الكامنة في النفوس والظاهرة المعلنة، فَعِلمُه سبحانه بما يسرون وما يعلنون سواء في حقيقة الأمر؛

لأنَّ علمه لا يتعلق بِصُوَرِ الأشياء الظاهرة فحسب، بل يتعلق بالأشياء الكامنة في البواطن والنفوس. فلا يختلف عنده حالها الظاهرة المعلنة أو الكامنة.كما قدم (السر) على (العلن) أيضاً«لأنَّ مرتبته متقدمة على مرتبة (العلن)، فما من شيءٍ يعلن إلاَّ وهو مضمر في القلب قبل إعلانه، فتعلق علمه سبحانه وتعالى بحالتهم الأولى(ما يسرون) متقدم على تعلقه بحالتهم الثانية (ما يعلنون)» [2]، أمَّا في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح: 9]. فإننا نلاحظ تقديم (العلن) على (السر) لأنَّ السياق اقتضى ذلك، إذ الأمر قد تعلق بنبيه نوح –عليه السلام– وبيان أساليبه المتنوعة في دعوة قومه إلى الله تعالى.

ونلاحظ أيضاً علة أخرى تظهر للمتدبر وللباحث في أسرار ألفاظ القرآن الكريم وتموضعها في الآيات والسور القرآنية، ففي مسألة التقديم والتأخير في ثنائية (السر والعلن) نجد أنَّ الآية إذا تعلق الخطاب فيها بالكافرين أو المشركين قدم (السر) على (العلانية)، تهديداً ووعيداً لهم، وإذا تعلقَ الخطاب بالمؤمنين قدم (العلانية) على (السر) تبياناً وتعليماً لطرائق الدعوة ووسائلها.

ث_ الطباق:

يظهر لنا هذا الأثر البلاغي في الآيتين، في قوله تعالى ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [يس:76]. وفي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح:9].حيث طابق بين (السر والعلن) وكلاهما ضدان.فـــ(السر)، الأمر الذي يخفيه المرء في نفسه، من الأمور التي عزم عليها ولا يحبُّ أن يطَّلع عليها أحد من النَّاس، ضدَّ (العلانية) كلُّ ما يعلنه المرء من الأمور التي

---

[1]–أبو السعود: تفسير أبي السعود، ج7. ص179. 180.

[2]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

كان قد أسرَّها في نفسه أو أخفاها عن علم النَّاس وأنظارهم من قول أو فعل، بحيث يمكنهم الاطِّلاع عليها دون عائق.

ودلالة الطِّباق في الآيتين يشير إلى سعة علم الله تعالى بخلقه، واطِّلاعه على أحوالهم الظَّاهرة والباطنة، السِّرِّيَّة والعلنيَّة. كما أنَّ علمه لا يتوقف عند ما يظهره الإنسان فقط، بل يتعداه إلى علم بواطنه وخفاياه، وهذا إن دَلَّ على شيء فإنما يدلُّ على كمال الله تعالى في صفاته وأسمائه. فلو كان علمه مقتصراً على علم الظَّواهر لاحتاج إلى من يعلمه بالأسرار والبواطن، وهذا محال في حقِّ الله تعالى فعلمه كامل، بالسَّرائر والظَّواهر.

كما يشير الطِّباق في الآيتين إلى وجوب مراقبة الله تعالى في السر والعَلَنِ، هذه المراقبة التي تدل على قوة إيمان العبد بربِّه سبحانه وتعالى. فهو الإله المطَّلِعُ على ظاهره وباطنه، العالم بسرِّه وعلانيته. لا يخفى عليه شيءٌ من أقواله وأفعاله، ولا يغيب عنه شيء من أحواله وخواطره، فهو سبحانه العليم الخبير، السَّميع العليم، الرَّقيب الشَّهيد. قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: 4].

خامساً: الصراط المستقيم

1_ نماذج اقتران الصراط المستقيم:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	الشورى	52
02	﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	الزخرف	43
03	﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾	الفتح	3

2_ دلالة الصراط المستقيم:

أ_ دلالة الصراط:

الدلالة اللغوية:

جاء لفظ (الصِّراط) «بالصَّاد، وهي لغة قريش التي جاء بها الكتاب، وعامة العرب تجعلها سِيناً»[1] للدلالة على الطَّريق الواضح، وإنَّما قيل له صِرَاطاً «لأنَّه كان يسترط المارَّة لكثرة سلوكهم فيه»[2]، ويضيف الزبيدي معلِّلاً هذه التَّسمية: «لأنَّ الذَّاهب فيه يغيبُ غيبةَ الطَّعام المُسْتَرَط، وقيل لأنَّه كان يَسْتَرِطُ المارَّة لكثرة سلوكهم فيه، فعلى الأوَّل كأنَّه يبتلع السَّالك فيه، وعلى الثَّاني كأنَّ السَّالك يبتلعه»[3]. يقول ابن القيّم معلِّقاً على هذه المعاني اللغوية: «فالمشهور أنَّه من صرطت الشيءَ أصرطه، إذا بلعته بلعاً سهلاً، فسُمِيَّ الطَّريق: صراطاً؛ لأنَّه يسترط المارَّة فيه»، ويضيف ابن القيم موضحًا أكثر: «والصِّراط ما جمع خمسة أوصاف: أن يكون طريقًا مستقيمًا، سهلاً، مسلوكًا، واسعًا، موصلاً إلى المقصود، فلا تُسَمِّي العرب الطَّريق المعوج: صِراطًا، ولا الصَّعب، ولا المسدود غير الموصل، ومن تأمَّل موارد الصِّراط في لسانهم واستعمالهم تبيَّن له ذلك»[4] قال الشاعر: [من الوافر] [5].

أمـــيرُ المـــؤمنين علـــى صِـــراطٍ إذا اعْـــوَجَّ المـــوارِدُ مُسْـــتَقِيمِ

الدلالة الاصطلاحية:

تعدَّدَت مفاهيم (الصِّراط) عند العلماء خاصَّة منهم المفسِّرين، فيورد ابن كثير « أنَّ ابن مسعود ﷺ قال: الطَّريق المستقيم هو كتاب الله تعالى. روى الإمام علي ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: "**الصِّراط المستقيم كتاب الله**»[6] غير أنَّ الطبري (ت310ه) يميل إلى معنىً آخر للفظ (الصِّراط) في الآية فيقول: «الصِّراط هو: رسول الله ﷺ وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر»[7].كما ذكر أنَّ

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب ج7، ص313.

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-السيد محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس:ج: 19، ص: 345.

[4]-ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد: ج2، ص: 416. 417. أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، ص289.

[5]-جرير: ديوان جرير: ص411، من قصيدة بعنوان: أكرم بالخؤولة والعموم، يمدح فيها هشام بن عبد الملك.

[6]-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ج1. ص: 55.

[7]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1. ص171.

الصِّراط هو: «المنهاج الواضح البين أخذاً من قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: 6]...وقد أجمعت الأمَّة من أهل التَّأويل جميعًا على أن الصِّراط هو الطَّريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه»[1].وقد جاء في السُّنة الشَّريفة ما يثبت هذا المعنى فقد روى النَّواس بن سمعان ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « **ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً صِرَاطاً مُسْتَقِيماً، وَعَلَى جَنبَتَي الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَة، وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاة، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعاً، وَلاَ تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئاً مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ؛ قَالَ: وَيْحَكَ لاَ تَفْتَحْهُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ: الإِسْلاَمُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالأَبْوَابَ الْمُفَتَّحَة: مَحَارِمَ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابَ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ**»[2].

ب_ دلالة المستقيم:

الدلالة اللغوية:

المستقيم اسم فاعل من: «استقام يستقيم استقامة، بمعنى: الاستواء، يقال: طريق مستقيمٌ إذا كان مستوياً غير معوَّج. قال تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: 6]ويقال: استقام الإنسان: إذا اعتدل في سلوكه، وكانت أخلاقه فاضلة». قال تعال: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ** ﴾[الأحقاف:13] [فصلت: 30]؛ بمعنى استووا واعتدلوا. فالاستقامة في اللُّغة إذن هي: الاستواء والاعتدال، وعدم الانحراف أو الاعوجاج[3].

الدَّلالة الاصطلاحية:

لا تختلف دلالة (المستقيم) اللغوية عن دلالته الاصطلاحية، فلفظ (المستقيم) في اصطلاح العلماء يدل على الاعتدال والاستواء وعدم الاعوجاج، وهو صفةٌ للصِّراط أو الطَّريق «الذي نَصَبَهُ الله تعالى لأهل نعمته، وجعله طريقاً إلى رضوانه وجنَّته، وهو دينه الذي لا دين سواه»[4].

---

[1]-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ج1. ص: 55.

[2]-أحمد بن حنبل: المسند: رقم: 17634.

[3]-أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1، ط1. 2008، عالم الكتب، القاهرة، ص1875.

[4]-ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد: ج2. ص: 412.

يُعرَّفُه ابن القيم بأنَّه:«طريقُ الله الذي يرتضيه لعباده، الموصل لهم إليه، ولا طريق إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة على الخلق إلاَّ طريقه، الذي نَصَبَهُ على ألسنة رسله وجعله موصلاً لعباده إليه»[1]. ثُمَّ يفصِّل ابن القيم في حقيقة (الصِّراط المستقيم) كما يراه فيقول: «إفراده بالعبوديَّة، وإفراد رسوله بالطَّاعة، فلا يشرك به أحداً في عبوديته، ولا يشرك برسوله أحداً في طاعته»[2] ومن هذا المنطلق فإنَّ الصِّراط المستقيم كما يعرفه ابن القيِّم –رحمه الله– هو الطَّريق الصَّحيح المؤدِّي إلى السَّعادة، والفلاح في الدنيا، والآخرة، مبناه الصِّدقُ مع اللهِ تعالى وطاعته، والصِّدق والمحبَّة هما مضمون شهادة التَّوحيد، فكل معاني (الصِّراط المستقيم) تدور حول الصِّدق والطَّاعة.

3_ تفسير(الصِّراط المستقيم):

النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الشورى: 52]، جاء اقتران(**الصِّراط المستقيم**) في سياق بيان وظيفة الرَّسُول ﷺ وتحديدها، أي: إنَّك تهدي بالإسلام، من الكفر والضَّلال إلى صراطٍ مستقيمٍ. يقول ابن جرير الطَّبري في بيان ﴿**صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾: «أجمعت الحُجَّة من أهل التَّأويل جميعاً على أنَّ الصِّراط المستقيم هو الطَّريق الواضحُ الذي لا اعوجاج فيه»[3].بل قال أبو السعود: «هو الإسلام وسائر الشَّرائع والأحكام»[4] وهذا الطَّريق الموسوم بالوضوح والاستقامة هو عند الإمام الطاهر بن عاشور الإسلام: «فالإسلام فيه الهدى في الحياتين، فمتَّبعه كالسَّائر في صراط مستقيم، لا حيرة في سيره تَعتَرِيهِ حتَّى يبلغ المكان المراد» [5].فالصِّراطُ المستقيم على هذا الأساس هو الإسلام، بأخلاقه وشرائعه ومعاملاته، كل ما جاء فيها مستقيم وسوي يتلاءم مع طبيعة الإنسان وفطرته، لا انحراف فيها ولا اعوجاج. دلَّ على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا** ﴾ [الأنعام:161]

---

[1]–ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد: ج2، ص 452. 453.

[2]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]–ابن جرير الطبري: تفسير الطبري: ج1، ص170. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ج1. ص: 55

[4]–أبو السعود: تفسير أبو السعود، ج8، ص38.

[5]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: المجلد: 9، ص346.

النموذج الثاني:

قال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف: 43]. والمعنى: «استمسك يا محمد بالقرآن الذي أوحيناه إليك، فتمسُّكَكَ به طريق مستقيم، ومنهج سديد، فهو دين الله الذي أُمرتَ به، وهو الإسلام.»[1]وهذا الحقُّ البيِّنُ الواضحُ، والطَّريقُ المستقيمُ الذي بُعِثَ به النَّبيُّ ﷺ فإنَّ وقعه وأثره في النفوس هائل وعظيم، ما لاَمَسَ شِغَافَ القُلُوب لأوَّل وهلة، إلاَّ ونطقت بعظمته، معبرَّة عمَّا مسَّها من هذا الحقِّ والطَّريق المستقيم. ومن هؤلاء الذين تأثروا بالصِّراط المستقيم، ما حكاه الله تعالى على لسان نفر من الجنِّ ممن استمعوا إليه فـــقالوا: ﴿يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف: 30]. أي: «هذا القرآن يرشد إلى الحقِّ المبين، وإلى دين الله القويم»[2]، والصِّراط المستقيم.

النموذج الثالث:

الهداية إلى الصِّراط المستقيم في نظر القرآن الكريم نعمة من الله تعالى وفضل منه سبحانه أسداه إلى نبيِّه عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: 2]. والمقصود بالصِّراط المستقيم في الآية «سبل الحقِّ والدِّين الذي اتَّضحت بعد الفتح، واستقامت مناهجه ما لم تَتَّضِح وتحصل قبل الفتح»[3].

3_ الأثر البلاغي لاقتران (الصراط المستقيم):

أ_ التَّنكير: نلاحظ اقتران (الصراط المستقيم) في هذه النماذج القرآنية أنَّها جاءت نكرة، و لم تجئ مُعَرَّفَة بالألف واللام؛ لورودها في سياق الإخبار من الله تعالى عن صراطه المستقيم، وهدايته لرسوله ﷺ، فالخطاب فيها إذن موجَّهٌ إليه؛ لأنَّ المخاطبين و لم يكن لهم عهد به، أو معروف لديهم؛ لذلك جاء نكرة غير معرّف بالألف واللام. قال ابن القيم رحمه الله: «إنَّها ليست في مقام الدعاء، وإنَّما هي في مقام الإخبار من الله تعالى عن هدايته إلى صراطٍ مستقيمٍ وهداية رسوله إليه، و لم يكن للمخاطبين عهدٌ به، و لم يكن معرفا لهم، فلم يجئ معرَّفًا بلام العهد المشيرة إلى معروفٍ في ذهن

---

[1]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20. ص602.

[2]-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير: ج3، ص: 113.

[3]-أبو السعود: تفسير أبو السعود، ج8، ص104.

المخاطَب. ولا تقدمه في اللَّفظ معهود تكون اللام مصروفة إليه»[1]ويضيف ابن القيم مفصِّلاً: «إنَّ لاَمَ العهد تأتي في موضعين: أن يكون لها معهود ذهني، أو ذكر لفظي. ولا واحد منهما في هذه المواضع، فالتَّنكير هو الأصل، بخلاف قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[الفاتحة: 6]؛ فإنَّه لَمَّا تقرَّرَ عند المخاطبين أنَّ لله صراطاً مستقيماً، هدى إليه أنبياءه ورسلَهُ، وكان المخاطبُ _ سبحانه_ العالم به والهادي. دخلت الألف اللام عليه، فقال﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ .أمَّا تنكير(الصِّراط)في قوله ﴿وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ [الفتح: 2] فيشير ابن القيم إلى أنَّ الله تعالـــى«لم يرد به صراطاً مستقيماً في الدِّين، وإنَّما أراد صراطاً مستقيماً في الرَّأي والحرب والمكيدة»[2]، وهذه الدَّلالات له أسباب معيّنة، تختلف باختلاف صاحبها، ولذلك لم يتعيِّن الصِّراط أو يعرَّف؛ ليتحدَّد الغرضُ منه، وإنَّما أورده نكرة ليقصد به هذه الدَّلالات.

أمّا مجيئه نكرة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى52]، «لإرادة التَّعظيم والتَّفخيم، فهو صراطٌ وأي صراطٍ؛ لو عُرف قدره لاهتدت إليه الإنسانية جمعاء، فجاء التَّنكير هنا في مقام التَّعريض بالمشركين الذين لم يأبهوا بهدايته»[3]. فقد كَبُرَ عليهم ما يدعوهم إليه، مع أنَّه يهديهم إلى صراط مستقيم. ومن جهة أخرى يظهر لنا معنى آخر لورود اقتران (الصراط المستقيم) نكرة للدلالة على أن الاستقامة هي من خصائص الإيمان بالله تعالى وأثر من آثاره، ذلك أنَّ الله تعالى بيَّن للرَّسول رسالته ووظيفته التي من أجلها أرسل وهي أنَّهُ «يَهْدِي من الكفر والضلال إلى (صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، ولو قال في هذا الموطن: (إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ)، لجعل للكفر والضَّلال حظًّا من الاستقامة؛ إذ الألف واللام تُنبئ أنَّ ما دخلت عليه من الأسماء الموصوفة، أحقُّ بذلك المعنى مما تلاه في الذِّكْرِ، ولا يكون أحقّ به إلاَّ والآخر فيه طَرَف منه»[4].

ب_ الإجمال والتَّفصيل:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى:52].فقد ورد لفظ(**صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**) في الآية مجملاً غير مفصل، و لم يُنسَب ابتداء إلى اسم الجلالة (الله) «حتى تتشوف إلى ماهيته

---

[1]-ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد: ج2، ص: 412. 413

[2]-المصدر نفسه، ص413.

[3]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج25، ص155.(بتصرف)

[4]-ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد، ج2، ص413.

النُّفوس والعقول».كما قال الطاهر بن عاشور[1] والمعنى إنَّ الرَّسُول ﷺ يُرشدُ إلى دين قيِّم مستقيم، هو الإسلام. ثم فَصَّلَ ماهيَّة هذا الصِّراط فقال: ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى: 53].مبيّناً سبب استقامة هذا الصراط الذي يهدي إليه النبي ﷺ بأنَّه صراط الله الذي يملك ما في السموات وما في الأرض فلا يعزب عنه شيء مما يليق بعباده.

ت_ التَّعليل:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف: 43. 44]. ففي هذا النَّص القرآني أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ فيه بالثَّبات على دينه، وألاَّ تَلِينَ إرادته في الدَّعوة إلى إليه سبحانه، بسبب تَصَلُّبِ المشركين في كفرهم، ونفورهم من دعوته. ثُمَّ علَّلَ سبحانه وتعالى أمر الاستمساك به والثَّبات عليه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ «والصِّراط المستقيم هو العمل بهذا الوحي»[2].وهذا التَّعبير في حد ذاته يحمل معنى المدح والثَّناء من الله تعالى للرسول ﷺ. ثُمَّ أتبع اقتران(الصراط المستقيم) في الآية بقوله ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾[الزخرف: 44].وفي الآية إشارة إلى أنَّ هذا المدح والثَّناء، قد شمل القرآن الكريم، وخصَّهُ به، كما شرَّف من آمن بالله، وآخذ بالقرآن من قومه ﷺ.

ث_ التَّأكيد بـــ(إنَّ):

سبق وأن لاحظنا أنَّ التَّأكيد بـــ (إنَّ) من أكثر أدوات التَّأكيد دوراناً في القرآن الكريم، وأقوى من غيرها في التأكيد، وقد قرَّرَ العلماء بأنَّها تفيد مع التَّأكيد التَّعليل. ففي قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف: 43]. أمر الله نبيَّه ﷺ أن يستمسك بالقرآن الكريم، وألاَّ يملَّ أو ييأس في الدَّعوة إلى الله بسبب كفر قومه وعدم إيمانهم به، مؤكداً له ومعلِّلاً في الوقت نفسه بأنَّه على طريق واضح ومستقيم، غير ذي عوج. وهو الأمر الذي يبعث في نفسه الطُّمأنينة والمضي في تبليغ رسالته بكل عزيمة وصدق.

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج25، ص155.

[2]-المرجع نفسه، ص219.

والمعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى: 52] ففي الآية إخبار من الله تعالى لنبيِّه ﷺ بأنَّ مهمَّته ووظيفته هيَ هداية النَّاس إلى صراط مستقيم، جاء هذا الخبر في الآية مُؤَكَّداً بأداة التَّأكيد (إنَّ) تنبيهاً للاهتمام بوظيفته التبليغيَّة من جهة، ولتثبيت قلبه ﷺ بالشَّهادة له بهذا المقام العظيم من جهة أخرى، فالخبر كمل يذكر الطاهر بن عاشور: «مستعمل في لازم معناه»[1]، وقد يحمل التَّأكيد في الآية معنى التَّعريض بالمنكرين لهديه عليه الصَّلاة والسَّلام. فاستعمال أسلوب التَّأكيد في هذا الموضع، للتَّنبيه على وظيفته ورسالته، المتمثلة في هداية النَّاس إلى صراط الله المستقيم، وفيه أيضاً إبطال لإنكارهم وكفرهم.

ح_ العدول أو الالتفات:

نلاحظ هذا الأثر البلاغي في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الزحرف: 43].فقد أمر في الآية نبيه عليه الصلاة والسلام بالاستمساك بالقرآن، الذي أوحى به إليه، والثَّبات على دينه مهما لقي في طريقه من أذى، أو نفور، وعدم قبول لدعوته؛ لأنَّه على طريق صحيح مستقيم، قائلا: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيْكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الزخرف: 43] فكأنَّه قيل له: (**إنه صراط مستقيم**) ولكن «عدل عن ذلك إلى قوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ ليفيد أنَّ الرَّسُولَ ﷺ راسخٌ في الاهتداء إلى مراد الله تعالى، مُتَمَكِّنٌ فيه، كما يَتَمَكَّنُ السَّائر من طريق مستقيم، لا يشوبه في سيره تردُّد في سلوك، ولا خشية الضلال في بنياته» [2].**لقوله تعالى:** ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل:79]

من جهة أخرى نلاحظ أنَّ الخطاب في هذه الآية عُدِل فيه عن إضافة لفظ (الصِرَاطِ) إلى لفظ الجلالة(الله) كما أضافه في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: 53] لأنَّ المقام مقام وصف للصِّراط بكونه مستقيما على سبيل الإجمال«الذي يعقبه التفصيل ليتمكن بهذا الأسلوب المعنى المقصود فَضلَ تمكن»[3] .بمعنى آخر عُدُولٌ من أسلوب الخطاب الذي كان موجهاً للنَّبي ﷺ مبيّنا له وظيفته المتمثلة في هداية النَّاس إلى الصِّراط المستقيم، إلى أسلوب الوصف والإخبار عن حقيقة هذا الصِّراط وماهيته.

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج25، ص155.

[2]-المرجع نفسه: ج25. ص220.

[3]-المرجع نفسه: ص155.

السادساً: الصلاة والزكاة:

1_ نماذج اقتران الصلاة والزكاة:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ﴾	المزمل	20
02	﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾	الأعلى	15 .14
03	﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾	البينة	5

2_ دلالة (الصلاة والزكاة)

أ_ دلالة الصلاة:

الدلالة اللغوية:

الصلاة كما ذكر ابن فارس: «من مأخوذة من(صَلَّى): فالصَّاد واللَّام والحرف المعتل أصلان، أحدهما النَّار وما أشبههما من الحمَّى، والآخر جنس من العبادة... والصَّلاة وهي الدُّعاء، قال الرَّسُول ﷺ: (إذا دُعيَّ أحدُكم إلى طَعَامٍ، فإنَّ كان مُفْطِراً فليأكل، وإنْ كان صَائِمًا فَلْيُصَلِّ) [1] أي: فَلْيُدْعُ لَهُمْ بِالخَيْرِ وَالبَرَكَة»[2]. قال الأعشى: [من البسيط] [3]

تَقُــولُ بِنْتِــي وَقَــدْ قرَّبْــتُ مُــرْتَحَلاً ... يا ربِّ جَنِّــبْ أَبِــي الأَوْصَــابَ والوَجَعَــا

عَلَيْكِ مثــلُ الــذِي صَــلَّيْتِ فَاغْتَمِضِــي ... يوْمًــا فــإنَّ لجنــبِ المــرءِ مُضْــطَجَعَا

أي: لك مثل الذي دعوت به. وتأتي الصَّلاة بمعنى «العبادة التي جاء بها الشَّرع، مِنْ الرُّكوع والسُّجود وسائر حدود الصَّلاة، ومن معانيها في اللُّغة الرَّحمة، جاء في الحديث (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ

---

[1]-صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، رقم: 2676.

[2]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة ج3، ص300، 301

[3]-ديوان الأعشى الكبير: شرح وتعليق محمد حسين، مكتبة الآداب بالجمازيت، مكة المكرمة، ص101.

أَبِي أَوْفَى) يريد بذلك الرَّحمة»[1].

الدلالة الاصطلاحية:

الصلاة في الشرع هي العبادة المعروفة؛ قربة فعليَّة، ذات إحرامٍ وسلامٍ أو سجودٍ فقط. فيدخل فيها سجود التلاوة وصلاة الجنازة. والقربة ما يتقرب به إلى الله تعالى، أما الفعلية فهي تشمل أفعال الجوارح من الركوع والسجود، وأفعال اللسان من قراءةٍ وتسبيحٍ، وعمل القلبِ، من خشوعٍ وخضوعٍ. وإنَّما سميَّت الصلاة الشرعية بذلك؛ لأنَّها ثانية الإيمان، كالثاني في حلبة السباق، أو لأنَّ فاعلها متابع لرسول الله ﷺ، كما يتابع الفرس الثَّاني الأوَّل. وقيل: مأخوذة من تصليَّة العود بالنَّار ليُقَوَّم، ولما كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، كانت مُقَوِّمَة لفاعلها. وقيل: مأخوذة من الصلة، لأنَّها تصل بين الإنسان وربِّهِ.

وأكثر علماء اللغة والفقهاء يُجمعون على أنَّ الصَّلاة لغة هي الدعاء، وسميَّت هذه العبادة بهذا الاسم (الصلاة) مجازاً، إمَّا لأنَّ الدعاء جزء منها وهو قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: 6]. فسميَّت العبادة الشَّرعية بهذا الاسم من باب تسميَّة الكلِّ باسم الجزء، وإمَّا من مجاز التَّشبيه؛ لأن كل مُصَل خاضع متذلِّل لربِّه مشبَّه للدَّاعي بذلك.

فإذا ورد في الشرع أمر بالصلاة أو حكم معلَّق عليها، انصرف بظاهره إلى الصلاة الشرعية لا اللغوية؛ لأنَّه استعمل فيها المعنى اللغوي مجازاً لمناسبة بين معناها الشرعي ومعناها اللغوي كما تقدَّم، ثمَّ اشتهر استعمال لفظ (الصلاة) في المعنى الشرعي، فصارت حقيقة شرعية لكثرة دورانها على ألسنة أهل الشرع واستعمال الشارع. فما جاء بعد ورود الشرع من أمرٍ بها، أو حكم معلَّق عليها وَجَبَ حمله على معناها الشرعي ما لم يوجد دليل يصرفه عنه إلى اللغوي.

ب_ دلالة الزكاة:

الدلالة اللغوية:

الزكاة في اللغة مصدر زكا يزكو زكاءً، ومعناها النماء، يقال: زكا الزَّرع إذا زاد ونما وطاب، وزكت النَّفقة إذا بورك فيها وكثرت قال الإمام علي ﷺ: «المال تنقصه الصدقة، والعلم يزكو على الإنفاق» [2]يقال أرض زكيَّة: «أي طيِّبة، وكلُّ شيء يزداد وينمو، فهو يزكو زكاءً، وزكَّى الرَّجل

[1]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة ج3، ص300، 301

[2]-أخرجه مسلم في كتاب النكاح: باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة.

نفسه، إذا مدحها وأثنى عليها، وقيل الزَّكاة هي صفوة الشَّيءِ، وقيل هي العمل الصَّالح، وسمِّيَت صدقة المال زكاة؛

لأنَّها تعود بالبركة في المال الذي أخرجت منه وتنميه». [1] ويشهد لهذا المعنى حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**مَا نَقُصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَة**» [2]كما تُطلق الزَّكاة أيضاً على الطَّهارة، في قوله تعالى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: 74].

الدلالة الاصطلاحية: والزَّكاة في الاصطلاح هي: «الصَّدقة الواجب أخذها من المال، إذا بلغ قدراً مخصوصاً»[3]، عرفها العلامة أحمد الدردير رحمه الله تعالى بقوله: «إخراج جزء مخصوص من مال مخصوص، بلغ نصاباً لمستحقيه إن تَمَّ المُلك والحَولُ، غير معدن وحرث»[4] وهي الرُّكن الثَّالث في الإسلام بعد الشَّهادتين وإقامة الصَّلاة، تأتي الزَّكاة في المقام الثَّالث.

3_ تفسير(الصلاة والزكاة):

النموذج الأول: قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المزمل: 20].نلاحظ اقتران الصلاة بالزكاة في هذا النموذج ورد في سياق توضيح وبيان أهميَّتهما والتَّذكير «بأنَّ الصَّلوات الواجبة هي التي تحرصون على إقامتها وعدم التَّفريط فيها، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: 103]» [5]. وبإقامة الصَّلاة الواجبة وأداء الزَّكاة المفروضة، تبرأ ذمَّة المسلم أمام الله تعالى. فقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾بمعنى «أقيموا الصَّلاة المفروضة »[6]. والمراد من إقامتها المواظبة على أدائها في أوقاتها. ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: وأعطوا الزَّكاة المفروضة عليكم في أموالكم، ولا تنقصوا منها شيئاً. يذكر الماوردي(ت450هـ) ثلاثة أوجه في معنى هذه الآية، فيقول:أحدها: «أنَّها ها هنا طاعة الله، وهو قول ابن عباس، والثَّاني:صدقة الفطر، والثالث:أنَّها

---

(1)-ابن منظور: لسان العرب: ج14. ص358. القاموس المحيط: ج4. 341.

(2)-صحيح مسلم الحديث رقم: 2588.

(3)-عبد الرحمن الغرياني: مدونة الفقه المالكي، ج2، ط1. 2002. مؤسسة الريان. بيروت. لبنان. ص7.

(4)-أحمد الدردير: الشرح الكبير: ج1. ص430.

(5)-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص287.

(6)-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج23. ص397.

زكاة الأموال كلها، وهو قول عكرمة وقتادة» [1].

فَذَكَّرَ في الآية بفريضتين أوجبهما وجمع بينهما، حتى لا تكون رخصة لأحد في تركهما، أو التَّفريط فيهما، الصَّلاة والزَّكاة؛ فالصَّلاة أخت الزَّكاة وقرينتها ورديفتها في الذكر الحكيم. لايجوز لأحد أن يقيم إحداهما ويهدم الأخرى. فلا حظَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة، ولا برهان للإيمان لمن ترك الزكاة، وليس أدلَّ على اقترانهما والتزامهما دائماً قول أبي بكر الصِّديق ﷺ:والله لأقاتلنَّ كلَّ مَنْ فَرَّقَ بين الصَّلاة والزَّكاة.

النموذج الثاني:

أما اقترانهما في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلى: 14. 15]. فقد ورد في سياق المقابلة بين الوعد والوعيد على طريقة القرآن، أمَّا الوعيد فاللذين أعرضوا عن النظر في الدلائل التي تدل على وجود الله تعالى ووحدانيته، وإرسال الرُّسل والبعث والجزاء والحساب، وأمّا الوعد فلأولئك الذين زكُّوا أنفسهم، وطهَّروها من أدران الشِّرك والمشركين، بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة. وإنَّما يتمُّ ذلك بأمرين: أحدهما ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ **[الأعلى:14]** وقد ذهب المفسرون في معنى لفظ (تَزَكَّى) مذاهب شتَّى كما أشار إلى ذلك الإمام الطبري (ت310هـــ): « فيأتي عند ابن عباس بمعنى: التَّطهُّر من الشِّرك والرِّيَّاء، أما عكرمة فإنَّ معنى (تَزكَّى) عنده يأتي بمعنى: لا إله إلا الله، وعند آخرين يأتي بمعنى أداء زكاة المال»[2]، وعليه فإنَّ مَن طهَّرَ نفسه، ونقَّاها من رجس الكفر والشِّرك بالإيمان والإسلام، ونمَّى نفسه بالصَّالحات من الأعمال، فقد أدرك هذا الفلاح وظفر بهذا الفوز.ولا يُدرَكُ ذلك إلاَّ«عن طريق الإيمان بالله تعالى، ونَفيِ الشِّرك، والتَّصديق بكلِّ ما جاء به الرَّسول ﷺ مع العمل الصَّالح» [3].

والأمر الثَّاني في أسباب الفلاح ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: 15] أي: وعبد ربَّه بذكر اسمه مُعظِّمًا إيَّاهُ، ومؤمناً به، ومُسلِماً له فصلَّى، والمقصود بلفظ (الصَّلاة) في الآية كما يقول الإمام الطَّبري (ت310هـــ): « الصَّلوات الخمس، وذكر الله فيها بالتَّحميد والتَّمجيد

---

[1]-الماوردي: النكت والعيون، ج6. ط دون تاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص134.

[2]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج 24. ص: 321.

[3]-مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ط1. 1946، مطبعة مصطفى البابي الحلمي وأولاده، مصر، ج30. ص215.

والدُّعاء» [1] بمعنى: أحضر في قلبه صفات ربِّه سبحانه وتعالى، فخضع لجبروته وقَهرِه، فإنَّ الإنسان متى ذَكَرَ ربَّه وَجِلَ قلبه وخاف، وامتلأت نفسه خشية ورهبة. وصلَّى لربِّه وحده لا يشرك بعبادته أحداً، ودعاه وحده لا يشرك به شيئًا. قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: 2].

انطلاقا من هذه المعاني نستخلص أن اقتران(الصَّلاة والزَّكاة) والجمع بينهما في الآية إنَّما أراد الله تعالى به أن يبيّن للمؤمن أنَّ فوزه وفلاحه في الدنيا والآخرة، متوقفٌ على أمرين: زكاة نفس بتطهيرها من أسباب الشِّرك والهوى، وصلاة خاصَّة لله وحده لا شريك له. قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون:2.1]

الموذج الثَّالث:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: 5]. فقد جاء اقتران (الصَّلاة والزَّكاة) في سياق الحديث عن أهل الكتاب. الذي قال في شأنهم ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ **[البينة: 4]** والآية كأنَّها جاءت رفعاً لمعنويات الرَّسُول ﷺ، حيث وصف له سلوك أهل الكتاب وأخلاقهم السَّيِّئة، ثُمَّ نَبَّهَهُم إلى وظيفتهم الحقيقيَّة، التِّي من أجلها وُجِدُوا في هذه الحياة، فقال منبِّهاً: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: 5] وإقامة الصَّلاة: « من أصول شريعة التَّوراة كل صباح ومساء، وإيتاء الزَّكاة: مفروض في التَّوراة فرضاً مؤكَّداً »[2]. والمراد بإقامة الصَّلاة: «إقامتها بحدودها في أوقاتها؛ لأنَّها هي العمدة في باب العبادة البدنيَّة، وأداؤها في أوقاتها بشرائطها وأركانها وهيئاتها. والأمر بإيتاء الزَّكاة، لأنَّها الأساس في العبادات المالية، وإيتاؤها: صرفها إلى مستحقيها عند محلها»[3]. يقول الإمام المراغي: «الإتيان بها مع إحضار القلب لهيبة المعبود، ليعتاد الخضوع له، وإيتاء الزَّكاة إنفاقها فيما عُيِّنَ لها في الكتاب الكريم

---

[1]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج24. ص322.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص481.

[3]-محمد الأمين الهرري:تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج32.ط1. 2001، دار طوق النجاة، بيروت، ص214.

من المصارف»[1] وانطلاقا من هذه المعاني نلاحظ أنَّ اقتران الصلاة بالزكاة في الآية، جاء تتميماً لمواصفات وخصائص الدين القيم الذي جاء في الكتب القيمة؛ من عبادة وإخلاص، ونبذ الشرك واتِّباع الهوى، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

4_ الآثار البلاغية لاقتران (الصلاة والزكاة):

أ_ الأمر:

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ﴾ [المزمل: 20] نلاحظ في الآية القرآنية أمرين: أحدهما متعلِّقٌ بإقامة الصلاة، والثاني بإيتاء الزَّكاة، قد صدرا من الله تعالى لعباده المؤمنين على سبيل الإلزام، وقد جاء الأمران في صيغة الأمر الدالة على الاستقبال «تذكيراً بأن الصَّلوات الواجبة هي التِّي تحرصون على إقامتها وعدم التَّفريط فيها»[2]بدلالة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: 103] وأنَّ الزَّكاة الواجبة هي التي ينبغي أن تحرصوا على أدائها. والأمر بهما دعوة إلى الاستمرار في أدائهما والدَّوام عليهما دون انقطاع؛ لأنَّ الأمر كما ذكر الأصوليون يقتضي الوجوب. أمَّا النَّوافل فهيَّ على سبيل الاستحباب لا الأمر، ورغم ذلك ففيها خير كثير يعود على صاحبها بالنَّفع في الدنيا والآخرة، فعن معاذ بن جبل – ﷺ- قال: قال لي رسول الله- ﷺ-: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّة، والصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةُ كَمَا يُطْفِئُ المَاء النَّار، وصَلَاةُ الرَّجُل مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾** [السجدة: 16] [3]

أ_ التتميم:

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المزمل: 20].أي: «أقيموا الصلاة المفروضة وآتوا الزَّكاة الواجبة»[4]، والأمر بإقامة الصلاة في الآية تذكيرٌ من الله تعالى للمسلمين بوجوب

---

[1]-مصطفى المراغي: تفسير المراغي: ج30. ص215.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص287.

[3]-ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم والحكم، ج2. الحديث: 29. ص134. (رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح)

[4]-فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج30. ص187.

الحرص على إقامتها، والتَّفاني في أدائها، وعدم التَّفريط فيها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: 103]. والعطف على هذا التَّذكير بالأمر بإيتاء الزَّكاة، تتميمٌ عند البلاغيين؛ أي تَمَّمَ ذكر الصَّلاة بذكر الزَّكاة معها؛ لأنَّها قرينتها في القرآن، يقول الطاهر بن عاشور معلِّلاً هذا التتميم: «لأنَّ الغالب أنَّهُ لم يخل ذكر الصَّلاة من ذكر الزَّكاة معها، حتى استنبط أبو بكر ﷺ من ذلك أنَّ مانع الزَّكاة يُقَاتل على منعها، فقال لعمر ﷺ: لَأُقَاتِلَنَّ بين مَنْ فَرَّقَ بين الصَّلاة والزَّكاة»[1].

ومن هذا المنطلق يتبيَّن لنا أنَّ اقتران (الصَّلاة بالزَّكاة) في الآية جاء دعوة إلى الاستقامة على الدين وفرائضه، وهذه الاستقامة تشير بطريقة أو بأخرى إلى نوع من أنواع الشكر والامتنان لله تعالى، بعد أن يسَّرَ عليهم وخفَّفَ عنهم مما افترضه عليهم في بداية السورة. قال تعالى مبيِّنا هذا التَّخفيف: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المزمل: 20]

ب_ التقديم والتأخير:

نلاحظ في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلى: 14. 15]. أنَّه سبحانه قدَّم لفظ (تَزَكَّى) في قوله (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) وأخَّرَ لفظ الصَّلاة في قوله (فَصَلَّى) وفي ذلك سرٌّ عجيبٌ في تبيان معنى الآية، فالفلاح لفظٌ جامعٌ لكلِّ معاني الفوز والنَّجاح، جاء بصيغة الماضي للتَّنبيه على أنَّه محقق الوقوع في الآخرة، سيما وقد اقترن بحرف (قد) الذي يفيد التَّحقيق. والكلام وفق هذا السياق موجَّهٌ للأشقَى الذي سيصلَى النَّار الكبرى، ليلفت انتباهه لعلَّه يلتحق بالذين خشوا فأفلحوا. وقدَّم لفظ (التَّزكي) على ذكر الله تعالى والصَّلاة كما يوضِّح الطاهر بن عاشور«لأنَّه أصل العمل بذلك كله، فإنَّه إذا تطهَّرت النَّفس، أشرقت فيها أنوار الهداية، فعُلمت منافعها وأكثرت من الإقبال عليها.

فالتَّزكية:ارتياض على قبول الخير، والمراد تزكى بالإيمان» [2] وقد رُتِّبَت هذه الخصال الثَّلاث:

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج29. ص: 287.

[2]-المرجع نفسه: ج30. ص: 288.

التَّزكي، وذكر اسم الله تعالى والصَّلاة في الآية ترتيباً دقيقاً موافقا لأصل تواردها على النَّفس، فتزكيَّة النَّفس وتطهريها من رواسب الشرك والاعتقاد الباطل هو المقصود بقوله تعالى (تزكى).

ومعرفة العبد لربه سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا يدفعه إلى الخوف من عقابه ورجاء عفوه وإحسانه وهو المشار إليه بقوله تعالى: (وذكر اسم ربه). «فإذا استطاع العبد أن يطهر نفسه ويزكيها ويعرفها بربها فتخافه وتخشاه أقبلت هذه النفس على طاعته وعبادته وهو المشار إليه بقوله تعالى: (فصلى)» [1]. وهذا ما يعرف عند أهل التزكية بـــ (التخلية قبل التحلية)، والتخلية طهارة للقلب وتزكية للنفس. قال تعالى يؤكد هذا المعنى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة: 103].فالتخلية تكون قبل التحلية، ولذلك أمره الله أن يأخذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم، ثم أمره بالصلاة عليهم، أي أن يدعو الله تعالى بالبركة في أموالهم وأرزاقهم.

ت_ عطف الخاص على العام: جاء هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ **[البينة:5]** فقد عطف الاقتران الثنائي في قوله ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ على قوله ﴿لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ إذ وردت هذه العبارة بصيغة العموم، أمر فيها بالعبادة والإخلاص، ثم أعقبها بقوله: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ «مخصِّصًا لهذا العموم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة»[2].

وتجدر الإشارة أن اقتران(الصلاة والزكاة) هنا جاء متمِّمًا لأركان الدين القيم الذي شرعه الله تعالى لعباده، لذلك أشار إليه بأداة الإشارة في قوله ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ التي تفيد معنى البعد المشعر«بعلو مرتبتهما وبُعد مترلتها في الشرف والمكانة »[3].

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج30.ص288. (بتصرف)

[2]-الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج30. ص204. (بتصرف بسيط)

[3]-المصدر نفسه، ج30، ص204.

سابعاً: العذاب الأليم

1_ نماذج اقتران العذاب الأليم:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	الأحقاف	24
02	﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾	الذاريات	37
03	﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	الانشقاق	24

2_ دلالة العذاب الأليم:

أ_ دلالة العذاب:

الدلالة اللغوية: جاء لفظ (العذاب) في اللغة بمعان عديدة، منها ما جاء بمعنى النَّكَالُ والعقوبة، قال ابن منظور: «العذاب هو النَّكالُ والعقوبة، وهو أيضاً الإيجاع الشَّديد»[1]، لقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ ﴾ [المؤمنون: 76]، ولقول زهير: [من البسيط] [2]

وخَلْفَهـا سَـائِقٌ يَحْـدُو إذا خَشِـيت منـه العَـذَابَ تَمُـدُّ الصُّـلبَ والعُنُقَـا

ثم استعير فاستعمل بمعنى الجوع، قال الزَّجاج: «العذاب الذي أُخِذُوا به الجوع»[3]. وقيل العذاب في الأصل حمل الإنسان على أن يَعذِبَ، أي: (يجوع ويسهر)[4]. واستعمل بمعنى الحبس الشَّديد، قال تعالى: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [النمل: 21]، أي أكثر حبسه في العذاب، وقال: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: 33]،

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب: ج1. ص585.

[2]-زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى، ط1. 1988، دار الكتب العلمية، بيروت، ص74.(البيت من قصيدة يمدح فيها هرم بن سنان)

[3]-ابن منظور: لسان العرب، .ج1. ص585.

[4]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص554. 555.

أي: ما كان يعذبَّهم عذاب استئصال. ويأتي بمعنى الأعمال الشَّاقة، ورد في الحديث الشَّريف: «**السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ**»[1].

الدلالة الاصطلاحية:

العذاب في الاصطلاح: «ألمٌ جسديٌّ أو نفسيٌّ شديد، أو كل ما شقَّ على النَّفس احتماله»[2] وآلمها. وهو المعنى الأكثر استعمالاً في القرآن الكريم، قال تعالى في وصف جهنم: ﴿**إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا**﴾ [الفرقان: 65]، أي عقوبتها. فالعقوبة فعلٌ يقع على الإنسان بالضَّرب والوجع، أو بالمنع والحبس، وهذه المعاني المصاحبة للفظ (العذاب) منحته مجالاً واسعاً، للتَّعبير عن أشكال وأنواع العذاب، وقد يكون هذا العذاب بهذه المعاني في الدنيا قبل الآخرة، لقوله تعالى: ﴿**عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ**﴾ [الأنعام 65]. وعليه فكل عقاب عاقب الله به أمة من الأمم، أو فرداً من الأفراد في الدنيا أو في الأخرى، هو العذاب؛ سواء كان هذا العذاب عامًّا كعذاب قوم نوح –عليه السلام–، أو كان خاصاً كما حصل لقارون، وسواء كان حسيًّا كالغرق والخسف والمسخ والزلزلة والصَّيحة، أو كان معنويًّا كطمس الأبصار والختم على القلوب، والطَّبع عليها، وعدم إجابة الدعاء وتسليط الشَّياطين. وسواء كان العذاب بسبب التَّطاول على الخالق وتكذيب الرُّسل، أو كان تعديًّا على المخلوقين، كقتل المستضعفين، والتَّطفيف في الموازين. وقد يعجل الله تعالى هذا العذاب في الدنيا قبل الآخرة، كقوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ**﴾[الأعراف: 94]

ب_ دلالة الأليم:

الدلالة اللغوية: ذكر الخليل(ت170هـ) أن الأَلَمَ هو «الوَجَعُ، والأليم: المُوجِع»[3]. قال ابن فارس: «الوجع: الألم»[4] والعذاب الأليم: الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ، قال الزمخشري: «الألم

---

[1]–صحيح البخاري، ج2، ط ابن كثير، ص639، وصحيح مسلم، ج6، ص55، ط دار الجبل.

[2]–أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج1. ط1. 2008. عالم الكتب، القاهرة، ص1474.انظر: معجم لغة الفقهاء لمحمد قلعجي، ط2. 1988. دار النفائس، بيروت، لبنان. ص307

[3]–الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج1 ص82.

[4]–أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج1. ص126. لسان العرب: ج12. ص22.

هو الموجع المؤلم»[1]، أمّا الأصفهاني (ت502هـ) فإن معنى (الأليم) عنده بمعنى«الوجع الشَّدِيد، يقال: أَلِمَ، يَأْلَمُ، أَلَمًا، فهو أَلِيمٌ»[2]. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ ﴾ [النساء: 104].

نستنتج مما سبق أنَّ المعنى اللغوي للفظ (الأليم) يلتقي بالمعنى نفسه للفظ (العذاب) إذ كلاهما يعني الوجع الشَّديد نتيجة العقوبة والضرب المفضي إلى الألم ومنه الألم الجسدي.

الدلالة الاصطلاحية:

العذاب الأليم هو «الوجع الشَّديد الذي يبلغ إيجاعه غاية البلوغ، وصيغة (أليم) على وزن فعيل تحمل معنى القوَّة والدَّوام»[3]. وهو ما توَّعدَ الله تعالى به الكافرين والمشركين يوم القيامة، جزاءً وفاقاَ.

3_ تفسير(العذاب الأليم):

النموذج الأول: قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأحقاف: 24]. الآية الكريمة جاءت وصفاً لما حدث لهود – عليه السلام– مع قومه عاد. وقد تحدوه وسفهوا دعوته ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ أي فأتنا بالعذاب الذي وعدتنا إن كنت صادقاً. قال ابن كثير: « استعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعاداً منهم وقوعه»[4]. ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ ﴾ فردَّ هود –عليه السلام– بأنَّ الأمر ليس كما زعمتم بل هو ما استعجلتم به ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ **أي** عقاب فيه هلاكهم، ثم وصفه بكونه (أليم) أي شديد الأخذ، موجع لا يحتمل. ثمَّ بيَّنَ ماهيَّته فقال: ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ والعذاب: العقوبة، ووصفه بكونه (أليم)، وهو عند مقاتل بمعنى «الوجيع، لقولهم لهود: فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصَّادقين»[5]. ووصف العذاب بوصف (الأليم)

---

[1]–الزمخشري: أساس البلاغة: ج1، تح: محمد باسل عيون السّود، ط1. 1998، دار الكتب العلمية، بيروت، ص33.

[2]–الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص82.

[3]–علي هاني يوسف: تحقيق معنى (عذاب أليم) وبيان صحة مذهب الجمهور خلافا للزمخشري، مقال على الانترناث

[4]–ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج4. ص 197.

[5]–مقاتل بن سليمان: تفسير مقاتل، ج1، تح: عبد الله محمود شحاتة، طَ1، دار إحياء التراث، بيروت، ص159.

لمجيئه في سياق التخويف والتَّرهيب. مبيِّنا ماهيتة بكونه (ريح) أليمة وشديدة تحمل في طياتها عذاب، وصف بالأليم، أي مؤلم عميق الأثر، فيه هلاك الناس وممتلكاتهم. قال الطبري: «فجاءت ريحٌ، فجعَلَتْ تلقِي الفسطاط(*)، وتجيئُ بالرَّجُلِ العائِبِ فتُلقيه»(1).

وإنما قرن العذاب بوصف الأليم في هذه الآيات على سبيل المبالغة؛ لأنَّ العذاب قد وصل ألمه إلى قلوبهم ونفوسهم، بل أصبحوا هم أنفسهم العذاب لشِّدَّة ما يعانونه من آلام وتعذيب.

النموذج الثاني: قال تعالى: ﴿ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ [الذاريات: 37]. ذُكِرَ العذاب الأليم هنا في سيَّاق الحديث عما حدث لقوم لوط -عليه السلام- وما لحقهم من عذاب، بسبب فسوقهم وفجورهم، ﴿ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ [الذاريات: 37] أي أبقينا تلك القرى المهلكة بعد إهلاك الظَّالمين عِبْرَة، وعلامة بما أنزلنا عليهم من العذاب الأليم، وهو في الآية: «التَّنكيل الذي أعقبه هلاك مبين، ترك تلك القرى الخاويَّة بسبب هذا العذاب الأليم ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾ أي: عِبرة للمؤمنين بالبعث والجزاء، من أهل الإسلام وأهل الكتاب دون المشركين، الذين يخافون هذا المآل الرَّهيب والعذاب المؤلم المؤدِّي إلى الهلاك»(2).

النموذج الثالث:

قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الانشقاق: 24] جاء الاقتران هنا في سياق الحديث عن طبيعة الكفار، القائمة على أساس الكفر والتكذيب، فأُمِرَ الرسول ﷺ أن يبشرهم على كفرهم وضلالهم، بعذاب مؤلم موجع شديد، وجعل ذلك بمنزلة البِشَارَة لهم والإنذار من باب التَّهكُّم، «لأنَّ حقيقة التَّبشير؛ الإخبار بما يسر وينفع، فلما تعلَّق بها العذاب الأليم كانت قرينة التَّهكُّم»(3) واضحة وجليَّة.

(*)-الفسطاط: : ضرب من الأبنية. انظر: لسان العرب، مادة (فسط)، ج7، ص101.

(1)-ابن جرير الطبري: تفسير الطبري، ج21، ص157.

(2)- الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج27، ص9. بتصرف

(3)-المرجع نفسه: ج30، ص234.

4_ الأثر البلاغي لاقتران (العذاب الأليم):

1_ التفسير بعد الإجمال:

نلاحظ هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: 24]. والمعنى أنهم لَّما رأوا السحاب الذي يعرض في أفق السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ﴾ قالوا ذلك فرحاً، وابتهاجاً بما رأوه من مَقدَمِ السحاب؛ لأنَّه قد رُويَّ أنَّ المطر قد احتبس عنهم مدَّة زمنيَّة ليست باليسيرة، أصابهم فيها القحط والجفاف. فقال لهم هود -عليه السلام- مخاطباً إياهم أنَّه العذاب الذي استعجلتم على سبيل الإجمال، ثم فسَّرَ نوع هذا العذاب وشَكلَهُ وَفَصَّلَهُ لهم قائلاً: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والرِّيح إذا جاءت في القرآن قُصِدَ بها العذاب والشر، عكس الرِّيَّاح، فهي تُسْتَعمَلُ في القرآن للخير.ففي الآية: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ «تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجَمِّ الكثير» [1]

2_ التنكير:

نلاحظ في قوله تعالى: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ **[الأحقاف: 24]** مجيء لفظة (ريح) نكرة للدلالة على شدَّتها وفظاعتها، ووصفت في الآية بأنها (عذاب أليم) وقد جاءت هذه الجملة الاسميَّة المشكلة لهذا الاقتران الثنائي نكرة؛ لأنَّه وقع صفة لـــ(ريح) والصفة تتبع الموصوف كما هو مقرَّر عند النحاة، قال الألوسي(1270هـــ) في معنى قوله تعالى: ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ «صفة (ريح) لكونه جملة بعد نكرة»، ودليل على قوَّتها وفظاعتها يضيف الألوسي: «ما جاء بعدها في قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي تهلك كل شيء في نفوسهم وأموالهم، أو ما أُمِرت هذه الرِّيح بتدميره» [2].

3_ التعريف:

ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الذاريات: 37] فقد

---

[1]-النسفي:مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج3، تح: يوسف علي بديوي، ط1. 1988، دار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ص316.

[2]-الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج26. ص26.

جاء لفظ (العذاب) معرَّفاً بـــ(بالألف واللام) موصوفاً بكونه (أليم) «ليكون واضحاً معلوماً أكثر عند الذين يخافون بأنَّه أليمٌ، تمييزاً عن العذاب الموصوف بالصِّفات الأخرى كالعظيم والمهين وغيرهما»[1].

ثامناً: الغيب والشهادة

1_ نماذج اقتران الغيب والشهادة:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ ﴾	الحشر	.22
02	﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	الجمعة	8
03	﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	التغابن	18

2_ دلالة اقتران (الغيب والشهادة)

أ_ دلالة (الغيب):

الدلالة اللغوية:

الغَيْبُ في اللغة العربية مصدر بمعنى الغائب من الفعل غَابَ، وفي كلام العرب:«كل ما غاب عنك...أو غاب عن العيون وإن كان محصَّلاً في القلوب، يقال سمعت صوتا من وراء الغيب، أي من موضع لا أراه»[2].لاستتاره عن الأنظار.ولذلك قال ابن فارس:لفظ (الغَيب)يدلُّ على تستُّر الشَّيء عن العيون. ومنه:الغيبُ ممَّا لا يعلمه إلاَّ الله، وغابت الشمس أي:اختفت فلا تدركها الأبصار.وفي الحديث: «**دَعْوَةُ الْمُؤْمِنُ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ**»[3]وبهذا المعنى سمِّيت الغِيبَة التي هيَّ الوقيعة بين

---

[1]-محمد علوان لطيف:تخصيص الصفة بالموصوف في آيات العذاب في القرآن الكريم، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 32، 2018م.

[2]-ابن منظور: لسان العرب، ج1. ص654.

[3]-أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: 2732، عن أبي الدرداء رضي الله عنه

النَّاس، «لأنَّها لا تقال إلاَّ في غيبة»[1]. وعليه نستخلص أنَّ المقصود بالغيب في اللغة:كلُّ ما غاب عن الحاسَّة وعلم الإنسان.

الدلالة الاصطلاحية: قال الجرجاني (ت816هـ): «الغيبُ: غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق»[2]، أو هو «كل أمرٍ غائب عن مجال إدراكنا الحِسي حسب العادة»[3] من بَعثٍ وحساب وجزاء وجنَّة ونار وملائكة، فهو كل ما استأثر الله تعالى به لنفسه، فلم يطلع عليه أحد من خلقه. لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: 65]، فلا يغيب عنه شيء، كما لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

ب_ دلالة (الشَّهادة):

الدلالة اللغوية: جاء في اللسان: «الشَّاهدة: الخبر القاطع»[4] قال الرَّاغب: «الشَّهادة الحضور مع المشاهدة، إمَّا بالبصر، أو بالبصيرة». [5].واقتران الحضور بالمشاهدة دلَّ على درجة اليقين في صحَّة الشَّهادة، ولذلك وَصَفَ الله بها نفسه عندما قال: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾[الجمعة: 8].

الدلالة الاصطلاحية: الشَّهادة كما يعرفها الشَّريف الجرجاني(ت816هـ): «إخبار عن عَيان بلفظ الشهادة» [6]، أمَّا الميداني فيقول في تعريفها: «كل أمر نستطيعُ أن نتوصل إلى شهوده بالوسائل الحسيَّة فينا حسب العادة»[7]

3_ تفسير(الغيب والشهادة)

النموذج الأول: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الحشر: 22]. ورد اقتران (الغيب والشهادة) في هذا النص في سياق الإخبار عن شموليَّة علم الله تعالى، الذي لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السَّماء. قال الإمام الطَّبري(ت224ه) في:

---

(1)-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج4. ص403.

(2)-الشريف الجرجاني:معجم التعريفات، ص137.

(3)-عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسُسُها، ط2. دار القلم. دمشق- بيروت. ص28.

(4)-ابن منظور: لسان العرب، ج3، ص239.

(5)-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص465.

(6)-الشريف الجرجاني معجم التعريفات: ص111.

(7)-حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسُسُها: ص28.

«هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والألوهيَّة إلاَّ له، عالم غيب السَّموات والأرض، وشاهدٌ ما فيها مما يُرى ويُحسّ»[1] وقد تعدَّدت آراء المفسِّرين في معنى (الغيب والشَّهادة) في الآية، فالإمام الرَّازي(ت604هـ) يقول أنهما «السر والعلانيَّة، وقيل الدُّنيا والآخرة.» [2]، وعند الطِّيبي (ت743هـ): «(الغيب) المعدوم، و(الشَّهادة): الموجود المُدرَك كأنَّه يشاهده، وقيل: ما غاب عن العباد وما شاهدوه، وقيل: الدنيا والآخرة»[3]

فاقتران الغيب والشَّهادة في الآية تنبيه منه سبحانه لخلقه، أنَّه هو الله المنفرد بعلم الغيب وحده، وهو المحيط بالسرائر التي تخفى عن الخلق، فلا يجوز أن يشاركه فيه أحد.

النموذج الثاني:

قال تعالى﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الجمعة: 8]. جاء اقتران (الغيب والشَّهادة) هنا في سيَّاق التَّذكير بالنهاية المحتومة لكل مخلوق، أَلاَ وهي الموت، تنبيهاً لليهود الذين يفرُّون منه ويكرهونه، حبًّا في هذه الحياة الدنيا وتعلقًا بها. ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: عالم (الغيب) أي: «غيب السَّماوات والأرض، و(الشَّهادة) أي:ما شهد فظهرَ لرأي العين، و لم يغب عن أبصار النَّاظرين.» [4]، والجمع بينهما هنا تذكيرٌ بعدم «الانفلات من الجزاء عن الأعمال ولو بَعُدَ زمان وقوعها؛ لأنَّ طول الزَّمان لا يؤثر في علم الله بالنسيان، إذ هو عالم الغيب والشَّهادة»[5]، فلا يعتريه سبحانه وتعالى نسيان، مهما طال الزَّمن أو بَعُدَ، وفيه أيضا دلالة على سعة علمه وإحاطته بكلِّ شيء في هذا الوجود، ظاهره وباطنه، عالمٌ به، قادرٌ عليه، لا يعزب عنه علم شيء، وهذا الوصف في حقِّه تعالى متضمِّنٌ كما يذكر الخازن (ت765هـ) لمعنى«الوعيد والتَّهديد»[6]. قال تعالى ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: 54]

---

[1]–ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج22. ص550.

[2]–الفخر الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج29. ص293. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج20. 389.

[3]–عبد الله الطيبي: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج15، تح: لطفي بن محمد الزعير، ط1. 2013. ص343.

[4]–ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج22. ص636.

[5]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج28، ص218.

[6]–الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ج4، ص290.

النموذج الثالث:

أمَّا اقترانه في قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [التغابن: 18].فقد جاء بمعنى أنَّ الله تعالى يعلم كل شيء مما يُشاهده العباد، وممَّا يغيبُ عنهم، فلا يخفى عليه منه شيء. يقول الماوردي (450هـ): «يحتمل وجهين: أحدهما: السر والعلانيَّة، والثَّاني: الدنيا والآخرة»[1] أمَّا (الغيب) عند الشَّعراوي هو «ما لايعلمه إلاَّ الله سبحانه وتعالى، والله تعالى عالم الغيب، فلا يُطلع أحداً من خلقه على غيبه...فالغيب الذي يقصده الحقُّ سبحانه وتعالى في قوله «**عالم الغيب**» هو غيبٌ يختصُّ نفسه به، وهو الغيب المطلق» [2] لا يَطَّلِعُ عليه، ولا يعرفه أحد إلاَّ هو سبحانه وتعالى. ومادام هو سبحانه عالم الغيب فمن باب أولى أنَّه عالم الشَّهادة. فلا يوجد شيء مستور عنه في هذا الكون، فلا الغيب يغيب عن علمه، ولا العالم المشهود يغيب عن علمه.

إنَّ اقتران (الغيب الشهادة) في هذا الموضع يعدُّ مظهراً من مظاهر الكمال في صفاته سبحانه وتعالى. إذ لا يمكن للإله أن يكون عالما بالمشهود من خلقه دون العلم بسرِّهم أو غيبهم. كما يدلُّ على الكمال في قدرته، لأنَّ العبد إذا علم أنَّ الله سبحانه وتعالى محيطٌ بالغيب والشَّهادة، آمن به واستجاب لأمره وانتهى عن نهيه.

4_ الأثر البلاغي لاقتران (الغيب والشهادة):

أ_ التقديم والتأخير: نلاحظ في كلِّ هذه النصوص القرآنية تقديم لفظ (**الغيب**) على لفظ(**الشهادة**) والسر في هذا التَّقديم يرجع إلى أنَّ الأمور الغيبيَّة لا نهاية لها، ولا يمكن لعقل الإنسان أن يدركها أو يحيط بحقيقتها؛ لأنَّ الله تفرَّد بها واستأثر بعلمها لنفسه، فلم يُطلع عليها أحداً في الأرض ولا في السَّموات، فَقُدِّمَت في الكلام، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [النمل: 65]. بينما الأمور التي يمكن شهودها يسيرة وقليلة ولذلك جاء لفظ(الشَّهادة) متأخِّراً عنه.

يذكر الألوسي وجها آخر لتقديم (الغيب) على (الشهادة) فيقول: «وتقديم الغيب؛ لأنَّ العلم به كالدَّليل على العلم بالشَّهادة، وقيل: في تقدُّمه على الشَّهادة: إنَّ كلَّ شهادة كانت غيباً وما برزت

---

[1]-الماوردي: النكت والعيون، ج6. ص27.

[2]-محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي: ص15721

إلاَّ من خزائن الغيب» [1] فالغيب بهذا المعنى متقدِّمٌ في الوجود على الشَّهادة، فهو الأصل والشَّهادة فرع منه، فقدَّمَ الأصل على الفرع.

وقد يكون السر في تقديم (الغيب) على (الشهادة)، كون (الغيب) عِلمٌ استأثر الله به لنفسه وانفرد به، فلم يتعلَّق به عِلْمُ مخلوق أو أحسَّ به، بينما الشهادة علم محسوس، متعلقٌ بكل ما ظهرَ لرأي العين، و لم يغب عن أبصار النَّاظرين. من أجل ذلك قُدِّم علم الغيب، الذي تعلَّق بعلم الله سبحانه على علم الشَّهادة الذي تعلق بعلم النَّاظرين، وقد يكون التَّقديم هنا لشرف علم الله تعالى على علم غيره، لأنَّ عِلمُ الله أشرف من علم خلقِهِ، لدِقَّته المتناهية وكماله، وسعته وشموليته، وإحاطته بكل شاردة وواردة. قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام:59] في المقابل فإنَّ علم غيره ناقص غير كامل، يكتنفه الشك والظن، والغوامض وقلَّة اليقين، لا يوصف بالشمول ولا بالإطلاق. قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:85]

ب_ المطلق والمقيد: نلاحظ هذا الأثر البلاغي في اقتران(عالم الغيب) في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ [الحشر: 22] أي علمه سبحانه لم يتعلق به علم أي مخلوق أصلاً، وهو ما يسمِّيه الإمام الألوسي(الغيب المطلق) أي العلم الشَّامل لكلِّ شيء ممكن موجوداً كان أو معدوماً، متمكِّناً كان أوممتنعاً. ويضيف قائلاً: «وحمل الغيب على المطلق هو المتبادر بدليل أداة التَّعريف (أل) التي تفيد الاستغراق لا العهد». [2]بدليل قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾[النمل: 5] وهو المعنى الذي أكَّدته السُّنَّة النَّبوية الشَّريفة، فقد ورد عن السَّيِّدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «**مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَت:** ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ﴾. [3] في حين الشَّهادة ما يطلعه الله على بعض مخلوقاته، بطريق الوحي أو التَّجربة أو العلم أو غير ذلك، مما يمكن به الاستعلام عمَّا يخفى على كثير من النَّاس بالطُّرق الممكنة، كمعرفة ما في قعر البحار، وأغوار الأرض، وأجواء السَّماء ومشاهدها. فهذا العلم بالنِّسبة إلى علم الله نسبي محدود، بينما علم الله تعالى مطلق لا يحده حد.

---

[1]-الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج28. ص62.

[2]-المصدر نفسه، ج28. ص62.

[3]-ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ج13، كتاب التوحيد، ص374.

ت_ حمل الكلام على ما هو أعم:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ ﴾[الحشر: 22] يقول ابن كثير وهو يفسِّرُ قوله تعالى ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ ﴾ في هذا الموضع وفي غيره من المواضع الأخرى: «يَعلَمُ جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عناً، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السَّماء من جليل وحقير، وصغير وكبير، حتَّى الذَّر في الظُّلمات»[1]. ويضيف الشَّوكاني فيقول: أي«عالم كلّ غائب عن الحسّ، وكلّ مشهود حاضر، أو كلّ معدوم وموجود، ولا مانع من حمل الكلام على ما هو أعمُّ من ذلك»[2]. بمعنى أنَّ الله تعالى هو وحده المختص بعلم الغيب والشَّهادة معاً، دون غيره من المخلوقات؛ لأنَّ علم المخلوقات علم جزئي، متعلِّقٌ بما هو مشاهد فقط، أمَّا علمهم بالغيب فذاك علم استأثر الله به لنفسه فقط، فهو محال في حقِّ غيره. فعلمهم بهذا الاعتبار خاصٌّ ومحدَّدٌ بعلم الشَّهادة، أما علم الله تعالى فهو عامٌّ وشاملٌ ومطلقٌ، يشمل ويعمُّ علم الغيب وعلم الشَّهادة، بدليل ورود اللَّفظان (الغيب والشَّهادة) معرَّفتين بـــ(الألف واللام) الجنسية، بمعنى أنَّ علمه سبحانه وتعالى يستغرق جميع الغائبات والمشاهدات، وهي صفة لا تليق إلاَّ بجلال الله سبحانه وتعالى. يقول زهير بن أبي سلمى في هذا المعنى: [من الطويل] [3]

وأعْلَمُ ما في اليَومِ والأَمسِ قَبْلَهُ ولَكِنَّني عَنْ عِلْمِ مَا في غَدٍ عَمِ(*)

ث_ الطباق:

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ ﴾ [الحشر:22]، ﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الجمعة:8]، وقال: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [التغابن: 18]

---

[1]–ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج4، ص425.

[2]–الشوكاني: فتح القدير: ج3، ص68.

[3]–ديوان زهير بن أبي، ط1. 1988، شرح وتقديم: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سلمى ص110.

(*)–العمى: الجاهل. يقول: إنَّ الإنسان في هذه الحياة يعرف الحاضر الذي يعيشه، والماضي الذي مرَّ عليه، ولكنه يجهل ما سيحدث في الغد. وفي شرح ثعلب يقول: ما مرَّ بي من اليوم والأمس فأنا عالم به، لأني قد رأيته، ولكنني عَمٍ عن علم ما في غدٍ. (انظر شرح الديوان ص: 110)

إن اقتران (الغيب والشَّهادة) في هذه الآيات القرآنية جاء من باب ما يسميه علماء البلاغة (الطباق)، وهو الجمع بين متضادين لتزيين الكلام، وتجميله. فـــ(الغيب) «كل أمر غائب عن مجال إدراكنا الحِسِّي حسب العادة»[1]، وهو ضد (الشَّهادة) الذي يعني«كل أمر نستطيعُ أن نتوصل إلى شهوده بالوسائل الحسيَّة فينا حسب العادة»[2] والعنصر الجمالي في هذا الطباق، هو ما فيه من التلاؤم بينه وبين تداعي الأفكار في الأذهان، ففي الآية الكريمة جَمَعَ الله تعالى بين العلم بالغيب والشَّهادة، والجمع بينهما جمعٌ بين ضدين، بينهما نوع التوافق؛ لأنَّ العلم (بالشَّهادة) يستدعي منطقيّاً العلم بـــ(الغيب)، والعلم بهما فيه نوع من التَّوازن في حقِّ من اتَّصفَ بهما، وهما وصفان لا يجوز أن يُوصف بهما إلاَّ الله تعالى.

جـــ_ التعريض:

يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ ﴾ [الحشر: 22] ففي ذكر صفة العلم بـــ(الغيب) في الآية تعريضٌ بالمشركين الذين قَصَرُوا إيمانهم المشاهدات البصريّة فقط، وكفروا بما وراء ذلك من الغيب، كالبعث، والجزاء، والجنَّة والنَّار، وإرسال الأنبياء والرُّسل – عليهم الصلاة والسلام- والكتب والصُّحف...فانكفاؤهم على علم المشاهدات البصريّة، علمٌ يشوبه النقص، والجزئية، وتعتريه وقلَّة الإحاطة بهذا الوجود وأسراره. أمَّا علم الله تعالى فهو علم كامل، أحاط بكل شيءٍ، شَمَلَ المشاهدات والغيبيَّات، والدليل على هذا الكمال والشمول في علم الله تعالى، ورود اقتران (الغيب والشَّهادة) معرَّفاً بالألف واللام، وهذا التَّعريف كما يذكر الطاهر بن عاشور:«للاستغراق الحقيقي، أي عالم بكل غيب وشهادة، وذلك مما لا يشاركه فيه أحد، فهو سبحانه وحده العالم بما ظهر للنَّاس، وما غاب عنهم من كل غائب يتعلَّق به العلم على ما هو عليه»[3].

حـــ_ التتميم:

نلاحظ هذا الأثر البلاغي في هذه الآيات النَّماذج التي ورد فيها اقتران (الغيب والشهادة)، فقد وصف اللهُ تعالى أنَّه ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ﴾ فذكر (الشهادة) هنا تَتْمِيمٌ لعلم (الغيب) ليستوي

---

[1]-عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: العقيدة الإسلامية وأسُسُها، ط2. دار القلم. دمشق- بيروت. ص28.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير: ج28، ص119.

عنده سبحانه وتعالى العلم بالحالين، (الغيب والشهادة)، ولا يجوز أن يتَّصِفَ بهذا الوصف إلاَّ اللهُ سبحانه وتعالى لكمال علمه، وإحاطته بعوالم الأشياء، والمخلوقات الظَّاهرة منها والباطنة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ هذا التتميم كما يذكر الطاهر بن عاشور: «فيه تذكيرٌ بعظمة الله تعالى مع مناسبتها للتَّرغيب والتَّرهيب اللذين اشتملت عليهما الآيات السَّابقة كلها؛ لأنَّ العالم بالأفعال ظاهرها وخفيها لا يُفوت شيئًا من الجزاء عليها بما رتب لها؛ ولأنَّ العزيز لا يعجزه شيئاً» [1]. كما يمكننا أن نلاحظ أنَّ هذا التَّتْمِيم في الوقت نفسه فيه ردٌّ على المشركين الذين توهَّموا أنَّ الله تعالى لا يطَّلِع على ما يخفونه. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[فصلت: 22]

تاسعاً: الفضل والرضوان

1. نماذج اقتران الفضل والرضوان:

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية
01	﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾	الفتح	29
02	﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾	الحشر	8

2. دلالة (الفضل والرضوان).

أ. دلالة (الفضل):

الدلالة اللغوية:

الفضل في اللغة: «الزيادة، والخير، والإفضال: الإحسان»[2]. يقال «أفضل فلانٌ على فلان؛ أنالَه من فضله وأحسنَ إليه، وفضلُ الله على عباده إحسانه إليهم، ورجل مِفضال؛ أي كثير

[1]-الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير: ج28، ص291.

[2]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج4، ص: 508.

الخير»[1]. «والفضل والفضلة: البقيَّة من الشَّيء، وأفضل فلان من الطَّعام وغيره إذا ترك منه شيئاً»[2]، ويستعمل لفظ (الفضل) في «مطلق النَّفع»[3].

وعليه فإنَّ لفظ (الفضل) يطلق ويراد به الزِّيادة على ما هو لازم ومقرَّر، فيطلق على الخير، والباقي، والإحسان، والشَّرف، وترك شيء بعد الطَّعام، وفواضل المال، والنَّفع.

الدلالة الاصطلاحية:

الفضل عند الشَّريف الجرجاني «ابتداء إحسان بلا علَّة» [4] أمَّا أبو البقاء الكفوي فالفضل عنده: «كثرة الثَّواب في مقابلة قلَّة الخير»[5] ومن هذا المنطلق يتبيَّن لنا أنَّ الفضل من الله تعالى هو: عطاؤه الزَّائد عما هو لازم، ومقرَّرٌ من الرَّحمة، والأجر العظيم، والعفو والمغفرة، والمقام الرَّفيع عنده سبحانه وتعالى.

ب.**دلالة (الرضوان)**

الدلالة اللغوية:

« الرضوان مصدر، وهو الرِّضى بالكسر والضَّمّ بمعنى الرِّضى، جاء في الرَّائد: أرضاه إرضاء: جعله يرضى، وأعطاه ما يرضيه»[6]. و لم تستعمل في القرآن كلمة الرِّضوان إلاَّ رِضى من الله تعالى.

الدلالة الاصطلاحية:

قال أبو بكر الكفوي« الرضوان هو رضى الله تعالى الكثير، ولّما كان أعظم الرضى وهو رضى الله، خُصَّ لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى؛ وهو على قسمين: قِسمٌ يكون لكل مكلَّف، وهو لا بُدَّ منه في الإيمان، وحقيقته قبول ما يَرِدُ من قِبَل الله تعالى، من غير اعتراض على حكمه وتقديره، وقِسمٌ لا يكون إلاَّ لأرباب المقامات، وحقيقته ابتهاج القلب وسروره بالمقضيّ»[7].

---

[1]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج4، ص: 326.

[2]-ابن منظور: لسان العرب: ج11، ص524، 525.

[3]-أبو البقاء الكفوي: الكليات: ص683.

[4]-الشريف الجرجاني: معجم التعريفات: ص: 141.

[5]-أبو البقاء الكفوي: الكليات: ص684.

[6]-جبران مسعود: الرائد معجم لغوي عصري. ط7. 1992. دار العلم للملايين. بيروت، لبنان. ص46.

[7]-أبو البقاء الكفوي: الكليات: ص478. الرّاغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص197.

وقد جاء في الحديث: «**إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّة: يَا أَهْلَ الجَنَّة، فَيَقُولُون: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبُّ، وَأيُّ شَيْءٍ أَفْضَل مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُم بَعْدَهُ أَبداً**»[1] قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 72]

1.تفسير(الفضل والرضوان):

النموذج الأول:

ورد اقتران (الفضل بالرضوان) في قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: 29] في سياق الثَّناء من الله تعالى على الرَّسُول ﷺ وأصحابه، ومدحه لهم لتلك الصِّفَات التِّي اتَّصَفُوا بها والميزات التي تميَّزوا بها عن غيرهم من خلقه سبحانه وتعالى، فذكر منها: ﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا**﴾ والفضل والرِّضوان في الآية: ثواب الله ورضاه.

يقول الإمام الطَّبري (ت224ه) في معنى الآية: «يلتمسون بركوعهم وسجودهم وشدَّهم على الكفار، رحمةِ بعضِهم بعضاً: ﴿**فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ**﴾ أن يتفضَّل عليهم فيُدخلهم جنَّته، ﴿**وَرِضْوَانًا**﴾ أي: أن يرضى عنهم.» [2]، وفسَّرهما ابن كثير (ت774ه)«بسعة الرِّزق عليهم ورضاه تعالى عنهم»[3].والتَّعبير بالفضل والرِّضوان في السُّؤال دون الأجر، فيه اعتراف من المؤمن بالتَّقصير في حق الله تعالى.

النموذج الثاني:

أمَّا معناهما في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر: 8]. يذكر الماوردي (ت 450ه) في تفسيره أن المقصود بـــ(الفضل) في الآية «عطاء الله في الدنيا، و(الرِّضوان) ثوابه في الآخرة، ويحتمل أن يُراد بـــ(بالفضل) الكفاية،

---

[1]-الحديث في صحيح البخاري رقم: 6549، واللفظ له، ومسلم رقم: 2829، عن أبي سعيد الخذري.

[2]-ابن جرير الطبري: تفسير الطبري، ج21. ص321. انظر: تفسير روح المعاني: ج26، ص124.

[3]-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ج4، ص249.

و(الرِّضوان) القناعة»[1]. وكلاهما مما يبتغى ويرتجى، غير أنَّ (الفضل) عند الإمام الرَّازي(ت604ه): «يُراد به ثواب الجنَّة، و(الرِّضوان) يراد به ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ [آل عمران: 15]» [2].وهو ما أعدَّه اللهُ تعالى لعباده المتَّقين، من نعيم في جنَّته؛ لأنَّ رضوانه أعظم من ذلك النَّعيم المادي، يقول ابن عاشور: «لأنَّ رضوان الله تقريبٌ روحاني، ولذلك أظهر اسمه عند حديثة عن هذا الرِّضوان فقال «**رضوان من الله**» دون أن يقول ورضوان منه، لما في اسم الجلالة من الإيماء إلى عظمة ذلك الرِّضوان»[3].

إنَّ اقتران (الفضل بالرِّضوان) يدلُّ على أنَّ (الفضل) الذي هو الجنَّةُ، أو ثواب الله تعالى لا يستقرُّ ولا يطيب دون رضوان الله تعالى على أهل الجنة وأصحابها، كما أنَّ جنَّةُ الله وثوابه، لا يُنالان إلاَّ بعد رضا الله تعالى ورضوانه عليهم، فالرِّضوان هو سَبَبُ الفضل وثمرته. فلا بُدَّ للفضل من الرِّضوان حتَّى يتمتَّع أصحاب الجنَّة بنعيمها.

3.أثر اقتران (الفضل والرضوان)

أ.التعليل:

لّما وصف الله تعالى محمداً ﷺ وأصحابه بما وصفهم في قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا ﴾ **[الفتح: 29]** أي «تراهم راكعين ساجدين من كثرة صلاتهم وعبادتهم، رهبان باللَّيل أسود بالنَّهار»[4] ثُمَّ علَّلَ كثرة ركوعهم وسجودهم، طَلَباً لفضل الله تعالى في الدنيا وجنَّته في الآخرة. فقال: ﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ ﴾ دَلّ على هذا التَّعليل لفظ (**يَبْتَغُونَ**) في الآيتين المشار به إلى الرَّجَاءِ والأمل في فضل الله ورضوانه.وفي هذا المقام يقول الشَّعراوي: «هذه هي علَّة كونهم أشدَّاء على الكفَّار ورحماء بينهم، وكونهم يحافظون على الرُّكوع والسُّجود.أي: يفعلون هذا ابتغاء فضل الله وطمعاً في رضوانه، وهذه قِمَّة الإخلاص في الأعمال.» [5]

---

[1]-الماوردي: النكت والعيون (تفسير الماوردي): ج5، ص505.

[2]-فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج29، ص287.

[3]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المجلد2، ص184.

[4]-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير: ج3. ص161.

[5]-محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي: ص14424.

أ. التنكير:

نلاحظ في الآيتين الكريمتين ورود اقتران (الفضل والرِّضوان) نكرتين، قال تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح:29]، وقال: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر: 8]. والتَّنكير في اللَّفظين يفيد التَّكثير في الفضل، والرِّضوان الذي يرجونه من الله تعالى. كما يفيد أيضاً تعظيم الفضل، وفخامة الرِّضوان، وعلوِّ شأنهما، بدلالة التَّنوين في قوله تعالى (**فضلاً من الله ورضواناً**)، الذي يفيد هنا أيضاً التَّعظيم.كما نلاحظ مظهراً آخر لهذا التَّعظيم، يتمثَّل في نسبة (**الفضل والرضوان**) إلى الله تعالى في قوله: ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ فإظهار اسم الجلالة (الله) في هذا المقام يرمزُ إلى عظمة هذا الفضل والرِّضوان المضافان إليه سبحانه. وتجدر الإشارة هنا أنَّ تنكير الفضل والرِّضوان في الآيتين أولى من تعريفعما؛ لأنَّ المقام مقام مدحٍ وثناءٍ يقتضي أنَّ الفضل والرِّضوان، هو كلُّ ما يطلبه الرَّسُول ﷺ وأصحابه الذين معه. ذلك لما في معنى التَّنكير من «الإيماء إلى أنَّ الله حقَّقَ لهم ما يبغونه»[1].

ب.المدح والثناء:

ويشير اقتران (**الفضل والرضوان**) في الآيتين إلى ملمح بلاغي، يتضمن معنى المدح والثناء، للرسول ﷺ وصحبه الكرام الأنصار منهم والمهاجرين، بشكلٍ عامٍّ في سورة الفتح، وللمهاجرين في سورة الحشر بشكل خاص. أمَّا في سورة الفتح فقد أثنى الله تعالى على الرسول ﷺ والذين معه من الصَّحبِ الكرام «لشدَّة إقبالهم على أفضل الأعمال المزكيَّة للنَّفس، وهي الصَّلوات مفروضها ونافلتها، وأنَّهم يطلبون بذلك فضل الله تعالى ورضوانه، وفي سَوقِ هذا في مساق الثَّناء إيماء إلى أنَّ الله حقَّقَ لهم ما يبتغونه» [2]. أمَّا في سورة الحشر فقد وصف الله المهاجرين على وجه خاص أولاً «بما يدلُّ على استحقاقهم للفيء بسبب الإخراج من الديار والأموال، وقيَّد ذلك ثانيًّا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده مما يدلُّ على توكُّلهم التَّام، ورضاهم بما قَدَّرَهُ المليك العَلَّام»[3]

وانطلاقا من هذا نخلص إلى أنَّ القرآن الكريم أشار وبَيَّنَ للمؤمنين، مكانة الصَّحابة رضوان الله عليهم، الأمر الذي يدعو إلى حبِّهم، والاقتداء بهم وعدم الخوض في أعراضهم، وهو الأمر الذي نَهَى

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: المجلد 10. ص205

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-الألوسي: روح المعاني، ج28، ص51.

عنه النَّبيُّ ﷺ حيث قال: «**أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم**»[1]

عاشراً: الهداية والضلال

1_ نماذج اقتران الهداية والضلال:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ **وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ** ﴿٣٦﴾ **وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ** ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾	الزمر	36. 37
02	﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ **وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ** ﴾	غافر	33
03	﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ **يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ** ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾	المدثر	31
04	﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾	الضحى	7.

2_ دلالة الهداية والضَّلال

أ_ دلالة الهداية:

الدلالة اللغوية: أصل الهداية في اللغة: «الدلالة والرَّشاد والبيان، ومنه قولهم: هداه الله الطَّريق، وهداه الطَّريق، وهداه إلى الطَّريق إذا دَلَّه عليه، وهديته الطَّريق والبيت إذا عرفته، وهديته للطَّريق وإلى الطَّريق إذا أرشدته.وقولهم: هَدَيْتُ لك في معنى بَيَّنْتُ لك»[2]. لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ**﴾ [الليل: 12]. أي: «إنَّ

[1]- ابن حبان، صحيح ابن حبان، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.الحديث رقم 5586.

[2]-ابن منظور: لسان العرب: ج15. ص: 355.

علينا أن نُبَيِّنَ طريق الهدى من طريق الضَّلال»[1]. ومن أسماء الله الحسنى: الهادي؛ الذي بصَّرَ عباده وعرَّفَهم طريق معرفته حتى آمنوا به، وأقروا بوحدانيته، وَهَدَى كل مخلوق إلى ما لا بُدَّ له منه في بقائه ودوام وجوده. كما تأتي الهداية في كلام العرب بمعنى التَّوفيق، قال الشَّاعر: [من البسيط] [2]

لا تَحْرِمَنِّـــي هَـــدَاكِ اللهُ مســـألتي ولا أكُـــونَنْ كَمَـــنْ أَوْدَى بِـــهِ السَّـــفَرُ

والمعنى: وَفَّقَكَ الله لقضاء حاجتي. ومنه أيضا قول الشَّاعر: [من المتقارب]

لا تُعجلَّـــني هَـــدَاكِ المليـــكُ فـــإنَّ لكـــل مقـــامٍ مَقَـــالاً[3]

أي وَفَّقَكَ الله لإصابة الحقِّ في أمري، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: 258]. أي «لا يوفِّقهم ولا يشرح للحقِّ والإيمان صدورهم.» [4]، كما تأتي الهداية بمعنى الثَّواب، وتأتي بمعنى الدُّخول، قال تعالى: ﴿ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [الصافات: 23] أي أدخلوهم النَّار.

انطلاقا مما ذكرنا يَتَبَيَّنُ أنَّ الهداية تعدَّدَت معانيها في اللُّغة وتوسَّعت، فقد جاءت بمعنى: البيان من قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ ﴾ [فصلت: 7] أي: بيَّنَ لهم الهدى والضَّلال. والرَّشَاد، من قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: 7] بمعنى أرشدك. ومنها: التَّوفيق والثَّواب، من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ ﴾[التعابن: 11] أي يوفقه لنيل الأجر والثَّواب. وهذه المعاني اللُّغوية للفظ (الهداية) تكاد تكون هي نفسها المعاني الاصطلاحية لهذا اللفظ كما سيأتي.

الدلالة الاصطلاحية:

تُطلَقُ الهداية شَرعًا: «ويراد بها الحقُّ وإرشاد النَّاس إليه. وتثبيته في القلوب، وتحبيب الإيمان إلى النُّفوس، وتكريه الكفر والفسوق والعصيان إليهم. وهذه الهداية لا يملكها إلاَّ اللهُ سبحانه وتعالى،

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب: ص 354

[2]-الشريف المرتضى: أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، ج1.تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1. 1954، دار إحياء الكتب العربية، ص222.

[3]-ديوان الحطيئة: ص222. الأغاني: ج2، ص: 187.

[4]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1. ص167.

ولذلك قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجرات: 17].» [1] ومن خلال تَتَبُّعِنَا للفظ (الهداية) في القرآن وجدنا أنَّها تأتي بمعنى: «الرُّشد والنُّور والفلاح، قال تعالى: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [النور:35]. قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[البقرة:5]، وهي أيضاً الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران: 73]. ومنها التَّوفيق. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ **[النحل:107]** أي لا يوفقهم. كما قد تأتي بمعنى الثَّواب والفضل والجزاء الحسن من الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ **[يونس:9]** أي يثيبهم»[2].

ب_ دلالة الضلال:

الدلالة اللغوية: الضلال وضد الهداية والرشاد، قال ابن فارس: «الضَّادُ والدَّال يدلُّ على معنى واحد، ضياع الشَّيْءِ وذهابُه في غير حقِّه»[3] ويورد الخليل للفظ (الضَّلال) معان شَتَّى منها: «عدم الاهتداء، يقال: ضللت مكاني إذا لم تهتد إليه. كما يأتي بمعنى الإفلات، مثل قولهم: أضلَّ بعيره إذا أفلت، ويأتي أيضاً بمعنى عدم التَّوفيق، فيقال: رجلٌ مُضَلَّلٌ أي لايوفَّق لخير، صاحب غوايات وبطالات»[4]. قال لبيد: [من الرمل] [5]

مَــنْ هَــدَاهُ سُــبُلَ الخَيْــرِ اهْتَــدَى نَــاعِمَ البَــالِ، وَمَــنْ شَــاءَ أَضَــلَّ

قاله لبيد في الجاهليَّة فوافق قوله التَّنزيل: ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾[المدثر: 31]. ويقال أيضا: «أضللتُ الشَّيْءَ إذا غيَّبتُهُ، وأضْلَلْتُ الميِّتَ دفنتُهُ، وضللتَ المسجد والدَّار إذا لم تعرف موضعهما، وكل شيء ثابت لا تهتدي إليه»[6]. ويأتي أيضًا بمعنى: «الهلاك، يقال: ضلَّ الشَّيءَ يَضِلُّ

---

[1]–الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص836. (بتصرف)

[2]–المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]–ابن فارس: مقاييس اللغة، ج3، ص356.

[4]–الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج3، ص23.

[5]–ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دط، دتح، دار صادر، بيروت، البيت من قصيدة يتحدث فيها عن مآثره ومواقفه ويأسه لفقد أخيه أربد، ص139.

[6]–ابن منظور: لسان العرب: ج11. ص: 390. 391.

ضلالاً أي ضَاعَ وَهَلَكَ»[1]، بدليل قوله تعالى: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ **[السجدة:10]**، أي هلكنا. والضَّلال في الدينِ هو انحراف عن الحق. قال تعالى حكاية على لسان إبليس: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[النساء: 119].

ومما سبق يتبيَّن لنا ومن خلال نظرة فاحصة لهذه المعاني التي استعمل فيها لفظ (الضَّلال) أنَّها لا تخرج جميعاً عن معاني الضَّياع والهلاك وعدم الاهتداء إلى الحقِّ، والانحراف عن جادة الصواب، وكل هذه المعاني تلتقي جميعاً مع المعنى الاصطلاحي للفظ (الضَّلال) كما سنبينه فيما يأتي.

الدلالة الاصطلاحية: الضَّلال: «عدم الاهتداء إلى الطَّريق الموصل إلى مكان مقصود، أو العدول عن الطَّريق المستقيم».[2] عمداً كان أو سهواً، قليلاً كان أو كثيراً. قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الإسراء: 15]. وقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: 2]. قال الطَّبري [ت224ه): «ما حاد صاحبُكم محمد أيها النَّاس عن الحقِّ ولا زاغَ عنه، ولكنَّه على استقامة وسداد. (وماغوى) ما صار غويًّا ولكنَّه رَشِيدٌ سَدِيدٌ»[3].

3.تفسير (الهداية والضلال):

النموذج الأول:

يقول الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الزمر: 36. 37]. جاء اقتران (**الهداية والضلالة**) في الآية «ختاماً للوعد والوعيد، والتَّرغيب والتَّرهيب، وحكمًا فاصلاً منه سبحانه وتعالى، مصرِّحًا به للكافرين المكذِّبين للرَّسول ﷺ قائلاً ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ من غَفَلَ عن كفاية الله له وخوفه منه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يهديه إلى الرَّشاد ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب: ص395.

[2]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص: 509.

[3]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج22. ص: 8.

﴿ مُّضِلٌّ ﴾ إذ لا رادَّ لقضائه وحكمه »[1]، والمقصود بالضَّلالة في الآية «عدم الاهتداء لتحقيق الغايات، والتَّردُّد والحيرة، والهداية هيَّ مطلق الدَّلالة والإرشاد»[2]، واقترانهما يدلُّ على أنَّهما من الله تعالى من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ لفظ (**الهداية**) يشار به إلى معنى دقيق وجليل؛ وهو أنَّها لا تُنال إلاَّ لمن خصَّه الله بها، ووفَّقه إليها.قال تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[القصص: 56].

كما جاء اقترانهما أيضاً طمأنة لنفس النَّبي ﷺ وتقويَّته بعد تخويفه من مضرَّة الأوثان له، مبيِّنا له أنَّ الله يكفيه كيدهم وتخويفهم ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ ﴾ **[الزمر:36]** ثم وضَّحَ له أن من ضلَّ منهم، ودَنَّسَ نفسه بعبادة الأوثان، وأحبَّ الإثم والفسوق والعصيان، وأنكر هداية ربِّ العالمين، فإنما يضلُّ على نفسه ويجني عليها. فلا هادٍ له يهديه إلى الرَّشاد ويخلصه من الضَّلال، ومن طهَّرَ نفسه وحبَّبَها إلى العمل الصَّالح، «فلا مضلَّ له يصرفه عن مقصده، أو يصيبه بسوء يغير سلوكه، إذ لا رادَّ لفعله ولا معارض لإرادته. ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾ **[الزمر:37]** فهو سبحانه عزيز لا يُغالب، منيع لا ينازع ولا يمانع ذو انتقام من أعدائه لأوليائه»[3].

النموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [غافر: 33]. فقد جاء الاقتران في سياق نصيحة مؤمن آل فرعون لفرعون ومن معه، عندما عزموا على قتل موسى –عليه السَّلام– قائلاً: ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ﴾ أي فارين من النَّار، في ذلك اليوم العصيب، يوم القيامة، يوم الهلع والخوف ﴿ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ ﴾ يعصمكم من العذاب وينجيكم منه.ثم يُعلن لهم قائلاً: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ أي: «ومن يخذله الله فلم يوفقه لرشده فما له من مُوَفِّق يوفقه»[4].والعبارة فيها إشارة إلى أنَّ القوم لم يتأثروا بكلامه، فقال: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ فجاءت هذه الكلمات كأنَّها تشير إلى أن الرَّجُل يئس من قبولهم

---

[1]–الفخر الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج26. ص281. البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج5. ص43.

[2]–محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، ص13143.

[3]–مصطفى المراعي: تفسير المراغي: ج24. ص87.

[4]–ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20. ص321.

لنصحه وإرشاده[1]. فمن كتب الله عليه الضَّلالة فلا هادي له أبدا. وإنما قال لهم ذلك كما ذكر الرازي (ت604هـ): «تنبيها لهم إلى عذاب أليم ينتظرهم يوم القيامة على سبيل التَّرغيب والتَّرهيب». [2]

النموذج الثالث:

أمَّا في قوله تعالى: ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: 31] فقد جاء اقتران (**الهداية والضلال**) في سياق الحديث عن جهنَّم وخزنتها وحراسها، وموقف أهل الكتاب والمؤمنين والكفار منها، «فأما الذين أوتوا الكتاب فلديهم شيئ من هذه الحقيقة، فإذا حدَّثهم القرآن عنها استيقنوا بصدقه لما بين أيديهم من كتاب وعلم، وأمَّا الذين آمنوا فكلُّ قول من ربِّهم يزيدهم إيمانا، وهذا فضلٌ من الله بأن هداهم للإيمان به، وأمَّا المنافقون والكافرون، فلم يطمئنُّوا للخبر بل استهزؤوا به، عبر تساؤلهم عن الحكمة من ذكر الله تعالى له، فشكَّكُوا فيه، ولم يدركوا حكمته، فأصابتهم حيرة ودهشة»[3]. وهو ما سماه القرآن بالضَّلال. فقوله تعالى ﴿وَمَا يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ﴾ وهو المعنى الذي أشار إليه الإمام الطَّبري (ت310ه) بقوله: « يُضِلُّ من خلقه من يشاء، فيخذله عن إصابة الحقِّ، ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ منهم فيوفقه لإصابة الصَّواب»[4].

النموذج الرابع: قال تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: 7] الضلال في الآية: «عدم الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى المكان المقصود، سواء سلك السَّائر طريقاً آخر يبلغ إلى غير المقصود، أم وقف حائراً لايعرف أي طريق يسلك» ويضيف الطاهر بن عاشور مبيناً المراد من (الضلال) في الآية: بأنه «ليس إتباع الباطل؛ لأنَّ الأنبياء معصومون من الإشراك قبل النبوة» [5]فلمَّا عصمه الله من الضلال بيَّن.وإنَّما المقصود به الحيرة من حال المشركين من قومه، فبيَّن له أنَّ ما عليه قومه زيغ

---

[1]-الألوسي: روح المعاني، ج24. ص67. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج18. ص355.

[2]-الفخر الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج27. ص61.

[3]-سيد قطب: تفسير في ظلال القرآن: ج6. ط15، 1988، دار الشروق، القاهرة، مصر، ص3759. (بتصرف)

[4]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 23. ص440.

[5]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص400 (بتصرف بسيط)

وانحراف، «وألقى في نفسه طلب الوصول إلى الحق ليتهأ بذلك قبول الرسالة عن الله تعالى»[1].

3_ الأثر البلاغي في اقتران (الهدى والضلالة):

أ_ الجمع والمطابقة: ورد الجمع والمطابقة بين الهداية والضلالة في هذه المواضع بأنواعه، فقد ورد بين مختلفين (فعل واسم): بين (يضلل، هاد) في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [غافر: 33] وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ﴾ [الزمر: 36. 37]. للدلالة على أنَّ من يضلل الله ويحكم عليه بأنَّه ضالٌّ، خصوصاً بعد ما بيَّن الله له الطريق وعرَّفه به. فلا يقدر أحد أن يصفه بالهدى؛ لأنَّ هداية الله أمر ثابت، تتَّفق فيه كلّ العقول الفطرية. وبين فعلين: (يضل ويهدي) في قوله تعالى: ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر: 31]. وقوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: 7]. فقد زاد هذا الجمع والتَّطابق بين الفعلين أو بين الاسم والفعل، حُسْناً في الكلام وجمالاً، ووضوحاً في المعنى وجلاءً.

ب_ الاستعارة التصريحية: ورد هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: 7]. حيث شبَّه الشريعة الإسلامية «بالهدى، وعدم وجودها بالضلال. وحذف المشبَّه (الشريعة) وأبقى على المشبَّه به وهو الضلال»[2]. للتذكير بخطورته على عقيدة المؤمن وسلوكه؛ لأنَّ الضلال في حقيقته هو انحراف عن الطريق المستقيم، سواء كان هذا الانحراف مقصوداً أم غير ذلك. ولن يتأتَّى منه إلاَّ الزَّيغ والهلاك، كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: 32]

ت_ الإيجاز بالحذف:

قال تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: 7]. فقوله: (وجدك ضالاً) أي لا تعرف ما الكتاب ولا تدري ما الإيمان أو سبيل الهداية، (فهدَى) أي«هداك سبيل الرَّشاد، والسَّعادة العاجلة والآجلة، وعلَّمَكَ ما لم تكن تعلم، وزادك فوق ذلك بأن جعلك نبيًّا ورسولاً، وحمَّلكَ أتَمَّ رسالة

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص400.

[2]-محمد الأمين الهرري: تفسير حدائق الروح والريحان: ج32، ص: 103. 104.

وأكمل دين، وجعلك خاتم الأنبياء والمرسلين»[1].ولم يقل له (فهداك)، بل حذف كاف الخطاب للإيجاز بدلالة ضمائر الخطاب السابقة عليه.

وقد استعملت العرب هذا الأسلوب في كلامهم، نحو قولهم: (علفتها تبناً وماءً بارداً)، أي: وسقيتها ماء بارداً؛لأنَّ الماء يُسْقَى ولا يُعلف. كما يظهر لنا هذا الأثر البلاغي(الحذف بالإيجاز) في بقية الآيات الأخرى، فقد حذف مفاعيل (فآوى.فهدى.فأغنى) «للعلم بها من ضمائر الخطاب قبلها، ورعاية للفاصلة القرآنية»[2] التي جاءت على نسق واحد.

خـ السجع:

ورد في قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: 7] وجاء قبله: ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴾ وبعده قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾ فواصل متوافقة في حروفها الأخيرة. وهذا اللون البلاغي يسمى بـــ(السَّجع) وقد جاءت فقراته في الآية إحداهما قصيرة ﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ ﴾ ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾والثانية طويلة ﴿ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴾، ﴿يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴾، ﴿عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾. وهو من أحسن الأسجاع. ذلك أن أحسنه ما تساوت فِقَرُهُ. نحو: ﴿ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ ﴾ [الواقعة: 28. 30].ثم ما طالت فقرته الثَّانية، نحو الآيات محلّ الدِّراسة من سورة الضحى، ونحو قوله: «﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ ﴾[النجم:1. 2]. ثم ما طالت ثالثته، نحو قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ ﴾ [البروج: 5. 7].

---

[1]-عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني:معارج التفكير ودقائق التدبر، المجلد الأول، ط1. 2000، دار القلم، دمشق، ص577.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص400.

الحادي عشر: اليسر والعسر

1_ نماذج اقتران العسر واليسر:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾	الطلاق	7
02	﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾	الليل	4. 10
03	﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾	الشرح	5. 6

2_ دلالة اقتران (العسر واليسر):

أ_ دلالة العسر:

الدلالة اللغوية:

لفظ (العُسْرُ) أو (العُسُرُ) في أصله اللغوي يدل على الضَّيق والشِّدة والصُّعوبة. قال ابن فارس: «العين والسِّين والرَّاء أصل صحيح واحد يدلُّ على صعوبة وشدَّة» [1]، والمُعْسِرُ: « الذي يضيِّقُ على غريمه. والمَعْسُورُ: المُضَيَّقُ عليه، واستعسر الأمر وتعسَّرَ: أي التوى واشتدَّ وصار عسيراً »[2]،

يقال الأعْسَرُ: «للَّذِي يعمل بشماله، وأعْسَرَ والعُسْرَى هي الشمال.وإنما سميت عُسْرَى؛ لأنَّه يَتَعَسَّرُ عليها ما تيسر على اليمين. فأما تسميَّتهم إياها يُسْرَى فيُرى أنَّه على طريقة التَّفاؤل كما يقال للبيداء مفازة، وكما يقال للَّذيغ سليم»[3].

انطلاقا من هذه المعاني نلاحظ أنَّ لفظ (العسر) قد جاء في المعاجم العربية بعدَّة معان في سياقات مختلفة، منها: الضَّيْق والشِّدة والصُّعوبة، وهذه المعاني اللُّغوية لا تختلف كثيرا عن معناه الاصطلاحي كما سيأتي.

---

[1]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج4. ص319

[2]-الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج3. ص152. ابن منظور: لسان العرب: ج4. ص562.

[3]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج4. ص319.

الدلالة الاصطلاحية:

يُعرف المنَّاوي (952هـ) فيقول: «العسر ما يُجهد النَّفس ويضرُّ الجسم»[1]، فهو بهذا الاعتبار «مشقَّةٌ يلحقها الإنسان بنفسه أو بغيره، لتحصيل أمرٍ مرغوب أو عمل مقصود» – كما يقول الطاهر بن عاشور[2]–سواء تعلَّقت هذه المشقَّة بالدين، كالزيادة على القدر المشروع، أو تعلَّقت بالدنيا بترك اليسير أو السَّهل ما لم يكن فيه إثماً.

ب_ دلالة اليسر:

الدلالة اللغوية:

لفظ (اليسر) في أصله اللغوي يدلُّ على انفتاح الشيء وخفَّته، كما يدلُّ على اليسار من اليد، قال أحمد بن فارس: «الياء والسِّين والرَّاء: أصلان، يدلُّ أحدهما على انفتاح الشَّيء وخفَّته...فمن الأصل الأوَّل قولهم: اليسر ضد العسر. ثمَّ توسَّعوا في هذين الأصلين اللُّغويين فقالوا: رجلٌ يَسْرٌ ويَسَرٌ: أي سهل الانقياد. واليسار: الغِنَى، والأيسار: القوم يجتمعون على الميسر» [3]وقولهم: «أيسَرَت المرأة: أي يُسِّرَت عليها الولادة وولدت بسهولة»[4]. كما يأتي لفظ (اليسر) بمعنى: التَّهيئة. قال تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الليل: 7]، أي: «سنهيِّئه للخَلَّة اليُسرى، وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدُّنيا، ليوجب له به في الآخرة الجنَّة».[5]

والمعنى نفسه أشار إليه ابن منظور حيث قال: «واليسر ضد العسر، وهو الأمر السهل السمح القليل التشديد. وفي الحديث: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**»[6].بدليل قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ [القمر: 17] أي: «والله لقد سهلنا القرآن للحفظ والتَّدبُّر والاتِّعاظ، لما اشتمل عليه من أنواع المواعظ والعبر». [7]

---

[1]–عبد الرؤوف بن المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف: تح: عبد الحميد صالح حمدان، ط1: 1990. عالم الكتب: القاهرة، ص: 347.

[2]–الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير: ج30ص 415 (بتصرف).

[3]–أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج6. ص: 155.

[4]–الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج1، ص499.

[5]–الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، ج24، ص466.

[6]–ابن منظور: لسان العرب: ج5. ص: 296. والحديث رواه البخاري في صحيحه، في كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا يفتروا، الحديث رقم:69.

[7]–المصدر نفسه: ج5. ص295.

الدلالة الاصطلاحية:

اليسر في دلالته الاصطلاحية يدلُّ على: «عَمَلٍ لا يُجهد النَّفس ولا يثقل الجسم» [1] يتميَّز بالسُّهولة واللِّين؛ يقول الطاهر بن عاشور:«سهولة تحصيل المرغوب وعدم التَّعَب فيه»[2] كما يُعرَّف بكونه «التزام بأحكام الدِّين كما أرادها الله ربُّ العالمين، ثمَّ التَّعامل مع هذه الأحكام والتَّشريعات وفق منهج اليسر، الذي نتبيَّن معالمه من خلال المنهج النبوي الكريم.» [3] ويضيف مبيّناً لمفهومه: «صفة بيِّنة واضحة في جميع أحكام هذه الشَّريعة، وكونها ميسَّرة لا حرج فيها، نتيجة منطقيَّة لسعتها وكمالها»[4] وقد نصَّ القرآن على هذه الصِّفة في أكثر من موضع، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[البقرة: 185].

3_ تفسير(العسر واليسر):

النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7]. ورد في الآية ذكر (**اليسر والعسر**) في سيَّاق الإخبار عن أحكام الإنفاق على المعتدَّات والمرضعات، وكلُّ إنفاق يطالب به المسلم مفروض أومندوب؛ أي«سيجعل الله للمقلِّ من المال المقدور عليه رزقه(بعد العسر يسرا) أي: بعد الشِّدَّة رخاء، وبعد الضَّيق سَعَة، ومن بعد الفقر غِنًى»[5] كما جاءت هذه العبارة تتميماً لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ بالإضافة إلى أنَّها تناسب مضمون قوله تعالى ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ وفي الجمع بينهما (العسر واليسر) بشارة للفقراء بفتح أبواب الرِّزق عليهم.

---

(1)-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير: ج3. ص203.

(2)-الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير:ج30ص415.

(3)-عبد الرءوف بن المناوي: الوقيف على مهمات التعاريف: كتاب الكتروني من موقع: www-al-.com mostafa ص: 347.

(4)- عمر سليمان الأشقر:خصائص الشريعة الإسلامية: ط1. 1982. مكتبة الفلاح. الكويت. ص: 70.

(5)-تفسير الطبري: ج22، ص:71. الطاهر بن عاشور:تفسير التحرير والتنوير:المجلد:11.ص 331،

النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾. [الليل: 4. 7]

أي: «أعطى حقوق ماله، (**واتقى**) الله فلم يعصه.(**وصَدَّق بالحسنى**) أي: بالخصلة الحسنة وهي الإيمان، أو بالملَّة الحسنى وهي ملَّة الإسلام، أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنَّة، (**فسنيسره للحسنى**)أي: سنلطف به ونوِّفقه حتى تكون الطَّاعة أيسر الأمور عليه وأهونها»[1]أو سنهيِّئه للخَلَّة اليُسرى، وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا ليوجب له به في الآخرة الجنَّة، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[الليل: 8-10] بمعنى: «فسنهيِّئه في الدنيا للخَلَّة العسرى وهو العمل الذي يكرهه الله تعالى ولا يرضاه»[2]

النموذج الثالث: قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾[الشرح: 6. 7]. فقد ورد في سياق ما بُشِّرَ به النبي ﷺ وَوُعِدَ بأن يُيَسِّر الله له المصاعب كلما عرضت له. حيث يقول له: «فإنَّ مع الشَّدة التي أنت فيها من جهاد هؤلاء المشركين، رجاءً وفرجاً بأن يظفرك بهم، حتى ينقادوا للحقِّ الذي جئتهم به طوعاً وكرهاً» [3] ذلك أنَّ «اليسر لا يتخلَّف عن اللِّحاق بتلك المصاعب، ذلك لأنَّ من خصائص الحرف (مع) الدَّلالة على المصاحبة» [4] وهي مستعملة في غير حقيقتها.

لأنَّ (**العسر واليسر**) نقيضان لا يجتمعان، فاقترانهما معا بعيد، وعليه فالمعيَّة هنا، مستعارة تدلُّ على أنَّه كلَّما لحق بالعبد عسر إلاَّ وأعقبه يسر. و(**العسر**) في السورة عسرٌ خاصٌ عَرَضَ للنَّبي ﷺ وأصحابه حيث كانوا بمكة في ضيق وشدَّة، بسبب ما ألحقته بهم قريش من أذى . فوعده الله باليسر، وهو في حدِّ ذاته نعمة من النِّعم التي عدَّدَهَا الله تعالى عليه في أول السورة. وعليه فإنَّ ورود (اليسر بعد العسر كما قرَّرته الآية تسليَّة له ﷺ وطمأنة، كأنَّ الله تعالى يقول له: إنَّ الذي أنعم عليك بهذه النِّعم الجليلة، سينصرك عليهم، ويبدِّلُ لك هذا العسر بيسر قريب، وتِكرار هذا الوعد مبالغة منه وتأكيداً، أي أنَّه واقع مؤكد لا محالة.

---

[1]-محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف، ص1207.

[2]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج24. ص470.

[3]-المصدر نفسه، ص495.

[4]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج 24. ص413.

4_ الآثار البلاغية (العسر واليسر):

تضمَّنَ اقتران (العسر واليسر) في هذه المواضع القرآنية آثارا بلاغيَّة عديدة نوردها فيما يلي:

أ_ التعريف والتنكير:

لاحظنا في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٦﴾[الشرح: 6. 7]: مجيء لفظ (**العسر**) معرفاً ولفظ (**اليسر**) نكرة، ولهذا الورود أثر كبير في تجليَّة معنى (**اليسر والعسر**) وتوضيحه. فالتَّعريف الوارد في لفظ (**العسر**) كما يذكر الطاهر بن عاشور: «تعريف العهد، أي العسر الذي عهدتَّه وعلمته، وهو من قبيل ما يسميه نحاة الكوفة بأن (أل) في اللَّفظ تعويض عن المضاف إليه، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۝٤١﴾[النازعات: 41].أي: فإنَّ العسر هو: الضَّيق والشِّدَّة والأذى الذي لقيته من قريش في مكة المكرمة. فإنَّ مع عسرك هذا يسرا.» [1]كأنَّ اقتران اليسر بـــ(**العسر**) المعرف بالألف واللام مخصوص ببيان مكانة النَّبي ﷺ ومترلته عند ربِّه سبحانه وتعالى، ووعده له بأن يجعل الأمور العَسِرَة عليه يسرة له، فهو من تمام قوله تعالى له: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ [الأعلى: 8].هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد ورد لفظ (**اليسر**) في هذا الاقتران الثُّنائي نكرة حيث قال: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ والتنكير كما يقول العلماء «للتعظيم والتفخيم»[2] والمعنى: فإنَّ مع العسر العارض لك تيسيراً عظيماً يغلب هذا العسر. ويجوز كما يذكر الطاهر بن عاشور« أن يكون هذا وعداً للنَّبي ﷺ ولأمَّته؛ لأنَّ ما يعرض له من عسر إنَّما يعرض له في شؤون دعوته للدين ولصالح المسلمين.» [3] ويستدل ابن عاشور على أنَّ مع العسر يسراً، بما «روى ابن جرير عن يونس ومعمر عن الحسن عن النَّبي ﷺ لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا﴾ قال: «ابْشِرُوا أَتَاكُم اليُسْرُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ» فاقتضى أن الآية غير خاصَّة بالنَّبي ﷺ بل تعمه وأمته»[4]، لأنَّ العبرة بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبَبِ كما يقول الأصوليون.

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج 24. ص413.

[2]-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير: ج3. ص416.

[3]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج24، ص: 414.

[4]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كما أنَّ مجيء اللَّفظين نكرتين غير معرفتين بالألف واللَّام في قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[الطلاق:7] «حتَّى لا يُتوهَّم من التَّعريف معنى الاستغراق كما في قوله ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الانشراح5]» [1]وعليه فإن تنكير اللفظين هنا، تنبيه للمؤمنين أنَّه ليس في الآية وعد لكل مُعسر بأن يصير عسره يسراً. إنما يكون ذلك وفق ضوابط محكمة وشروط ملزمة، فإذا استوفت الشروط جاء الفرج من الله تعالى وقد بين الله تعالى جزءاً من هذه الضوابط في بداية السورة نفسها حيث قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: 2. 3].

ب_ التأكيد:

جاء اقتران (العسر واليسر) في الآية مُصَدَّراً في الآية بأداة التَّأكيد (إنَّ) في قوله تعالى ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾مؤكداً للآية قبله ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾وفائدته كما يذكر الطاهر بن عاشور هو «تأكيد الحكم الذي تضمَّنه في الآيتين، والقاضي بثبوت التحاق اليسر بالعسر عند حصوله. والتحاق اليسر بالعسر حكم مطرد»[2]، وعام لكل من وقع في عسر أو ضيق، فإنَّ الله وعده بأن يجعل له يسرا. فهو غير متعلِّق بالنبي ﷺ فقط. لأنَّ العبرة كما يقول العلماء ليست بخصوص السَّبب وإنما بعموم اللفظ. كما يفيد التَّأكيد في الآية أيضاً، ترجيح أثر اليسر على العسر. وقد عبر عن هذا التَّرجيح النبي ﷺ بصيغة التثنية في قوله (**لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ**) فالتثنية كما يشير الطاهر بن عاشور كناية رمزية عن التَّغلب والرجحان، فإنَّ التَّثنية قد يُكنَّى بها عن التَّكرير المراد منه التَّكثير. كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾ [الملك: 4]. والمعنى أرجع البصر كثيراً لأنَّ البصر لا ينقلب حسيرا من رجعتين. ومن ذلك قول العرب: (لبيك، وسعديك، ودواليك)... «والتَّكرير يستلزم قوة الشَّيء المكرر، فكانت القوَّة لازم التَّثنية، وإذا تعدَّدت اللَّوازم كانت الكناية رمزية»[3].

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج28 ص333.

[2]-المرجع نفسه: ج30، ص415.

[3]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.(بتصرف)

ت_ الجناس الناقص(*)

نجد هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾بين لفظي (العسر) و(اليسر) فقد اتَّفق اللَّفظان في النَّوع، فكلاهما اسمٌ، كما اتفقا في النطق ولكنَّهما اختلفا في أمرين: أحدهما في المعنى، فـــ(العسر) الذي يأتي بمعنى «الشِّدَّة والصُّعوبة، من ضيق المسالكِ ووعورتها، ومن ضيق المداخل، وكثرة العقبات. و(اليسر) السهولة واللين والمطاوعة والانقياد، وانفراج المسالك، واتِّساع المداخل، ومطاوعة الأشياء وانقيادها، والخلوّ من العقبات والموانع والمؤذيات»(1).

فهما بهذا الاعتبار جناس متماثل. وثانيهما في نوع الحروف فقد ابدلت العين في (العسر) بحرف الياء في (اليسر).وبين الحرفين اختلاف وتباعد في المخرجين، فحرف (العين) يخرج من وسط الحلق مع رجوع لسان المزمار إلى الخلف كثيراً، وحرف (الياء) يخرج من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويسمى هذا الجناس بالجناس اللَّاحق.الذي كان له الدَّور الجليُّ في إبراز المعنى وترسيخه في النَّفس.

ث_ المقابلة: نلاحظ هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[الليل: 5. 10] فهذا النص القرآني خِطَابٌ إلهيٌّ، حوى في ثناياه اقتران (اليسر والعسر) الذي ورد في سياق جواب القسم الذي بدأت به السورة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ **[الليل: 1]** ثم أجاب عن هذا القسم بقوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ أي: «إنَّ مساعيكم وأعمالكم أشتات مختلفة. وبيان اختلافها فيما فصَّلَ على أثره»(2) من أصناف النَّاس وأنواعهم: فمنهم التَّقيُّ ومنهم الشَّقِي، ومنهم الصَّالح ومنهم الطَّالح.

بعد بيان أصناف الناس يأتي أسلوب المقابلة، الذي بيَّن من خلاله ما رتَّبَ لكلِّ صنف من هذه الأصناف جزاءه الذي يستحقه، فبدأ سبحانه ببيان أحد طرفي المقابلة قائلاً: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: 5] أي: فمن أعطى ما أوجبه الله في ماله من حقٍّ

(*)–الجناس: أن يتفق اللفظان في هيئة الحروف، ونوعها، وعددها، وترتيبها، وأن يختلفا في معنى وهيئة الحروف، والحركات.ويدعى هذا الجناس بالتَّام، فإذا تخلف شرط من هذه الشروط الأربعة، فهو جناس ناقص غير تامٍّ.

(1)–حسن حبنكة: معارج التفكر ودقائق التدبر، المجلد الأول، ص594.

(2)–محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف، ص1206.

معلوم، طاعة لله تعالى، وتصديقا بما وعد به أهل التقوى والإنفاق ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[سبأ: 39] كان جزاؤه ما بيَّنه في قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ أي: «نوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه وأهونها»(2)، أو ييسر له «الجنَّة كما فسَّرها بعض المفسِّرين» [1] أو ييسر له كل ما لا مشقَّة فيه، من أعمال الدنيا ومنافعها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[الأنعام: 125] ثمَّ ثَنَّى بذكر الطَّرف الثَّاني للمقابلة، وهو (العسر) مقرونا ببعض مظاهره من البخل والكذب والاستغناء، فقال: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ رفض الامتثال لأمر الله تعالى وأَصَرَّ على كفره وإعراضه، فإنَّ جزاؤه ما عَبَّرَ عنه القرآن ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ جزاء وفاقاً، والعسرى إما هي الشِّدَّة والضَّيق؛ لإعراضه عن الله، وإمَّا هي مكانته يوم القيامة وهي جهنَّم؛ لأنَّها مكان العسر والشَّدائد على أهلها قال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ [المدثر: 10].

وعليه فإننا نلاحظ أنَّ هذه الآيات قابلت بين الثَّواب والعقاب، والعطاء والبخل، فالعطاء يترتب عليه التَّيسير للأعمال النَّافعة في الدُّنيا، والجنَّة يوم القيامة ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾، والبخلُ يترتب عليه: التَّيسير للشِّدَّة والضيق في الحياة الدنيا، أو العذاب يوم القيامة ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾.

التَّعبير بالمقابلة عن هذه الدَّلالات فيه إشارة إلى أنَّ تحصيل المنافع في الدنيا والجنة يوم القيامة يتمُّ عن طريق البذل والعطاء، وأما الوقوع في الضيق والعسر في الدنيا، والهلاك غدا يوم القيامة بسبب البخل والشُّحِّ. وهي الدلالات التي ذكرها الرَّسول ﷺ حين قال:«**ثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ، وثَلاَثٌ مُنْجِيَّاتٍ، وَثَلاَثُ دَرَجَاتٍ، فَأَمَّا المُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ...**» رواه الطبراني في الأوسط.

جـــ الإطناب:

يظهر هذا الأثر البلاغي في تكرار الآية القرآنية: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج30، ص383.

﴿ **[الشرح5. 6]**. فقد كان لنزول هذه الآية على قلب رسول الله ﷺ أثراً بليغاً، ففرح بها فرحاً كبيراً، دلَّ على هذا التَّأثر والفرح قوله لأصحابه ﷺ بعد نزولها: «**أَبْشِرُوا فَقَدْ جَاءَكُم اليُسْرُ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ**»[1] قال الزَّجَّاج:«ذَكَرَ العسر مع الألف واللَّام ثم ثَنَّى ذكره، فصار المعنى إنَّ مع العسر يسرين. قال النَّبيُّ ﷺ «لاَ يَغْلِبُ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، قِيلَ: لَوْ دَخَلَ العُسْرُ جُحْرًا لَدَخَلَ اليُسْرُ عَلَيْهِ. وذلك أنَّ أصحاب النَّبي ﷺ كانوا في ضيق شديد، فأعلمهم الله أنَّهم سيوسرون، وسيفتح عليهم، ويبدلهم بالعسر يسراً.» [2] وأورد الرَّازي في تفسيره أنَّ الفرَّاء والزَّجَّاج ذكرا أنَّ: «العسر المذكور في الآية بالألف واللام ليس لمعهود سابق، فينصرف إلى الحقيقة، فيكون المراد بالعسر في اللَّفظين شيئاً واحداً، وأمَّا اليسر فإنَّه مذكورٌ على سبيل التَّنكير، فكان أحدهما غير الآخر. يقول الجرجاني في هذا المعنى: إذا قال الرَّجل: إنَّ مع الفارس سيفاً، إنَّ مع الفارس سيفاً، يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان»[3] فاليسر بهذا الاعتبار نعمة من الله تعالى، وفضل أسداه إلى نبيِّه ﷺ فكان الفرح والسُّرور علَّة وجه رسول الله ﷺ من أثر هذا اليسر. فقويَّت عزيمته به واشتدت أرادته، وتحدَّى به الصِّعاب التيِّ اعترضته، وهو يبلِّغ رسالة ربِّه، وعليه نلاحظ في الآية إطناب بتكرير ﴿ **فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦** ﴾ وإنَّما كرَّر هذه الألفاظ، لتقرير معناها في النُّفوس وتمكينه في القلوب، والزِّيادة في اللفظ زيادة في المعنى وتأكيد له، وقد أفاذ الإطناب هنا، أنَّ العسر زائل لا محالة، واليسر واقع لا محالة، وتكرار العسر معرفا بالألف واللام واليسر نكرة، للدَّلالة على أنَّ العسر واحد واليسر غير واحد. وهو أسلوب استعملته العرب كثيراً في كلامها، فمن عادة العرب في كلامها أنَّها إذا ذكرت اسماً معرَّفاً، ثمَّ أعادته كان الثَّاني هو الأول، وإذا ذكرت اسماً نكرة ثمَّ أعادته كان الاسم الثَّاني غير الأول. [4]

---

[1]-الحديث من مراسيل الحسن البصري، قال عنه الشيخ الألباني رحمه الله: ضعيف، أخرجه الحاكم (2. 528) عن اسحاق عن إبراهيم الصنعاني عن الحسن البصري: في قول الله عز وجل: (إن معر العسر يسرا) قال: خرج النبي ﷺ يوما مسروراً فرحاً يضحك وهو يقول: "لن يغلب عسر يسرين".

[2]-الزجاج: معاني القرآن: ج5. ص341.

[3]-فخر الدّين الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج32. ص6.

[4]-محمود صافي:الجدول في إعراب القرآن.ط3. 1995.دار الرشيد (دمشق).ص: 358.

الثالث عشر: جَنَّات وعيون:

1. نماذج اقتران جَنَّات وعيون:

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية
01	﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾	الدخان	25
02	﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾	الدخان	51. 52
03	﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾	الذاريات	15

2. دلالة (جَنَّات وعيون):

أ. دلالة (جَنَّات)

الدلالة اللغوية:

جاء في معجم العين:«الجَنَّةُ: الحديقة، وهي بستان ذات شجر ونزهة، وبالضَّمِّ الجُنَّةُ وهي الدِّرع، وكلُّ ما وقاك فهو جُنَّتُك».[1]قال ابن فارس:«الجنَّة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستورٌ عنهم اليوم؛لأنَّ لفظ(الجنَّة) يتألَّف من حرفين (الجيم والنُّون)، وهما أصلٌ واحدٌ يدلُّ على السِّتر أو التَّستُّر، والجنَّة عند العرب إمَّا أن يراد بها البستان؛ لأنَّ الشَّجر بورقه يستر، وإمَّا أن يراد بها النَّخل الطِّوال». [2]

الدلالة الاصطلاحية:

الجنَّة هي: «دار الثَّواب الأكبر، والنَّعيم الدَّائم في الدَّار الآخرة، التِّي وعد الله بها المؤمنين برسالة محمد ﷺ، «والدَّار التِّي يصير إليها المسلمون في الآخرة»[3].

---

[1]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج1. ص268.

[2]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج1. ص422.

[3]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ب. دلالة (عيون):

الدلالة اللغوية:

العيون جمع مفردها (عين)، وهي في اللغة على عدة معاني، منها: «العين النَّاظرة، لكلِّ ذي بصر، والعين من السحاب ما أقبل من يمين القبلة، والعين: المال، والعَيْنُ: الميل عن الميزان، والعِينُ: بقر الوحش.» [1].

الدلالة الاصطلاحية:

يُقصدُ بالعيون في وضعها الاصطلاحي: « عُيُونُ الماء التي تجري بين الأشجار والقصور، إسعاداً لأهل الجنَّة». [2]

3.تفسير(جنات وعيون):

النموذج الأول:

يقول الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: 25]، أي: «كم ترك فرعون وقومه بعد مهلكهم وإغراقهم من بساتين أشجار، وهي الجنَّات، و(عيون) يعني: ومنابع ماء كانت تنفجر من جنانهم.» [3].وفسَّر الماوردي (ت450ه) «الجَنَّات» بالبساتين، و«العيون» عنده على قولين: «أحدهما عيون الماء، وهو قول الجمهور، والثَّاني، عيون الذَّهب، وهو قول ابن جبير»[4].

وهو المعنى نفسه الذي ذهب إليه الشعراوي في تفسيره لألفاظ الاقتران، فـــ(الجنَّات) هي عبارة عن «حدائق وبساتين نضرة، و(العيون) هي: عيون الماء العذب، الذي يجري خلال هذه البساتين»[5].

النموذج الثاني والثالث:

فسر الطبري (ت310ه) الجنات والعيون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: 51]، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: 15]،

---

[1]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج3، ص263، 264.

[2]-حسن حبنكة الميداني: معارج التفكر ودقائق التدبر، المجلد 13، ص60.

[3]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج21. ص38.

[4]-الماوردي: النكت والعيون: الماوردي، ج5، ص251.

[5]-محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي: ص14002.

وبالبساتين وعيون الماء فقال: «فالذين اتَّقوا ربَّهم سبحانه وتعالى بطاعته، واجتنبوا معاصيه في الدُّنيا، في بساتينَ وعيونِ ماءٍ في الآخرة.» [1]

وقد يعود اقتران العيون بالجنات إلى ما ذكره الشعراوي «إنَّ الجنات الأصل فيها الخضرة والنماء والثمار، وهذه الأشياء كلها وليدة وجود الماء، فالعيون في الجنات لاستبقائها ودوامها كجنَّة»[2] وذكر أبو السعود(ت951ه) سبباً آخر لاقتران(الجنات والعيون) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الدخان:51] وهو «الدلالة على نزاهة المقام واشتماله على طيبات المآكل والمشارب»[3]

3.الآثار البلاغية لاقتران (جنات وعيون):

أ.التنكير:

نلاحظ في المواضع الثلاثة التي ورد فيها اقتران (**جنات وعيون**) أنَّ ألفاظ هذا الاقتران جاءت نكرة مع أنَّها معرفة، كما يقول الرازي (ت604ه) للدلالة على« التعظيم، يقال: فلان رجل أي عظيم في رجولته.» [4]

والملاحظ في الآيات أنَّ لفظ الجنَّة جاء في هذه الآيات في صيغة الجمع: (جنَّات)، كما جاء في مواضع أخرى في صيغة الإفراد(الجنة)نحو قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [محمد: 15]، لاتِّصال المنازل فيها والأشجار والأنهار، فهي بمنزلة الجنَّة الواحدة، وفي صيغة التَّثنية (جنتان) نحو قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: 46].فقد جاء ذكر (الجنَّتان) في سيَّاق الوعد، وتثنية (الجنَّة)، إشارة منه سبحانه وتعالى إلى الزِّيادة في عطائه لما وعد به عباده، فجاء الوعد تارة بالتَّثنية، وتارة أخرى بالجمع كما هو الحال في الآيات؛ لأنَّ هذه الجنَّة في الآخرة جنَان، لا يحصرها حدٌّ أو عدد. «لا يبلغ كنهها كما يقول الألوسي (ت1270هـ) ولا يقادر قدرها»[5] لكثرتها، سيَّما وقد سبق اقتران (جنَّات وعيون) بأداة الاستفهام (كم) الخبريَّة التي تفيد الكثرة.

---

[1]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج21. ص500.

[2]-محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي: ص14564. 14565.

[3]-أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج8، ص66.

[4]-فخر الدين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج28، ص200.

[5]-الألوسي: روح المعاني، ج27، ص7.

ب.التأكيد:

ورد أسلوب التأكيد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الدخان: 51. 52]، حيث نلاحظ أنَّ الله تعالى أكد بأداة التأكيد الثقيلة (إنَّ) على مقام ومكان المتقين، ووصف هذا المقام كما يقول الطاهر بن عاشور بأنَّه (أمين) من باب« المجاز العقلي، ويقصد بالأمين هنا ساكنيه، بمعنى الآمن ساكنيه، كما قال ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ [التين:3]؛ لأنَّ الأمن أوَّل ما يريده السَّاكن في مسكنه، فإذا أمن في مسكنه عاش حياة النَّعيم، فقال تعالى: «في جنَّات النَّعيم». ونلاحظ في الآية تكرار حرف الجر (في) للتَّأكيد»[1] على هذا المقام وهذا النَّعيم. وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الذاريات: 15].ورد اقتران (**جنَّات وعيون**)في سيَّاق وعد الله تعالى لصنف من عباده، لأنَّهم اتَّصفوا بصفة التَّقوى، والتزموا ضوابطها و لم يخرجوا عن حدودها.

ت.حسن البيان:

يقصد بحسن البيان إخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة له، وإيصاله إلى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسلسها، نحو قوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الدخان:25. 27]. وفي قوله تعالى أيضا: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الدخان: 51. 55]. فقد أراد سبحانه وتعالى من ذكر اقتران (**جنات وعيون**) في الآيتين أن يحذِّر من الاغترار بنعم الدُّنيا، فإنها زائلة ومنتهية، فكم ترك آل فرعون من خير ونعيم، متمثلاً في عدد كبير وعظيم من الجِنَان، التِّي تجري بينها الأنهار، للدَّلالة على أنَّه كان نعيماً عظيماً، فبيَّن الله تعالى أنَّها فانيَّة وزائلة بقوله ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الدخان: 25-27] أحسن إبانة، والتَّعبير بالتَّرك «حُسْنُ بيان يوجب التَّحذير من الاغترار بالإهمال» [2] أبلغ في إيصال المعنى إلى المخاطبين بالآية، للتَّحذير من الغرور بنعيم الدنيا الزائل.

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج25، ص317.

[2]-الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، مصر. ص: 107.

الرابع عشر: الإثم بالعدوان:

1_ نماذج اقتران (الإثم والعدوان):

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ **بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ** وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾	المجادلة	8
02	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ **بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ** وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾	المجادلة	9

2_ دلالة الإثم والعدوان:

أ_ دلالة (الإثم):

الدلالة اللغوية:

الإثم في اللغة: «الذنب، وقيل: هو أن يعمل ما لا يحل له. قال تعالى: ﴿ **فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا** ﴾ [المائدة: 107]. أي: ما أُثِمَ فيه». [1] كما يأتي بمعنى: «البطء والتأخر، ومن ذلك ناقة آثمة: أي متأخِّرة، ومنه أشتقَّ (الإثم)؛ لأنَّه بطيء عن الخير متأخِّرٌ عنه، يقال: أثم فلان، وقع في الإثم، أي الذَّنب، جزاء الإثم، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا** ﴿٦٨﴾ ﴾ [الفرقان: 68]. أي:عذاباً وعقوبة.» [2]

قال تعالى: ﴿**فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ** ﴾[البقرة: 219].أي: «في تناولهما إبطاء عن الخيرات، وقال: ﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا** ﴾ [الفرقان: 68]. أي: عذاباً»[3].

فمن خلال هذه المعاني اللغوية لـــ(الإثم) يتَّضح لنا أنَّه يأتي على معاني عدة، منها: ما يعقب

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب: ج12. ص: 5.

[2]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج1. ص60. مادة (أثم).

[3]-الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص63.

فعل المعصيَّة ويتأخَّر عنها، كالذَّنب الذي هو من تبعة الفعل القبيح، ولذلك يقال للفعل الحرام: فيه إثمٌ، ولا يقال: هو إثمٌ، وقد يُعَبَّر بالإثم كناية عن المأثم.كما يأتي بمعنى البطء والتَّأخُّر عن الخير والعمل الصَّالح.

الدلالة الاصطلاحية:

الإثم عند الشريف الجرجاني: «كل ما يجب التحرُّز منه شرعا وطبعاً»[1]، وهو عند الكفوي: «الذنب الذي تستحق العقوبة عليه، ولا يصح أن يوصف به إلا المحرم، سواء أريد به العقاب، أو ما يستحق به من الذنوب، وبين الذنب والإثم فرق من حيث أنَّ الذنب مطلق الجرم عمداً كان أو سهواً، بخلاف الإثم؛ فإنَّه ما يستحق فاعله العقاب»[2]

وانطلاقا مما سبق فإنَّنا نلاحظ أنَّ المعنى الاصطلاحي للفظ (الإثم) لم يختلف كثيرا عن معناه اللغوي، فهو عبارة عن استحقاق العقوبة على ارتكاب المخالفة، كما قد يطلق على ارتكاب المخالفة نفسها.

ب_ دلالة (العدوان):

الدلالة اللغوية:

العدوان في اللغة مأخوذ من مادة «(ع د و) التي تدل على التجاوز في الشيء، وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه، والعدوان: الظلم الصراح.» [3]وفي اللسان: «عدا عليه يعدو، وعداء، وعدواً، وعدواناً، وعدوى، وتعدى واعتدى كله: ظلمه وتجاوز الحد»[4].

ومن هذا المنطلق يتبيَّن لنا أنَّ المعنى اللغوي للفظ العدوان يدور حول، والتعدي، والظلم الصريح، وكلها تشير إلى التجاوز في الأشياء والحدود. وهذه المعاني اللغوية المشار إليها في المعاجم العربية لا تختلف كثيراً عن المعنى الاصطلاحي للفظ (العدوان) كما سنبينه.

---

[1]-الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، ص11.

[2]-أبو البقاء الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص40.

[3]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج4. ص249.

[4]-ابن منظور: لسان العرب: ج15، ص31.

الدلالة الاصطلاحية:

العدوان عند الراغب عبارة عن: «الإخلال بالعدالة في المعاملة»[1] ويعرفه أبو البقاء الكفوي بأنَّه عبارة عن (تجاوز حد ما)[2]بتجاوز المقدار المأمور بالانتهاء إليه والوقوف عنده. والعدوان نوعان: عدوان في حق الله تعالى، كالتعدي على حدوده ومحارمه، وعدوان في حق العباد، بالقول أو الفعل أو الحال، في الأعراض، أو الدماء، أو الأموال.

وانطلاقاً من هذه المعاني اللغوية والاصطلاحية لثنائية (الإثم والعدوان) نلاحظ علاقة ترابطية قوية جمعت بين اللفظين، على المستويين، اللغوي والاصطلاحي، إذ يمكننا أن نستخلص منها أنَّ كل إثم فهو عدوان؛ لأنَّ العدوان ما هو في حقيقته إلاَّ فعل ما حرم الله تعالى ونهى عنه، أو ترك ما أمر الله به أن يُفعل. فهو اعتداء على أمره ونهيه في الوقت نفسه.وكل عدوان إثم؛ لأنَّ صاحبه يأثم بفعله. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: 2]

3_ تفسير(الإثم والعدوان):

النموذج الأول والثاني:

ورد الاقتران الثنائي (الإثم والعدوان) في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾[المجادلة: 8]. في سياق حديث القرآن عن المنافقين، وسوء أدبهم مع الرسول ﷺ، فقد نهاهم الله تعالى عن نجوى الرسول ﷺ ورغم ذلك عادوا إلى ما نُهُوا عنه، ففضح نجواهم له واعتداءهم عليه بقوله: ﴿وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ فـــ(الإثم) عند الطبري(ت310ه): «ما حرَّم الله، و(العدوان) الفواحش، يقول: «يتناجون بما حرَّم الله عليهم من الفواحش والعدوان، خلاف أمر الله ومعصية الرسول ﷺ» [3] أمَّا القرطبي(ت671ه) فـــ(الإثم) عنده «الكذب، و(**العدوان**) الظُّلم، يقول في معنى: «**بالإثم والعدوان**» أي: بالكذب والظلم» [4].

غير أنَّ الطاهر بن عاشور عد الإثم بأنه« المعصية وهو ما يشتمل عليه تناجيهم من كلام كفر

---

[1]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص553.

[2]-أبو البقاء الكفوي: الكليات: ص150.

[3]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج22. ص470.

[4]-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج20. ص309.

وذم للمسلمين، و(العدوان): الظلم وهو ما يدبرونه من الكيدٍ للمسلمين». [1]

والجمع بين (الإثم والعدوان) في الآيتين يدلُّ على شدَّة بغض المنافقين للرَّسُول ﷺ وذمِّهم للمسلمين، ولم يتوقف الأمر عند البغض القلبي، بل تطوَّر إلى الاعتداء عليهم عن طريق الظُّلم والكيد، بكلِّ ما يملكون من قوَّة ووسائل، للنَّيل منهم ومن دينهم. قال تعالى يصوِّر سبب البغض والعدوان الذي وصل إليه أصحاب الأخدود ودفعهم إلى ارتكاب جريمتهم الشَّنيعة ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج: 8]

4_ الأثر البلاغي لاقتران (الإثم والعدوان):

أ_ التَّقديم والتَّأخير:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [المجادلة: 8]. أي يتحدَّثون فيما بينهم بما هو إثم وعدوان ومخالفة لأمر الرسول ﷺ؛ لأنَّ حديثهم يدور حول المكر والكيد بالمسلمين. وعليه فإنَّنا نلاحظ أنَّ الله تعالى قدَّمَ في الآية لفظ (الإثم) على لفظ (العدوان) قال أبو حيان «بدأ بالإثم لعمومه، ثمَّ بالعدوان لعظمته في النُّفوس، إذ هي ظُلمات العباد، ثم ترقَّى إلى ما هو أعظم، وهو معصية الرَّسُول ﷺ وفي هذا طعن على المنافقين إذ كان تناجيهم في ذلك»[2]. أو لأنَّ الإثم هو معصية تعلَّقت بكلامٍ فيه كفر وذم للمسلمين، لا يتعدَّى حدَّ الهمس والمناجاة، أبتلي به أصحاب السَّرائر السَّيئة، والقلوب المريضة، والعدوان يتجاوز المناجاة بالإثم والهمس به، ويتعدَّاه إلى الظُّلم، وما يدبِّرونه من الكيد تجاه المسلمين.

ب_ التعليل:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [المجادلة: 9] والآية خطاب للمؤمنين «**فلا تتناجوا بالإثم والعدوان**» معلِّلاً سبب نهيه عن السلوك السيء لما فيه «من تشبه باليهود والمنافقين في تناجيهم بالشر»[3]. واعتبر ابن كثير (ت774هـ) هذا السُّلوك من رجس الشيطان وعمله، فقال: «إنما يصدر هذا (الإثم والعدوان) من المتناجين عن تزيِّين الشَّيطان

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المجلد11، ص30.

[2]-ابن حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط: ج8.ص236.

[3]-النسفي: تفسير النسفي، ج3، ص448.

وتسويله»[1] ثمَّ بيَّن الله تعالى غرض الشَّيطان من هذا السَّلوك فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [المجادلة: 10] ثُمَّ طمأن المؤمنين بأنَّ كيده لن يضرَّهم إلاَّ بإذنه تعالى وإرادته، فقال: ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

فاقتران (الإثم والعدوان) في الآية إنَّما جاء لبيان خطورة هذا السُّلوك السيئ، الذي ينبغي للمسلم أن يحترز منه؛ لأنَّه يُعدُّ في أصله من عمل الشَّيطان وأساليبه، يريد من ورائه زرع الهمِّ والغمِّ والحزن في قلوب المؤمنين، وإشغالهم عن ربهم سبحانه وتعالى، وتوهين ثقتهم به. من أجل ذلك جاء في الحديث أنَّ الرسول ﷺ قال: «**إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ**»[2] وكان يقول في دعائه: «**اللَهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَأُعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَأُعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَأُعُوذُ بِكَ مِنَ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ**»[3]

كما عدَّ القرآن الكريم اقتران (الإثم والعدوان) صفة من صفات المنافقين، الذين كانوا كما يذكر القرطبي:«يتناجون فيما بينهم، وينظرون للمؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك فلم ينتهوا»[4]ولذلك نَهَى اللهُ تعالى المؤمنين عن هذا السُّلوك، وأمرهم إذا تحدَّثوا أن يتحدَّثوا بما فيه الخير والطَّاعة والتَّقوى والعفاف، وقد سَمَى كلّ ذلك(**بالبر والتقوى**) فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المجادلة: 9].

ت_ التَّعريض:

وهو عبارة عن أن يكني المتكلم بشيء عن آخر، ولا يصرّح به، ليأخذه السَّامع لنفسه ويعلم المقصود منه، نلمح ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [المجادلة: 9]. فالخطاب في الآية للمؤمنين، نهاهم أن يفعلوا فعل المنافقين. يقول الألوسي (ت1270هـ) «الخطاب للمؤمنين الخُلَّصِ تعليماً لهم بما يحسن من التَّناجي، وما يقبح منه

---

[1]-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ج3. ص463.

[2]-ابن العثيمين: شرح رياض الصالحين، باب النهي عن تناجي اثنين دون الثالث بغير إذنه إلاّ لحاجة، رقم الحديث: 1599.

[3]-أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما، الأول رقم: 2893، والثاني: 1365. والحديث: عن أنس بن مالك ﷺ.

[4]-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ج17. ص291.

ذمًّا للمنافقين وتعريضاً بهم»[1]؛ لأنَّه لا يجوز أن يصدر ذلك من المؤمنين لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ ﴾ [آل عمران: 156]. فيكون الغرض من اقتران (الإثم والعدوان) تعليماً للمؤمنين، ويجوز أن يكون الخطاب للمنافقين، سمَّاهم مؤمنين باعتبار ظاهر أحوالهم، وهو المعنى الذي أشار إليه –الطاهر بن عاشور– بقوله: «خطاب للمنافقين الذين يُظهرون الإيمان، فعاملهم الله تعالى بما أظهروه، وناداهم بوصف الذين آمنوا» [2] بدليل مجيء الخطاب الموالي للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾ المتضمِّن الخير للمؤمنين وتقواهم واتقاءهم لمعصية الرَّسُول ﷺ، كما أنَّ البرَّ والتَّقوى من خصال المؤمنين، والمنافقون أبعد ما يكونون عن هاتين الخصلتين الكريمتين.

والتَّعريض بالمنافقين في الآية دليلُ مهانتهم على الله تعالى؛ لإظهارهم الإسلام وإبطانهم الكفر، بدليل سخريَّتهم واستهزائهم برسول الله ﷺ وأصحابه، من خلال نجواهم مع بعضهم البعض، وما تحمله من كلام قبيح واستهزاء وسخرية. وفيه أيضا وعيد على سوء أدبهم وأخلاقهم بعذاب أليم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦ ﴾ [المطففين: 29. 36]

ث_ المقابلة:

نلاحظ هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ [المجادلة: 8]. فقد قابل الله تعالى في الآية بين (الإثم والعدوان) وبين (البر والتقوى) وهو من باب مقابلة اثنين باثنين. حيث أورد في صدر الآية كلمتين، ثمَّ

---

[1]–الألوسي:روح المعاني، ج28.ص27. تفسير التحرير والتنوير: المجلد:11.ص33.

[2]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: المجلد: 11. ص32.

أتبعهما في آخرها بأضدَّادهما على الترتيب، فقابل (الإثم): وهو: (المعصيَّة) [1]، بضده (البر) وهو: الطَّاعة. والمعصيَّة ضدَّ الطَّاعة، وقابل بين (العدوان) الذي هو الظُّلم، وهو ما يدبِّره المنافقون للمسلمين من كيد، بضدِّه وهو (التَّقوى) التِّي من معانيها الامتثال لأمر الله تعالى، بكفِّ الأذى عن عباده.

المقابلة هنا جعلت الكلام في الآية متناسِباً ومتناسقاً، حيث ميزت بين وصفين: (**الإثم والعدوان**)، وهما من أوصاف المنافقين، وبين (**البِّر والتَّقوى**) وهما من أوصاف المؤمنين، فالآية ومن هذا المنطلق قابلت بين فريقين من العباد: المؤمنين والمنافقين؛ لغرض توجيه المؤمنين وإرشادهم ليتجنُّبوا أوصاف المنافقين ولا يتشبهوا بهم؛ لأنها تؤدِّي إلى الهلاك والخسران في العاجل والآجل، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: 145].والتَّمسُّك بأوصاف الأبرار المتَّقين؛ لأنَّها سبيل الصَّلاح والنَّجاة في الدُّنيا والآخرة .قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: 22. 23]

الخامس عشر: الإثم والفواحش

1_ نماذج اقتران الإثم والفواحش:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾	الشورى	37
02	﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾	النجم	32

[1]-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 20. ص313. الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: المجلد: 11. ص 30.

2_ دلالة (الإثم والفواحش)

أ_ دلالة (الإثم):

الدلالة اللغوية والاصطلاحية للفظ (الإثم): سبقت الإشارة إليهما في اقتران (الإثم والعدوان).

الدلالة الاصطلاحية:

ب_ دلالة (الفواحش):

الدلالة اللغوية:

جاء في اللسان: «الفحش والفحشاء والفاحشة: القبيح من القول والفعل، أو كل ما يشتدُّ قبحه من الذنوب والمعاصي.وجمعها الفواحش»[1]، وقد يأتي الفحش في اللغة بمعنى الزنا، وبه سُمِي الزنا فاحشة في قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ ﴾ [الطلاق: 1].وقد يأتي(الفحش) بمعنى«الزيادة والكثرة، ومنه حديث بعضهم، وقد سُئِلَ عن دم البراغيث فقال: إن لم يكن فاحشاً فلا بأس.وعليه فكل ما جاوز قدره وحدهُ فهو فاحش»[2].

وفي المعجم الوسيط: «فَحَشَ القول والفعل فحشا: اشتد قبحه، وفحش الأمر: جاوز حدهُ»[3] وقد يأتي بمعنى البخل: «والعرب تسمي البخيل فاحشاً. ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ [البقرة: 268]». [4]، وفي هذا المعنى قال طرفة: [من الطويل] [5]

أَرَى المَـــوْتَ يَعْتَـــامُ الكِـــرَامَ، وَيَصْـــطَفِي عَقِيلَـــةَ مَـــالِ الفَـــاحِشِ المتشَـــدِّدِ

الدلالة الاصطلاحية:

جاء في التعريفات الفقهية أنَّ الفاحشة هي: «التي توجب الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة، وقيل: ما نهى الله عنه. قال النسفي: الفاحشة أن تزني فتخرج للحد»[6]وقيل: «هي ما ينفر عنه الطبع

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب: ج6. ص: 325.

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-مجمع اللغة العربية مصر: المعجم الوسيط، ط4. 2004، مكتبة الشروق الدولية، ص675.

[4]-ابن منظور: لسان العرب: ج6. ص326.

[5]-المصدر نفسه.ج6. ص326.

[6]-محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: التعريفات الفقهة، ط1. 2003. دار الكتب العلمية. بيروت.لبنان. ص161.

السليم ويستنقصه العقل المستقيم»[1]، ومن هذا المنطلق يتبيَّنُ لنا أنَّ لفظ (**الفواحش**) في القرآن يدور معناه كثيراً حول الكبائر المتعلقة أساساً بالشَّهوات، كفاحشة الزنا والأفعال المحرمة والقبيحة.

4_ تفسير(الإثم والفواحش):

ورد اقتران (الإثم والفواحش) في الآيتين في سياق بيان الله تعالى فضل الدار الآخرة على الحياة الدنيا، التي وصفها بالمتاع المؤذن بالانقراض والانتهاء. أمَّا الآخرة فهي الموصوفة بكونها خير وأبقى في قوله تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى: 36]. ثم بيَّنَ أنَّ هذه الخيريَّة تحصل لمن كان موصوفا بصفات منها: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾ ذكر ابن عطية الأندلسي (ت546ه) أنَّ المفسِّرين اختلفوا في المراد بـــ(كبائر الإثم) فقيل: أنَّ الإثم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾[الشورى: 37]. هو الشرك، وذكر أنَّ جمهور المفسرين قالوا أنَّ المراد بها في الآية: السَّبع الموبقات التي وردت في الأحاديث الشريفة. ثم أردف قائلاً:

«وتحرير القول أنَّ (كبائر الإثم) هي كل معصية يوجد فيها حد في الدنيا، أو توعد بالنار في الآخرة أو بلعنة ونحو هذا»[2] كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك. وأما (الفواحش)فهي عند السدي: «الزنا، وقيل: موجبات الحدود»[3] غير أنَّ الرازي(ت604ه) يذكر أنَّ المراد بـــ(كبائر الإثم) في الآية ترتبط بكل «ما تعلق بالبدع والشبهات، و(الفواحش) ما تعلق بالقوة الشهوانية»[4]

إن القرآن وهو يقرن بين (الإثم والفواحش) في هذين الموضعين وفي غيرهما من المواضع يدلِّلُ على جرمهما وفظاعة آثارهما، فيحرم صاحبهما من رحمة الله وجنَّتِه؛ لأنَّهما من كبائر الذُّنوب التِّي تَوَعَّدَ الله تعالى فاعلَها بعقوبة قاسيَّة؛ حِرمان من الجنَّة، وحلول غضب الله ومقته عليه، من أجل ذلك أمر عباده باجتنابهما؛ لآثارهما السَّيِّئة، ففي الدُّنيا الخسران وفي الآخرة الهلاك والعذاب الأليم. كما جمع الله بهما بين عذابين؛ عذاب الدُّنيا وعذاب الآخرة، للتَّدليل على شمولية عذابه سبحانه وتعالى لكلِّ من عصاه، فعذابه يشمل الحياة الدُّنيا والآخرة، وفيه أيضاً تخويفٌ وتنبيهٌ لكلِّ من سوَّلت له نفسه ارتكاب الكبائر والتَّعدي على حدوده.

---

[1]-محمد عميم الإحسان المجددي البركتي: التعريفات الفقهة، ص162.

[2]-ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج5، ص:39.الثعالبي: تفسير الثعالبي، ج5، ص163.

[3]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4]-الفخر الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج27. ص177.

4_ الأثر البلاغي لاقتران (الإثم والفواحش):

أ_ التقديم والتأخير: نلاحظ في الآيتين الكريمتين، في قوله تعالى: «﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ [الشورى:37]. وفي قوله: «﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ ﴾ [النجم: 32]. تقديم لفظ (**الإثم**) وهو الذَّنب الذي تترتَّب عليه عقوبة عامَّة، تختلف باختلاف الذَّنب، وهو في الآية لفظ عامٌّ، يحتمل مجموعة من الذُّنوب والمعاصي، لها آثارها على العبد في الدُّنيا والآخرة:منها:«البدع وإثارة الشُّبهات»[1]أمّا لفظ(الفواحش).فهي الذُّنوب الموجبة للحدِّ.والمتعلِّقة بالقوَّة الشَّهوانية، يترتَّب على ارتكابها عقوبات محدَّدَة بيِّنة واضحة، تقع على صاحبها في الدُّنيا، كحدِّ الزِّنا والسَّرقة والقتل...وإنَّما قَدَّم لفظ (الإثم)للتَّنبيه على خطورته، لدقَّته وتعلُّقه بذنوب يحسبها العبد هيِّنة، وهي عند الله عظيمة.وأخَّرَ لفظ (الفواحش)؛لأنَّها ذنوب بيِّنة وواضحة في فحشها، وفي عقوبتها وحدِّها.

ب_ التَّفصيل بعد الإجمال:

ورد قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾[النجم: 30]. إخباراً للنَّبي ﷺ وتسلية له على أنَّه تعالى متولي حسابهم، وجزائهم يوم القيامة على سبيل الإجمال، ثُمَّ أعقب هذا الإخبار بقوله ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [النجم: 31]. على سبيل التَّفصيل. وورد هذا التَّفصيل لجزاء المسيئين والمحسنين، كما يذكر الطاهر بن عاشور: «مرتباً على وفق ترتيب إجماله الذي في قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [النجم: 30]. على طريقة اللَّفِ والنَّشر المرتَّب»[2] فَذَكَرَ في الإجمال ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ مفصِّلاً إيَّاه في قوله ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ ثم ذكر في قوله ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ تفصيله في قوله: ﴿ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ثمَّ أورد الاقتران الثُّنائي ففصَّلَ أوصافهم تفصيلاً فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾ فهيَّ صفة للَّذين أحسنوا، فاجتنبوا كبائر الإثم والفواحش، وفعلوا الحسنات واجتنبوا المنهيَّات.

---

[1]-الفخر الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج27. ص177.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج27. ص120.

ت_ التَّعليل:

جاء الاقتران الثُّنائي في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ**﴾ [النجم: 30]. تعليلاً للأمر بالإعراض عمَّن تولَّى عن ذكر الله تعالى، وكتابه الكريم الجامع لكلِّ العلوم، وتعلَّقَ بالدُّنيا حتى أصبحت مناه ومنتهاه. ﴿ **ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ** ﴾ [النجم: 30] فلا تنفعهم نصيحة ناصح أو إرشاد مرشد، لقصور ضمائرهم عليها واصطباغهم بها، من أجل هذا أمره الله تعالى بالإعراض عن هؤلاء، «ثم علَّلَ هذا الأمر بقوله ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ**﴾ [النجم: 30] »[1] لعلمه سبحانه بأحوالهم، فهو سبحانه وتعالى يعاملهم بموجب علمه بهم، فيجزي كُلاً منهم بما يليق به من الجزاء.

كما تضمَّن هذا الاقتران وعداً ووعيداً منه سبحانه لهؤلاء المعرضين عن ذكره.، فتكرار لفظ (**هو أعلم**) لزيادة التَّقرير والإيذان بكمال تباين المعلومين، والمراد (**بمن ضل**) في الآية المصر على الضلال الذي لم يرجع إلى الهدى أصلاً، والمراد (**بمن اهتدى**) مَن مِن شأنه الإهتداء في الجملة.» [2]

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص118.

[2]-أبو السعود: إرشاد العقل السليم، ج8، ص161.

المبحث الرابع

الاقتران الثنائي في ألفاظ الكائن الحي

1. الإنس والجن.
2. التقدم والتأخر.
3. الخوف والحزن.
4. الذكر والأنثى.
5. السائل والمحروم.
6. السّرّ والجهر.
7. الصدق والكذب.
8. اللهو واللعب.
9. الموت والحياة.
10. أساطير الأولين

أولاً: اقتران ألفاظ (الإنس والجن)

1_ نماذج اقتران (الإنس والجن):

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾	فصلت	29
02	﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	الذاريات	56
03	﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾	الرحمن	33

2_ دلالة اقتران الجِن والإنس:

أ_ دلالة الجِن:

الدلالة اللغوية: اسم جنس جمعي، واحده جنيٌّ، يجمع على (الجانِّ)، مأخوذ من الفعل (جَنَّ) . بمعنى: «استتر.يقال: جَنَّ الشيءَ يجُنُّهُ جَنًّا، وكلُّ شيء سُتِرَ عنك فقد جُنَّ عنك. وجنَّهُ الليل يجُنُّهُ جَنًّا: سَتَرَهُ. قال تعالى﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ ﴾ [الأنعام: 76]، إذا تغشاه وستره .وبه سميّ الجنّ جنًّا لاستتارهم عن الأبصار، والجنين جنيناً لاستتاره في بطن أمّه»[1]. قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ ﴾ [النجم: 32].وسميَّ القلبُ: «الجَنَان: لكونه مستوراً عن الحاسّة. وسُميَّ التِّرْسُ: المِجَنُّ والمِجَنَّةُ: لأنه يقي صاحبه ويستره من العدوّ». قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[المنافقون: 2] وفي الحديث«**الصِّيَام جُنَّةٌ**»[2] أي: وقاية من المعاصي، وسمّيت: الجَنَّةُ بذلك لكثرة شجرها، بحيث يَسْتُرُ بعضُها بعضاً.قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖ ﴾[سبأ: 15].

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب: ج13. ص92. 93.

[2]-ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ج4، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المكتبة السلفية، كتاب الصوم، باب فضل الصوم.ص164.

الدلالة الاصطلاحية:

الجن «نوعٌ من الأرواح العاقلة المريدة المكلّفة على نحو ما عليه الإنسان. لكنَّهم مجردون عن المادة البشرية، مستترون عن الحواس لا يُرون على طبيعتهم ولا بصورتهم الحقيقيَّة ولهم قدرة على التّشكل»[1]. فهم مخلوقات خفيَّة يروننا ولا نراهم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: 27]. وأرواح عاقلة قال فيها تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: 1. 2]، مكلَّفون كالبشر، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات: 56]، محاسبون على أفعالهم قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١١٩﴾[هود: 119]، وهم أيضاً مخلوقات مميَّزة جديرة بحمل الرِّسالة وتبليغها ونشرها بين أبناء جنسها، قال تعالى: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[الأحقاف: 31]. تمتاز الجنُّ بقدرات أدبيَّة رفيعة قال تعالى في شأنها: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء: 88]كما تتميَّز بقدرات ماديَّة فائقة، لقوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾[ص: 37] وقال: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ۝٣٩﴾ [النمل: 39].

ب_ دلالة الإنس:

الدلالة اللغوية: قال ابن فارس: «الهمزة والنُّون والسِّين أصلٌ واحدٌ، وهو ظهور الشَّيء، وهو خلاف الجنِّ، وسُمُّوا بذلك لظهورهم، يقال: آنستُ الشَّيء إذا رأيتَهُ. ومنه قوله الله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾[النساء: 6].أي: أبصرتم أُنْسًا بهم»[2]، كما يقال: «آنست الشَّيء إذا سمعتَه، وهذا مستعار من الأوَّل، ويضيف إبن فارس فيقول: والأُنسُ: أُنس الإنسان بالشَّيء، إذا لم يستوحش منه...»[3].

---

[1]-السيد سابق: العقائد الإسلامية: دط. دار الكتاب العربي. ص133.

[2]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج1، ص145.

[3]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الدلالة الاصطلاحية: الإنس اسم جنس يقع على المذكَّر والمؤَّنث سميَّ بذلك؛ لأنَّه «خُلق خلقاً لا قوام له إلاَّ بإنس بعضه ببعض؛ ولهذا قيل: الإنسان مدنيٌّ بالطَّبع. من حيث لا قوام لبعضه إلاَّ ببعض»[1] والإنس الجماعة الكثيرة من النَّاس، وهي خلاف الجِن، مفردها الإنسان، هو ذلك الكائن الحيّ المفكر الرَّاقي، «المركب من جسد وروح، فبالجسد يتحرك ويحس، وبالروح يدرك، ويفكر، ويعلم، ويريد، ويختار، يحب ويكره». [2] يحظى بمجموعة من الحقوق، ويؤدي ما عليه من الواجبات.

3_ تفسير(الإنس والجن):

النَّموذج الأوَّل:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾ فصلت: 29]. جاء اقتران (**الإنس والجن**) في سياق تصوير القرآن لحال المشركين وهم يتقلبُّون في العذاب، يستغيثون ربَّهم أن يريهم من كان سبباً في ضلالهم، وشقائهم في الدُّنيا والآخرة ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾[فصلت: 29]، والمراد بالجن والإنس في الآية «إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه، بدلالة قوله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقتَلُ ظُلماً إلاَّ كَانَ عَلَى ابْنُ آدَم الأَوَّلُ كِفلٌ مِنْ ذَنْبِهِ؛ لأَنَّهُ أوّلُ من سَنَّ القَتْلَ**»[3] اللذين سنَّا القتل، لينتقموا منهم ويشفوا غليلهم مما سبَّبوه لهم من عذاب مهين. وقد يراد بـــ(**الجِن**) «الشَّياطين الذين كانوا يسوِّلُون لهم، ويحملونهم على المعاصي، و(**الإنس**) الرُّؤساء الذين كانوا يزيِّنُون لهم الكفر» [4].فجمعت الآية وقرنت بين نوعين من المضلِّين: الجِن والإنس؛ الجِن بالوسوسة: ﴿ ٱلَّذِى يُوَسۡوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: 5] والإنس بتزيِّين المعاصي والذُّنوب﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَانُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النمل: 24] وقد جمعهما هدفٌ واحدٌ، وهو إغواء الإنسان لإضلاله عن الحقِّ والصِّراط المستقيم.

---

[1]-الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص94.

[2]-السيد سابق: العقائد الإسلامية، ص.223.

[3]-القرطبي: تفسير القرطبي، ج18، ص414، والحديث أخرجه الترمذي في سننه، والبخاري ومسلم في صحيحهما.

[4]-الشوكاني: فتح القدير، ط4. 2007. دار المعرفة، بيروت، ص1315.

النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56] في الآية إعلان وإخبار للعالم أجمع من (جن وإنس) بأنَّ اللهَ ما أوجدهم في هذه الحياة إلاَّ لمقصد واحد ألاَ وهو: عبادته سبحانه وتعالى دون غيره، لا لاحتياجه

إليهم؛ وإنَّما لمصلحتهم التِّي تعود عليهم بالنَّفع في الدُّنيا والآخرة، فإذا أعرضوا عن هذا المقصد الذي وجدوا من أجله، وتمردُّوا عليه، فلن يفلتوا من الله تعالى؛ لأنَّه محيط بكلِّ شيءٍ. يقول الطبري(ت310ه) مشيراً إلى هذا المعنى في تفسيره للآية: «وما خلقت الجنَّ والإنسَ إلاّ ليُدعنوا لي بالعبوديَّة، ويعترفوا بها، ويتذلَّلُوا بها لأمري»[1]. والمقصود بالإنس والجِن كما يقول:«أهل السَّعادة من الجن والإنس إلاَّ ليوحدونه»[2]، بدليل أنَّ الله حصر العبادة فيهم تشريفاً لهم، بخلاف العصاة الأشقيَّاء منهم فلا قيمة لهم عنده ولا شرف؛ لأنَّهم خُلقوا مجبولين على الشَّقاء وفعل الذُّنوب والمعاصي.

النموذج الثالث: قال تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾[الرحمن: 33]. خطاب تحذير وتنبيه لمن أعرض أو تمرَّدَ عن الغاية الكبرى التي خُلِقَ من أجلها، فلا مفرَّ لهم من الله تعالى إلاَّ إليه.﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: 10. 13]. و(**الإنس والجن**) في الآية هما: «الثَّقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التَّقرير، مقدِّماً الجِن؛ لأنَّهم مشهورون بالقدرة على الأفاعيل الشَّاقة، فخوطبا بما ينبئ عن ذلك لبيان أنَّ قدرتهم لا تفي بما كلِّفوه»[3].

إنَّ اقتران (**الجن والإنس**) في هذه الآيات وفي غيرها من المواضع، يدل على أنَّ لفظ (الإنس) إنما أراد به الإيناس دون التَّوحشِّ، والإيناس هو الإبصار والسماع، تقول: « آنست الشَّيء أبصرته وآنس الصوت سمعهُ»[4]. بمعنى ظَهَرَ له وعايَنَهُ، ولذا اقترنت بما يضادها في هذه الصِّفة؛ «إذ الجن

---

[1]-ابن جرير الطبري: تفسير الطبري، ج21، ص553.

[2]-المصدر نفسه، ج19، ص506.

[3]-أبو السعود: تفسير أبي السعود، ج8، ص181.

[4]-الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ص205.

خلاف الإنس، من حيث إنَّهم سُمُّوا بذلك لاستتارهم وعدم ظهورهم»[1]، ورُغم أنَّ الجن لا يؤنس بهم، بل يشعر الإنسان بالخوف والوحشة عند ذكرهم، إلاَّ أنَّه سبحانه قرنهم بالإنس، ليدلَّ هذا الاقتران على أنَّهم اشتركوا في وظيفة واحدة هي عبادة الله تعالى، وفي جزاء واحد مترتِّبٌ على مدى استجابتهم لأداء هذه الوظيفة؛ إمَّا نعيماً مقيماً وإمَّا عذاباً أليماً.

4_ الأثار البلاغية لاقتران (الجن والإنس):

أ_ التعليل:

نلمح هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56. 57]. فقد ذَكَرَ الله في الآية أولاً خلق الجنَّ والإنسَ، ثمَّ ذكر بعدهما عِلَّةَ خلقه لهما، ألاَ وهو عبادتهم له سبحانه وتعالى، لكون رتبة العلَّة تتقدَّم على المعلول. فقدَّمَ سبحانه خلق الجنِّ والإنس على علِّة العبادة. بدليل قوله (**ليعبدون**) قال الطَّاهر بن عاشور:«فاللَّام هنا لام العلَّة. أي ما خلقتهم لعلَّة إلاَّ علَّة عبادتهم إيَّايَ. والتَّقدير: **لإرادتي أن يعبدون**»[2]. يدلُّ على هذا التَّقدير قوله تعالى في جملة البيان: ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: 57] وهذا التَّقدير كما يقول بن عاشور«يُلاحظُ في كلِّ لامٍ تَرِدُ في القرآن تعليلاً لفعل الله تعالى، أي ما أرضى لوجودهم إلاَّ أن يعترفوا لي بالتَّفردِّ بالإلوهية» [3]. فأسلوب التَّعليل هنا دل على أنَّ كلاً من الجنِّ والإنسِ قد اجتمعا على أمرٍ ومصيرٍ واحد، ألاَ وهو الاستواء في الأمر بالعبادة الذي يتفرَّع عنها ثواب وعقاب، كما دلَّ على أنَّ كلاً منهما ضعيف أمام الله خالقه محتاج إليه، وبالتَّالي فهو ملزم بالإيمان به وإفراده بالعبادة دون سواه.

ب_ العام المراد به الخصوص:

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾[الذاريات: 56. 57] الخطاب في الآية جاء بلفظ العموم بدليل مجيئ لفظتي (**الجنِّ والإنس**) معرَّفتين بـــ(**أل**) الجنسيَّة التي تشير إلى كل الأفراد الذين تتناولهم لفظتي(**الجن والإنس**) غير أن المعنى المراد كما بينه القرطبي«الخصوص، أي ما خلقت أهل السَّعادة منهما إلاَّ ليوحدون»، وعَضَّدَ القرطبي

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب: ج13. ص93. من أسرار العربية في البيان القرآني. ص48. الزاهر في معاني كلمات الناس.ج2، تح: حاتم صالح الضامن، ط2. 1989. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ص333

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:ج27، ص25.

[3]-المرجع نفسه: المجلد11. ص: 25.

رأيه هذا بما ذهب إليه القشيري حيث قال: «والآية دخلها التَّخصيصُ على القطع؛ لأنَّ المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة، حتى أرادها منهم، وعليه فإنَّ ثنائيةبـــ(الجن والإنس)في الآية محمولة على المؤمنين منهم دون غيرهم بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: 179] ومن خُلق لجهنَّم لا يكون ممَّن خلق للعبادة»[1]

والمعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[الرحمن: 33]. فهذا خطاب عامٌّ للثَّقلين (**الإنس والجن**) فيه إعلانٌ يخبرهم فيه بأنَّهم في قبضة الله تعالى، وأنَّه لا ملجأ لهم من الله ولا منجى منه إلاَّ إليه، كما يتضمَّن وعيداً من الله وترويعاً، للضَّالين منهم والمتمرِّدين عنه، وينتظرهم من الجزاء السَّيّء، وليس الخطاب في الآية للصَّالحين منهم؛ «لأنَّ مثل هذا الخطاب لا يقال لجمع مختلط إلاَّ والمقصود منه أهل الجناية منهم، فقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ عامٌّ مرادٌ به الخصوص بقرينة ما بعده: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾﴾[الرحمان: 35]. ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[آل عمران: 173].»[2]

ت_ التقديم والتأخير:

قال الله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ متحديًّا لهم ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرحمن: 33]. والمراد أن (**الجن والإنس**) لن يستطيعوا النَّفاذ من أقطار السَّموات والأرض، إلاَّ بقوَّةٍ من الله تعالى، فلو أعطى اللهُ تعالى هذا السُّلطان والقوَّة لأحدٍ من خلقه لاستطاع النَّفاذ، فليست المسألة إذن مسألة علم، بقدر ما هيَّ مسألة سلطان وقوة من الله تعالى يعطيها لمن يشاء من عباده، ينفذ من خلالها أقطار السَّموات والأرض، تماماً كما أعطاها لسيِّدنا محمد ﷺ في رحلتي الإسراء والمعراج.

وفي الآية تحدٍّ من الله تعالى للجن والإنس في مسألة النَّفاذ إلى أقطار السَّموات والأرض. غير أنَّه قدَّمَ الجن على الإنس فقال: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ ونستطيع القول أنَّ هذا التَّقديم هو الأكثر شيوعاً في القرآن، لدلالات ومقاصد زادت المعنى وضوحاً وبياناً. منها: أنَّ لفظ الجِن «يشتمل على

---

[1]-القرطبي: تفسير القرطبي، ج19، ص506. انظر: فتح القدير للشوكاني، ص1410.(بتصرف بسيط)

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص258.

الملائكة وغيرهم، لاشتراك الملائكة معهم في الاجتنان والاختفاء عن الأبصار، فكانوا في العدد أكثر من الإنس، ومن ناحية أخرى قدَّمهم؛ لأنَّهم أقدم في الخلق من الإنس، فالعلَّة هنا تكمن في الزَّمان. وقد صرَّح القرآن بهذه العلَّة(القبلية)حينما أخَّر الإنس وقدَّم الجِنَّ». [1]كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ ﴾[الحجر: 27]

ومن دلالات هذا التَّقديم أيضاً أنَّ الجن «مشهورون بالقدرة على الأفاعيل الشَّاقة، فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان أنَّ قدرتهم لا تفي بما كلفوه من جهة»[2].

كما نلمح سراً آخر في تقديم الجن على الإنس دلَّ عليه السياق، ذلك أنَّ اقتران (**الجن والإنس**) في الآية جاء في سياق «التَّحدي بالنُّفوذ في أقطار السَّموات والأرض، فقدم الجن؛ لأنَّهم أقدر حركة من الإنس»[3]، دلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ ﴾« [الجن: 8. 9]، ودلَّ عليه أيضاً قوله تعالى في قصَّة سليمان -عليه السلام- مع عرش بلقيس، عندما قال للملإ عنده: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾[النمل: 38]. لم يجبه أحد من الإنس؛ لأنَّهم لا يملكون هذه القوَّة.أمَّا الجنّ فقد قال عفريتٌ منهم: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ [النمل: 40] وهذا عفريت وليس جنّيٌّ عادي، وهذا يدلُّ على أنَّ هناك من الجن الماهر والنَّشِط. قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ ﴾ [النمل: 40]، وطرفة عين ترمز إلى وقت قصير جداً، للدلالة أنَّ في الجنِّ أهل علم وذكاء ودراية، فلمَّا كان الجن بهذه السُّرعة في الحركة قدَّمهم الله تعالى هنا في الآية على الإنس؛ لأنَّ السياق سياقٌ فيه شيء من التحدي.

والأمر نفسه في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾[فصلت 29]. فتقديم (**الجن**) على (**الإنس**) هنا جاء في سياق مطالبة أهل الجحيم بأن يمكِّنهم اللهُ من الذين تسبَّبوا في إضلالهم وغوايتهم من الجن والإنس في الحياة الدنيا؛ لأنَّ الجن في الغواية والوسوسة وتزيِّين المعاصي والمنكرات أسرع حركة من الإنس، والأمر نفسه في تقديم

---

[1]-بدر الدّين الزّركشي: البرهان في علوم القرآن: ج3. ص258.

[2]-أبو السعود: تفسير أبي السعود، ج8، ص181.

[3]-قسطاس إبراهيم النعيمي: التقديم والتأخير في القرآن، مركز البحوث في الإعجاز البلاغي، جامعة الإيمان.اليمن.

لفظ (**الجِنَّة**) على لفظ (**النّاس**) في قوله تعالى﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾[الناس: 6]. حيث قدم الجِنَّة على النَّاس، يقول فاضل السَّامرائي: «وقد تقول لِمَ قَدَّمَ الجنَّة على النَّاس؟

والجواب أنَّ لهذا التَّقديم أسبابٌ: منها أنَّ الجِنّة هم المُعْتَدُونَ على النَّاس، وأنَّهم هم الأصل في الوسوسة، حتى أنَّ الوسواس من أسماء الشيطان. وقد تكون وسوسة الإنسي للإنسي من وسوسة الشَّيطان.» [1].

وقد تقول «ولِمَ قَدَّمَ شياطين الإنس على شياطين الجنِّ في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾[الأنعام: 113].والجواب أنَّ السِّياق في هذه الآية يقتضي تقديم شياطين الإنس، فهو يتحدَّث عن كفرة الإنس ومشركيهم لا عن الجن والشَّياطين»[2] بدليل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا﴾وعداوة الأنبياء ومحاربتهم، ظاهرة في الإنس أكثر منها عند الجِنِّ.وقوله تعالى﴿فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾ والافتراء على اللهِ تعالى وعلى الأنبيَّاء ظاهر في الإنس فناسب تقديم الإنس على الجِنِّ في الآية.

ث_ التعريض:

التعريض أن يُكَنِّي المتكلِّمُ بشَيء عن آخر، لا يُصَرِّحُ به، ليأخذه السَّامع لنفسه، ويعلم المقصود منه. كقول أحدهم: (ما أقبح البخل) فيعلم أنَّك أردت أن تقول له أنت بخيل. وعدَّه البلاغيُّون ضرباً من ضروب الكناية. نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧﴾[الذاريات: 56. 57].فقد بيَّنَ الله تعالى حال المشركين، والمآل الذي ينتظرهم، وأنَّه لا يختلف عن حال الأمم قبلهم، التي صَمَّمَت على تكذيب الرُّسُل والأنبيَّاء، وما أوقعه الله بهم من عذاب أليم. فلمَّا تشابهت أحوالهم ومواقفهم كان مآلهم واحداً؛ لأنَّ الجزاء من جنس العمل. ثمَّ أعقب هذا البيان بقوله ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ والآية في حقيقتها إخبار من الله تعالى استُعمل على سبيل« التَّعريض بالمشركين الذين انحرفوا عن الفطرة التي

[1]-فاضل السامرائي: على طريق التفسير البياني، جامعة الشارقة الإمارات العربية المتحدة. ط2002. ج1.ص57.

[2]-فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط4/ 2006. ص53.

خلقوا عليها، فخالفوا سنَّتها اتباعاً لتضليل المضلِّين.» [1] والمقصود من هذا الإخبار كما يقول ابن عاشور: «الإنس وإنما ذُكِرَ الجنُّ إدماجاً معهم»[2] ثمَّ بيَّنَ سبحانه أنَّهُ ماخلق الخلق من إنس أو جنٍّ إلاَّ لعبادته، بدليل لاَمُ التَّعليل في قوله «**ليعبدون**»، أي لم يخلقهم للإشراك به، ومعصيَّته وتكذيب أنبيائه، فكان هذا التَّعبير القرآني تعريضاً بهؤلاء المشركين، وتسفيهاً لعقولهم وأعمالهم، فبدل أن يؤمنوا بالله تعالى ويصدِّقوا رسوله فيما دعاهم إليه، «انحرفوا عنه وعن الفطرة التي خُلِقوا عليها، فخالفوا سنَّته اتباعاً لتضليل المضلِّين»[3].

ت_ القصر:

نلاحظ في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الذاريات: 56. 57].أسلوب الاستثناء بعد النَّفي، وهو أسلوب من أساليب القصر. قصر فيه المستثنى منه على المستثنى، حصره فيه دون غيره. يقول الطاهر بن عاشور: فالقصر أو «الحصر المستفاد من الآية قصر علَّة خلق الله الإنسَ والجنَّ على إرادته أن يعبدوه»[4] ومعناه ألاَّ غاية من خلق الخلق إلاَّ هذه. والقصر عند البلاغيِّين: «حقيقيٌّ ويقصدون به تخصيص شيء بشيء بالنِّسبة إلى جميع ما عداه بحيث لا يتجاوزه على الإطلاق. وإضافي ويقصدون به تخصيص شيء بشيء بالنِّسبة إلى بعض ما عداه»[5].

والقصر الإضافي في الآية كما يشير الطاهر بن عاشور «من قبيل قصر موصوف على صفة»[6]؛ لأنَّ فيه تخصيص العلَّة من خلق الخلق، وهي إرادته سبحانه وتعالى أن يعبدوه بالنِّسبة إلى مراده الشَّرعي، فلا علَّة لخلق الخلق من حيث إرادة الله تعالى الشَّرعية إلاَّ هذه لا غير. بدلالة الآية بعدها﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾الذاريات: 57] فهذا نفي منه سبحانه أن تكون العلة من خلق الجن والإنس متعلِّقة بإرادته المادية، كالرِّزق مثلاً الذي ضَمِنَهُ لهم، كما عَبَّرَ عن ذلك في الآيات الأولى من السورة حيث قال: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص25.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]-المرجع نفسه، ج27. ص26.

[5]-أبو البقاء الكفوي: الكليات: ص716. 718.

[6]-الطاهر بن عاشو: تفسير التحرير والتنوير: ج27. ص26.

تُوعَدُونَ ﴾[الذاريات: 22] فلم يبق من علة خلقه إلاَّ علَّةَ العبادة، وهو المراد الشَّرعي من خلقهم، وهو الظَّاهر من منطوق الآية ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

وفي الآية أيضاً قصر قلب كما أشار إليه الطاهر بن عاشور بقوله: «وأنَّه قصر قلب باعتبار مفعول (يعبدون) أي: إلاَّ ليعبدوني وحدي، أي لا يشركوا غيري في العبادة.فهو ردٌّ للإشراك»[1]. والقصر في هذه الآية له دلالاته التي من أبرزها: اشتغال العبد بطاعة ربِّه سبحانه وتعالى وحده دون غيره، ولا يريد بعبادته إلاَّ وجهه الكريم، وأن يكون عمله وفق شرعه الحكيم، فيكون هذا دأبه في حياته وسائر حركاته وسكناته.

ثانيًا: قدَّمَ وأخَّرَ:

1_ نموذج اقتران قَدَّمَ وأَخَّرَ:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾	الفتح	2
02	﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾	المدثر	37
03	﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾	الانفطار	5

2_ دلالة التَّقدم والتَّأخر:

أ_ دلالة التَّقَدُّم:

الدلالة اللغوية:

قال الخليل بن أحمد (ت170ه): «والقُدْمَة والقَدَمُ: السَّابقة في الأمر، قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[يونس: 2]. قال: أي سبق لهم عند الله خير، وللكافرين قَدَمَ شرٍّ. وفي الحديث: (**لاَ تَزَالُ جَهَنَّم تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعُ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ**

[1]-الطاهر بن عاشو: تفسير التحرير والتنوير: ج27. ص26.

قَطُّ قَطُّ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوى بَعْضها إِلَى بَعْضٍ)» [1] أي:«حتَّى يجعل الله الذين قدَّمَ منهم من شرار خلقه فيها، فهم قَدَمُ الله للنَّار والمسلمون قَدَمٌ للجنة»[2]

و(المُقَدِّمُ) عند ابن منظور يأتي بمعنى نقيض الحَدِيثِ، قال:هو: «الذي يُقَدِّمُ الأشياء ويضعها في مواضعها. والقِدَمُ نقيض الحدوث، ورد في حديث ابن مسعود: (**فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُد عَلِيَّ السَّلَامَ، فَأَخَذَنَي مَا قَدُمَ وَمَا حَدُثَ، فَلَّمَا قَضَى رَسَولَ الله ﷺ الصَّلاَةَ قَالَ: وَإِنَّ اللهَ يُحدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ أَحَدَثَ أَنْ لاَ تَكَلَّمُوا فِي الصَّلَاةِ**) [3] أي:عاودته أحزانه القديمة والحديثة»، ويأتي أيضاً كما يضيف ابن منظور بنقيض الوراء يقول: «وقدَّام نقيض وراء. قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـٰخِرِينَ** ﴾[الحجر: 24] يعني: من تَقَدَّم من النَّاس على صاحبه في الموت ومن يتأخَّر منهم فيه»، ويأتي عنده كذلك بمعنى الشَّرف: «والقَدْمُ: الشَّرفُ القديم، قيل لفلان قَدَمٌ أي: يدٌ ومعروفٌ وصنيعة، ورجل مقدامٌ أي كثير الإقدام على العدو جرئ في الحرب»[4].

فالتَّقدم في اللغة إذن كما ورد في المعاجم العربية يأتي بمعنى السَّبق والأمام والمنزلة الرَّفيعة والأولى.كما يأتي بمعنى الشَّرف وكثرة الإقدام على الأعداء. وهذه المعاني اللُّغوية الورادة في هذه المعاجم وهي نفسها تقريباً المعاني التِّي قصدها العلماء ومنهم المفسِّرون.

الدلالة الاصطلاحية:

ورد معنى (التَّقدم) على لسان بعض المفسِّرين، بمعنى «المشيُ قبل الغير»[5]، ويحمل معنى السَّبق واستعجال الأمر؛ في نحو قوله تعالى: ﴿ **لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ** ﴾ [الحجرات: 1].ومعناه: لا تتقدَّموا عليه، ولا تسبقوه بقولٍ أو فعلٍ، بل افعلوا ما يرسمه لكم، وقفوا عند حدِّه كما تفعله الملائكة، الذين وصفهم الله تعالى بأنَّهم: ﴿ **لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ** ﴾[الأنبياء: 27].

---

(1)-حديث متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه تحت رقم: 6661، ورواه مسلم في صحيحه تحت رقم: 2848.

(2)-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج3. ص366.الزمخشري: أساس البلاغة: ج2. ص: 58. 59.

(3)-علي أحمد عبد العال الطهطاوي: منهاج الأبرار شرح ما ورد في سجود السهو وصلاة أهل الأعذار من الكتب الستة وموطأ مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ص504.

(4)-ابن منظور: لسان العرب: ج12. ص465.

(5)-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج26، ص215.

ب_ دلالة التَّأخُّر:

الدلالة اللغوية:

التَّأخر لغة يدلُّ على الشَّيء الثَّاني الذي يلي الأوَّل والأبعد والباقي. قال الخليل بن أحمد: «الآخر والآخرة: نقيض المتقدِّم، ومُقدَّمُ الشَّيء ومؤخِّره. وجاء فلانٌ أخيراً، أي بأَخرَة، وفعل الله بالآخر، أي بالأبعد، والآخر الغائب» [1]. جاء في اللِّسَان: «الآخر والمؤخِّر من أسماء الله الحسنى، فالآخر هو الباقي بعد فناء خلقه، والمؤخِّر هو الذي يؤخِّرُ الأشياء، فيضعها في مواضعها، ومؤخِّر كلّ شيء خلاف مقدمه، والآخر بمعنى غير، كقولك: رجل آخر وثوب آخر»[2].

الدلالة الاصطلاحية:

ذكر المفسِّرون أنَّ المقصود بالتَّأخر في هذه المواضع القرآنية، وفي غيرها «إخبار الله تعالى أنَّ مقام الإنسان يوم القيَّامة بما عمل من خير أو شرٍّ، أو ما فعله أولاً وما فعله أخيراً، أو ما فعله في الدُّنيا وما تركه وراءه من آثار أفعاله، أو ما استمتعت به في الدنيا وحدها، وما إدخرته للآخرة بعدها»[3] قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[يس: 12]

3_ تفسير(تَقَدَّمَ وتَأَخَّرَ):

النموذج الأول: قال تعالى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: 2] نلاحظ اقتران (**تقدم وتأخر**) في هذا النَّص قد جاء تسليَّة للرَّسُول ﷺ، يخبره فيه بأنَّ مغفرة الله تعالى الواسعة قد شَمِلَتْهُ، وهذا لاَ يعني أنَّه قد وقع منه ذنبٌ، أو أنَّه سيقع منه الذنبٌ، وإنَّما المقصود «أنَّ الله تعالى قد رَفَعَ قدره رفعة عدم المؤاخذة بذنب لو قُدِّر صدوره منه»[4]، والمراد بقوله ﴿ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ أي «من ذنبه»[5].

---

[1]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج1. ص60. أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج1. ص70.

[2]-ابن منظور: ج4. ص11.الزمخشري: أساس البلاغة: ص 22. الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص68.

[3]-سيد قطب: في ظلال القرآن: ج6. ص 3847.

[4]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج26، ص147.

[5]-ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز، ج5، ص126.

قال الشعراوي «كأنَّه يقول له لا تحزن، ولا تحمل نفسك فوق طاقتها؛ لأنَّ لك رصيداً عند الله تعالى من الاستغفار، ليس لأنَّه أذنب ذنباً حاشاه ﷺ، ولكن معنى (ليغفر) من الغفر وهو السِّتر، وستر الذَّنب إمَّا أن يكون بعد وقوعه بمنع العقوبة عليه، أو قبل وقوعه بمنع حدوثه، فلا يقع أصلاً»[1]. رُوِيَّ « **أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً**»[2]

النموذج الثاني:أما اقترانه في قوله تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴾ [المدثر: 37].فقد جاء في سياق الإنذار بالآيات السَّابقة (القمر، واللَّيل إذ ادبر، والصُّبح إذا أسفر) كما يذكر ابن عاشور:«لمن شاء أن يتقدَّم إلى الإيمان والخير لينتذر بها، ولمن شاء أن يتأخَّر عن الإيمان والخير فلا يرعوي بنذارتها»[3]، فـــ(التَّقدم) في الآية هو: اختيار الإيمان والسَّعي إليه والعمل بمقتضاه، وتلبيَّة دعوة الدَّاعي إليه، وعكسه التَّأخر، وهو المشيُ إلى الخلف، ومعناه رفض الإيمان وكل ما يترتَّب عنه؛ مِنْ رفض الخير والطَّاعة، والتّنكُّر لدعوة الدَّاعي وعدم تلبيَّتها. وقد يراد بهما المسابقة إلى فعل الخيرات، أي يسبق غيره في عمل الخير أو يتأخر عنه. فالتَّقدم والتَّأخر من عمل الإنسان وكسبه، فله إن شاء أن يتقدَّم، وله إن أراد أن يتأخَّر، وهو مجزيٌّ في الأخير عن هذا وذاك. فإن وجد خيراً فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه.

وقريباً من هذا ما أشار إليه الرازي(ت604ه) بقوله:«السَّبق إلى الخير والتَّخلف عنه»[4].وبه قال الشَّعراوي، فالتَّقدم عنده في«الطَّاعة والمعصيَّة، أو في الخير والشَّرِّ، أو التقدُّم إلى النَّار أو التَّأخر في الجنَّة»[5].

النموذج الثالث:

نلاحظ الاقتران (**قدّم وأخَّر**) في قوله تعالى: ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴾ [الانفطار: 5]. جاء في سياق تنبيه النَّفس لعلمها بما قدمته، أي ما فعلته أوَّلاً وما فعلته أخيراً، أو ما فعلته في الدُّنيا وما تركته وراءها من آثار فعلها. أو ما استمتعت به في الدُّنيا وحدها، وما ادَّخرته للآخرة بعدها. كما قد

---

(1)-محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي: ص14375.

(2)-أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(3)-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير ج29، ص323.

(4)-الرازي: تفسير الرازي، ج30، 209.

(5)-محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي: ص16559.

يقصد بهما: الخير والشَّرُّ أو الحسنة والسَّيئة، أو المعصية والطَّاعة، قال الزمخشري(ت538ه): «ومعنى: ﴿مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ما قدَّمت من عمل خير أو شرٍّ، وما أخَّرت من حسنة أو سيئة، وقال قتادة: ما قدَّمت من معصيَّة، وأخَّرت من طاعة»[1] ومن كلِّ ما سبق يتبيَّن لنا أن الجمع بين (**ما قدمت وما أخرت**) في الآية إخبار من الله مسبق لعباده، يقتضي أنَّ كلَّ واحد منهم سيعلم يوم القيامة ما قدَّم، فلم يقصِّر فيه، وما أخَّر فقصَّر فيه.

ذلك أنَّ قوله تعالى «**ما قدَّمت**» يقتضي فعلاً، وقوله «**ما أخَّرت**» يقتضي تركاً، فالاقتران «**ما قدّمت وما أخّرت**» يُشعرُ بأن هناك فعلاً، وأنَّ تركاً قد وقع على مستواه، فيدفع هذا الشُّعور إلى التّرك فيتداركه، وإلى التَّقصير فيجبره، وعليه فإنَّ اقتران (**التَّقدم والتَّأخر**) في هذه الآية له دلالة كبرى، وتأثير شديد في نفس الإنسان وقلبه. إذ يُعْلِمُهُ أنَّ الله تعالى مطَّلِعٌ عليه، وعلى كل ما عمله في الدُّنيا من خير أو شرٍّ، وما تركه بعد موته من آثار الأفعال، وهذا العلم الإلهي المحيط بحال الإنسان وأعماله المتقدمة والمتأخرة التي لا تنسى، هو الدَّافع الأساسي الذي يدفع بالإنسان إلى خشيته ومراقبته، كما يجعله حريصاً على فِعْلِ الخيرات واجتناب السِّيئات، ويؤهلُّه بذلك ليكون من عباد الله الصَّالحين.

4_ الآثار البلاغية لاقتران (قدَّمَ وأخَّرَ):

أ_ الطباق:

نجد هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[الفتح: 2]، فقد جمع الله تعالى في الآية بين لفظين متضادين (**التَّقدم والتَّأخر**) على سبيل المطابقة، للدلالة على شمولية مغفرة الله سبحانه وتعالى لنبِّيه ﷺ وعمومها، وهذه الشمولية دالَّة على أنَّها من خصائص ﷺ ومميزاته، «وتشريف عظيم له، فهو ﷺ أكمل البشر على الإطلاق عند الله تعالى، وسيدهم في الدنيا والآخرة، وهو في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة، التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين»[2].

ب_ التفصيل بعد الإجمال:

نلاحظ في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: 37] إجمالاً عبَّرَ عنه في الآية

---

[1]-محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف، ص1593.

[2]-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج4. ص227.

بلفظ (البَشَر) من قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾﴾ [المدثر: 36] أي أن سقر نذير لكل البشر، إلاَّ أنَّ الآية أعقبت هذا الإجمال بشيء من التَّفصيل، فقال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾، فبيَّنت أنَّ هذا الإندار لصنفين من البشر، ذكرهما بالتَّفصيل، أمَّا أحدهما: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ﴾ أي إلى الإيمان والخير، وثانيهما: (أو يتأخَّر) أي: «لمن شاء أن يتأخَّر عن الإيمان والخير فلا يرعوي بنذارتها والفوز فيهلك»[1].

فالمراد بالتَّقدم إذن، الإيمان والطَّاعة والهداية، والمراد بالتَّأخر: تأخُّر عنهما وانحياز نحو الضَّلال والكفر؛ لأنَّ التَّقدم تحرك نحو الأمام، وهو كناية عن قبول الحق، وبعكسه التأخر. ويجوز أن يكون المعنى: هي نذير لمن شاء منكم التَّقدم نحوها، أو التَّأخر عنها. قال ابن كثير: «لمن شاء أن يقبل النَّذارة ويهتدي للحقِّ أو يتأخَّر عنها ويولي دبرها»[2].

ثالثا: اقتران (الخوف والحزن)

1_ نماذج اقتران(الخوف والحزن)

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ **أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ** وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾	فصلت	30
02	﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾	الزخرف	68
03	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ **فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ**﴾	الأحقاف	13

[1]-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج4، ص560.

[2]-المصدر نفسه، ص561.

2_ دلالة الخوف والحزن:

أ_ دلالة الخوف:

الدلالة اللغوية :

قال ابن فارس: الخاء والواو والفاء أصلٌ واحد يدل على الذعر والفزع[1].

وفي المعجم الوسيط:خافَ خوْفًا وخيفة: توقَّعَ حلول مكروه أو فوت محبوب. يقال : خافه على كذا، وخاف منه، وخاف عليه. فهو خائف بمعنى فَزِعَ وعلم وتيقن، والجمع: خُوَّفٌ، وخُيَّفٌ، والمفعول: مَخُوفٌ، وأخاف الطَّريق أو الثَّغر، إخافة، وإخافاً: أفزَعَ[2].

قال القرطبي (رحمه الله): «والخوف في كلام العرب: الذعر، وخاوفني فلان فخفته أي:كنت أشد خوفا منه، والخوفاء: المفازة لا ماء بها، ويقال: ناقة خوفاء أي: جرباء»[3].

الدلالة الاصطلاحية:

الخوف عند الشريف الجرجاني (ت816ه): «توقع حلول مكروه أو فوات محبوب»[4]. وقال المناوي:«الخوف: غم يلحق الإنسان مما يتوقعه من السوء»[5] أمَّا الرَّاغب فقد فَصَّلَ في حقيقته فقال: «الخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب، كاستشعار الخوف من الأسد بل يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطَّاعات ولذلك قيل: لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب تاركا. والتخويف من الله تعالى: هو الحث على التحرز وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ [الزمر: 16]» [6].

---

[1]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة:ج2. ص230.ابن منظور: لسان العرب: ج9. ص99.

[2]-مجمع اللغة العربية مصر: المعجم الوسيط: ص262.

[3]-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ج4. ص:275.

[4]-الشريف الجرجاني: معجم التعريفات: ص:137.

[5]-محمد عبد الرؤوف المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف: ط1. 1410ه. دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ص328.

[6]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص303.

ب_ دلالة الحزن:

الدلالة اللغوية:

يُعبرُ بالحزن في اللغة عن غلظة الشيء وخشونته. فالحزَن الغليظ من الأرض والصعب من الدَّواب، وبهذا المعنى قال الخليل (ت175ه): «الحزن من الأرض، والدَّواب ما فيه خشونة، والأنثى حزنة»[1].

والمعنى نفسه أشار إليه ابن فارس(ت395ه) حيث قال: «حزن: الحاء والزاء والنُّون أصلٌ واحدٌ، وهو خشونة الشَّيء، وشِدَّةٌ فيه، فمن ذلك الحَزن وهو ما غلُظ من الأرض»[2]

وبهذا المعنى قال ابن منظور (ت711ه): «والحزن ما غلظ من الأرض، والجمع حُزُونٌ... والحَزَنُ: المكان الغليظ، وهو الخشن، والحزونة، والخشونة، ومنه حديث المغيرة محزون اللهزمة أي خشنها، أو أنَّ لِهزمتَه تَدَلَّت من الكآبة.»[3] فالحزن إذن في دلالته اللُّغوية: شدَّة وغلظة في الشَّيء، أوفي النَّفس إذا أصابها ما يحزنها.

3_ الدلالة الاصطلاحية:

أمَّا في الاصطلاح فإنَّ الحزن يُقصد به: «ألمُ القلب بفراق المحبوب، ويعظم هذا الألم ويزداد إلى ما يبغض أو يكره، أو إلى شَيءٍ مكروه يُتَوقع حصوله.» [4] وهو الذي عبَّرَ عنه القرآن الكريم على لسان يعقوب –عليه السلام– بقوله: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ ﴾ [يوسف: 13]. أي: إنَّهُ ليؤلم نفسي مفارقته لي إذا ذهبتم بيوسف، لتوقُّعه حصول مكروه له. وعبَّر عن هذا التَّوَقُّع بقوله: ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾ [يوسف: 13]. وعليه فإنَّ الحزن هو: الألم والهم الذي يحصل في النَّفس لغيابٍ أو فقد عزيزٍ، وهو بهذا المعنى قريب جداً من معناه اللُّغوي، فكلاهما يدلُّ على الشِّدَّة والغلظة.

---

[1]–الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج1. ص: 313.

[2]–أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج2. ص: 54.

[3]–ابن منظور: لسان العرب: ج13. ص: 113.

[4]–أبو محمد جعفر محمد بن الحسن الطوسي: البيان في تفسير القرآن: ج6. ص107.

3_ تفسير(الخوف والحزن)

النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30]. ورد اقتران (**الخوف والحزن**) هنا في سياق البشارة التي تحملها الملائكة، للذين قالوا «**ربنا الله**» وتبرَّؤوا من الآلهة الأنداد«**ثُمَّ استقاموا**» على توحيد الله «**تتنزل عليهم الملائكة**» عند الموت. «**ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا**»: «**ألاَّ تخافوا**» مما تقدمون عليه من بعد مماتكم «**ولا تحزنوا** » على ما تخلفونه وراءكم[1].

النموذج الثاني: قال الله تعالى﴿ **يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ** ﴾ [الزخرف: 68]. في الآية اقترن (**الخوف والحزن**) في سياق التذكير بأهوال القيامة، وأحوال الناس حين يبعثون، فليس فيهم أحدٌ إلاَّ فَزِعَ، فينادي مناد: ﴿ **يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ** ﴾ ذكر الإمام الطبري (ت310ه) معنى﴿ **لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ** ﴾ أي: «من عقابي، فإنِّي قد أمَّنتُكُم منه برضاي عنكم، ﴿**وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ** على فراق الدنيا، فإنَّ الذي قَدِمتُم عليه خيرٌ لكم مما فارقتموه منها»[2].

النَّموذج الثَّالث: قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ** ﴾ [الأحقاف: 13].جاء اقتران (**الخوف والحزن**) في الآية أوَّلاً في سياق التَّبشير للذين آمنوا وأفردوا الله بالعبادة ولم يشركوا به شيئاً، ثم استقاموا على ذلك الإيمان، فالتزموا منهجه ولم يخالفوه في أمره ونهيه.فهؤلاء ﴿ **فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ** ﴾ يقول الطبري(ت310ه): «لا خوف عليهم من فزع يوم القيامة وأهواله، ﴿**وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ** ﴾على ما خلَّفوا وراءهم بعد مماتهم» [3].

ومن هذه المعاني التي ذكرها المفسِّرون نستخلص أنَّ الله تعالى أراد من اقتران (**الخوف والحزن**)إضفاء نوع من الطُّمأنينة على عباده عند وفاتهم وملاقاتهم لربهم سبحانه، طُمأنينة على ما ينتظرهم بعد وفاتهم؛ لأنَّ العبد يعتريه خوف وفزع شديد، فلا يعلم ماذا سيحدث له بعد وفاته،

---

[1]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن تفسير الطبري: ج20. ص 426.

[2]-المصدر نفسه: ج20. ص 641..

[3]-المصدر نفسه: ج21. ص136.

فجاء الشَّطر الأول من الاقتران ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يطمئنهم على نفوسهم من فزع يومئذ، ثم جاء الشَّطر الثَّاني﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ما يطمئنهم فيه على أولادهم وأهلهم، الذين تركوهم في الحياة الدُّنيا و لم يلحقوا بهم بعد، أو يطمئنهم على ما فاتهم من نعيم في الحياة الدُّنيا، فما هم مقبلون عليه من نعيم الآخرة خير لهم وأبقى.

من خلال هذه الوقفات لمعاني ثنائيَّة (**الخوف والحزن**) في القرآن، يظهر لنا أنَّ للخوف والحزن تأثيراً كبيراً على نفسيَّة العبد، لما يجلي من مسحة سلبيَّة تظهر في كثير من الأحيان على وجه الإنسان أثناء مواجهته لبعض الظروف الاجتماعية والبيئية، قد تؤدي إلى سيطرة حالة من اليأس والإحباط على مشاعره وانفعالاته، لذلك عمد القرآن إلى التَّهوين منها من خلال هذه الثُّنائية البارزة، التِّي تعالج مسألة (**الخوف والحزن**) عند الإنسان وآثارها في الدُّنيا والآخرة.

4_ الأثر البلاغي لاقتران (الخوف والحزن):

أ_ المدح والذم: ورد اقتران (**الخوف والحزن**) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30]. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: 13] على سبيل التَّبشير للمؤمنين﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ تارة، وطمأنة لما يحمله المستقبل لهم من خوف أو فزع تارة أخرى، هذا التَّبشير والطَّمأنة، هو في حقيقته مدحٌ لهم وثناء عليهم، لإيمانهم بربهم واستقامتهم على طاعته، ومن تمام هذا المدح نفي الخوف والحزن عنهم، مما قد يدور في نفوسهم فيما ينتظرهم من محاسبة أو معاتبة؛ لأنَّ (**الخوف**) «غَمٌّ في النَّفسِ يلحق الإنسان لتوقع مكروه، شديد، و(**الحزن**) غمٌّ يلحق لوقوعه من فوات نفعٍ أو حصول ضرٍّ»[1].

ولما كان الخوف قد غلبهم لجهلهم بمصيرهم في هذا اليوم العصيب، نفاه سبحانه وتعالى عنهم، «لأنَّ الله كتب لهم الأمن من كلِّ غمٍّ، فلن يذوقوه»[2] والملاحظ مجيء النَّفي في جملة اسمية منفيَّة في قوله «**فلا خوف**» متبوعة بنفي (الحزن) للتَّأكيد على نفي الخوف عنهم، فقال: «**ولا هم يحزنون**»؛

---

[1]-النسفي: تفسير النسفي، ج3، ص235. الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج24. ص285.

[2]-المصدر نفسه، ج 3ص235

لأنَّ الحزن «غمٌّ في النَّفس ينشأ إثر حصول مكروه، بفوات نفعٍ أو حصول ضرٍّ»[1] فلا حقيقة له إلاَّ بعد حصوله، وعكسه الخوف يكون قبل حصوله.

ب_ التَّقديم والتَّأخير: نلاحظ في الآيات القرآنية التي ورد فيها اقتران (**الخوف والحزن**) نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30]. وقال سبحانه وتعالى﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: 68]. وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: 13].تقديم لفظ (**الخوف**) على لفظ (**الحزن**)، لأنَّ (**الخوف**) انكسارٌ في النَّفس ينشأ كما يذكر الشيخ الطاهر بن عاشور«عن ظَنِّ حصول مكروه شديد، و(**الحزن**) غمٌّ في النَّفس ينشأ عن وقوع مكروه بفواتِ نفع أو حصول ضَرٍّ»[2] لهذا قدَّم الخوف لوقوع حقيقته في النفس، قبل حصول ما يتخوف منه، وأخَّرَ (**الحزن**) لأنَّ حقيقته لا تقع في النَّفس إلاَّ بعد حصول ما يتخوَّف منه.

ت_ الحذف:

قال تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: 68]. فالآية في حقيقتها خطاب من الله تعالى للمؤمنين، الذين تحقَّقت فيهم العبودية لربِّ العالمين، يقول لهم: ﴿**لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ**﴾في هذا (اليوم) العصيب، ﴿**وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ على ما فاتكم من الدُّنيا. نلاحظ في الآية محذوفٌ استُغني عن إيراده بدلالة ما ذُكر عليه، ومعنى الكلام كما يورد الطبري (ت310ه): ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف:67]؛ يقال لهم: يا عبادي، لا خوفٌ عليكم اليومَ من عقابي، ولا أنتم تحزنون على فراق الدُّنيا، فإنَّ الذي قَدِمْتُم عليه خيرٌ لكم مما فارقتموه منها.» [3]، ليعبِّر بهذا الحذف عن شدَّة قربهم من الله تعالى، وأنَّه تعالى جاعل لهم مخرجاً من كلِّ شدَّة أو ضيق. وهذه سنَّة الله في خلقه وقانونه في أرضه، القاضي بأنَّه كلَّما ضاقت بعباده المتَّقين ضائقة، إلاَّ وجعل لها مخرجاً، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا**﴾

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص285.

[2]-المرجع نفسه، المجلد: 9. ص: 285.

[3]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج20. ص641.

[الطلاق: 2]، ومثل هؤلاء ممَّا يخافون وعلام يحزنون؟

ث_ الإجمال والتفصيل:

نلاحظ هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ [الزخرف: 68]. حيث ورد الاقتران الثنائي (**الخوف والحزن**) في قوله تعالى: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾ مجملاً، فالنَّاس كلُّهم عباد الله تعالى. قال الطبري (ت310ه): «إنَّ النَّاس حين يبعثون ليس منهم أحدٌ إلاَّ فزِعَ، فينادي مناد: يا عبادي لا خوفٌ عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، فيرجوها النَّاس كلهم.»[1] ولَّما ورد الخطاب في الآية عامّاً ومجملاً، جاء بعده التَّفصيل والبيان، فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ [الزخرف: 69] مُفَصِّلاً للإجمال الذي وقع قبله، حيث فصَّلَ في صفات هؤلاء العباد؛ فهم﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، وصدَّقوا بكتب الله ورسله، ﴿وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ أهل خضوع لله بقلوبهم، وقبول منهم لما جاءهم به رسلهم عن ربِّهم عز وجل.

رابعاً: الذكر والأنثى

1_ نماذج اقتران الذكر والأنثى:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾	غافر	40
02	﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴾	الشورى	49
03	﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ٤٦ ﴾	النجم	46 .45

[1]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ص641.

2_ دلالة الذكر والأنثَى:

أ_ دلالة الذكر:

الدلالة اللغوية: الذكر خلاف الأنثى. يقول الخليل: «والذكر من الحديد: أيبسُهُ وأشُدَّهُ، وبه سميَّ السيف مَذَكَّرًا، وبه يُذكَّرُ القَدُومُ والفأسُ» [1] ويومٌ مُذَكَّرٌ: إذا وصف بالشدة والصعوبة وكثرة القتل.ومنه قول لبيد: [من الطويل] [2]

أُولَئِكَ فَـابْكِي لاَ أَبَـا لَـكِ وانْـدُبِي أبـا حـازِمٍ، فِي كـلِّ يـومٍ مُـذَكَّرِ

ويقال: «طريق مُذَكَّرٌ: مَخُوفٌ صَعْبٌ.ويقال أيضاً: قولٌ ذَكَرٌ: صلبٌ مَتِينٌ، وشعر ذَكَرٌ: فَحْلٌ، وداهيةٌ مُذْكَرٌ: لا يقوم لها إلا ذُكْرَان الرجال، وقيل: داهية مُذْكِر: شديدة»[3]. وعليه فإنَّ لفظ (الذَّكَر)في المعاجم العربية يدلُّ على القوَّة والشِّدَّة والصَّلَابة.

ب_ دلالة الأنثى:

الدلالة اللغوية:

الأنثى في اللغة «خلاف الذكر من كل شيءٍ، والجمع إناث وأنث، وفي التنزيل: ﴿ **إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا** ﴾[النساء: 117] وقُرئ «أُنُثًا» أي: اللِّينُ والسُّهُولة». ويضيف ابن منظور متوسعا في استعملات لفظ (أنثى) فيقول: «يقال للرَّجل: أنَّثت تأنيثاً، أي: ليَّنْتَ له ولم تتشدَّد. وأرضٌ مِئْنَات وأنيثة: سهلة منبتة، خليقة بالنَّبات، ليست بغليظة، وبلدٌ أنيث: ليِّنٌ سهلٌ، ومكان أنيثٌ إذا أسرع نباته وكَثُرَ.إنّما سيمت المرأة بالأنثى للينها؛ لأنَّها ألين من الرَّجل. قال ابن سيّده: وأصل هذا الباب: الأنيث الذي هو اللِّين»[4].

---

[1]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج2. ص74.

[2]-ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دتح، دط، دار صادر بيروت ص19. وجاء البيت في إحدى الروايات:

فإن كنت تبكين الكرام فأعولي أبا حازم في كل يوم مذكر

[3]-الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج4. ص310.انظر: القاموس المحيط. (للفيروز أبادي)، ص: 397.

[4]-ابن منظور: لسان العرب: ج2. ص: 111. 113.

3_ تفسير(الذكر والأنثى):

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: 40]. جاء اقتران (**الذكر والأنثى**) في الآية في سياق حديث القرآن عن عدالة الله تعالى المطلقة في الوعد والوعيد، والجزاء والعقاب لعباده، فالجميع أمامه سبحانه وتعالى سَوَاء، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 49]. يقول الإمام الطبري(ت310ه): في هذا المقام«مَن عَمِلَ بمعصية الله في هذه الحياة الدنيا، فلا يجزيه الله في الآخرة إلاَّ سيئة مثلها، عدلاً من الله تعالى، ومن عمل بطاعة الله في الدنيا، وأتمر لأمره، وانتهى فيها عما نهاه عنه، من رجل أو امرأة وهو مؤمن به فأولئك يدخلون في الآخرة الجنة.» [1]فالمراد بـــ(**الذكر والأنثى**) في الآية: الرَّجل والمرأة. وأوردهما مقترنين «لإفادة المساواة بينهما في الجزاء على الأعمال»[2].

فجعل الإيمان بالله والعمل الصَّالح عمدة وشرطاً لدخول الذكر والأنثى جنَّة عرضها السَّموات والأرض. وكأنَّه سبحانه وتعالى يشير بهذا الاقتران الثنائي إلى قانونه العادل، المطلق العدالة في الجزاء والعقاب، فمن عَمِلَ صالحا من ذكر أو أنثى، وهو مؤمن بما يجب الإيمان به في دين الله تعالى، وكان عمله طاعة لله تعالى، وابتغاء وجهه ورضوانه، كان جزاؤه يوم الدين أن يدخله الله الجنَّة خالدا فيها مخلَّدًا.

النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: 49]. ورد اقتران (**الذكر والأنثى**) في الآية في سياق الإخبار عن مشيئة الله تعالى، ونفوذ تصرفه في ملكه؛ مِنْ خلق وتدبير للجميع، وإعطائه (**الذكر والأنثى**) لعباده أو حرمانهم منهما، من عموم تدبيره ونفوذ تصرفه ومشيئته، غير أنَّه يجب أن نشير إلى أنَّ مشيئة الله تعالى وتدبيره مقرون بعلمه، المحيط بكلِّ شَيءٍ،

---

[1]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20. ص330.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المجلد التاسع، ص151.

وبقدرته على أن يخلق ما يشاء، ومن خلقه إعطاء الذرية لعباده وفق نظام تناسلي منظم، أشار إليه في الآية السابقة.

يقول الثعالبي(ت875ه): «فإنَّ الذي يخلق ما يشاء هو الله تعالى وهو الذي قسَّم الخلق، فيهب لمن يشاء إناثا، ويهب لمن يشاء الأولاد الذُّكور، أو يزوِّجهم وينوعهم ذكراناً وإناثاً.» [1] وقد جاء هذا الاقتران على سبيل التَّذكير والإشادة كما يقول سيد قطب «بمظهر من مظاهر المنح والمنع والعطاء والحرمان... وتفصيل حالات هذا العطاء والحرمان، فهو يهب لمن يشاء إناثاً (وهم يكرهون الإناث) ويهب لمن يشاء الذُّكور، ويهب لمن يشاء أزواجاً من هؤلاء وهؤلاء. ويحرم من يشاء فيجعله عقيماً (والعقم يكرهه النَّاس) وكلُّ هذه الأحوال – يضيف سيد قطب- خاضعة لمشيئته، لا يتدخَّل فيها سواه، وهو يقدِّرها وفق علمه وينفذُّها بقدرته.»[2] وهو فوق هذا وذاك عليمٌ بكلِّ شيءٍ، قديرٌ على كلِّ شيءٍ، فيتصرَّف سبحانه وتعالى بعلمه وقدرته في مخلوقاته، ﴿ **لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ** ﴾ [الأنبياء:23]

النموذج الثالث:

أمَّا الموضع الثَّالث لاقتران (**الذكر والأنثى**) فهو قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾** ﴾ [النجم: 45. 46] فقد ورد في سياق يكشف عن حقائق أساسيَّة للعقيدة الإسلامية؛ منها تعريف البشريَّة بخالقها، ومشيئته المبدعة وآثارها في حياتهم، كقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ**﴾ النجم[45]، فخلق الزَّوجين(**الذكر والأنثى**) فيه تذكير بهذا الإبداع الإلهي في الخلق. دلَّ عليه كما يقول الطاهر بن عاشور «ذكر الزوجين، والبدل منه (**الذكر والأنثى**) على سبيل الامتنان على عباده بأنَّه المتفرِّد بنعمة الخلق، ومن ناحية ثانيَّة فيه امتنان منه سبحانه بأن خلق لكلِّ إنسان زوجه»[3].لقوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا** ﴾ [الروم: 21] وفيه إشارة أيضاً «إلى أنَّ لكلا الزَّوجين حظاً من النُّطفة التِّي منها يخلق الإنسان» [4]

---

[1]-الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ج5. ص168.

[2]-سيد قطب: في ظلال القرآن: ج5. ص3169.

[3]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص145.

[4]-المرجع نفسه: ج27، ص145.

هذه الزَّوجية هي الحقيقة الواقعة المتكرِّرة في كل لحظة من لحظات الحياة، التي أراد الله تعالى من خلالها وأشار بها إلى قدرته وعجائب صنعه؛ لأن الإنسان قد ينساها لتكرارها أمام عينيه، فما كانت هذه الحقيقة لتقع، أو تحصل لولا أنَّ هنالك إرادة إلهيَّة مدبِّرة تريد أمراً، وتقدِر عليه، وترسم له الطَّريق.

4_ الأثار البلاغية لاقتران (الذكر والأنثى):

أ_ الطباق:

جمع الله تعالى في قوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النجم: 45. 46]. بين الذكر والأنثى، والذكر كما بَيَّنَ علماء اللغة خلاف الأنثى. وقد تجلى في الجمع بينهما مظهر من مظاهر المحسنات البديعية، وهو الطباق؛لأنَّه جمع في الآية بين لفظين متقابلين في المعنى، وهما (**الذكر والأنثى**)، يقول الطاهر بن عاشور: «وفي الجمع بين الذكر والأنثى محسِّنُ الطباق لما بين الذَّكر والأنثى من شبه التضاد»[1].والملاحظ في الآية الكريمة مجيء (**الذكر والأنثى**) دون ضمير فصل كما جاء في الآيات قبلها «**وأنه هو أمات وأحيا**» أو بعدها «**وأنه هو أغنى وأقنى**»؛ لأنَّه لا يختلف اثنان في أنَّ الله سبحانه هو خالق الخلق دون غيره. وهي خاصيَّة استأثر الله بها لنفسه، و لم يدَّعيها حتى المشركون لأنفسهم، فقد سُئِلُوا عمَّن خَلَقَ السَّموات والأرض فكان جوابهم: الله. قال تعالى مؤكِّدًا لهذه الحقيقة: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: 9]. وفي تطابق (**الذكر والأنثى**) في الآية وتخالفهما في المعنى زاد الآية حسناً في التركيب وطرافة في المعنى، وخشوعاً في القلوب، ومهابة لربِّ العالمين، وإيمانا بقدرته سبحانه وتعالى الدَّال على جميل خلقه وعجائب قدرته وصنعه التي لا تنتهي.

ب_ التقديم والتأخير:

قال تعالى: ﴿ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى: 49].فقد قدَّم الله تعالى في الآية لفظ (**الإناث**) على لفظ (**الذكور**) لأغراض عدَّة، منها: كما ذكر الثعالبي (ت875ه):«

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج27، ص147.

تأنيساً بهنَّ وتشريفاً لهن ليُهْتَمَّ بصونهِنَّ والإحسان إليهنَّ»[1]. ويشير ابن القيم رحمه الله إلى معنىً آخر في هذه المسألة، فيقول: بدأ بهنَّ «جبراً لهنَّ؛ لأجل استثقال الوالدين لمكانهنَّ»[2]. وقد جاء في حديث رسول ﷺ ما يؤكد هذا المعنى حيث يقول: «**مَن ابْتُلِيَّ مِنْ هَذِهِ البَنَات بشَيءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ حِجَاباً مِنَ النَّار**»[3] قال واثلة بن الأسقع: «**مِنْ يُمْنِ المَرْأَةِ تَبْكِيرُهَا بِالأُنْثَى قَبْلَ الذَّكَرِ**»[4] وقيل: إنَّما قدمهنَّ تذكيراً بقدرة الله تعالى ومشيئته المطلقة؛ لأنَّ اقتران (**الذكر والأنثى**) في الآية جاء في سياق بيان أنَّه فاعلٌ ما يشاء لا ما يشاء الأبوان، فإنَّ الأبوين لا يريدان إلاَّ الذُّكور غالباً، وهو – سبحانه– قد أخبر أنَّه يخلق ما يشاء، فبدأ بذكر الصِّنف الذي يشاء، ولا يريده الأبوان.

ويذكر ابن القيم وجها آخر لتقديم الإناث على الذُّكور في الآية، وهو: «أنَّ الله تعالى قدَّم ما كانت الجاهليَّة تؤخِّرُه من أمر البنات، والمعنى أنَّ هذا الأمر المؤخَّر الحقير عندكم، مقدَّم عندي في الذِّكر»[5] .

كما أنَّ تقديم الإناث في الآية فيه نوع من التَّعريض بالمشركين الذين وُصِفُوا حينما يُرزقون بالأنثى بقوله﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ [النحل: 58].وفي الآية أيضاً نوع من اللَّوم لمن يَئِدُ الأنثى. قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩** ﴾ [التكوير: 8. 9]. كما أنَّ تقديم (**الإناث**) في الآية على(**الذُّكور**) يشير به إلى أنَّهنَّ الأهم في تكثير النَّسل، والأهم كما هو معروف يقدَّم على المهم.

وقد يكون تقديم (**الإناث**) على (**الذكور**) في الآية رعاية لفواصل الآيات، فقد جاء فاصلة الآية قبلها: ﴿ **فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ** ﴾ [الشورى: 48]، والفاصلة في الآية بعدها﴿ **إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ﴾ [الشورى: 50]، فقدَّم الإناث على الذكور رعاية لهذه الفاصلة، وحفاظاً على الإيقاع اللَّفظي للآيات القرآنية، حيث جعل فواصلها على نسقٍ واحدٍ، أضفى على الآيات حُسْناً وجَمَالاً.

---

[1]–الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ج5. ص168.

[2]–ابن القيم الجوزية: تحفة المولود بأحكام المولود: تح: عثمان بن جمعة ضميرية. دط، دار عالم الفوائد. جدة. ص: 23.

[3]–البخاري: صحيح البخاري، كتاب الزكاة باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة رقم: 1418. ج10. ص440.

[4]–ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج5. ص43.

[5]–ابن القيم الجوزية: تحفة المولود بأحكام المولود. ص: 24. 25.

كما قد نلحظ سبباً آخر لتقديم (**الإناث**) على (**الذُّكور**) وهذا السَّبب يرجع إلى إرادة القرآن تصحيح لثقافة كانت سائدة في المجتمع العربي الجاهلي، مفادها الاعتزاز بالذُّكور على حساب الإناث؛ لأنَّ الإناث في عرفهم بلاء ونقمة وعار، ليست نعمة تستحق الحمد والشُّكر، وقد أشار القرآن إلى هذه الثَّقافة البائسة بقوله: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ [النحل: 58]، فالآية التي ورد فيها تقديم (**الأنثى**) على (**الذكر**) واقترانه به جاءت لتصحيح هذه الثَّقافة، ولهذا قدَّمت الأنثى في الذَّكر، ووصفتها بالهبة، والهبة تحمل في مدلولاتها الخير، الذي يترتَّب عليه الرِّضَا والارتياح والشُّعور بالأمن والأمان.وفي المقابل فإنَّ الشَّيء السِّيء لا يوصف أبداً بكونه هبة، لما يحمل في مدلوله من الشَّرِّ، ويترتَّب عليه الشُّعور بالخوف والاضطراب.

وقد يظهر لنا سبب آخر لتقديم (**الإناث**) على(**الذكور**) وهو إبراز لمكانة الأنثى ومترلتها، وأنَّها لاتقل أهميَّة عن الذَّكر، فشأنهما واحد، لا يستطيع أحدهما أن يستغني عن الآخر، لعمارة هذا الكون والحفاظ على الحياة فيه. ولعلنا نلاحظ القرآن وهو يشير إلى هذه الأهميَّة والمكانة للأنثى، فنجده في بعض الآيات يذكر المؤمنين ويُثْني عليهم، ثم يذكر المؤمنات في السِّياق نفسه ويُثْني عليهنَّ، فيقول مثلاً: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب: 35]، ويقول﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: 10]

ت_ التعريف والتنكير:

من الملامح البلاغية الملاحظة في قوله تعالى: ﴿ **يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾** ﴾ [الشورى: 49، 50] لفظ (**اناثا**) في الآية، الذي ورد نكرة؛ وعلَّة التَّنكير هنا؛ إفادة التفضيل والتكريم، وتنبيه الرجل لتقبل هذه الهبة من الله تعالى، فيكرمها كما أكرمها الله تعالى، ليبلغ بهذا التَّكريم المنازل العليَّة في الدُّنيا والآخرة، فالبنت في صغرها باب من أبواب الجنَّة لوالديها، وعند زواجها تكمل نصف دين زوجها، وفي كبرها الجنَّة تحت أقدامها. كما أفاد التَّنكير أيضاً التَّنبيه على أنَّ إرادة الله تعالى في العطاء أو المنع مطلقة، لا يحدها حدٌّ، فهو الذي يُقَدِّرُ هذا العطاء، وهذه الهبة وفق علمه وينفذها بقدرته سبحانه؛

وهو الذي يقدِّر هذا المنع وفق علمه وينفِّذه بقدرته تعالى؛ لأنه﴿ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[الشورى: 50].

يقول ابن القيم الجوزية: «تأمل كيف نكَّرَ – سبحانه- إناث وعرَّفَ الذُّكور، فجبر نقص الأنوثة بالتَّقديم، وجبر نقص التَّأخير بالتَّعريف، فإنَّ التَّعريف تنويه، كأنَّه قال: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم لما ذكر الصِّنفين معًا قدَّم الذُّكور إعطاءً لكلٍّ من الجنسين حقَّه من التَّقديم والتَّأخير»[1]، ويُعلِّقُ الطاهر بن عاشور على هذا التَّنكير، فيقول:«وتنكير (**إناثا**) لأن التنكير هو الأصل في أسماء الأجناس، وتعريف (**الذُّكور**) لأنَّهم الصنف المعهود للمخاطبين». ثم يضيف ابن عاشور قائلاً: «إنَّ التَّعريف في لفظ (**الذكور**) إنما صار إليه لمقصد، أي يهب ذلك الصِّنف الذي تعهدونه وتتحدثون عنه وترغبون فيه.» [2].

ث_ التأكيد بـــ(أنَّ) والضمير المتصل:

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾ [النجم: 45]. أي أوجد الضِّدين (**الذكر والأنثى**) من كلِّ مخلوق، والإيجاد من العدم مما تفرَّد اللهُ تعالى به، أكَّدَ هذا التَّفرد بأداة التَّأكيد (أنَّ)، والضمير المتصل (الهاء) العائد على لفظ الجلالة الله تعالى. والغرض من هذا التَّأكيد تبيِّين قدرة الله تعالى المطلقة المتمثِّلة في إيجاد الشَّيء وضدِّه. كالضَّحك والبكاء، الإحياء والإماتة، الذَّكر والأنثى. وهذا التَّأكيد إنَّما أورده الله تعالى في هذا الموضع، ليثبت لعباده عجزهم عن مثل هذه القدرة المطلقة. فلا مخلوق من مخلوقاته يستطيع ذلك.قال تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان:11]

كما أنَّ التَّأكيد في الآية يشير إلى كمال قدرة الله تعالى. التي تتمثَّلُ في خلقه للنُّطفة من شيء واحد، وخَلَقَ منها أعضاء مختلفة، وطباعاً متباينة، كما خَلَقَ منها الزَّوجين(الذَّكر والأنثى). وهذا دليلٌ على عجيب صُنْعِ الله تعالى وكمال قدرته.

واللَّافت للنَّظر في ثنائية (**الذكر والأنثى**) أنَّها لا تشبه الثنائيات الواردة معها في السياق، فقد جاءت الثنائيات قبلها مؤكدة بمجموعة من أدوات التأكيد (أن، والضمير المتصل، وضمير الفصل: هو) كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ [النجم: 43. 44].

---

[1]-ابن القيم الجوزية: تحفة المولود بأحكام المولود. ص: 25.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج25، ص138.

إلاَّ في هذه الثنائية فقد اكتفى بذكر الأداة (أن، والضمير المتصل)، وغاب عنها ضمير الفصل (هو)؛ لأنَّ قضية الضحك والبكاء قد يكون فيهما شبهة مشاركة الغير في إضحاك الإنسان أو إبكائه، فأكَّدها بجميع هذه الضَّمائر، فلمَّا تحدَّث عن مسألة الخلق لم يستعمل فيها ضمير الفصل (هو)؛ لأنَّه سبحانه هو وحده الذي خلق فيك الضَّحك، والبكاء كما يقول الشعراوي؛ فلا دخل لأحد غيره في هذه القضية. فإن أضحكك إنسانٌ أو أحزنك، فإنَّما كان هو سبباً في ضحكك أو حزنك، و لم يخلق فيك طبيعة الضَّحك أو طبيعة الحزن.والذي خلقهما فيك هو الله تعالى وحده لا شريك له.

والأمر نفسه في قضية الإحياء والإماتة، كما يقول الشعرواي: «فيها شبهة المشاركة.فقد يظنُّ البعض أن الطَّبيب هو الذي أمات المريض أو أحياه.أو يظنُّ القاتل أنَّه هو الذي أمات القتيل أو يظنُّ أن القاضي الذي أصدر حكم الإعدام على مجرم ثم عفى عنه أنه أماته ثم أحياه »[1]. كما حدث لإبراهيم –عليه السَّلام– مع النَّمرود حينما قال له إبراهيم ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ البقرة: 258. فقد زعم أنَّه يفعل كفعل الله تعالى ويصنع كصنعه. «فزعم أنَّه يعمد إلى َمْن حكم عليه بالموت فيعفو عنه، وإلى بريء فيقتله» [2]. وقد فاته أنَّ البريء حين يقتل إنَّما ذلك أجله، جاء موافقا لهذا القتل فمات، فقد كتب الله عليه الموت في هذه اللَّحظة، حتى لو لم يقتله هذا الآمر بالقتل. قال ابن نباتة السَّعدي: [من الطويل] [3].

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ تَنَوَّعَتِ الأَسْبَابُ وَالمَوْتُ وَاحِدُ.

أما قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم: 45]. فقد أكَّد عملية الخلق بـــ(أنَّ) والضَّمير المتَّصل.دون الضَّمير المنفصل كما في الآيات السَّابقة نحو (وأنَّه هو)؛ لأنَّ مسألة الخلق كما يقول الشَّعراوي: «لا تحتاج إلى هذا التَّأكيد، فهيَّ قضية مُسلَّم بها إلى الله تعالى، و لم يدَّعِها أحد لنفسه، وليس فيها شبهة المشاركة من الخلق»[4].

---

[1]–محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، ص14730.

[2]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: المجلد: 2. ص33.

[3]–ابن نباتة السعدي: ديوان ابن نباتة، ج2، دط، تح: عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، ص567

[4]–محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي: ص14731.

خامساً: السائل والمحروم:

1_ نموذج اقتران (السائل والمحروم):

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾	الذاريات	19
02	﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ ﴾	المعارج	25-24

2_ دلالة (السائل والمحروم):

أ_ دلالة السائل:

الدلالة اللغوية: السائل: الذي يسأل قوته من الناس ويطلبه منهم، وفي الحديث: «**لِلسَّائِلِ حَقٌّ وَإِنْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ**»[1] ويُقصد به هنا: «الطالِب، والحديث يشير إلى حسن الظن بالسائل إذا تعرضَ لك، وأن لا تجبه بالتكذيب والرد مع إمكان الصدق، أي لا تخَيب السائل وإن رابك منظره، وجاء راكباً على فرس، فإنَّه قد يكون له فرس ووراءه عائلة، أو دين يجوز معه أخذ الصدقة، أو أن يكون من الغزاة أو الغارمين له في الصدقة سهم»[2].

الدلالة الاصطلاحية:

يُعرِّفُ الرَّاغب (السؤال) بأنَّه: «استدعاء معرفة، أو ما يؤدِّي إلى المعرفة، واستدعاء مالٍ، أو ما يؤدِّي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللِّسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللِّسان خليفة لها، إمَّا بوعْدٍ أو بِرَدٍّ. والسُّؤال للمعرفة يكون تارة للاستعلام، وتارة للتَّبكيت، وتارة لتعريف المسؤول وتنبيهه لا ليخبر ويُعلم»[3].وهو في الآية: الفقير المظهر فقره الذي يسأل النَّاس ويطلب منهم.

---

[1]-موطأ مالك، كتاب الصدقة، باب الترغيب في الصدقة، حديث رقم: 1832. عن زيد بن أسلم رضي الله عنه.

[2]-ابن منظور: لسان العرب: ج11. ص319.

[3]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص437.

ب_ دلالة المحروم:

الدلالة اللغوية:

قال ابن منظور: «المحروم هو الرجل الممنوع من الخير، وفي التهذيب: المحروم الذي حُرِمَ الخَير حرماناً، وقيل: المحروم الذي لا يَنمِي له مال، وقيل أيضاً: إنَّهُ المحارِفُ الذي لا يكاد يكتسب»[1]. وقال الرَّاغب: «المحروم في اللغة الممنوع، الذي لم يوسع عليه الرزق كما وُسِّعَ على غيره»[2]، أو هو«الذي لا ينمو ماله، أو لا يكاد يكتسب»[3].

الدلالة الاصطلاحية:

يظهر لنا من خلال المعاني المعجمية أنَّ المحروم في الاصطلاح: هو الفقير الذي لا يُعْطَى الصَّدقة لظنِّ النَّاس أنَّهُ غير محتاج، لتعفُّفه عن إظهار الفقر، وهو الصِّنف المشار إليه ﴿**يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ**﴾ [البقرة: 273]. وبقول النَّبيُّ ﷺ: «**لَيْسَ المِسْكِينُ الذِي تَرُدَّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالأُكْلَةَ والأُكْلَتَانِ، وَلَكِنْ المِسْكِين الذِي لَيْسَ لَهُ غِنَى وَيَسْتَحيي وَلاَ يَسْأَل النَّاسَ إِلْحَافًا**»[4]. وقيل: «هو الذي ليس له في الغنائم سهمٌ ولا يجري عليه من الفيئ شيء، وقيل: معناه الذي حُرِم الخير والعطاء، وقيل: المحروم المتعفِّفُ الذي لا يسأل، وقيل: هو صاحب الجائحة، الذي أصيب زرعه وثمره أو نسل ماشيته، وقيل: هو المحارف المحروم في الرِّزق والتِّجارة، وقيل: هو المملوك، وقيل: هو المكاتب»[5].

وأظهر الأقوال أنَّه المتعفِّفُ؛ لأنَّه قُرِنَ بالسَّائل فهو ضده، والمتعفِّفُ لا يسأل النَّاس، ولا يكاد النَّاس يعطون من لا يسأل لعدم تفطنهم لحاله، وإنَّما يتفطَّن لحاله المتيقِّظ كما يقول الخازن.

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص125.

[2]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص230.

[3]-جبران مسعود: الرائد معجم لغوي عصري لـــ: ط7. 1992. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.ص: 717.

[4]-الحديث أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: «لا يسألون الناس إلحافا»[البقرة: 273]، رقم: 4539، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب المسكين الذي لا يجد غني، ولا يفطن له فيتصدق عليه، رقم: 1039. عن أبي هريرة ﷺ.

[5]-الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل المسمى بتفسير الخازن، ج4. ص194.

3_ تفسير (السائل والمحروم):

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩﴾ [الذاريات: 19]. يمدح الله تعالى هؤلاء القوم الذين جعلوا في أموالهم حقًّا معلومًا للسَّائل والمحروم، والسَّائل: «الذي يسأل النَّاس، والمحروم المتعفِّف الذي لا يسأل النَّاس شيئًا فيحسبه البعض غنيًّا فلا يعطونه شيئًا»[1]

قال ابن عطية الأندلسي (ت546ه): «المحروم الذي تبعد عنه ممكنات الرِّزق بعد قربها منه فيناله حرمان وفاقة، ومع ذلك لا يسأل النَّاس، فهذا هو الذي له حقٌّ في أموال الأغنياء، لهذا الحرمان الذي أصابه»[2] وهو المعبَّر عنه في الحديث بالمسكين، ورد في سنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**لَيْسَ المِسْكِينُ الذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَة وَالتَّمْرَتَان وَالأُكْلَة وَالأُكْلَتَان وَلَكِن المِسْكِين الذيؤ لاَ يَسْأَل النَّاس شَيئًا وَلاَ يَفْطِنُونَ بِهِ فَيُعْطُونَه**»، وفي رواية عن أبي هريرة أيضا قال قال رسول الله ﷺ: «... **وَلَكِن المِسْكِين المُتَعفِّفُ مسدَّدُ فِي حَدِيثِهِ لَيْسَ لَهُ مَا يَسْتَغْنِي بِهِ الذِي لاَ يَسْأَل وَلاَ يُعلم بِحَاجَتِه فيُتصدَّقَ عَلَيْهِ فَذَاكَ المَحْرُوم**»[3]

النَّموذج الثَّاني:

المعنى السَّابق نفسه ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾ [المعارج: 24. 25.]

فمن خلال هذه المعاني يظهر لنا أنَّ اقتران (**السائل والمحروم**) في الآيتين وتخصيصهما بعطاء المتَّقين وصدقاتهم، يدلُّ على عناية الإسلام بهاتين الفئتين منذ الوهلة الأولى لنزول القرآن الكريم، بدلالة مكيَّة الآيتين الكريمتين هذا من ناحيَّة، ومن ناحيَّة ثانية إشارة لأولئك الأغنياء أن يجعلوا في أموالهم نصيباً معلوماً يشعرون أنَّه حقٌّ للسَّائل والمحروم،

---

[1]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج21. ص514. تفسير الخازن: ج4. ص342.

[2]-ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز: ج5. ض175.

[3]-أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب: المسكين الذي لا يجد غني. (الحديث رقم: 101، ص1039)

وهو شعور بفضل الله تعالى عليهم أولاً، وبواجبهم الاجتماعي والتَّضَامُنِي تجاه هذه الفئة من مجتمعهم ثانيا، زيادة على أنَّهم يتحرَّرون به من آفة البخل والشُّح والحرص، التي أهلكت الكثير من الأفراد والأمم.كما أنَّ إعطاء (**السائل والمحروم**) مظهراً من المظاهر الدالَّة على صلاح النَّفس وتزكيتها؛ لأنَّ صلاح النَّفس في حقيقته يقوم على تزكيتين: تزكية الباطن وتزكية الظَّاهر، فقيام اللَّيل والاستغفار مظهر من مظاهر تزكية الباطن، بسؤال الله تعالى المغفرة والرِّضوان، وإعطاء (**السَّائل والمحروم**) حقهما ونصيبهما مظهر من مظاهر تزكية الظَّاهر، بالأفعال المتمثِّلة في نفع المحتاج المظهر لحاجته، والمتعفِّف عن إظهارها الصَّابر على شدَّة الاحتياج. وبصلاح النَّفس القائم على هاتين التزَّكيتين صلاح للمجتمع أيضاً.

4_ الأثار البلاغية لاقتران (السائل والمحروم):

أ_ الطباق:

قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾[الذاريات: 19]. ورد الطِّباق بين لفظ (**السَّائل**) وهو اسم للفقير المظهر لفقره، المعترض للنَّاس بطلبه وسؤاله، هو الطَّرف الأوَّل للطِّباق، وبين لفظ (**المحروم**) وهو أيضا اسم للفقير الذي لا يُعطى الصَّدقة لظنِّ النَّاس أنَّه غير محتاج، لتعفُّفِه عن إظهار حاله، وفقره وعدم تعرُّضه للنَّاس بالطَّلب والسُّؤال. وقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ ﴾ [البقرة: 273].، وهو الطَّرف الثَّاني في الطِّباق. وهذا الطِّباق وقع بين اسمين متضادَّين، وهو ما يعرف في البلاغة بطباق الإيجاب. والمقصود بهذا الأثر البلاغي دعوة المحسنين إلى البحث والوصول بزكاتهم وصدقاتهم لتشمل السَّائل؛ المعروف بسؤاله وإلحاحه، والمتعفِّف عن الطَّلب والمسألة، ليعمَّ إحسانهم الجميع، وفي الوقت نفسه الاقتداء بهم، واقتفاء آثارهم في الإحسان إلى الفقراء، والمحرومين لعطفهم وإشفاقهم.

إنَّ الطباق في الآية وُظِّفَ ليكشف عن الحقيقة النَّفسية لهؤلاء المحسنين، المتمثِّلة في إشاعة الفرحة والبشاشة على صنف من النَّاس هم في حاجة ماسَّة إلى هذا النَّوع من العطف والحنان، ولن ينطلق هذا العطف والحنان إلاَّ من قلوب عامرة بالإيمان، وسلوك متَّصف بالإحسان، وأثر لا يرجونه إلاَّ من الله تعالى.

ولذلك كان إعطاء (**السائل والمحروم**) من أموال المحسنين من أعظم الأعمال أجراً وثواباً يلقونه عند الله تعالى، قال الرسول ﷺ: «**أَحَبُّ النَّاس إِلَى اللهِ أَنْفَعُهم لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ تُدْخِلَهُ عَلَى مُسْلِمٍ** »[1].

ت_ التقديم والتأخير: قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ [الذاريات: 19]. وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ ﴾ [المعارج: 24. 25]. نلاحظ في الآيتين الكريمتين أنَّ الله تعالى، وفي سيَّاق حديثه عن أصحاب الحقِّ المعلوم في أموال المحسنين المتقين، قدَّم (**السائل**)؛ لأن «السائل معلوم لدى النَّاس، معروفٌ بحاله ومقاله، فيقدَّم لقلَّة ماله دفعاً لحاجته، وأخرَّ (**المحروم**)؛ لأنَّه غير معروف، فلا تدفع حاجته إلاَّ بعد الاطلاع عليه»[2].فهو يحتاج إلى بحث واستكشاف من قبل الأغنياء والمحسنين كما قال تعالى: ﴿ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ [البقرة: 273]

ومن جهة أخرى فإنَّ تقديم (**السائل على المحروم**) يشير إلى أنَّ «الغَنِيُّ الكثير العطاء، أكثر عطاء للسَّائلين لكثرة احتكاكهم به وتعرُّضِهِ لسؤالهم»[3] ولذلك أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن لا يردَّهم أو ينهرهم و لم يذكر له المحروم فقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾ [الضحى: 10]. أي: السَّائل المُلِح، الذي يسأل عن حاجة وفقر، فلا تردَّه ولا تُغلظ له في القول، بل اعْطِهِ أو ردَّه ردًّا جميلاً.فإذا لم يجدهم سأل وهو (**الغني**) عن المحتاج وهو (**المحروم**)، فيكون سائلاً ومسؤولاً في الوقت نفسه.

ث_ التفصيل بعد الإجمال: ورد هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ١٦ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ ﴾ [الذاريات: 15. 19]. فقوله تعالى في حقِّ المتَّقين: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴾ إخبار منه سبحانه وتعالى عن ثوابهم المتمثِّل في

---

[1]-الألباني: صحيح الترغيب، رقم: 2623، أخرجه: الطبراني، المنذري في الترغيب والترهيب.

[2]-فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج28. ص206.

[3]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

استحقاقهم يوم القيامة لـــ«جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ » جزاء لهم عن إحسانهم. ولفظ (محسنين) جاء نكرة ليدلَّ على كثرة إحسانهم وعظمة ثوابه وأجره.

ثم فصَّلَ في الآيات بعدها أنواع هذا الإحسان ووضَّحه، فذَكَر من إحسانهم ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾ [الذاريات: 17-19]. فجاء اقتران (**السَّائل والمحروم**) تفصيلاً لإجمال لفظ (**المحسنين**)، وكان لهذا التَّفصيل الذي أعقب الإجمال أثرٌ كبيرٌ في توضيح المعنى، وبيانه في نفس القارئ أو المتلقِّي، الأمر الذي سيدفعه إلى الأخذ بهذه السِّمات التي تزيد في صلاح العبد وإحسانه.

كما ورد اقتران(**السائل والمحروم**)أيضا تفسيراً لقوله تعالى﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ ﴾ حيث بَيَّنَ مصارف هذا الحق الذي وسمه في آية المعارج بأنَّه(**معلوم**) فذكر أهله ومستحقِّيه، ولم يتركه لرغبات المحسنين أوعواطفهم فقال تعالى: ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾.

جـــ الاستعارة:

قال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [الذاريات: 19]، السَّائل في الآية كما ذكر المفسِّرون: الفقير المظهر فقره، فهو يسأل النَّاس ويطلبهم ويُلِحُّ عليهم في السُّؤال، بينما المقصود بالمحروم، هو فقير أيضا، غير أنَّه لاسأل الصَّدقة أو العطاء، فلا يُعْطَى منها شيئ، لظَنِّ النَّاس أنَّه غير محتاج؛ لتعفُّفِه عن إظهار حاجته أو سؤاله. وإطلاق إسم المحروم في الآية كما يقول الطاهر بن عاشور «ليس حقيقة؛ لأنَّه لم يسأل النَّاس ويحرمونه، ولكن لَّما كان مآل أمره إلى ما يؤول إليه أمر المحروم، أطلق عليه لفظ المحروم تشبيهاً به، في أنَّه لا تصل إليه ممكنات الرِّزق رغم قربها منه، فكأنَّه ناله حرمان.» [1] وهذا ما يسميه البلاغيون بـــ(الاستعارة)، والغرض منها كما يقول الطاهر بن عاشور «ترقيق النُّفوس عليه، وحثُّ النَّاس على البحث عنه، ليضعوا صدقاتهم في موضع يحبُّ الله تعالى وضعها فيه»[2].

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج26، ص351.

[2]-المرجع نفسه: ج26، ص351.

سادساً: السر والجهر:

1_ نماذج اقتران (السر والجهر)

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	الملك	13
02	﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾	نوح	9 .8
03	﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾	الأعلى	7

2_ دلالة اقتران (السر والجهر)

أ_ دلالة السر:

الدلالة اللغوية: لفظ (السر) في الأصل اللغوي يدل على إخفاء الشيء وكتمانه، قال أحمد بن فارس: «السِّين والرَّاء يجمع فروعه: إخفاء الشَّيء، فالسِّرُّ خلاف الإعلان، يقال: أسررت الشَّيء إسراراً خلاف أعلنته»[1].ثم توسَّعوا في هذا الأصل اللُّغوي، فعدَّهُ الخليل من الألفاظ المشتركة ذات الدَّلالتين، فيقال: «أسررت الشَّيء: إذا كتمته، كما يأتي بمعنى أظهرته، ومن الإظهار قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ [يونس: 54].أي: أظهروها»[2].فلفظ (السر) في المعاجم العربية من الألفاظ المشتركة التي تأتي بمعنى الكتمان والإخفاء، كما تأتي بمعنى الإعلان والإظهار.

الدلالة الاصطلاحية: السر في اصطلاح العلماء «ما يسره المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها، فإن لم يعزم عليها فهو الإخفاء»[3] وقيل: «بأنَّه الحديث المُتَكَتَّمُ في النفس، لقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: 7].وقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ [التوبة: 78] »[4].

---

[1]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج3. ص67. 68.

[2]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج2. ص235. ابن منظور: لسان العرب: ج4. ص356.

[3]-أبو البقاء الكفوي: الكليات: ص514.

[4]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص404.

ب_ دلالة الجهر:

الدلالة اللغوية:

لفظ (الجهر) في أصل وضعه اللغوي يدلُّ على الظُّهور والإعلان. قال ابن فارس: «الجيم والهاء والرَّاء، أصلٌ واحدٌ وهو إعلان الشَّيء وكشفه وعلوه، يقال: جهرتُ بالكلام أعلنتُ به، ورجلٌ جهير الصَّوت أي عاليه»[1]. وبه قال الخليل: «جَهَرَ بكلامه وصلاته... وأجهر بقراءته، وجاهرتهم بالأمر، أي: عالنتهم»[2]. وفي الحديث: «**كُلُّ أَمَّتِّي مُعَافَى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ. قَالَ: هُم الذِينَ جَاهَرُوا بِمَعَاصِيهِم وَأَظْهَرُوهَا وكَشَفُوا مَا سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِم**»[3]. «واجتهر القوم فلانا، أي: نظروا إليه عياناً جهاراً، وفي القرآن: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ [النساء: 153].» ثمَّ توسَّعُوا في هذا الأصل اللُّغوي فقالوا: «جهرت الشَّيء: إذا كان في عينيك عظيماً، واجْتَهَرْتَ الرَّجل إذا عظم في عينيك...واجْتَهَرْتَ البئر إذا أخرجت ما فيها من التُّراب، والأجهر الذي لا يبصر في الشَّمس. والحروف المجهورة ضدَّ المهموسة.»[4].

الدلالة الاصطلاحية:

يعرف أبو الهلال العسكري الجهر ويفرِّقُ بينه وبين الإظهار فيقول: الجهر: «عموم الإظهار والمبالغة فيه، وأصله إظهار المعنى في النَّفس، ورفع الصَّوت به، فيقال:جهر بالقراءة إذا رفع صوته بها. »[5]. وفي القرآن: ﴿ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا ﴾ [الإسراء: 110].

3_ تفسير(الجهر والسر):

النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك: 13].والخطاب في الآية كما يذكر ابن عطية الأندلسي(ت 546ه) «لجميع الخلق، أي أخفوا قولكم وكلامكم أيها

---

[1]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج1. ص487.

[2]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج1. ص269.

[3]-الحديث متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه، ص1173، رقم: 6069، ورواه مسلم في صحيحه، ص1197، 1198، رقم2990، من حديث سالم بن عبد الله.

[4]-ابن منظور: لسان العرب: ج4. ص148. 149.

[5]-أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية: ص286.

النَّاس أو أعلنوه وأظهروه فإنَّ الله يعلمه؛ لأنَّ الله تعالى ذو علم بضمائر الصُّدور التي لم يتكلم بها، فكيف بمن نطق وتكلم بها. فمن لم تخف عليه هذه الضَّمائر فغيرها أحرى ألاَّ تخفى عليه»[1]، وعليه فإنَّ أمر (**الجهر والسر**) عند الله سواء؛ لأنَّه سبحانه يعلم ما في صدر الإنسان دون أن ينطق به، فكيف إذا نطق به سراً أو جهراً. وهذا التَّساوي بينهما بالنِّسبة إلى الله تعالى دليل على كمال خلقه سبحانه وتعالى، ذلك أنَّ الخالق للأشياء ينبغي كما يقول الرازي (ت604ه)«أن يكون عالما بحقيقة هذه الأشياء»[2]؛ لأنَّ الغافل عنها يستحيل أن يكون إلهاً عالماً بمقاصد خلقه، وهو في حقِّ الله تعالى محال.

النموذج الثاني:

أما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ [نوح: 8. 9]، فإنَّ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ أي دعوتُهم عَلَناً على رؤوس الأشهاد، مجاهراً بدعوتي لهم دون خوف أو تحفُّظ. ثمَّ ارتقى في دعوته، فذكر أنَّه جمع بين الجهر والإسرار. فقال: ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ والجمع بين الحالتين «أقوى في الدَّعوة وأغلظ من إفراد إحداهما»[3] فقد دعاهم إلى الله سِراً وعلناً، خفية وجهراً، وسَلَكَ معهم كلَّ طريق في الدَّعوة إلي الله، والملاحظ أنَّ القرآن استعمل في الجمع بين الحالتين حرف العطف ـــ(ثم) للإشارة بأنَّ الإعلان والإسرار، كانا طريقة جديدة استعملها نوح-عليه السَّلام- في الدَّعوة، فقد دعاهم سِراً، كما دعاهم جهراً على رؤوس الخلائق، ثم استعمل معهم طريقة ثالثة أخرى، رَاعي فيها المشاعر والمقامات، فقد كان يدعو بعضهم سِرًّا، وبعضهم جهراً، حيث يصلح معهم هذا وذاك، وكلُّ ذلك كما يقول الماوردي (ت450ه) « مبالغة من نوح -عليه السلام- في الدُّعاء وتلطفاً في الاستدعاء»[4].

النموذج الثالث:

أما في سورة الأعلى فقد جاء الاقتران الثنائي بين (**الجهر**) وما يرادف السِّر وهو (**أخفى**) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴾ [الأعلى: 7]. فقد جاء في سياق وعد الله تعالى لنبيِّه ﷺ أنه

---

[1]-ابن عطية الأندلسي:المحرر الوجيز:ج5.ص:340.ابن جرير الطبري:جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج23. ص127.

[2]-فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تج30. ص66.

[3]-الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ج29، ص197.

[4]-المرجع نفسه، والصفحة نفسها. انظر: النكت والعيون، ج6، ص101.

سيقرؤه فلا ينسيه قال تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾.بمعنى سنُقرئك كتاباً ينشرح به صدرك ويقوي ذاكرتك حتى تحفظه. ثمَّ أكَّد هذا الوعد بقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ وقد ورد في (**الجهر والإخفاء**) عدة تأويلات:« أحدها: أنَّ (**الجهر**) ما حفظته من القرآن في صدرك، (**وما يخفى**) هو ما ننسخ من حفظك. والثَّاني: أنَّ (**الجهر**) ما علمه، و(**وما يخفى**) ما سيتعلَّمُه من بعد. قاله ابن عباس. والثَّالث: أنَّ(**الجهر**) ما قد أظهره، و(**وما يخفى**) ما تركه من الطَّاعات»[1].

4_ الآثار البلاغية لاقتران (الجهر والسر):

لقد تضمنت هذه النصوص التي ورد فيها الاقتران الثنائي(**الجهر والسر**)وجوهاً بلاغية عديدة منها:

أ_ التكرار:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ **[نوح: 9]**. ذكر نوح –عليه السلام– لربِّه سبحانه وتعالى أنَّه دعاهم ليلاً ونهاراً، ثُمَّ دعاهم جهاراً، ثُمَّ دعاهم سِرّاً وعَلَناً، كرَّرَ معهم ثلاثة أساليب في دعوتهم إلى الله تعالى، ذلك أنَّ نوحاً –عليه السلام– كان كالآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر، فقد انتقل في أسلوبه هذا من الأدنى إلى الأعلى، فقد «افتتح بالمناصحة في السِّرِّ، فلمَّا لم يقبلوا منه، ثَنَّى بالمجاهرة، فلمَّا لم يقبلوا، ثلَّثَ بالجمع بين الإسرار والإعلان»[2]. فقد دلَّ هذا الأسلوب (**التكرار**) على إصرار نوح –عليه السلام– واستمراره في أداء رسالته التي كُلِّف بها، رغم ما يواجهه من نفور وصدود وعدم قبول، ومن شأنه (**التكرار**) أن يرسِّخَ الشّيءَ المدعو إليه في قلوب المدعوِّين ونفوسهم.

ب_ التقديم والتأخير: نلاحظ من خلال النُّصوص التي ورد فيها اقتران (**الجهر والسر**) ورود (**الجهر**) مقدَّماً على (**السر**) في موضع، ومتأخراً عنه في موضع آخر، وفي تقديم أحدهما على الآخر أسرار بلاغية تجدر الإشارة إليها والتَّوقف عندها؛ لفهم المعنى وتوضيحه. ففي قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الملك: 13]. بَيَّنَ الله تعالى أنَّ (**السر والجهر**) بالنِّسبة إلى علمه سواء، فالله تعالى يستوي عنده سِرَّ العبد وجهره كما في قوله: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾ [الرعد: 10]. فهو سبحانه عليم «بالضَّمائر قبل أن يُعَبَّرَ عنها سراً

---

[1]–محمد بن حبيب الماوردي: النكت والعيون: ج6، دط، دتح، دار الكتب العلمية، بيرون. ص: 253.

[2]–محمود صافي:الجدول في إعراب القرآن، ج29، ط3. 1995، دار الرّشيد، بيروت، ص98.

وجهراً»[1] وتقديم السِّرِّ على الجهر في الآية «للإيذان بافتضاحهم، ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر، والمبالغة في التَّأكيد على إحاطة علمه سبحانه بالسِّرِّ، بجميع أسرار العبد ومكنوناته»[2]، وروعي في هذا التَّقديم أيضاً الرُّتبة؛ ذلك أنَّ «مرتبة السَّمع متقدِّمة على مرتبة الجهر، إذ ما من شيء يجهر به إلاَّ وهو مُضْمَرٌ في القلب غالبا، فَعِلْمُ الله تعالى بحالته الأولى متقدِّمٌ على علمه بحالته الثَّانية»[3]

كما نلاحظ تقديم الجهر على السر في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾[نوح: 8-9] أي: دعوتهم تارة بعد تارة ومرة بعد مرة على«أيّ وَجْهٍ أمكنني، وأسلوب راقني، ولتفاوت هذه الوجوه والأساليب قَدَّمَ (**جهارا**) على (**إسرارا**)، وقَدَّمَ (**أعلنت**) على (**أسررت**)؛ لأنَّ (**الجهار**) أشَدُّ وأغلظ من الإسرار، وفي الجمع بينهما أغلظ من الإفراد لتراخي بعضهما»[4].

ت_ التعليل: نلاحظ هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ [الأعلى: 7]. فهذه الآية تعليلٌ للسِّياق قبلها﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾وهو وَعْدٌ و«ضمان من الله تعالى لنبيِّه ﷺ بحفظ القرآن من النَّقص العارض»[5]. ذلك أنَّ نزول القرآن على قلب النَّبي ﷺ في تزايد مستمر. هذا النُّزول المتزايد له، جعل النبي ﷺ يخاف من نسيان بعضه، فوعده الله تعالى أن يحفظه فلا ينساه فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: 9]. وقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [القيامة: 16. 17].

ودلالة اقتران (**الجهر وما يخفى**) ما بيَّنه ابن عاشور: « أنَّ ما يقرؤه النَّبي ﷺ من القرآن هو من قبيل الجهر، فالله تعالى يعلمه، وما ينساه فسيسقطه من القرآن، فهو من قبيل الخفي، فيعلم الله أنَّه اختفى في حافظته حين القراءة فلم يبرز إلى النُّطق به»[6].

---

[1]-البيضاوي: تفسير البيضاوي: ج5، ص230.

[2]-الألوسي: روح المعاني، ج29، ص13.

[3]-الألوسي: روح المعاني، ج29، ص13.

[4]-البيضاوي: تفسير البيضاوي: ج5، ص248.

[5]- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج30، ص281.

[6]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها. تفسير أبو السعود: ج9. ص145.

ث_ الطباق:

قال تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك: 13]. الخطاب في الآية لجميع الخلق، يريد إخبارهم أنَّ كلامهم أو أقوالهم، ما أخفوه منه، أو ما أعلنوه، فالله تعالى به عليم، فالجهر والسِّرُّ عنده سبحانه وتعالى سواء، يعلم بالخفايا والنَّوايا، عليمٌ بكلِّ ما يخطر بالقلوب وما توسوس به النفوس﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ عليم بالأمر ونقيضه.

دلَّ على هذا المعنى أسلوب الطباق في قوله: (**أسروا واجهروا**)، قال في الطَّرف الأوَّل من الطباق (**أَسِرُّوا**) بصيغة الأمر على سبيل التحدي؛ أي أسروا أقوالكم وأفعالكم إن شئتم، فهي مكشوفة لعلم الله تعالى، فهو عليم بنياتكم وأقوالكم المكنونة صدوركم؛ لأنَّه هو الذي خَلَقَهَا، وخلق لها هذه الصُّدور﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾. ثم قال في الطَّرف الثَّاني من الطِّباق ﴿أَوِ ٱجْهَرُواْ﴾ أي أظهروه وبيِّنوه، فإذا كان عليماً بأسراركم وما تخفيه صدوركم، فهو بما تجهرون به أولى بالعلم والاطلاع.

وعليه فإنَّ الطِّباق بين (**أسروا أو اجهروا**) دلَّ دلالة واسعة على الإحاطة الشَّاملة لعلم الله تعالى بظواهر الإنسان وخفاياه، بنياته ومقاصده في أقواله وأفعاله سواء أسَرَّهَا أم جهر بها. والإيمان بهذا يُشعر الإنسان بمعية الله تعالى له، ويدفعه لتحمُّل جميع التَّكاليف التي كلف بها. ويتَّقيه في شعوره ومشاعره وأسراره الدَّفينة، وكذا في حركاته المنظورة وصوته الجهير، في تعامله مع خالقه وسائر المخلوقين؛ لأن السّرّ والجهر كما يقول سيد قطب: «مكشوفٌ لعلم الله، فهو يعلم ما ما هو أخفى من الجهر والسر... بل يصل علمه سبحانه إلى الدَّقيق الصَّغير، والخفي المستور»[1] ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14].

[1]-سيد قطب: تفسير في ظلال القرآن، ج6، ص.3636.

سابعاً: الصدق والكذب:

1_ نماذج اقتران (الصدق والكذب):

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ **وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ** إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾	الزمر	32
02	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ **صَادِقًا** يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ **كَذَّابٌ** ﴾	غافر	28

2_ دلالة الصدق والكذب:

أ_ دلالة الصدق:

الدلالة اللغوية:

قال ابن فارس: «الصَّاد والدَّال والقاف، يدلُّ على قوَّة في الشَّيء قولاً وغيرَه. وسميَّ بذلك لقوَّته في نفسه، والكذب لا قوة له فهو باطل، وأصلُ هذا من قولهم: شيء صَدْق: أي صَلْب، ورمح صدْق: مستوٍ صُلب. وصَدَاقُ المرأة: سميَّ بذلك لقوته وأنه حقٌّ ملزم»[1]. والصِّدقُ كذلك هو: « الشِّدَّةُ»[2]، وعند ابن منظور: «الصِّدْقُ: القبول بالقول، من قولهم: "صَدَّقَهُ: إذا قَبِلَ قَوْلَهُ، وصَدَقَهُ الحديث: أنبأه بالصِّدق»[3].

من خلال هذه المعاجم العربية يظهر أنَّ لفظ(**الصِّدق**) ورد بمعنى قبول الكلام وصحَّته ومطابقته للواقع. وهذا المفهوم اللُّغوي لا يبتعد عن معناه الاصطلاحي والشَّرعي كما سيأتي.

---

[1]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج3. ص339.

[2]-الفيروز آبادي: القاموس المحيط: ص900.

[3]-ابن منظور: لسان العرب: ج7، ص193.

الدلالة الاصطلاحية:

الصدق هو الإخبار عن الشيء على ما هو به، يقول الشريف الجرجاني(ت816ه) الصِّدْقُ: «مطابقة الحكم للواقع. وهو عند أهل الحقيقة: قول الحقِّ في مواطن الهلاك. وقيل الصِّدْقُ: الإبانة عمَّا يخبر به على ما كان»[1] وهو عند الرّاغب:«مطابقة القول الضَّمير والمخبَر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صِدْقاً تامًّا» [2] ويعتبره ابن القيم من الصِّفات التي تقوم عليها كثير من الأخلاق، فيقول عن مترلته: «هيَّ مترلة القوم الأعظم، الذي منه تنشأ جميع منازل السَّالكين، والطَّريق الأقوم، ومن لم يَسِر عليه، فهو من المنقطعين الهالكين»، وهو المعيار أو الحدّ الفاصل بين الإيمان والنِّفاق، فيقول: «به تميَّز أهل النِّفاق من أهل الإيمان، وسكَّان الجنان من أهل النِّيران، وهو سيف الله في أرضه، مَن صَالَ به لم ترد صولته، ومَن نطق به علَتْ على الخصوم كلمته؛ فهو روح الأعمال، والحامل على اقتحام الأهوال. وهو أساس بناء الدِّين، ودرجةٌ تاليَّة لدرجة النُّبوة التي هي أرفع درجات العالمين»[3]

ب_ دلالة الكذب:

الدلالة اللغوية: الكذب نقيض الصِّدق، وهو في أصل وضعه اللُّغوي: الإخبار بنقيض الحقيقة. قال الخليل: «الكذب عدم الصِّدق»[4]. أو هو «الكلام الذي لا يبلغ في نهايته إلى الصِّدق»[5].

الدلالة الاصطلاحية:

الكذب في الاصطلاح:«هو عدم مطابقة الخبر للواقع، وقيل هو إخبارٌ لا على ما عليه المخبر عنه»[6].يقول الإمام النَّووي: «واعلم أن مذهب أهل السُّنة أنَّ الكذب: هو الإخبار عن الشَّيء بخلاف ما هو.تعمَّدت ذلك أم جهلته، لكن لا يأثم في الجهل، وإنما يأثم في العمد.»[7].لحديث النبي

---

[1]-الشّريف الجرجاني: معجم التعريفات: ص113.

[2]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص487.

[3]-ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تح: ناصر بن سلمان السعوي. صالح بن عبد العزيز التويجري. ط1. 2011.دار الصميعي . المملكة العربية السعودية. ص75

[4]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج4. ص16.

[5]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج: 5. ص167.

[6]-الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، ص154.

[7]-النووي: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، تح: أحمد عبد الله باجور، ط1. 1988. دار الريان للثراث، الدار المصرية اللبنانية. ص474. باب: النهي عن الكذب وتبيان أقسامه. ج1. ص: 10.

ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

4_ تفسير(الصدق والكذب):

النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ [الزمر: 32]، نلاحظ اقتران الصِّدق بالكذب في الآية قد ورد في سيَّاق بيان حكم الله تعالى في المشركين، وغيرهم من سائر المكذِّبين للرُّسل والأنبياء. ومعنى (**كَذَّبَ بالصِّدق**) عند الطبري (ت 310هـ): «الإفتراء على أمرين: أحدهما: على مقام الألوهيَّة، بالكذب على اللهِ تعالى، والإدعاء بأنَّ له ولداً وصاحبة.

وثانيهما: بإنكار ما جاء به الرسول ﷺ. من دعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، والتَّكذيب بكتاب الله، الذي أنزله على محمد ﷺ، وبعثه به رسولاً، وإنكار قول لا إله إلاَّ الله»[2].

ودلالة هذا الاقتران في هذا الموضع القرآني إنَّما جاء لبيان أنَّ من تجرأ على الكذب على الله، وإنكار وجوده وعدم الإقرار بوحدانيته، يُعدُّ مُنحرفاً عن الوظيفة التي من أجلها خُلق؛ لأنَّ الكذب هو أصل الانحراف ومبدؤه. وفي المقابل: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: 33]« فالذي جاء بالصِّدق هو رسول الله ﷺ، والصدق الذي جاء به: لا إله إلاَّ الله. والذي صدَّقَ به أيضاً هو رسول الله ﷺ»[3]. بلَّغَهُ صِدقه إلى أعلى علّيين ودرجة المتَّقين.

النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: 28] ورد فيه اقتران (**الصدق والكذب**) في سياق حديث القرآن عن موسى -عليه السلام- وموقفه من فرعون حين سمع بأنَّه قد حكم بقتله في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [القصص: 20]فما زاد هذا الخبر موسى -عليه السلام- إلاَّ إيماناً وتسليماً، فهيأ الله تعالى من يدافع عنه، وهو مؤمن آل فرعون الذي

---

[1]-رواه مسلم، صحيح مسلم، (مقدمة الصحيح) ص4.

[2]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20. ص203.

[3]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

استنكر عليهم إقدامهم على هذا الفعل الشَّنيع قائلاً﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [غافر: 68] استفهام إنكاري رفضاً لهذا السُّلوك الإجرامي، قائلاً: أتقتلون رجلاً لا ذنب له إلاّ أن قال: (ربي الله) ﴿وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ والبيِّنات أي: المعجزات الظَّاهرة التي جاء بها.﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ كان كاذباً فيما يدَّعيه ويقوله، فضرر كذبه عليه لا يتعداه، وإنما ذَكَرَ لهم ذلك كما أشار القرطبي (ت671ه): «تلطفاً في الاستكفاف، واستزالاً عن الأذى»[1].﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ أي «وإن كان صادقاً في دعواه أصابكم ما وعدكم به من العذاب»[2].

4_ الآثار البلاغية لاقتران(الصدق والكذب):

أ_ **التقسيم والمداراة:** قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: 28] نلاحظ في الآية موقف الرجل المؤمن من القرار الذي اتخذه فرعون بقتل موسى-عليه السلام- فقد جاء موقفه في شكل احتجاج، موجه لفرعون باعتباره هو الآمر بالقتل مخاطبا إياه: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ قاصداً بخطابه هذا حماية موسى-عليه السلام- من القتل بفتح باب المجادلة والأخذ الرد، لتشكيك فرعون في في قراره. وقد جاء احتجاجه هذا بطريق التقسيم كما يقول النَّسفي، فـــ«لا يخلو أن يكون موسى في دعوته كاذباً أو صادقا، فإن﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ ﴾ وبال ﴿كَذِبُهُۥ﴾ ولا يتخطاه إلى غيره، ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ من العذاب»[3] واللَّافت للنَّظر في الآية أنَّه لم يقل يصبكم كل الذي يعدكم، مع أنَّه وعيدٌ من نبّيٍ صادق، وإنما قال﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ على سبيل المُدَاراة، فجاء بما هو أقرب إلى تصديقهم وتسليمهم له.وليس في هذا القول نفيُ إصابتهم بكلِّ العذاب، فكأنَّه قال لهم:«أقلّ ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض ما

[1]-القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ج15. ص307.

[2]-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير: ج3. ص72.

[3]-النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج3. ص208.

يعدكم، وهو العذاب العاجل في الدُّنيا وفي ذلك هلاككم، وكان قد وعدهم عذاب الدُّنيا والآخرة»[1].

ب_ التقديم والتأخير:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: 28] نلاحظ من خلال الآية أنَّ الرجل المدافع عن موسى –عليه السلام– كان من قرابة فرعون، بدليل لفظ (آل) من قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ وهو رجل مؤمنٌ اهتدى إلى تصديق موسى –عليه السلام– والإيمان به بعد ما سمع من موسى من دلائل ومعجزات، كما اهتدى أبو بكر الصديق ﷺ إلى الإيمان بالرسول ﷺ، وصدَّق بدعوته، ولذلك سمي ﷺ بالصِّديق. وكان كتمه لإيمانه كما يقول الشيخ الطاهر بن عاشور رحمه الله: «تقية من فرعون وقومه إذ علم أن إظهاره الإيمان يضره ولا ينفع غيره»[2].

وعند مدافعته عن موسى –عليه السلام– في مواجهة فرعون وقراره بقتله، قال مخاطباً إياهم: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ ثم قال بعدها: ﴿ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ فقدَّمَ احتمال كذب موسى–عليه السلام– على احتمال صدقه فقال: ﴿ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ﴾ «زيادة في التَّباعد عن ظنهم به أنَّه ينتصر لموسى–عليه السَّلام– عليهم، فأراد أن يظهر في مظهر المهتم بأمر قومه ابتداءً قبل أمر موسى –عليه السلام–، ليبعد عنه شبهة التهمة بالإيمان بموسى ودعوته»[3] بهدف الاستمرار في الدفاع عن موسى –عليه السلام– ودعوته من جهة، ومن جهة أخرى للحفاظ على حياته ووجوده داخل قصر فرعون، ومراقبة كلّ ما يصدر منه ضد موسى–عليه السَّلام–. ثم أردف قائلاً: ﴿ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ وفيه «مبالغة في التَّحذير وإظهار للإنصاف وعدم التَّعصب، ولذلك قدَّم كونه كاذباً أو يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو

---

[1]–النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج3. ص208.

[2]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج25. ص128.

[3]–المرجع نفسه: ج24. ص130.

بعض مواعيده، كأنَّه خوَّفهم مما هو أظهر احتمالاً عندهم» [1] على كونه صادقاً؛ لأنَّه الأبعد احتمالاً عندهم .

ت_ التعليل: قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ [الزمر: 32].جاء الوصف في الآية بلفظ (أظلم) مبالغة في الظُّلم، فلا ظالم أظلم من هؤلاء، لذلك بدأت الآية بالاستفهام ليبيِّن أنَّهم أظلم الظَّالمين. يقول الطاهر بن عاشور: «ولفظ (أظلم) على بناء أفعل، الذي يفيد التَّعريض بمعنى جعل المفعول معرضاً؛ لأنَّ يقع عليه الحدث.سواء وقع فعلاً أو لا.فـــ(أظلم) بمعنى عرَّضَ نفسه؛ لأنَّ يكون ظالماً أو مكَّنَها من الظُّلم»[2].وإنَّما استحقوا هذا الوصف؛ لارتكابهم كلّ أنواع الظُّلم، منها: زعمهم أنَّ لله شركاء في الرُّبوبية، والكذب عليه بأنَّه أمرهم بما هم عليه من الشِّرك والظُّلم، وظلمهم للرَّسول ﷺ بتكذيبه، وظلمهم للقرآن بنسبته للباطل، وظلمهم للمؤمنين بإلحاق الأذى بهم، وظلمهم لحقائق العالم بقلبها وإفسادها، وظلمهم لأنفسهم بإقحامها في العذاب الخالد.

والاقتصار في الآية في تعليل ظلمهم على أنَّهم كذبوا على الله تعالى وكذَّبُوا بالصِّدق الذي جاءهم (القرآن الكريم) فقط؛ لأنَّهما كما يقول الطاهر بن عاشور هما«جماع ما أتوا به من أنواع الظُّلم المذكور آنفا»[3]والملاحظ في الآية أنَّه اقتصر في تعليل بأنَّهم الأظلم، بإيراد نوعين من الظُّلم، ألا وهما:الكذب على الله تعالى والتكذيب بالصدق، الذي هو القرآن الكريم؛لأنَّ هذين الوصفين هما جماع الظلم المذكور آنفاً.

ث_ المقابلة: قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الزمر: 32. 34]. نلاحظ في الآية تقابلاً بين التكذيب بالصدق والتصديق به، وبين الكافرين والمتقين، فأمَّا التَّكذيب بالصِّدق، فقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ ويقصد بـــ(الصدق) القرآن الذي جاء به الرسول ﷺ.فذكر الله تعالى أنَّ هذا الأظلم لم يصدق بكلمة واحدة منه، وهذا دليل على كفره. هذا

---

[1]-البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج5. ص65.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج24، ص5.

[3]-المرجع نفسه: ج24. ص: 6.

الطرف الأول من المقابلة، يقابله الطرف الثاني وهو التصديق بالصدق في قوله ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ صدقَّ به، بمعنى آمن واقتنع به ويقصد به الرسول ﷺ وكل من آمَنَ بأنَّه الحقُّ.

كما نجد في الآية نفسها مقابلة أخرى بين الكافرين والمتَّقين؛ والتَّقابل بينهما نتيجة طبيعية للتقابل؛ أي: المصدق بالصدق والمكذب به، وقد ترتب على هذا التقابل المصير المحتوم لطرفيه، فالكافرين المكذبين بالصِّدق مأواهم جهنم وبئس المصير، بدليل قوله تعالى: ﴿ أَلَيۡسَ فِى جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ذكر ذلك على سبيل التقرير وقد ذكر هذا المآل في صورة سؤال لزيادة الإيضاح والتقرير. وأمّا المصدقون بالصدق الذي جاء به الرسول ﷺ فقد رفع منازلهم وجعلهم من المتقين التي من آثارها التصديق بكل ما جاء به الرسول ﷺ، فقال في حقهم﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾[الزمر: 33. 34].

ثامناً: (اللهو واللعب):

1_ نماذج اقتران (اللهو واللعب)

الرقم	الآية	السُّورة	الآية
01	﴿ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ ﴾	محمد	36
02	﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ ﴾	الحديد	20

2_ دلالة اقتران (اللهو واللعب):

أوَّلاً: دلالة اللهو:

أ_ الدلالة اللغوية:

اللهو: كل ما أشغل الإنسان عن الخير، قال الخليل بن أحمد (ت170هـ) اللهو هو:«الصدوف عن الشيء، يقال: ألهيته إلهاءً أي شغلته». [1] قال الرَّاغب: «اللهو ما يُشغل الإنسان عمَّا يعنيه ويهمه، يقال: لهوت بكذا... ولهيت عن كذا: اشتغلت عنه بلهو»[2].

---

[1]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج: 4. ص107.

[2]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص748.

ب_ الدلالة الاصطلاحية:

اللهو: «اسم لفعل يقصد منه تلذذ النَّفس به، وصرفها عن ألمٍ حاصلٍ من تعب الجسد، أو الحزن أو الكمد»[1].قال امرؤ القيس: [من الطويل] [2]

وَبَيْضَـــةِ خِـــدْرٍ لاَ يُـــرَامُ خِبَاؤُهَـــا تَمَتَّعْتُ مِن لَهْوٍ بِهَـــا غَيْـــرَ مُعْجَـــلِ

وقال النابغة يذكر حجه: [من البسيط] [3]

حَيَّـــاكَ رَبِّـــي فَإِنَّـــا لاَ يَحِـــل لَنَـــا لَهْوُ النِّسَاءِ وَإِنَّ الـــدِّين قَـــدْ عَزَمَـــا

وغالباً ما يطبع اللهو مرحلة الشباب، فمرحلة الشباب مرحلته، كما يكثر اللهو في أحوال الدنيا من تطلب اللذات والطرب التي« يتلذذ الإنسان بها فتلهيه ثم تنقضي»[4].

أولا: دلالة (اللعب):

أ_ الدلالة اللغوية:

يقول ابن فارس في المعنى اللعب لغة: لَعِبَ: «اللام والعين والباء كلمتان، منها يتفرَّع كلمات إحداهما: اللعب والتلعابة: الكثير اللعب. والملعب: مكان اللعب. واللعبة: اللون من اللعب. واللعبة: المرة منها. والثانية: اللعاب: وهو ما يسيل من فم الصبي.» [5]. يقال (اللعب): «لكل من عمل عملا لا يجدي عليه نفعا.إنّما أنت لاعب. وهو ضد الجد»[6]

فلفظ(اللعب)بهذا الاعتبار يقال لكل من عمل عملاً لا يرجى من وراءه فائدة أو منفعة.

ب_ الدلالة الاصطلاحية: يُعرِّف الجُرجاني اللعب فيقول:«هو فعل الصبيان يعقب التعب من غير فائدة»[7]. يقول الطاهر بن عاشور في معناه، هو«الفعل الذي يريد به فاعله الهزل دون اجتناء

---

[1]-الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: ج11. ص 402.

[2]-ديوان امرؤ القيس: رواية الأصمعي، دط، دتح، ص13.

[3]-ديوان النابغة:شرح:عباس عبد الساتر، ط3. 1996، دار الكتب العلمية، بيروت، ص112.البيت من قصيدة:بانت سعاد.

[4]-الشريف الجرجاني: التعريفات: ص163.

[5]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج5. ص253.

[6]-ابن منظور: لسان العرب: ج1. ص739.

[7]-الشريف الجرجاني: معجم التعريفات ص161.

فائدة، كأفعال الصبيان في مرحهم»[1]

والمتأمِّل في اقتران اللفظان (**اللهو واللعب**) يدرك أنَّ لكل منهما معنى يختلف عن الآخر، فهما بهذا الاعتبار غير مترادفين، فاللّعب كما بيَّن علماء اللغة؛ فعل الصبيان يعقبه تعب لا فائدة ترجى من وراءه، فهو بهذا المعنى عبث غير مذموم، من باب ما جاء لسان إخوة يوسف –عليه السلام– ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: 12] فاللّعب في الآية الأمر المحبَّبُ للنَّفس، تنشرح به الصَّدر، وتحصل به الرَّاحة والمسرَّة، لذلك لم ينكره عليهم النَّبي يعقوب –عليه السلام– وهو ما دَلَّ على أنَّه غير مذموم، كتعلم الرِّماية والسِّباحة وركوب الخيل، والمصارعة... أمَّا اللَّهو فهو كلُّ ما يشغل الإنسان عن فعل الخير، فهو بهذا الاعتبار أمرٌ مذكوك، وعليه نفهم فإن معنى اللعب «إنَّه شغلٌ لا يلهي عن الواجب، أمَّا اللهو فهو شغل يُلهي عن الواجب»[2].

3_ تفسير(اللهو واللعب):

النموذج الأول: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: 36]. يقول الرازي (ت604ه): «اللَّعب:ما تشتغل به ولا يكون فيه ضرورة في الحال ولا منفعة في المآل، ثم إن استعمله الإنسان و لم يشغله عن غيره، ولا عن أشغاله المهمة فهو لعب. فإن شغله عن مهامه فهو لهوٌ، ولهذا يقال (ملاهي) لآلات الملاهي؛ لأنَّها مشغلة عن الغير، ويقال لما دونه لعب»[3]. وإنَّما توصف الحياة الدُّنيا بثنائية (**اللهو واللعب**) إذا عاش فيها الإنسان دون منهج أو غاية، المعبَّرُ عنه في الآية بعدها: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ [محمد: 36]، فالإيمان والتَّقوى يخرجانها من هذا الوصف، ويدخلانها في وصف الجِدِّ والعمل. وفي الجمع بينهما (**اللهو واللعب**) تحذير للمسلم كي لا ينشغل بشيء يضرُّه ولا ينفعه على حساب واجباته وتكاليفه، ومن ناحية أخرى فيه دلالة على حقارة هذه الدُّنيا ودناءتها، «فكلُّ ما فيها ويختص بها لَعِبٌ وَلَهْوٌ»[4]. إلاَّ ما ينفع الإنسان في معاشه أو معاذه

النموذج الثاني: أمَّا اقتران (**اللهو واللعب**) في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد: 20]. فقد ورد في سياق الحثِّ على الإنفاق والصَّدقات في سبيل الله تعالى،

---

[1]–الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: ج10. ص133.

[2]–محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، ص6875.

[3]–فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج. 28. ص74.

[4]–ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز: ج5. ص123. تفسير البحر المحيط: ج 8. ص85.

والإشارة إلى «وجوب اتِخاذ الحياة وسيلة لنيل النَّعيم الدَّائم في الآخرة، ووقاية من العذاب الشَّديد، وما عدا ذلك -كما يقول الطاهر بن عاشور- من أحوال الدنيا فهو متاع قليل»[1]. ولذلك وصف الدُّنيا بأنّها (لعب ولهو)، فـــ(**اللعب**): «كل قول أو فعل يراد به المزاح والهزل، لتمضيَّة الوقت أو إزالة وحشة الوحدة، أو السُّكون، أو السُّكوت، أو لجلب فرح ومسرَّة للنّفس...و(**اللهو**): اسم لفعل أو قول يقصد منه التذاذ النَّفس به، وصرفها عن ألم حاصل من تعب الجسد أو الحزن أو الكمد»[2]. وقد لا يتوقَّف معنى (**اللهو واللعب**) عن المزاح والهزل وما تستلذُّه النَّفس البشرية، بل قد يتوسع مدلوله إلى معنى آخر، وهو أنَّ اللعب ما هو إلاَّ عبارة عن كل «فعل أو قول أو حركة تدعو صاحبها وتزين له التَّعلق بالحياة الدُّنيا الفانية، واللَّهو كلُّ ما يلهيه عن الحياة الباقية»[3].

واقترانهما في الآية يدلُّ على أنَّ بينهما عموم وخصوص؛ فـــ(**اللعب**) أكثر ما يظهر على عمل الصِّبيان والأطفال فهو الغالب على أحوالهم في هذه المرحلة العمرية. أمَّا (**اللهو**) فهو سمة بارزة في مرحلة الشَّباب، إذ يغلب فيها طلب اللَّذات والشَّهوات والطَّرب. كما دلَّ أيضاً على ذمِّ الحياة الدُّنيا تحقيراً لها وتزهيداً فيها؛ لأنَّ «التَّعلُّق بها يعيقُ عن الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة»[4].

4_ الأثر البلاغي لاقتران (اللهو واللعب):

أ_ التعليل:

نلاحظ اقتران (اللهو واللعب) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [محمد: 36]. جاء «تعليلاً لمضمون الآية قبلها في قوله: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ ﴾ [محمد: 35]»[5] فقد نهى الله تعالى المؤمنين عن الوهن والميل إلى الدَّعة والاستسلام لخواطر الضَّعف، وحذَّرهم من الدَّعوة إلى السِّلم الذي يحملهم على حبِّ لذائذ العيش والحياة والزَّهادة في مقابلة العدوِّ ومسالمته، فإنَّ ذلك يغري العدو بهم. وفي هذا المعنى يقول أبو العلاء المعري: [6] [من الطويل]

---

(1)-الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: ج11. ص400.

(2)-المرجع نفسه: ج11. ص400.

(3)-الماوردي: النكت والعيون، ج5. ص480.

(4)-الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: ج27. ص400.

(5)-المرجع نفسه: ج: 26. ص132.

(6)-ديوان أبو العلاء المعري، وهو من شواهد تفسير التحرير والتنوير، ج26، ص133.

وَحُـــبُّ الفَتَـــى طَـــولَ الحَيَـــاة وإِنْ كَـــانَ فيـــه نخـــوةٌ وغُـــرَامُ

ثم بيَّنَ لهم أنَّ هذه الحياة لا تستحق هذه الدَّعة والاستسلام للأعداء، لأنَّها فانية وزائلة وما فيها من متاع، فهو قليلٌ حقيرٌ لا يعدوا أن يكون لعب أطفال ولهو شباب، ثم ينقضي بعد ذلك.

ب_ التقديم والتأخير:

نلاحظ من خلال الآيات القرآنية التي ورد فيها اقتران (اللهو واللعب) تقديم لفظ (**اللعب**) على لفظ (**اللهو**) في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ** ﴾ **[محمد: 36]. وفي قوله:** ﴿ **ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ** ﴾[الحديد: 20]. لأنَّ (**اللعب**) كما يقول الرازي (ت604هـ) هو «فعل الصبيان الذين يتعبون أنفسهم جداً... و(**اللهو**) هو فعل الشبان»[1] ومعلوم أنَّ مرحلة الصِّبيان تسبق مرحلة الشباب، فكان هذا التَّقديم منسجما مع هذه المراحل العمرية التي يمرُّ بها الإنسان مراعيًّا لها.

ذكر الماوردي (ت450هـ) في تفسيره معنى آخر للَّفظين (**اللهو واللعب**)، فقال إنَّ (**اللعب**) هو «ما رغَّبَ في الدنيا، و(**اللهو**) ما ألهى عن الآخرة»[2] فقدَّم (**اللعب**) لتعلُّقه بالأعمال التي تغري العبد بمتاع الدنيا، وأخَّرَ (**اللهو**) لتعلقه بكل ما يلهي عن الآخرة.

ت_ التشبيه البليغ:

قال تعالى: ﴿ **ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ** ﴾ **[**الحديد: 20]. ففي الآية «إخبار بحقيقة الحياة الدُّنيا على أنَّها (**لعب ولهو**) وفي هذا الإخبار تشبيه بليغ»[3]، حيث شبَّه الحياة باللَّعب واللَّهو، فذكر طرفي التَّشبيه (**الحياة**) و(**اللعب واللهو**) فقط، وحذف أداة التَّشبيه، وهو ما يوحي أو يوهم باتحاد طرفي التَّشبيه، وعدم تفاضلهما، فيكون المشبَّه في مستوى المشبَّه به، وهذه هي المبالغة في قوة التَّشبيه. والغرض من تشبيه (**الدنيا**) بـــ(**اللعب واللهو**) لتمكين حقيقة الدُّنيا من ذهن السَّامع، وإبرازها بشكل واضح وأظهر؛ لأنَّ السَّامع أو المخاطب لهذه الآية يحتاج إلى شيء من التَّثبيت والإيضاح في هذه القضية، من أجل ذلك عمد القرآن لتقريب هذا المعنى إلى الإتيان بمشبَّه حسِّي

---

(1)-فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج29. ص234.

(2)-الماوردي: النكت والعيون، ج5. ص480.

(3)-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج26. ص133.

قريب التَّصور، يزيد معنى المشبَّه إيضاحا، لما في المشبَّه به من قوَّة الظُّهور والتَّمام. يقول الإمام الطاهر بن عاشور: «شبَّه أحوال الحياة الدُّنيا باللَّعب واللَّهو في عدم ترتُّب الفائدة عليها؛ لأنَّها فانية منقضية والآخرة هي دار القرار»[1].

كما يوحي هذا التَّشبيه إلى معنى التَّحذير من التَّعلُّق بهذه الدُّنيا، ولذائذ عيشها الزَّائل والفاني الذي قد يحمل إلى التَّخلي عن ملاقاة الأعداء والدَّعة لهم والذُّل أمامهم، فإنَّ ذلك قد يغري العدو بهم.

ث_ القصر:

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [محمد: 36]. وقال: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [الحديد: 20]. افتتحت آية سورة الحديد بقوله (اعلموا) للإيذان بأنَّ «ما سيلقى جدير بتوجيه الذِّهن بشراشره إليه... وهو هنا يشير إلى أنَّ الكلام الذي بعده له مغزي عظيم»[2] فقد أراد سبحانه وتعالى أن يمثِّل حال الدُّنيا وحقيقتها، بحال مرحلة الصِّبيان والشَّباب، وما يغلب على هاتين المرحلتين من اللَّعب واللَّهو الذي لا فائدة تترتَّب منهما تعود على مستقبلهما.

كما بدأ في الآيتين بالأداة (أنَّما) في سورة الحديد المفتوحة الهمزة وهي أخت (إنما) المكسورة الهمزة وكلاهما يفيد الحصر أو القصر، أي «حصر الحياة الدُّنيا في الأخبار الجارية عليها»[3] وقصر أحوال النَّاس عليها وحصرها فيها، إذ غالباً ما تنصرف هِمَمُ النَّاس وتتلبَّس بها. واستعمال أسلوب القصر في الآية يفيد التَّأكيد والتَّحذير في الوقت نفسه؛ التَّأكيد على أنَّ الدُّنيا ما هي إلاَّ (**لعب ولهو**)، والتَّحذير من الإغترار بها وبشهواتها.

ومن جهة أخرى ينبغي أن نشير إلى أنّ هذا الحصر لا يعني أنَّ الدنيا كلَّها لهو ولعب وزينة ... فقد تنصرف مقاصد النَّاس وهممهم إلى أصناف من الطَّاعات، كأعمال التُّقى والمنافع والإحسان والتأييد للحق، وتعليم الفضائل وتشريع القوانين، فيتَّخذوها مطيَّة أو مزرعة للآخرة. قال تعالى: ﴿ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ ﴾ [محمد: 36].

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج26. ص133.

[2]-المرجع نفسه، ج11. ص393.

[3]-المرجع نفسه، ج27، ص401.

تاسعا: الموت والحياة:

1_ نماذج اقتران (الموت والحياة)

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾ .	ق	43.
02	﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	الحديد	17
03	﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾	الأعلى	13

2_ دلالة الموت والحياة:

أ_ دلالة الحياة:

الدلالة اللغوية:

يشير لفظ (**الحياة**) في أصل وضعه اللغوي إلى أصلين ذكرهما ابن فارس: « أحدهما خلاف الموت، والآخر الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة. فأمَّا الأول فالحياة والحيوان، وهو ضد الموت والموتان. والثَّاني: الحياء ومنه قولهم: استحييت منه استحياء». [1]. قال ابن منظور: «من الحي: كلُّ متكلم ناطق، ومن النَّبات ما كان طريًّا يهتزُّ. وحَيَا القوم أي: صاروا في الحَيَا، وهو الخصبُ، وأتيت الأرض فأحييتها، أي وجدتها خصبة. قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: 36] أي منفعة، ومنه قولهم: ليس لفلان حياة؛ أي ليس عنده نفع ولا خير»[2].

فأصل لفظ (**الحياة**) في اللُّغة من خلال هذه المعاني دلَّ على الخِصْبِ والنَّفع والبقاء، كما يستعمل في الدَّلالة على النُّطق أو الكلام. وكذا استبيان الطَّريق، فيقال: وحيى الطَّريق بمعنى استبان.

الدلالة الاصطلاحية:

يُقصد بـــ(الحياة) في اصطلاح العلماء: «النُّمُو والبقاء والمنفعة، وهي في علم الأحياء مجموع ما

---

[1]-أحمد بن فارس: ج2. ص122. الصحاح في تاج العربية: ص2323.

[2]-ابن منظور: لسان العرب. ج14، ص212.

يُشاهد من صفات موجودة في الحيوانات والنَّباتات من مميزات تفرق بينها وبين الجمادات، كالتَّغذية، والنُّمو، والتَّناسل وغيرها»[1].لبقائها على قيد الحياة. غير أنَّ مفهومها من منظور الإسلام، أعمُّ وأشمل في أسسها ومقوِّماتها ممَّا عليه في الحيوانات والنَّباتات، فـــ(الحياة) في الإسلام تقوم أساساً على الإيمان بالله تعالى وعبادته والعمل الصَّالح لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: 2]. والحياة الحقيقيَّة هي ما تَميَّزَ فيها الحيُّ من صدق ووفاء وصبر وتعاون مع الآخرين.وقد أكد القرآن هذا المفهوم بقوله: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 177].

ب_ دلالة الموت:

الدلالة اللغوية:

يشير لفظ (الموت) في أصل وضعه اللغوي «إلى ذهاب القوَّة من الشَّيء، سواء كان حيواناً أو نباتاً.وإنَّما قلنا ذهاب القوَّة لقول الرَّسُول ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَهَاتَيْنِ البَقْلَتَيْنِ الْمُنْتِنَتَيْنِ أَنْ تَأْكُلُوهُمَا وَتَدْخُلُونَ مَسَاجِدِنَا، فَإِنْ كُنْتُم لاَ بُدَّ آكِلُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا بِالنَّارِ قَبْلاً**»[2]. قال ابن منظور: «الموت والموتان ضدّ الحياة وهو السُّكون، فكلُّ ما سكن فقد مات. فأصل الكلمة يدلُّ على زوال القوَّة الناميَّة الموجودة في الحيوان والنَّبات، كما قد تدلُّ أيضاً على زوال القوَّة الحسيَّة أو العاقلة (المعنوية)»[3].

الدلالة الاصطلاحية:

الموت شرعاً مفارقة الروح البدن، بحيث لا تَبقى حركة في القلب ولا غيره. بواسطة مَلَك من

---

[1]- المعجم الوسيط: ط4/ 2004. مكتبة الشروق الدولية، مصر، ص213.

[2]-أحمد بن فارس:مقاييس اللغة:ج5.ص:283. والحديث: أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط:ج4، ص76.رقم: 3655.والحديث فيه ضعف، لكن أصله في صحيح مسلم في كتاب المساجد. باب النهي عن أكل الثوم والبصل رقم: 561.

[3]-ابن منظور: لسان العرب: ج2. ص94.

الملائكة؛ وهو ملك الموت. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: 11]. يساعده كوكبة من الملائكة يقومون بنزع النُّفوس نزعاً من الظالمين. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ﴾ [الأنعام: 93]. أما الطَّيِّبون فتتولاهم ملائكة الرَّحمة وتبشرُّهم برضوان من الله ومغفرة وسلام منه ورحمة. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 32].

وتارة يبين الله تعالى أنَّه هو الذي يقوم بهذا الأمر؛ لأنَّه هو الفاعل حقيقة. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر: 42]. وهذا الموت إنَّما هو للأبدان وليس للأرواح؛ لأنَّها خلقت للبقاء.

ولو ماتت الأرواح لانقطع عنها النَّعيم والعذاب . وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ ﴾[آل عمران: 169-170].قال ابن القيم الجوزية: «موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بها هذا القدر فهيَّ ذائقة الموت، وإن أريد بها أنَّها تعدم وتضمحل وتصير عدماً محضاً، فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو عذاب»[1]

3_ تفسير(الموت والحياة):

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾ [ق: 43]. فالجمع بين (**الموت والحياة**) في الآية: للإشارة إلى مصدريَّة الموت والحياة، وأنَّهما خَلْقًا من خلق الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ

[1]-ابن القيم الجوزية: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء، ج1.تح: بسام على سلامة العموش. ط1. 1986. دار ابن تيمية. الرياض. ص243.

﴿ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴾ [الملك: 2]. وللدَّلالة على عظمة الخالق سبحانه، التّي دلَّ عليها قوله تعالى: «**إنَّا نحن**» قال الإمام الرازي (ت 604هـــ) معلِّقاً على اقتران الموت بالحياة في الآية«للتَّعريف بعظمته سبحانه وتعالى فقوله (**نحي ونميت**) أي: هذه أمور مؤكَّدة في حقِّ الله تعالى دالَّة على عظمته» [1].فالحياة مصدرها من الله تعالى، فهيَّ هبة منه للإحياء.ونهايتها المعبَّر عنها بـــ(**الموت**) منه سبحانه وتعالى، فالمبدأ والمصير إليه وحده. فهو الذي يحي الخلق ويبدؤهم، وهو الذي يميتهم بعد ذلك ولا يملك هذا الأمر أحدٌ سواه، ولذلك قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [الروم: 27]. فيجازي كلاً بعمله، إن خيراً فخير، وإن شرًّا فشرٌّ. وقد أمر الله تعالى خلقه أن يعلموا هذه الحقيقة ويؤمنوا بها.

النموذج الثاني:

للتدليل على حقيقة (**الحياة والموت**) الوارد معناها في الآية السابقة، ضرب لنا مثلاً نراه ماثلاً بين أيدينا، ألاَ وهو إحياء الأرض بعد موتها، فقال: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الحديد: 17]. والمعنى: «يحي الأرض الميِّتة التّي لا تنبت شيئاً(**بعد موتها**) أي بعد دثورها ودروسها» [2]، وهذا تمثيل كما يقول الرازي(ت604ه): « للقلوب التي ماتت بسبب القسوة، فالمواظبة على الذِّكر سبب لعودة حياة الخشوع إليها كما يحي الله الأرض بالغيث»[3].

ومن هذا المنطلق فإن اقتران (**الحياة والموت**) وفي الآية يبدو كأنَّه دعوة إلى الخير برفق وتقريب بليغ، أي: «لا تستبعدوا أيها التاركون للخشوع رجوعكم إليه وتلبسكم به، فإنَّ الله يحي الأرض بعد موتها، كذلك يفعل بالقلوب الميِّتة يردُّها إلى الخشوع بعد بُعدها عنه، وترجع هي إليه بعد نفورها منه، كما يحي الأرض بعد أن كانت ميِّتة.»[4].

---

[1]–فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج28. ص190.

[2]–ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 22. ص411.

[3]–فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج29. ص231.

[4]–الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ج5. ص191. (بتصرف)

النموذج الثالث: فإذا لم تحدث الاستجابة إلى هذه الدعوة، فإنَّ المصير واضح وبيِّن في قوله تعالى: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأعلى: 10. 13]. فالآية عبارة عن وصفٍ للنَّار، ووصفٍ لمن هو فيها، حيث يكون في حال سيِّئة جداً، فهو حي ولكن بمرارة وعسر وشدة. فلا هو حي فيستمتع بحياته، ولا هو ميت فيستريح من هذه المرارة والشدة، يقول الطبري(ت310ه): «ثم لا يموت في النَّار الكبرى ولا يحيا. ذلك أنَّ نفس أحدهم تصير في حَلْقِهِ، فلا تخرج فتفارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا، وقيل: لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة طيِّبة تنفعه، وقال آخرون: قيل ذلك؛ لأنَّ العرب كانت إذا وصفت الرجلَ بوقوعٍ في شدَّة شديدة قالوا: لا هو حيٌّ ولا هو ميِّتٌ. فخاطبهم الله بالذي جرى به ذلك من كلامهم»[1]، فالحياة والموت حقيقتان إذا عرفهما الإنسان معرفة حقيقية، اتَّخذ الحياة وسيلة يتوسَّلُ بها إلى رضوان الله تعالى، وإذا علم بأنَّ هذه الحياة مؤقَّتة، وأنَّ الموت مصيرها استعد لما بعده؛ إن خيراً فخير وإن شَراً فَشَرٌّ.

4_ الآثار البلاغية لاقتران (الموت والحياة):

أ_ التذييل:

يعتبر التذييل من الملامح البلاغيَّة الملاحظة في اقتران (الموت والحياة)، وإنَّما يؤتى به كما قرَّرَ البلاغيون لتأكيد المعنى في الكلام، وتحقيق دلالة منطوق الكلام الأوَّل أو مفهومه، ليكون معه كالدَّليل، ليظهر المعنى عند من لا يفهم، ويكمل عند من فهمه. نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾ [ق: 43]. فالاقتران (**الموت والحياة**) في الآية جاء في سياق الحديث عن يوم الخروج، وهو يوم البعث فإن الله تعالى بين أنه بعد أن يميتهم سيحييهم، وهو الذي عبَّرَ عنه بالخروج في قوله «**يوم الخروج**» وهو الخروج من الأرض، وأشار إليه باسم الإشارة (ذلك) لتهويل المشار إليه وهو«**يوم يسمعون الصيحة بالحق**».ثم بيَّن أن الموت والإحياء بعده، إنما هو شأن من شؤون الله تعالى فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾وهو ما يعرف بالتذييل. ذكره الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى بقوله: «تذييل، أي هذا الإحياء بعد أن أماتهم هو من شؤوننا، بأنَّا نحيِّيهم ونحيِّ غيرهم ونميتهم ونميت غيرهم» [2]

---

[1]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج24. ص318.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج26. ص331.

وإنَما جيء بهذا التَّذيِّيل زيادة في المعنى، وتأكيداً لمن لم يفهم هذا الشَّأن الإلهي في قضيَّة الموت والحياة، التِّي هي محض تصرُّف الله تعالى في خلقه وشأن من شؤونه دون سواه.

ب_ الطباق:

ورد الطباق في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [الأعلى: 13]. والملاحظ في هذه الثُّنائية التي جمعت بين المتضادَّين (**الموت والحياة**) أنَّهما وردا بصيغة الفعل المضارع الذي يقترن «حدوثه بالحال والاستقبال»[1] غير أنَّ هذه الصِّيغة لا ترتبط فقد بهذين الزَّمنين، بل هي صيغة شاملة، زمنها مطلقٌ؛ لأنَّ عملية الإحياء والإماتة متواصلة عبر الزَّمن؛ لأنَّ اللهَ تعالى، هو المالك لهاتين الصِّفتين على سبيل التَّجدد والاستمرار، «فالإحياء والإماتة له وحده، لا يشاركه فيها أحد، فهو سبحانه الذي يحيينا ويمتنا ثُمَّ يحيينا في الآخرة.» [2].

وذكر(**الموت والحياة**) بهذه الصُّورة البلاغية لأغراض منها: للاهتمام بهما، حتى لا يدَّعِي أي مخلوقٌ أنَّه بإمكانه الإحياء والإماتة. والثَّاني: للتَّذكير بإمكانية البعث الذي جحده المشركون. والغرض الثَّالث: التَّعريض بإبطال زعمهم إلهيَّة أصنامهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان: 3]. والطِّباق بهذه الصُّورة أثره كبير على المستمع، فبمجرد سماعه للفظ (**يموت**) يجد تفكيره مشدوداً إلى لفظ (**يحيا**) بجرسه ونغمته الموسيقيَّة، فإيقاع لفظ (**يموت**) له في ذهن السَّامع وأذنه وقعاً أو صدًى مشابهاً للَّفظ (**يحيا**).

ت_ التمثيل: ورد التمثيل في قوله تعالى: ﴿ اعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد: 17].مرتبطا بما قبله وما بعده من الآيات القرآنيَّة في السُّورة نفسها على عدة وجوه، منها: أنَّ اللهَ تعالى مَثَّلَ لأثر الذِّكْرِ والقرآن في القلوب القاسية، بأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض الميِّتة. جاء في روح المعاني وهو يفسر هذه الآية قوله: «فهو تمثيل ذُكِرَ استطراداً لإحياء القلوب القاسيَّة، بالذِّكْرِ والتِّلاوة، بإحياء الأرض الميِّتة بالغيث، للتَّرغيب في الخشوع والتَّحذير من القسوة»[3]. دلَّ على ذلك قوله تعالى بعده: ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

---

[1]-إبراهيم السامرائي: الفعل وزمانه وأبنيته، ط3، 1983، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص32.

[2]-محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي: ص14899.

[3]-الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج27. ص181.

وإلاَّ فإنَّ إحياء الله للأرض بعد موتها بما يترل عليها من المطر أمرٌ لا خفاء فيه، وعليه فافتتاح الآية بقوله «**اعلموا**» فيه دلالة واضحة، هي دلالة التَّمثيل.كقول الرَّسُول ﷺ لعبد الله بن مسعود ﷺ وقد رآه يلطم عبداً له:(**اعْلَمْ يَا بْنَ مَسْعُود. اعْلَمْ يَا بْنَ مسعود أنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ**) [1].

ومن جهة ثانية فإنَّ هذا الاقتران الثنائي فيه إشارة على بعث العباد بعد موتهم، وأنَّ اللهَ تعالى سيحييِّهم ويبعثهم يوم القيامة، كما يحيي الأرض الميِّتة. ومن جهة ثالثة نلاحظ أنَّ الاقتران (**يحي الأرض بعد موتها**) قد ارتبط بما بعده في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ** ﴾ [الحديد: 18]. تشبيهاً للأرض التي تحيا بماء المطر، فيتضاعف زرعها وثمارها. وقد ذكر الله تعالى ذلك في كثير من مواضع القرآن، نحو قوله تعالى: ﴿**مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة261]. وهو المعنى نفسه الذي ذهب إليه الرازي (ت604ه) في تفسيره لهذا الاقتران، حيث ذكر أنَّ فيه وجهين : الأول منهما أنَّ هذا الاقتران(**يحي الأرض بعد موتها**) «تمثيلٌ والمعنى أنَّ القلوب التي ماتت بسبب القساوة، فالمواظبة على الذكر سبب لعودة حياة الخشوع إليها، كما يحيي الله الأرض بالغيث. والثَّاني أنَّ المراد من قوله تعالى (**يحي الأرض بعد موتها**) بعث الأموات، فذكر ذلك ترغيباً في الخشوع والخضوع وزجراً عن القساوة»[2].

---

[1]-رياض الصالحين، كتاب الأمور المنهي عنها، باب النهي عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي أو زائد على قدر الأدب، الحديث رقم: 1604.

[2]-فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج29. ص231.

عاشراً: أساطير الأولين

1. نموذج اقتران (أساطير الأولين)

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية
01	﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ **أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ** ﴾.	الأحقاف	17
02	﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ **أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ** ﴿١٥﴾ ﴾	القلم	15
03	﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ **أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ** ﴾	المطففين	13

2. دلالة (أساطير الأولين):

أ. دلالة (أساطير):

1. الدلالة اللغوية:

الأساطير: «جمع أسطَارٍ، والسَّطرُ: الصَّفُّ من الكتاب والشَّجر والنَّخيل ونحوها. والسَّطر: الخطُّ والكتابة. ويقال: سَطَرَ الكتاب يسطُرُ سطْراً كَتَبَ وألَّفَ.قال تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾﴾[القلم: 1] أي: وما تكتب الملائكة» [1].

وقد يأتي لفظ (الأساطير) بمعنى الأسطورة، كما ذكر ابن منظور: «الأساطير: جمع أسطورة، كأحاديث وأحدوثة، وهي الحكاية والقصَّة» [2]، ويقصد بها: «الأباطيل والأحاديث التِّي لا نظام لها، يقال سطَّرَ فلان علينا يُسَطِّرُ إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، ويقال: سَطَّرَ فلانٌ على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمَّقَها، وتلك الأقاويل: الأساطير والسُّطُرُ» [3]

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب: ج4. ص363. بطرس البستاني: محيط المحيط، ط1987.مكتبة لبنان. بيروت. ص410.

[2]-المصدر نفسه: ج4. ص363.

[3]-المصدر نفسه: ج 4، ص363. 364.

2. الدلالة الاصطلاحية:

الأساطير في الاصطلاح هي: القصص والحكايات العجيبة والغريبة التّي تتناقلها الأجيال، ولا تخلوا من استعراض القدرات الخارقة والمعجزات والكرامات، لأصحابها وغيرها من الأمور التّي تَشُدُّ الانتباه. يشير ابن منظور إلى هذا المعنى فيقول: الأساطير هي: « الأباطيل والأحاديث التّي لا نظام لها»[1] يظهر فيها نوع من زخرفة الكلام وتنميقه.

أمَّا المقصود بها في القرآن الكريم فهيَّ من التَّعابير المستخدمة للدَّلالة على التَّكذيب لكل ما ورد في القرآن الكريم وجاء به النبي ﷺ، إلى جانب التَّكذيب بكلِّ ما يتعلَّق بيوم القيامة والبعث والجزاء والحساب والجنَّة والنَّار.

ب. دلالة (الأوَّلين)

المراد بالأوَّلين كما يورد الطاهر بن عاشور في تفسيره: «الأمم السَّابقة؛ لأنَّ الأوَّل يطلق على السَّابق على وجه التَّشبيه، بأنه أوَّل بالنِّسبة إلى ثان بعده وإن كان هو قد سبقته أجيال» [2].

1. تفسير(أساطير الأوَّلين):

النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأحقاف: 17]. ورد اقتران﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ في سياق رد الولد العاق على والديه بعد نصحهما إياه، مكذِّباً بوعد الله الذي ذَكَّرُوه به، ساخراً من عقيدتهما، ومستهزئاً من إيمانهما، قائلاً: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أي: ما هذا الذي تقولان لي وتدعواني إليه إلاَّ «ما سَطَّرَه الأوَّلون من النَّاس من الأباطيل فكتبوه»[3]، و«نقلوه من كتب المتقدِّمين، ليس من عند الله، ولا أوحاه الله إلى رسوله.» [4] أصبتماه أنتما وصدَّقتما به، لا صحَّة له من الواقع.

---

[1]-ابن منظور: لسان العرب: ج4. ص363.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: المجلد12، ص198.

[3]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج21. ص145.

[4]-عبد الرحمان السعدي:تيسير الكريم الرحمن، تح:عبد الرحمن اللويحق، ط1. 2003، دار ابن حزم، بيروت، ص748.

فالملاحظ أنَّ دعوة الأبوين ولدهم هذا في الآية إلى الإيمان بهذه القضايا بالنِّسبة إليه، ليس أمراً جديداً يستدعي النَّظر والاهتمام؛ لأنَّه –حسبه– موجودٌ في كلام الأوَّلين فهو قديم وله علم به، ولهذا نسبه إلى ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ وقد استعمل في التَّعبير عن هذا الموقف أسلوب الاستهزاء والسُّخرية والتَّعجب المتضمِّن الكفر وعدم الإيمان به.

النموذج الثاني: السِّياق نفسه وردت فيه (**أساطير الأولين**) في قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٥﴾ [القلم: 15]إذ نجد أنَّ الله تعالى أقسم في بداية السورة بـــ﴿وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ للدَّلالة على أنَّه سبحانه وتعالى هو الذي يُسَطِّر حقائق هذا الكون وأعمال عباده وأقوالهم ليحاسبهم عليها، ويبعث الأنبياء والرُّسل ليذكِّروا الإنسان بهذه بما سطَّرَهُ الله تعالى، غير أنَّهم يوصفون –وهم يدعون الإنسان إلى هذه الحقائق– بالمجانين. ولا يوصف رسول في القرآن بالجنون إلاَّ في مسألة حصر الآلهة في إله واحد، ونفي الأنداد والشُّركاء معه.فإحالة قضايا الكون والعقيدة إلى إله واحد في نظرهم جنون، ومع هذا يقرُّون أنَّه من (**أساطير الأوَّلين**)، فقد فُسِّرَت (**أساطير الأولين**)في الآية بأنَّها خرافات وأباطيل المتقدِّمين، قال الصَّابوني: «أي إذا قُرئت آيات القرآن على ذلك الفاجر الشَّقِي، قال مستهزئاً ساخراً: إنَّها خرافات وأباطيل المتقدِّمين اختلقها محمد ونسبها إلى الله تعالى»[1].

النموذج الثالث:

وأمَّا في قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: 13].فكل ما تدعو إليه آيات القرآن الشَّاهدة على وحدانية الله تعالى، والرُّجوع إليه للجزاء يوم الدِّين، والدَّعوة للكفِّ عن الظُّلم وأكل أموال النَّاس وحقوقهم بالباطل، كلُّ ذلك موجود فيما سطَّره الأوَّلون. واعتبر القرآن هذا الموقف من الكافرين «سوء أدب مع القرآن الكريم، فقد قالوا عن آياته حين تتلى عليهم: (**أساطير الأوَّلين**) بسبب ما يحويه من قصص الأوَّلين المسوقة فيه للعبرة والعظة، وبيان سنَّة الله التي تختلف، وتأخذ النَّاس في ناموس مطَّرد لا يحيد»[2] كأنَّ لسان حالهم يقول للنَّبي ﷺ لا جديد فيما جئت به فكلُّ ما ذكرته كتبه الأوَّلون في أساطيرهم وملاحمهم وأشعارهم، غير أنَّك أدَّعيت أنَّك رسول من الله بكلام أخذته من أساطير أولئك.

---

[1]–أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج29، ص32. محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج3، ص303.

[2]–سيد قطب: في ظلال القرآن: ج6. ط15، دار الشروق، القاهرة، ص3857.

إنَّ أول ما يثير انتباه الملاحظ لمصطلح (**أساطير الأوَّلين**) أنَّه تردَّدَ كثيراً على ألسنة الكافرين والمشركين المعارضين لدعوة الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام-، الأمر الذي لا نراه أو نسمعه يصدر عن ألسنة أهل الكتاب أثناء معارضتهم لأنبيائهم ورسلهم، ربما لعلمهم المسبق بصدق الأنبياء فيما جاؤوا به من عقيدة وإيمان، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّنا نلاحظ أنَّ اقتران (**أساطير الأوَّلين**) وفي جميع الآيات القرآنية التي ورد فيها، استعمل في سياق الاحتجاج والجدال الدَّائر بين أنبياء الله ورسله وبين هؤلاء المشركين، في قضايا إيمانيَّة ومسائل عقليَّة، دعتهم إلى إعمال عقولهم للنَّظر والتَّأمل فيها، من عبادة الله تعالى وحده وعدم الإشراك به . وعندما عجزوا في ردِّ الحجَّة بالحجَّة لجأوا إلى إغلاق باب الحوار والجدال، بنسبة كلّ جاء به الأنبياء إلى يسمونه (**أساطير الأولين**). ولا يزال معنى هذا الاقتران قائماً إلى اليوم، كلَّما أراد العلماء ردّ النَّاس إلى دينهم الحقّ، إلاَّ وأخرج أعداء الحقِّ هذه المقولة في شكل سؤال، يقصدون به السخرية والتهكم مما جاء به الإسلام، من شعائر وأحكام وأخلاق، فتسمعهم يقولون: هل تريدون منَّا الرجوع إلى العصور الوسطى" فهذه المقوله من تلك.

2. الآثار البلاغية لاقتران (أساطير الأولين)

أ. التهكم والاستهزاء:

نلمس هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المطففين: 13]. أي إنَّ هذا القرآن الذي تتلوه علينا، ما هو إلاَّ عبارة عن (**أساطير**) وقصص مخترعة، تحدثت عنها أمم سابقة قبل نزول القرآن، وإعادة ذكرها في القرآن لا طائل ولا فائدة ترجى منها، هذا ردُّ الولد على والديه، وهما يستغيثان مما علموا من غضب الله وعذابه لمن كفر به وبآياته، ردٌّ «فيه استهزاءٌ بهما وتعجُّبٌ من حالهما» [1]، فما يقولان له ويدعوانه إليه من إيمان بالله تعالى، ويحذِّرانه منه من عذاب أليم لمن كفر به وكذَّبَ، بالنِّسبة إليه محض أكاذيب وأباطيل ليس لها قيمة في الواقع.

فأسلوب الاستهزاء والتَّعجب أو الاستهتار بكلِّ ما جاء به الأنبياء والرُّسل من الحق، دليلٌ على أنَّ لا سبيل لمحاورة هؤلاء أو التَّواصل معهم؛ لأنَّ القضيَّة بالنِّسبة إليهم منتهية، وباب الحوار مغلق؛ لأنَّه لم يجد جديداً يستحق المحاورة أوالمجادلة، فكلُّ ما جاء به الأنبياء والرُّسل ما هو إلاَّ أساطير الأوَّلين.

---

[1]-أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج26، ص24.

ب. التعليل:

ورد اقتران (**أساطير الأولين**) في قوله تعالى: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [القلم: 15] .«تعليلاً»[1] للنهي الوارد في الآيات السابقة في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [القلم: 8. 13]. فقد نَهَى النَّبي ﷺ أن يطيع من كانت هذه صفاته، وعلى رأس هذه الصفات تكذيب هؤلاء للنَّبي ﷺ، ثمَّ بَيَّنَ سبب تكذيب هؤلاء، بكونهم اعتمدوا على ما لديهم من مال وبنين، فقال تعالى: ﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [القلم: 14. 15]. «فحمله الشعور بالغِنَى على التكذيب بآيات الله والطعن فيها، فإذا تليت عليه وسمعها قال أساطير الأوَّلين من الأمم الماضية»[2].

---

[1]-أبو السعود: تفسير أبو السعود، ج9، ص14.

[2]-أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المجلد الخامس، مكتبة العلوم الحكم، المدينة المنورة، ص409.

المبحث الخامس

الاقتران الثنائي في ألفاظ الكون والطبيعة

1. السماء والأرض.
2. الشمس والقمر.
3. الليل والنهار.
4. المشرق والمغرب.
5. العشي والإبكار.

أولاً: السموات والأرض:

1_ نماذج اقتران ألفاظ السموات والأرض:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ خَلَقَ **ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ** بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ ﴾	الزمر	5
02	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ **ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ** بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ ﴾	غافر	64
03	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي **ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ** وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	الحشر	1

2_ دلالة اقتران (السماء والأرض)

أ_ دلالة السماء:

الدلالة اللغوية: تأتي (**السماء**) في اللغة بمعنى: الارتفاع والعلوِّ، قال ابن فارس: « السين والميم والواو أصل يدل على العُلُوِّ، يقال: سموت، إذا علوتُ، وسما بصرُه: عَلاَ، وسَمَا لي شخص: ارتفع حتى استثبته»[1]، وهي عند ابن منظور: «الارتفاع والعلوِّ، بدليل حديث أم معبد وهي تصف الرسول ﷺ: **"وإن صَمَتَ سَمَا وَعَلَاهُ البَهَاءُ"** أي: ارتفع وعَلاَ على جلسائه. وفي حديث زينب رضي الله عنها حين قالت: **"يَا رَسُولَ الله أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي وَهِي التِي كَانَت تُسَامِينِي مِنْهُنَّ"** أي: تعاليني وتفاخرني.» [2] قال المرقّش الأكبر: (الوافر) [3]

عَلَــى أن قَــدْ سَــمَا طَرْفِــي لِنَــار يُشَبُّ لهــا بِــذِي الأَرْطَــى وَقُــودُ

---

[1]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج3. ص98.

[2]-ابن منظور: لسان العرب: ج14.ص: 398.

[3]-المفضل الضبّي: المفضليات، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون. ط6، بيروت لبنان. ص223.

وقال امرؤ القيس: (الطويل) [1]

سَمَوتُ إليها بَعْـدَ مَـا نَـامَ أهلُهـا سُمُوَّ حبَابِ المـاءِ حَـالاً علـى حـالِ

أمّا الخليل بن أحمد(ت 170ه) فالسماء عنده:« سقف كل شيء، وكل بيت.كما تأتي بمعنى المطر».[2]

وإلى هذا المعنى أشار زهير بن أبي سلمى في هرم بقوله: (البسيط) [3].

لَوْ نَـالَ حَـيٌّ مـن الـدّنيا بمنزلـةٍ أفـقَ السَّـماءِلنَالَت كَفُّـهُ الأُفُقَـا

وتأتي أيضا بمعنى السحاب، فقد: «قيل للسحاب: سماء، لأنَّها عالية. والسماء كل ما علاك فأظلَّك»[4].

كما تُطلَق فَيُرَادُ بها، ظهر الفرس، والنَّبات؛ وذلك إمَّا لكونه كما يقول –ابن منظور– من المطر الذي هو سماء، وإمَّا لارتفاعه عن الأرض. وقد كانت العرب تقول: «ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناكم» يريدون الكلأ والمطر. وفي هذا المعنى يقول معاوية بن مالك: (الوافر) [5].

إذا سَـقَطَ السَّـمَاءُ بـأَرْضِ قَـوْمٍ رَعَيْنَـاهُ وإن كـانوا غِضَـابًا

وعلى ضوء ما تقدَّم من معانٍ لغويَّة للفظ (**السماء**) نلاحظ أنَّه جاء دالاً على معنى: العلوِّ والارتفاع على الحقيقة، والسحاب والمطر والنبات على المجاز، وأكثر استعمال لفظ (**السماء**) في القرآن وردَ للدلالة على العوالم العليا غير الأرضية. إلاَّ يظهر لنا من خلال الكثير من الآيات أنَّ القرآن استعمل كلا المعنيين؛ الحقيقي والمجازي، أشار إلى ذلك محمد الصالح السامرائي بقوله: «إمَّا أن تكون واحدة السَّماوات، وإمَّا أن تكون لكل ما علاك، فتشمل السَّماوات وغيرها. والاستعمال الثَّاني هو الاستعمال المجازي الذي نميل إليه» [6]

---

[1]–ديوان امرؤ القيس: دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ص141.

[2]–الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج2. ص: 281.

[3]–ديوان زهير بن أبي سلمى. ط1، دار الكتب العلمية. بيروت. 1988. ص77.

[4]–ابن منظور:لسان العرب:ج14.ص:398. الثعالبي:فقه اللغة وسِرِّ العربية ص21.

[5]–الشاهد في لسان العرب، مادة (سمو)، ج2، ص211.

[6]–النواوي محمد صالح: مقدمة في علم الفلك. ط1. 1432ه. دار جامعة الملك سعود للنشر. ص421.

الدلالة العلمية للفظ السماء:

لا يختلف العلم الحديث في تعريفه لـــ (**السماء**) عمَّا ذهب إليه علماء اللغة في تعريفهم لها، غير أنَّهم لم يقدمُوا لها تعريفاً دقيقاً؛ لأنَّها من الأمور الغيبيَّة التي لا يمكن العلم بها إلاَّ عن طريق الوحي، ورغم ذلك حاول بعض الباحثين أن يقدموا تعريفا فزيائياً أو فلكيا لها، مستندين على نتائج أبحاثهم في هذا الميدان، فقالوا: «هي العالم الخارجي للأرض بما فيه من شمس وقمر ونجوم وكواكب وشهب وأجرام مختلفة الأنواع، أي ما نسميه اليوم بالكون الواسع. وهو ما يعرف باللغة الإنجليزية: the universe »[1]. ويذكر العلماء في هذا المجال أن كلَّ ما تمكن العلم من رصده في هذا كون «يقع جميعا أسفل السماء الدنيا، أي ما يسمِّيه العلماء بالكون المرئي، أما السماء الأولى والثانية إلى آخر السموات السبع، فعلمها عند الله تعالى»[2]. كما لا يقصد بالسماء ما يعرف بالغلاف الجوِّي مكان احتراق الشُّهب، وتلك الشُّهب رجوم للشَّياطين، حتَّى لا تتمكَّن من الوصول إلى السَّماء الدنيا، فمكان احتراقها كما بينَّ ذلك العلماء هو أسفل السماء الدنيا.

لأنَّ هذا أن الغلاف الجوي بكامله يقع أسفل السماء الدنيا..قال ابن حزم (ت456هـــ) وهو يفسر قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ ﴾[الصافات: 6. 7]. «وهذا هو نص ما قام البرهان عليه من الكواكب، المقصود بها هي دون السماء الدنيا؛ لأنّها لو كانت في السماء لكان الشياطين يصلون إلى السماء... وقد صح أنهم ممنوعون من السّماء بالرجوم، فصح أن الرجوم دون السماء» [3]. إذا كان هذا تعريف علماء الفلك للسماء، فإنَّ لبعض المفسِّرين آراء أخرى متعدِّدة لمعنى (**السماء**)، منها على سبيل المثال لا الحصر، رأي الطَّبَري الذي عرَّف (**السماء**) فقال: «كل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء»[4]، ويورد الدَّامغاني في قاموسه معان شتَّى (**للسماء**) فيقول: «السَّماء يعني السَّقف.

لقوله تعالى﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾[الحج: 15].يعني إلى سقف البيت، و(**السَّماء**) بمعنى السَّحاب، قال تعال: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾[إبراهيم: 32]. يعني من السَّحاب، قال تعالى:

---

[1]– محمود فضل محمود عياد:السماوات والأرض بين الفهم الإسلامي والعلم الحديث، مطبوعات الجامعة الإسلامية، غزة، ص:3.

[2]–ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1. ص366.

[3]–ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل: ج2. ص79.

[4]–ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج1. ص366.

﴿يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا﴾[نوح: 11].يعني المطر، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47]، (**السَّماء**) سماء الجنَّة والنَّار، قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ [هود: 107]. فسماء الجنَّة العرش، وسماء النَّار الطبق»[1].

ولخص ابن باديس(ت1940م) تعريفها – وهو من المتأخرين- فقال: «هي الجرم الأعظم الذي أحاط بالأجرام السَّابحة في الفضاء كله، وعلا عليها.»[2]

فـــ(**السماء**) بهذا الاعتبار هي ذلك العالم الخارجي للأرض، وغلافها الجويّ المحكم البناء، خلقه الله تعالى في أكمل صورة، زيّنه بكواكب وأجرام، وشموس وأقمار، كالمصابيح التي تضيئ هذه الأرض وسكانها.

ب_ دلالة الأرض:

الدلالة اللغوية: قال ابن فارس: «الهمزة والرَّاء والضَّاد ثلاثة أصول، أصلٌ يتفرَّع وتكثر مسائله، وأصلان لا ينقاسان، أحدهما: الرُّكمة: يقال رجلٌ مأروضٌ أي مزكوم، والأصل الثَّاني: الرِّعدة، يقال: بفلان أرضٌ، أي: رِعْدَةٌ.

وأمَّا الأصل الأوَّل فكل شيء يسفل ويقابل السماء»[3]. يذكر ابن منظور أنَّ« كل ما سفل فهو أرض، وهي اسم جنس، وكان حق الواحدة منها أن يقال أرضة، ولكنَّهم لم يقولوا. وفي التَّنزيل: ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [الغاشية: 20]. وتجمع الأرض على آراضٍ وأُرُوضٍ وأَرَضُون.»[4] ويذكر الفيُّومي أنَّهما ذكرت في الشِّعر بمعنى «البِسَاطُ»[5].كما يأتي لفظ الأرض بمعنى تهيئة الكلام وتنميقه، فيقال: «أرَّضْتُ الكلام إذا هيَّئته وسوَّيته، والأرْض أيضاً: التي تأكل الخشب، ومنها الأرَضَة بالتَّحريك، وهي دودة بيضاء تشبه النَّملة تظهر في أيام الرَّبيع»[6].

---

(1)–الدامغاني:قاموس القرآن الكريم:تح: عبد العزيز سيد الأهل، ط4. 1983.دار العلم للملايين. بيروت..ص249.

(2)–عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تح: أبو عبد الرحمن محمود، ج2، ص311.

(3)–أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج1. ص79. 80.

(4)–ابن منظور: لسان العرب: ج7. ص: 112. ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم: ج8. ص219.

(5)–الفيومي: المصباح المنير معجم عربي عربي، ج1. ص12.

(6)–ابن منظور: لسان العرب: ج7. ص112.

وعليه فإنَّ لفظ (**الأرض**) في المعاجم العربيَّة عُبِّرَ به عن ذلك الجرم الذي يقابل (**السَّماء**) وهي في اللغة العربية: الرُّكمة والرَّعدة وتهيئة الكلام وتنميقه.

الدلالة الاصطلاحية:

أمّا معنى (**الأرض**) في اصطلاح العلماء، فقد عرَّفها الكفوي بقوله: «اسم جنس تطلق على كل ما استقرَّت عليه قَدَمَا الإنسان، فكل ما أسفله فهو أرض»[1] أمَّا علماء الفلك والفيزياء فإنَّ (**الأرض**): كوكب من كواكب المجموعة الشمسية، وهي المكان الوحيد الذي يعيش ويستقر عليه البشر، يقول شاهر جمال آغا: « للأرض سمات طبيعيَّة، لا نظير لها حتى الآن في الجزء الذي رصده الإنسان مباشرة والمعروف باسم: «Meta Galaxie»[2] وجاء في موسوعة الكون والفضاء أنَّ (**الأرض**): «أحد الكواكب السيارة، التي تنتمي إلى المجموعة الشمسية، وتقع في مركز وسط بالنِّسبة للشمس، وتبعد عنها بـــ(150 مليون كلم)» [3]، وعرَّفها محمد باسل الطَّائي بأنَّها: «جسم كروي الشكل تقريباً، يتفلطح قليلاً عند خط الاستواء، يغطي الماء أربعة أخماس سطحها، تدور حول نفسها دورة كاملة كلَّ أربع وعشرين ساعة تقريباً؛ أي أنَّ سرعتها حول نفسها تبلغ حوالي1674 كلم في الساعة، كما تدور حول الشمس في فلك بيضوي بسرعة هائلة، تبلغ أكثر من مائة ألف كلم في الساعة. دون أن نشعر بذلك»[4] وتُنْطَقُ (**الأرض**) بعدة لغات، فهي في الفرنسية: (Terre) وفي الإنجليزية: (Earth)، قيل سميت أرضاً «لأنَّ الأقدام تدقها وترضها، وقيل لانخفاضها بالنظر إلى السماء»[5].

وخلاصة القول فإنَّ (**الأرض**) ما هيَّ إلاَّ عبارة عن هذه الكرة التي نعيش عليها، فَرَشَها الله تعالى وبسطها، وزيَّنها وهيَّئها، وجعل فيها من أسباب الحياة لكلِّ ما فيها من حيوان وجماد ونبات وإنسان، على أكمل وجه وأنفعه وأبدعه.قال تعالى: ﴿ **ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ** ﴾ [البقرة:22]

---

[1]-أو البقاء الكفوي: الكليات: ص102.

[2]-شاهر جمال آغا: الأرض في القرآن الكريم: دط. 2005. دار الكتاب الثقافي، الأردن، ص18.

[3]-موريس أسعد شربل، رشيد فرحات: موسوعة الكون والفضاء والأرض: ط1. 1999. دار الفكر العربي، ص105.

[4]-محمد باسل الطائي: صيرورة الكون (مدارج العلم ومعارج الإيمان): دط، 2010. عالم الكتب الحديثة، الأردن.ص49.

[5]-المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، دط، ج3.ص108.

3_ تفسير(السماء والأرض):

النموذج الأول:

يقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: 5]. يعتبر الرازي (ت604ه) هذه الآية بياناً وتفصيلاً لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ ذلك أنَّ «خلق السموات والأرض وما بينهما على شدَّتهما وعظمتهما، دليلٌ بَيِّنٌ على وحدانية الله تعالى وقاهريته، وهو عَمَلٌ لا يستطيع القيَّام به أحد إلاَّ الله سبحانه وتعالى»[1] ولإثبات ذلك نَوَّعَ الله تعالى في التدليل على وحدانيته وقدرته وعظمته، كما يقول الطاهر بن عاشور: «فبعد أن نَفَى عنه الشريك في الحقيقة الإلهية بقوله: ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ **[الزمر: 4]** انتقل إلى الاستدلال على ذلك بخلق السموات والأرض، على أنَّه المنفرد بالخلق، إذ لا يستطيع شركاؤهم أن يخلقوا مثلما خلق هو سبحانه وتعالى»[2]، والجملة بعدها ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ بيان ثانٍ. والمعنى نفسه في قوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ﴾ بيان ثالث منه سبحانه وتعالى.

فتوالي هذه الثُّنائيَّات في الآية، وتعدادها بهذا التَّرتيب، إنَّما جاء استدلالاً وامتناناً وفي الوقت نفسه، على أنَّهُ تعالى هو الخالق والمتفرد بهذا الخلق، الممتن به على عباده ليدركوا ضعفهم وعجزهم أمام قدرته تعالى وقوته، فيعبدوه حقَّ العبادة، ويطيعوه حق الطاعة.

النموذج الثاني:

أمَّا في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ [غافر: 64]. فقد ورد اقتران (**السماء والأرض**) في سياق تعداد الله تعالى لنعمه وفضله على عباده، وذكر دلائل وحدانيته وانفراده بالتصرف التَّام في الكون، والمقصود بذكر هذه الأوصاف وتعدادها« الإيماء إلى استحقاقه العبادة وإفراده بها»[3]. ذلك أنَّه لَمَّا ذَكَرَ أنَّه هو خالق

---

[1]-فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تفسير الرازي: ج12. ص157.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص328.

[3]-المرجع نفسه: ج23. ص398.

الناس كلهم﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [غافر62] أتبع ذلك بصفة أخرى تقتضي عبادتهم إيَّاه، وهي نِعَمَهُ المستمرَّة عليهم، مع ما فيها من دلائل عظيم قدرته وسعة رزقه.

فإنَّه سبحانه مَكَّنَ لهم سبل العيش، وأوّلها المكان الصالح للاستقرار عليه وهو الأرض، وقد وَصَفَهَا بأنَّها (قرار) الذي من معانيه السكون والثبات، وهو صفة لهذه الأرض، فقد جعل الله هذه الأرض ثابتة غير مضطربة، ومستقرة غير مائلة، حماية للخلق من اضطرابها، الذي يؤدي بأكثرهم إلى الموت والهلاك، وهو المعنى الذي عبَّر عنه الله تعالى بقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ [الأنبياء: 31]، ويحتمل أن يكون معنى (قراراً) أي: «مستقراً لكم في حياتكم وبعد مماتكم.

كما قال ابن عباس:جعلها منزلا لكم في حال الحياة وبعد الممات. و(السماء بناء) أي: وجعل السماء سقفاً محفوظاً قائماً ثابتاً كالقُبَّة المضروبة المبنية مرفوعة فوقكم»[1].يقيكم الكثير من أضرار العناصر الغريبة القاتلة أوالخانقة، فهذا البناء هو الغلاف الجوي الذي جعله الله فوق هذا العالم، كالبناء له ينفع من فيه، كما ينفع البناء أصحابه. وهذا فضل من الله ونعمة على عبادة، استحق عليه التسبيح والتنزيه والتمجيد.

النموذج الثالث:

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: 1]. وفي الآية إشارة إلى «أنَّ الكون كله بما فيه، من إنسان، وحيوان، ونبات، وجماد، شاهد بوحدانية الله وقدرته وجلاله، ناطق بعظمته وسلطانه»[2]، ومن هذه العظمة الإلهية والقوة والسلطان؛ إخراج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديَّارهم، وتوريثها للمؤمنين به المسبحين بحمده الممجدين لأسمائه الحسنى، ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ القوي القادر على نصر أوليائه وسحق أعدائه، الحكيم في تدبيره وتقديره.

4_ الآثار البلاغية لاقتران: (السماء والأرض):

أ_ التقديم والتأخير: قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾[الزمر: 5]،

---

[1]-فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج27. ص85.

[2]-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير: ج3. ص: 245

وقال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: 1] نلاحظ في الآيتين تقديم لفظ (**السموات**) على لفظ (**الأرض**) وهو الأصل الذي نجده في معظم الآيات القرآنية، اقتضاه السياق والمقام، كما هو الشَّأن في الآيتين السَّابقتين؛ فلا شكَّ أنَّ ما خلق الله تعالى في السموات من نجوم وكواكب وشُهُب، ومخلوقات تسبِّحُ بحمده، أكثر مما يخطر على بالٍ أو يتصوره فكر، هذه الكثرة اقتضت تقديم ذكر (**السموات**) على (**الأرض**) في الآية. هذا أولاً، ثانيًا بالنَّظَرِ إلى«سعتها وعِظمها، وما فيها من كواكبها، وشمسها وقمرها، وبروجها، واستغنائها عن عمد تقلها، أو علاقة ترفعها، ولهذا أمر الله تعالى أن يرجع البصر فيها كرة بعدكرة، ويتأمل استواءَها واتساقها، وبراءتها من الخلل والفطور، فما فيها أعظم من الأرض»[1] كل ذلك اقتضى هذا التَّقديم.

أمرٌ ثالث كان سبباً في تقديم (**السموات على الأرض**) كما يتبادر إلى أذهاننا، هو التَّنبيه على عِظَمِ قُدرة الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّ خلق (**السموات**) أكبر من خلق (**الأرض**)، وخلقهما أكبر من خلق النَّاس، كما قال تعالى: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾[غافر: 57] وهو المعنى الذي أشار إليه الزَّركشي بقوله: «قدَّمَ السموات تنبيهاً على عِظَمِ قدرته سبحانه؛ لأنَّ خلقها أكبر من خلق الأرض... ومن قَدَرَ على إمسَاكِ الأعظم كان على إمسَاكِ الأصغر أقدر»[2].

أمَّا في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ [غافر: 64]. نلاحظ أنَّ الله تعالى قدَّم (**الأرض على السماء**)؛ لأنَّ الاقتران هنا ورد في سياق الامتنان على خلقه -خاصَّة منهم المستكبرون والجاحدون له- بجملة من النِّعَمِ والآلاء والفضائل؛ منها هذا العالم وما فيه من نِعَمٍ خلقها الله متاعاً لهم، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر: 60. 64].

---

[1]-عبد الفتاح لاشين: من أسرار التعبير القرآني (صفاء الكلمة)، ط1983، دار المريخ للنشر، الرياض، ص214، 215.

[2]-بدر الدّين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص286.

وهذه النِّعَم في متناول الإنسان، يراها بعينيه، ويلمسها بيديه، فهو بالأرض أكثر التصاقاً وقرباً وتعاملاً، من بالسماء وكواكبها، لذلك قدمها على (**السماء**) من أجل هذا الإمتنان.بالإضافة إلى هذه العلة، فإنَّ (**الأرض**) بالنسبة للإنسان هي مترله ومستقره، فيها حياته ورزقه، بخلاف (**السماء**) لبعدها عنه، فلا تصلح مسكناً له ولا مقرًّا. والملاحظة الأكثر بياناً في الآية أنَّ الكلام فيها موجها أساسا لأهل الأرض وسكانها، لا لأهل السماء. وهي الملاحظة التي أشار إليها الطاهر بن عاشور بقوله:«ولما كان المقصد الأول هو الامتنان والتذكير بنعمه، وتعداد دلائل انفراده بالتصرف كما دل عليه قوله تعالى: «**لكم**» قُدمت (**الأرض**) على (**السماء**)، ذلك أنَّ الانتفاع بها محسوس وملموس وميسر، ثم ذكرت (**السَّماء**) بعدها من باب استحضار الشيء بضده من جهة، ومن جهة أخرى ليدفع أصحاب العلم والبحث للنَّظر فيها، وتتبُّع أحوالها»[1].

ب_ التشبيه البليغ: نلاحظ هذا الأثر البلاغي ونلمسه في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ [غافر: 64]. ففي الآية بيان أنَّ الله تعالى هو الذي خلق هذه الأرض لعباده، ثم وصفها بأنَّها (**قرارا**) أي «قارة بكم لا تتحرَّك، فيفسد ما عليها من إنشاء وتعمير» [2]، لقوله تعالى: ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ **[المؤمنون: 50]** أي «خلقها على هيئة تلائم الاستقرار عليها، بأن جعلها يابسة غير سائلة، ولو شاء لجعل سطح الأرض سيالاً، كالزِّئبق أو كالعجل، فلا يزال الإنسان سائخا فيها تارة ويسيخ أخرى فلا يكاد يبقى على تلك الحالة»[3]. وفي مقابل (**الأرض**) وصف السماء بأنَّها «**بناء**» أي «محكمة إحكام البناء، فلا تسقط عليكم ولا يسقط منها شيء يؤذيكم»[4]. فشبهها بالبناء؛ لسمكه وعلُوِّه، ووقايته لمن بداخله من الحر والبرد، وعليه فوصف (**السماء**) بالبناء، تشبيهٌ بليغٌ، فقد ذكر المشبَّه والمشبَّه به وحذف أداة التَّشبيه. فشبه السماء بالبناء الواقي الذي يقي المخلوقات من الأضرار النَّازلة أوالمتوقَّعة، ذلك أن السماء –وهي الغلاف الجوي- تعمل على دفع الأضرار عن الأرض وسكَّانها، من سموم منبعثة من بعض الكواكب، الذي يدفع عن ساكنيه الحرِّ والبرد، ويقيهم ومختلف الأخطار والأضرار، والمشابهة

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج24، ص189.

[2]-أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج4، ط3، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1997، ص548.

[3]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:ج24، ص190.

[4]-أبو بكر جابر الجزائري:أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج4، ص548.

واقعة أو قائمة تماماً بين السماء، أوالقبة الهوائية، -كما يسميها الطاهر بن عاشور- وبين القبة التي يصنعها الإنسان للإستفادة منها، .وحذف أداة التشبيه، ووجه الشّبه، يحتاج المخاطب لإدراك معناه إلى إعمال فكره، فيكون بذلك في نفسه أوقع، وفي ذهنه أنفذ، لأنَّ الشيء إذا نيل بعد الطَّلب، كان له في النفس اشتياق وحنين، وعليه فإنَّ التَّشبيه البليغ هنا «يشعر السامعين بالإعجاز الإلهي في الآية، ذلك أنَّ خلق السماء على هذه الصفة، فيه من الفوائد على الإجمال من جهة، ويفهمه السامعون من جهة أخرى على مقدار قرائحهم وأفهامهم، ثم يأتي تأويله قي قابل الأجيال»[1].

ت_ التعريض:

نلاحظ هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾[الحشر: 1]. فقد افتُتِحَت السورة بالإخبار عن تسبيح ما في السموات والأرض لله تعالى؛ لغرضين: أحدهما: فيه تذكِير للمؤمنين بأنَّ بتسبيحهم له في حقيقته شكر له على ما أَنعم عليهم من فتح بلاد بني النضير، فمجيء التسبيح في الآية دعوة من الله لشكره على هذا الفتح، هو دأب أهل السموات والأرض. والثاني: التعريض بأولئك الذين نزلت هذه السورة، فقد أعرضوا عن ذكر الله وشكره على نِعَمِهِ التي حباهم بها، تكبَّروا عن شكره وتسبيحه حق التسبيح، وحق التسبيح كما أراده الله منهم أن يصدقوا الرسول ﷺ فقد أعرضوا عن النَّظر في دلائل رسالته وكابروا في معرفتها.

ونلاحظ أيضاً أن لفظتي (**السموات والأرض**)في هذا الموضع وردتا مقترنتين بـــ(**ما**) قال تعالى: ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾[الحشر: 1].بخلاف عدم اقترانها بهما في سورة الحديد، قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[الحديد: 1]

والسر في عدم ورودها مقترنة بهما في سورة الحديد، لورود اقتران (**السموات والأرض**) في سياق الاستدلال على عظمة الله تعالى وصفاته وانفراده بخلق (**السموات والأرض**)، وما فيهما من أصناف الموجودات، فجمع ذلك كله في اسم موصول واحد هو (**ما**) التي تفيد العموم، وصلتها قوله تعالى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾فكل من في (**السموات والأرض**) يسبحون الله تعالى ويذكرونه ويثنون

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج1 ص332.(بتصرف بسيط)

عليه، أما في بداية سورة الحشر فقد سيقت للتذكير بمن الله تعالى على المسلمين [1]

في حادثة أرضية وهي خذلان بني النضير، فناسب فيها أن يخص أهل الأرض باسم موصول خاص بهم، وهي (**ما**) الموصولة الثانية التي صلتها(**في الأرض**)، وعلى هذا المنوال جاءت فواتح سور الصف والجمعة والتغابن[2]. والملاحظة الثالثة أن (**السموات والأرض**) اقترنت بلفظ (**التسبيح**) الذي هو التنزيه والتمجيد، ففيه أمر لأهل السموات والأرض بأن يسبحوه وينزهوه عما لا يليق به من الصفات، ويذكرونه بكل ما يليق به سبحانه وتعالى، وجاء أمر التسبيح لأهل السموات والأرض بصيغة الماضي للدلالة على أنَّه تسبيح شكر واعتراف بالفضل من الله تعالى «على ما أنالهم من فتح بلاد بني النضير، فكأنَّه قال سبحوا لله كما سبح له ما في السموات والأرض»[3]

ث_ الطباق:

قال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الحديد: 1] في الآية حديث عن عظمة الخالق سبحانه وتعالى الذي سبح له ما في الكون من شجر وحجر، وإنسان وحيوان وجماد، فالكل ناطق بعظمته شاهد على وحدانيَّته، ففي الآية الأولى تتجلَّى دلالة الطباق بين لفظتي (**السماء والأرض**) في إظهار عظمة الله تبارك وتعالى في اقتران أكبر دليل من دلائل قدرته وهما (**السماء والأرض**)، والاقتران بينهما دلَّ على كمال قدرته الهائلة وشمولها، إذ تعلقت بإحدى صفاته العليا والمتمثِّلة بقدرته سبحانه التي شملت جميع ما هذا الكون.

كما علَّلَ الطباق في الآية المغزى من تسبيح الله تعالى وتنزيهه، لأنَّه مَن مَنَّ على عباده بالنَّصر والظُّهور والتَّمكين في أرضه، حقيقٌ بأن يعرفه النَّاس، ويعرفوا نعمه وأفضاله، وإذا عرفوه وجب عليهم أن يسبِّحُوه وينزهوه ويمجدوه.

كما نلاحظ في هذا الأثر البلاغي أنَّه في معظم الآيات القرآنية مقدِّماً لفظ (**السماء، السموات**) على لفظ (**الأرض**)، وربما تعلق هذا التَّقديم بكونه يُشار به ويُرمز إلى أعظم الدلائل الكونية الباهرة الدالة على عظيم صنع الله تعالى وإتقانه ودقته، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى قد يدل هذا الطباق على سِعَة خلق الله تعالى متمثِّلاً في خلقه للسَّموات وما

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المجلد 11. ص64. (بتصرف)

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها. (بتصرف)

[3]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها. (بتصرف)

بينها، وسعتها لدرجة أنَّها استوعبت الأجرام الكونية، والكواكب السَّيارة، واستغنائها عن أعمدة ترفعها. بالإضافة إلى ما تمثِّله الأرض في هذا الكون الهائل. وعلى هذا الأساس جاء الطباق هُنَا لافتاً لأنظار المخاطبين، والإنسان بصفة عامَّة إلى هذه القدرة الإلهيّة الهائلة، وإلى هذه الدِّقة المتناهيّة، في بناء هذا الكون وما يحتويه من مخلوقات متعدِّدَة ومتجدِّدة، ثمَّ التَّأمُّل في استوائها وتناسقها، وبُعدِها عن الخلل أو النسيان أو الأخطاء، لتدل في النهاية على أن من وراءها إله قدير حكيم.

ث_ التقابل:

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: 5] عرضت الآيات القرآنية مجموعة من الألفاظ المتقابلة؛ منها: تقابل(**السماء والأرض**) وقد ورد في سياق الخلق، وتقابل(**الليل والنهار**) وقد جاء في سياق التكوير، وتقابل(**الشمس والقمر**) وقد ورد سياق التسخير؛ وتقابل بين هذه الألفاظ دلَّ على عظمة الخالق سبحانه وتعالى، وقدرته ودقَّة خلقه ونظامه الباهر، فقد أبدع سبحانه وتعالى في كل شيء خلقه في هذا الكون؛ من سموات وأرض، وكواكب وأجرام ومخلوقات؛ وإنس وجن وشجر وحجر وحيوان وجماد، كلها تدل على أنه الخالق الواحد، المتصرف المبدع. قال الشاعر لبيد بن ربيعة: [من المتقارب] [1]

فَيَـــا عَجَبًـــا كَيْـــفَ يُعْصَـــى الإِلَـــهُ ... أَمْ كَيْـــفَ يَجْحَـــدُهُ الجَاحِـــدُ

وَفِي كُـــلِّ شَـــيْءٍ لَـــهُ آيَـــةٌ ... تَـــدُلُّ عَلَـــى أَنَّـــهُ الوَاحِـــدُ

وَلِلَّـــهِ فِـــي كُـــلِّ تَحْرِيكَـــةٍ ... وَتَسْـــكِينَةٍ أَبَـــداً شَـــاهِدُ

وقد أفاد هذا التَّقابل القائم بين هذه الألفاظ المقترنة جملة من الدلالات منها:

1_ دلالة الخلق:

في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: 5]. ففي الآية إعلام لهؤلاء الذين اتَّخذوا من دونه أولياء بمسألتين: إحداهما مسألة خلق السَّموات والأرض وما

[1]–ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، ص232. نسبها إليه صاحب محاضرات الأدباء، ونسبت في بعض المصادر لأبي نواس، وهي لا تشبه شعر لبيد وإن كان منحاها دينيًّا.

بينهما، فهي لله تعالى وحده لم يشاركه فيه أحد من الخلق. لقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: 9]. والمسألة الثَّانية وردت في شكل دعوة صريحة –نلمسها من الآية – من الله تعالى لهؤلاء بتسليم هذا الأمر وإرجاعه إليه سبحانه وتعالى، فهو سبحانه الذي «خلق هذه العوالم؛ من سماء وأرض، وشمس وقمر بالحقِّ لا بالباطل، المتصرِّف فيها على شدَّتها وعظمتها»[1]. والخلق هنا بمعنى الإبداع والإنشاء دون مثال سابق، لقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[البقرة: 117]

2_ دلالة التسخير: نلمس هذه الدَّلالة في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [الزمر: 5]. فبعد الإشارة إلى دلالة الخلق كما سبق، فبالإضافة، أضاف إليها دلالة أخرى وهي التَّسخير، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾[الزمر: 5]. الملاحظ في هذه الآية أن اقتران (**السماء والأرض**) سبق بلفظ (سخَّرَ) الذي يدلُّ على التذليل والتسهيل، والمعنى كما يبيِّنَه الطاهر بن عاشور:«أنَّ الله تعالى هو الذي ذلَّلهما للعمل على ما جعل لهما من نظام السَّير، سير المتبوع والتابع»[2].والمقصود من هذه الدلالة «إثبات ألوهيَّته وحده، بدليل هذه المشاهد الكونيّة الدالة على إتقان صنعه الممزوج بنعمته»[3]

3_ دلالة التسبيح: قال تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: 1]. افتتح الله هذه السورة مخبراً عن تسبيح ما في السَّموات وما في الأرض لله تعالى، والافتتاح بالتَّسبيح فيه «تذكير للمؤمنين بأن يكون تسبيحهم تسبيح شكر لله تعالى على ما أنالهم من فتحِ بلاد بني النَّضير، فكأنَّه قال لهم: سبِّحوا لله كَمَا سبح له ما في السَّموات والأرض»[4]، والملاحظ في الآية أنَّه أسند فعل (التَّسبيح) وهو من عمل العقلاء إلى السَّموات والأرض، وهما من غير العقلاء؛ لِمَا في هذا الخلق من إبداع دقيق تدلُّ عليه كل ذرة في هذا الكون. فالإنسان _ذلك المخلوق العاقل_ وهو يعيش في هذا الكون يدرك مدى دقَّةِ خلق الله تعالى له وجميل صنعه، فإذا أدرك ذلك،

---

[1]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج23 ص328.

[2]–المرجع نفسه: ج23، ص329.

[3]–المرجع نفسه: ج23، ص189

[4]–المرجع نفسه: ج28، ص64.

شعر أنَّ كلَّ ذرَّة في هذا الكون تذكره سبحانه وتعالى، وتسبِّحه وتنزِّهه عن كلِّ ما لا يليق بكماله وجلاله.

فهذه الدلالات التي أفادها تقابل (**السماء والأرض**): الدَّلالة الكونية متمثِّلة في خلق السموات والأرض، ودلالة نفسيَّة في كون هذه المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى في السموات والأرض، مسخَّرة لخدمة الإنسان، وهي دلالة التَّسخير، وإنما سَخَّرهم الله لخدمة الإنسان؛ ليعبد ربه ويسبحه، ويذكره في كل آن وحين، وهي دلالة التسبيح. فكل هذه الدلالات تُحِيلنا وتذكرنا بعظيمة وقدرة الله تعالى، وجميل صُنعه، وقمَّة إبداعه، وأنَّه هو الإله الواحد المستحق لأن يُعبد فلا يُشرك به، ويطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، وفي الوقت نفسه تحيل إلى كلِّ قلب مبصر، وضمير حيٍّ، وفكرٍ راجح، إلى عدم الانقطاع في تعظيم الله تعالى، وذكره وتسبيحه. وهي الدلالة التي خوطب بها النبي ﷺ ومن خلاله المؤمنين جميعا وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: 99]

و نشير أيضاً إلى ملاحظة جديرة بالإهتمام في ثنائية(**السماء والأرض**) أنَّ التَّقابل بينهما لا يراد به التَّقابل اللفظي المعهود؛ لأنَّ العلاقة بينهما ليست علاقة تنافر وتضاد حتى تحدث لنا مثل هذا التقابل، وإنَّما يمكن أن يحصل هذا التقابل إذا كان يقصد بهما الموقع الذي تحتله كل من السماء والأرض، فيشار بالسَّماء إلى العلو، ويشار بالأرض إلى السفل، وعلى هذا الأساس يكون التقابل، إذ العلو ضد السفل، وهو المذهب إلذي ذهب إليه الزركشي بقوله:«أنهما بمنزلة السفل أو التحت، والعلو أو الفوق»[1] واستعمال التقابل بين (**السماء والأرض**) عوض (**العلو والتحت**) إنما قُصِدَ به بيان قدرة الله تعالى والإشارة إليها في السماء والأرض.

4_ التعبير بالأسلوب الخبري:

ذكر البلاغيون أنَّ الأصل في الخبر أن يلقى لغرضين؛ أحدهما: «إفادة المخاطب بالحكم الذي تضمنته الجملة، وهذا الحكم لم يكن معروفاً للمخاطب من قبل، ويسمى (فائدة الخبر)، وثانيهما: إفادة المخاطَب أنَّ المتكلِّم عالم بالحكم الذي يعرفه المخاطب نفسه، ويسمى (لازم الفائدة)»[2].

---

[1]-بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج4، ص6.

[2]-عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص150.

ومن أسلوب التَّعبير الخبري في اقتران (**السماء والأرض**) ما ورد في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ﴾[الزمر: 5].

حيث جاء هذا الاقتران في الآية في سياق الاستدلال على عظيم قدرة الله تعالى، من خلال مجموعة من نِعَمِهِ العظمى؛ المشاهدة والمحسوسة، الذي لا يستطيع أحد أن ينكرها. خاصة إذا كان خالقها والممتن بها هو الله سبحانه وتعالى.

وعليه فالأسلوب الخبري في الآية نلاحظ أنَّه بدأ بالجملة الفعلية (**خلق**) التي فاعلها لفظ الجلالة (الله)، وعدم ذكره في الآية لدلالة هذه المخلوقات عليه، ولأنَّه لن يستطيع غيره أن يدَّعي خلق هذه الأشياء.

ثم عرضت الآية مجموعة من الأخبار في شكل ثنائيات مقترنة تؤثر في النُّفوس والوجدان، تجعله يصمت خوفا ورهبة من عظمتها وجلالها.

وقد جاءت هذه الأخبار ذات إيقاع متناسق وجميل، (سموات وأرض)، (ليل ونهار)، (شمس وقمر) متناسقة بطريقة إبداعية، وفق ما أودعه الله تعالى في هذا الكون، فبدأ بالخبر الأول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾، ثم الخبر الثاني: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾، ثم الخبر الثالث: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ﴾ وكأنَّ هذه الثُّنائيَّات المقترنة تتعلَّق بتشكيل فني عجيب، خلق الله على منواله هذا الكون، وأهداه هذه الثُّنائيَّات الفريدات بشكل مرتَّب ومتقن ومتَّسق، . أردف هذا التشكيل الفني بخبر رابع، فقال: ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّارُ﴾ للدلالة على قوَّته وعزته، فهذا الكون بما خلق فيه من مخلوقات متقنة، وآيات متَّسِقَة، هو من خلق الله تعالى، ودليلٌ على قدرته وعزيته، لقوله تعالى﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ وهو مع ذلك غفور رحيم، لقوله: ﴿ٱلۡغَفَّارُ﴾.

والملاحظ أنَّ هذه الثُّنائيَّات وردت في هذه المواضع مقترنة بأفعال في أزمنة مختلفة، كلها مسندة إلى الله تعالى: (خَلَقَ)، (يُكَوّرُ)، (سَخَّرَ)، فالأفعال الماضية تؤكِّد قدرة الله سبحانه وتعالى الذي أوجد هذا الكون، وإسناده إلى الله تعالى دليلٌ على أنَّ ما يجري في الكون يعلمه الله تعالى، ومطَّلعٌ عليه لا تأخذه سنة ولا نوم. وأمَّا الفعل المضارع (يُكَوِّرُ) فهو يدلُّ على أنَّ عملية الإيجاد مستمرَّة متواصلة لا تنقطع، مادام في هذا الكون إنسان يعيش. قال تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ

﴿ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨ ﴾[النحل:8]، وقال: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات:47]

كما يُلفت إنتباهنا عُدُولٌ في هذه الأفعال، فقد تناول القرآن هذه الأخبار بالزَّمن الماضي (خَلَقَ)، (سَّخرَ) لأنَّ المقام مقام تذكير بهذه النِّعم عدَّدَها على عباده، ، ثم عَدَلَ عن الماضي إلى المضارع (يُكَوِّرُ) للدلالة على أنَّ هذه النِّعم لا تنفذ ولا تنقطع، فهي دائمة ومستمرَّة، وهو دليل على أنَّ عطاء الله متجدِّد دون انقطاع، قال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ ﴾ [النحل:96]

5_ الجمع والإفراد في استعمال الألفاظ:

إنَّ المتأمِّلَ في الآيات القرآنية السَّابقة التي ورد فيها اقتران (**السماء والأرض**)، يلاحظ أنَّ القرآن الكريم استعمل لفظ (**السماء**) مفرداً غير مجموع، واستعملة في كثير من الأحيان مجموعاً دون إفراد على صيغة (**سموات**). أمَّا لفظ (**الأرض**) فيلاحظ من خلال وروده في القرآن الكريم، أنَّه لم يأت إلاَّ مفرداً غير مجموع على (**أرضين**) وقد أضفى هذا الاستعمال على اللَّفظيتين جمالاً أخاذاً، وذوقاً رفيعاً، وتأثيراً كبيراً في النُّفوس وسِحراً بليغاً في الألباب.

ففي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ ﴾ [غافر: 64] نلاحظ أنَّ لفظ (**الأرض**) ورد مفرداً، وهذا دأبه في القرآن الكريم كله، إذ لم نجد القرآن يجمعه في آية من الآيات، بخلاف لفظ (**السماء**)، فقد ورد في القرآن مفردا ومجموعاً.

وسبب جمع لفظ (**السماء**) على لفظ (**السموات**)، وعدم جمع لفظ (**الأرض**) على (**أرضين**) كما يقول عبد الفتَّاح لاشين يعود بالدَّرجة الأولى إلى «اختيار الكلمة المناسبة للمقام المناسب، والأليقُ في التَّعبير، والأخفُّ على اللسان، والأوقع في السمع»[1] فلفظ (**السموات**) أخفُّ على اللسان من لفظ (**الأرض**)، بدليل طبيعة مخارج حروف كِلَا اللَّفظين، فلو أخذنا مثلاً مخارج حروف لفظ (**السماء، السموات**) لوجدناها سهلة وميسرة، فحرف (السِّين) من الحروف أو الأصوات المهموسة، يخرج من طرف اللسان مع ما يحاديه من الصَّفحة الدَّاخلية للثَّنايا السُّفلى، والميم يخرج من الشَّفتين عند انطباقهما انطباقا خفيفاً، وحرف (التَّاء) من طرف اللسان مع أصول الثَّنايا العليا، فَسَهُلَ جمعه ونطقه. وأمَّا مخارج لفظ الأرض فيها نوع من الصُّعوبة، فمثلاً حرف (الرَّاء) يخرج من طرف

[1]-عبد الفتاح لاشين: صفاء الكلمة، ص122.

اللسان مع ظهره مائلاً رأسه، وحرف (الضَّاد) من حافتي اللسان من الأضراس العليا، فَصَعْبٌ جمعه، فَتُرِكَ على إفراده. وعند الإشارة إلى جمعه ذَكَرَهُ مضافاً إلى كلمات أخرى، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾[الطلاق: 12]

و ثَمَّت سبب آخر يظهر لنا تَمَّ بموجبه جمع (**السموات**) وإفراد(**الأرض**)، وهو كما يسميه عبد الفتَّاح لاشين سبب معنويّ، يعود إلى مكانة الأرض وعلاقتها بالحياة الدنيا وقيمتها عند الله تعالى، فهي«دار الدنيا التي هي بالإضافة إلى الآخرة شيء قليل... والله سبحانه لم يذكر الدنيا إلا مقلِّلاً لها ومحقراً لشأنها، ولذلك لم تجمع، إذ الجمع فيه معنى التَّعظيم.» [1]

أمَّا لفظ (**السماء**) فقد جمعه على (**السموات**) تعظيما لها، إمَّا لأنَّها مقرُّ الملائكة، ومحلُّ دار جزائه، ومهبط ملائكته ووحيه. كما في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾[الزمر:5] وإمَّا لبيان عظيم قدرته سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[الحشر: 1]، وإمَّا للدلالة على كثرة سكَّانها وكثرة تسبيحهم له سبحانه وتعالى. وأفرد إذا كان المقصود به مطلق العلو والارتفاع، أو قصد به ذكر الجهة. كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [غافر: 64]

[1]-عبد الفتاح لاشين: صفاء الكلمة، ص122. 123.

ثانيا: الشمس والقمر:

1_ نماذج اقتران (الشمس والقمر):

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية
01	﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾	يس	40
02	﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾	الرحمن	6. 5
03	﴿ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴾	نوح	16

2_ دلالة (الشمس والقمر):

أ_ دلالة الشمس:

الدلالة اللغوية:

قال ابن فارس: «الشِّين والميم والسِّين أصلٌ يدلُّ على تلوُّنٍ وقلَّةِ استقرار. وسميت الشَّمس بذلك لأنَّها غير مستقرَّة، فهي أبداً متحرّكة، قرئ ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾[يس: 38]» [1]

ويقال: «شَمَس يومنا وأشْمَسَ إذا اشتدَّت شمسه، والشَّمُوس من الدَّواب: الذي لايكاد يستقرُّ، يقال: شَمَسَ شِمَاسًا وامرأة شَمُوسٌ، إذا كانت تنفر من الرِّيبة، ولا مستقرَّ عندها. والجمع: شُمُس. ورجلٌ شَمُوس إذا كان لا يستقرّ على خلق»[2].

وفي اللسان: «يومٌ شامسٌ: واضحٌ. وقيل: شَمَسَ وشَمِسَ صَحْوٌ لا غيم فيه. وشامسٌ: شديد الحرِّ. والشَّمِسُ والشَّمُوسُ من الدَّواب الذي إذا نُخِسَ لم يستقرّ.وشَمِسَت الدَّابة والفرس: إذا شردت وجمحت ومنعت ظهرها، ورجل شموس: صعب الخلق»[3].

---

[1]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج3. ص.212.

[2]-المصدر نفسه، ص. 213. الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج2. ص354.

[3]-ابن منظور: لسان العرب، ج6. ص113. 114.

التعريف العلمي للفظ الشمس:

جاء في كتاب التَّعريفات بأنَّ الشمس ذلك «الكوكب المضيء النَّهاري»[1] وهو «من الكواكب السيارة، التي تدور حوله الأرض وسائر المجموعة الشمسية»[2]، فالشمس ما هي عبارة عن الجرم السماوي النيرِ البادي للعيان لأهل الأرض، الذي به ينصرم الليل ويأتي النهار. و(**الشمس**) الاسم الذي سَمَّى الله تعالى به السورة الواحدة والتسعون في القرآن الكريم (**سورة الشمس**).وقد دلَّت النُّصوص القرآنية كلها على أنَّ الشَّمس المراد بها هي المعروفة في السماء. وقد ذُكِرَت (**الشمس**) في القرآن الكريم معرفة بالألف واللام (أل) ماعدا آية واحدة وردت فيها غير مُعرَّفة قال تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[الإنسان: 13].

ب_ دلالة القمر:

الدلالة اللغوية:

ورد في لسان العرب: «القمر الذي في السماء مشتق من القُمْرَة، وهي البياض، أو بياض في كدرة أو لون يميل إلى الخضرة. ومنه قيل الأقمر للأبيض الشَّدِيد البياض. والجمع: أقمار. والأنثى: قَمْرَاء، ويقال: أَقْمَرَ: صار قَمَرًا، وربَّما قالوا: أقمر اللَّيل، وليلة قمراء، أي: مضيئة. وأقمرت ليلتنا: أضاءت، وأَقْمَرْنَا: أي طلع علينا القمر»[3].

وقالوا: «سمي القمر لليلتين من أول الشَّهر هِلاَلاً، ولليلتين من آخره. وليلة ستٍّ وعشرين، وليلة سبعٍ وعشرين هِلالاً، وسميَّ ما بين ذلك قَمَرًا.وتصغيره: قُمَيْر، «والقمران: الشَّمس والقمر»[4]. قال ابن فارس: «القاف والميم والرَّاء أصلٌ صحيح يدلُّ على بياض في الشَّيء. ومنه سُمِّيَّ قَمَرُ السَّماء قَمَرًا لبياضه. وقيل: حمار أَقْمَرُ أي أبيض.يقال: تقمَّرته، أتيته في القمراء. ويقولون: قَمِرَ التَّمر وأقمَرَ إذا ضربه البرد فذهبت حلاوته قبل أن ينضج، ويقال: تقمَّرَ الأسد: إذا خرج يطلب الصَّيد في القمراء»[5].

---

[1]-الشريف الجرجاني: معجم التعريفات: ص135.

[2]-عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى: الإفصاح في فقه اللغة: ص913.

[3]-ابن منظور: لسان العرب، ج.5. ص113

[4]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج5. ص25. 26.

الدلالة الاصطلاحية: القمر في اصطلاح علماء الفلك: «كوكبٌ ليليٌّ مُكَدَّرٌ أزرق مائل للسَّواد، مظلمٌ غير نوراني، كثيفٌ صقيلٌ قابلٌ للاستنارة من غيره. يُكسَبُ النورُ عنه بالمحاذاة، وإنّما يستضيء استضاءة يعتدُّ بها بضياء الشَّمس، لا بِضِياءِ غيرها من الكواكب لضعف أضوائها، وينعكس النُّور عنها إلى ما يقابلها. فيكون نصف القمر المواجه للشَّمس أبداً مستضيئاً لو لم يمنع مانع كحيلولة الأرض بينهما. والنِّصف الآخر مظلماً. ومن هنا يستفاد من أنَّ نور القمر مستفاد من الشّمس»[1].

3_ تفسير(الشمس والقمر):

النموذج الأول: قال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾[يس: 40]. ورد اقتران الشمس والقمر، والليل والنهار في سياق الاستدلال على إمكان البعث والنشور . فقد استدل على هذا الإمكان بأحوال الأرض، وما يطرأ عليها من تغيُّر دال على قدرته الشاملة. بأحوال الأزمنة من اختلاف الليل والنهار وجريان الشمس والقمر والأجرام السماوية الأخرى، وهي مخلوقات عظيمة الشأن يتصرَّف الله تعالى فيها بمطلق قدرته وجلال سلطانه[2].

فبدأ سبحانه وتعالى بعرض الآية الأولى، وهي تعاقب الليل والنهار، فقال تعالى: ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴾[يس37].والسلخ كما يذكر الطاهر بن عاشور: «إزالة الجلد عن الحيوان»[3]..بمعنى أنَّ اللَّيل آية لهم في حال إزالة غشاء نور النَّهار عنه فيبقى عليهم اللَّيل. فشبَّه النَّهار بجلد الشَّاة يغطي ما تحته منها كما يغطي النَّهار ظلمة اللَّيل.

والمقصود بهذا التَّشبيه زوال النَّهار، فاستتبع ذلك أنَّ اللَّيل يبقى شَبَه الجسم المسلوخ عن جلده. بمعنى أن الظَّلام هو الأصل في الكون قبل خلق النُّور في الأجسام النَّيرة. فإذا كان اللَّيل والنَّهار بهذه الدِّقَّة والعظمة دليل من أدلِّة القدرة الإلهية، فإنَّ قضيَّة البعث والنُّشور من أيسر الأمور عليه سبحانه وتعالى.

---

[1]-ابن رجب الحنبلي: جامع العلوم: ج3. ص92.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص23.(بتصرف)

[3]-المرجع نفسه، ج29، ص17. (بتصرف)

ثمَّ تحدَّث عن الشمس والقمر، واعتبرهما من الأدلَّة الظَّاهرة على قدرته وعظيم صنعه عز وجل، ولذلك ذكرهما وقرن بينهما فقال: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس: 38. 40] والمعنى: الشمس تجري حول مركز مدارها الثَّابت ومستقرَّها، وهو مكان الغروب، «شبَّهَهُ بالمأوي الذي يأوي إليه المرء في آخر النَّهار بعد الأعمال»[1]. والقمر جعل لسيره منازل، ينزل كل ليلة في واحدة منها فـ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ فالليل والنهار جاريان كما قدَّر الله، والشمس والقمر جاريان كما أمر الله. فلا يصح للشمس ولا يقدر لها أن تدرك القمر في سيره أو سرعته؛ لأن الشمس تجري بمقدار درجة في اليوم. والقمر يسير مقدار 13 درجة في اليوم؛ ولكل منهما مدارا خاصا لا يجتمع فيه مع الآخر. فلا الليل سابق النهار، أي لا تسبق آية الليل وهي القمر، آية النهار، وهي الشمس فيحل سلطانها محلها، ولا الشمس مدركة للقمر، لأنّهما يجريان بحساب منتظم لا يتغيّر ولا يتبدَّل[2].

النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾[الرحمن: 5]. فذكرُ الشمس والقمر في هذا الموضع استدلال على تفرده سبحانه وتعالى بخلق هاذين الكوكبين، وامتنان منه على عباده بما أودع فيهما من منافع لا سيما انتظام سيرهما، الذي به يدقّق النَّاس في نظام معاملاتهم، وما يحتاجون إليه عند تغير وأجوائهم وأرزاقهم. وجاء الشمس والقمر مقترنين في الآية على سبيل التَّعديد لنعمه عليهم، وفي هذا الأسلوب نوعٌ من التَّبكِيت؛ لأنّهم غفلوا عمَّا في نظامهما (الشمس والقمر) من منافع وحكم، فهما يدلاَّن على تفرد الله بتدبير هذا الكون. وليس أدل على هذه الغفلة، من انشغال بعضهم بعبادة الشمس، وبعضهم بعبادة القمر من دون الله الذي خلقهما. ولذلك جاء التَّنبيه على هذه الغفلة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾[فصلت: 37] [3]، ومن جهة أخرى فإنَّ الجمع

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج23، ص20.

[2]-المرجع نفسه: ج.23.ص22. 23..(بتصرف)، انظر تفسير المراغي: ج: 23. ص9. 10. (بيصرف)

[3]-المرجع نفسه: ج24، ص300 (بتصرف)

بينهما في الآية «للدلالة على أنَّ حسابهما ثابت، لا يتغيَّرُ منذ بدء الخلق، وفي هذا الثبات دليل على حكمة الخالق لهما سبحانه وتعالى»[1].

النَّموذج الثَّالث:

ذكر الله تعالى في سورة نوح –عليه السلام– خلق السموات والأرض﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: 15. 16] وما خلق بينهما (**الشَّمس والقمر**) هذا الكلام من نوح –عليه السلام– إلى قومه جاء في سياق الاستدلال على وجود الله بآثاره، وآياته في كونه، الدَّالة على قدرته ووحدانيته، وتنويعاً في أسلوب عرضه لهذه الآثار، بطريقتين؛ إحداهما عرضه لهذه الآثار في أنفسهم فقال: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾[نوح: 14]؛ لأنَّها أقرب ما يحسونه ويشعرون به. والثَّانية: عرضه لهذه الآثار من خلال النَّظر في الكون وما فيه من الآيات الشَّاهدة على الخالق القدير. فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: 15. 16]

فقد بدأ الآية بالهمزة «التي تفيد الاستفهام التقريري الدال على جهلهم، وعدم علمهم بدلائل ما يرونه، واستعمل لفظ الرُّؤيا وعَبَّرَ عنها بـــ(**ألم تروا**) والرُّؤيا قد تكون بصرية وهي الميسورة في زمانهم، وقد تكون علميَّة»[2]. وهي إشارة وتنبيه إلى عظمة الله وقدرته، والتي منها خلقه لسبع سماوات متطابقة، سماء فوق سماء في غاية الإبداع والإتقان.. ثم ذَكَّرَ بالأجرام التي خلقها في هذه السموات فقال: ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾أي منيراً لوجه الأرض في ظلمة اللَّيل. و﴿ وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾مصباحا مضيئًا. يقول الصَّابوني: «ولما كان نور الشَّمس أشد وأتَّم وأكمل في الانتفاع من نور القمر، عبَّرَ عن الشَّمس بالسراج؛ لأنَّه يضيء بنفسه، وعبَّرَ عن القمر بالنُّور؛ لأنَّه يستمد نوره من غيره». [3] وهذا ما أكدَّ عليه علماء الفلك، فقد قرَّروا أنَّ نور الشَّمس ذاتي فيها. ونور القمر عرضي مكتسب من نورها.

---

[1]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج27، ص234.

[2]–المرجع نفسه: المجلد: 12، ص202.

[3]–محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج29، ص345.

4_ الأثر البلاغي لاقتران (الشمس والقمر):

أ_ التَّقديم والتَّأخير:

نلاحظ في قوله تعالى: ﴿ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴾[القيامة: 9]. أنَّ الله تعالى جمع في الآية بين (**الشمس والقمر**) وقرن بينهما، يسمِّي الطاهر بن عاشور هذا الجمع بالإلتصاق، فالتصاق«القمر بالشَّمس، أي تلتهمه؛ لأنَّهُ منفصل عن الأرض، التِّي هيَّ من الأجرام الدَّائرة حول الشَّمس كالكواكب، وسبب حدوث هذا الالتصاق؛ اختلال الجاذبيَّة التِّي وضع الله تعالى عليها النظام الشمسي»[1] بمعنى أنَّ كل الكواكب السيارة تدور حولها ومنها القمر. لهذا السَّبب قدَّم في الآية لفظ الشمس على القمر؛ لأنَّه تابع لها في دورانه، ومنها يستمد ضوءه. فهي بالنسبة إليه المرجع والمصدر، فقدَّم المتبوع على التَّابع، والأقوى على الأضعف، وقديما قال الحكماء«إنَّ نور القمر مستمدٌّ من نور الشمس ».

وأمَّا قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ ﴾[نوح: 15. 16].فقد قدَّم القمر على الشمس لاحتمال وجهين حسب الزَّركشي: «الوجه الأوَّل احتمال مناسبته لرؤوس الآيات القرآنية

(طباقا. سراجا. نباتا. إخراجا..). والوجه الآخر انتفاع أهل السموات به أكثر. قال ابن الأنباري: يقال إنَّ القمر وجهه يضيء لأهل الشمس، وظهره يضيء لأهل الأرض. ولهذا قال: (فِيهِنَّ) لما كان: أكثر نوره يضيء إلى أهل السَّماء»[2].

ب_ التورية الظاهرة:

هي عبارة عن ذكر المتكلم للفظ له معنيان حقيقيان، أو حقيقة ومجازا. أحدهما قريب، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفيَّة، فيريد المتكلم المعنى البعيد، ويوري عنه بالمعنى القريب، فيتوَّهم السَّامع لأوَّل وهلة، أنَّه يريد القريب وهو ليس كذلك، لذلك جاء من أسماء هذا الفن الإيهام. ويظهر هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦ ﴾ [الرحمن: 4. 5]. فليس المراد بالنَّجم في الآية النَّجم المعروف، وهو

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المجلد29، ص: 345.

[2]-بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص259، 260.

الكوكب في السَّماء، وإنَّما المراد به كما ذكر ابن عباس: «النَّبات الذي ينجم؛ أي يظهر ويطلع على الأرض لا ساق له، ويقصد بالشَّجر: النَّبات الذي له ساق وارتفع به عن وجه الأرض»[1]

والمراد بقوله تعالى: (يسجدان) أي: ينقادان لله تعالى انقياد الساجد لخالقه وتعظيمه له. اقترانه بالشَّجر دليل على هذا المعنى. «إلاَّ أنَّ تقدُّم (**الشمس والقمر**) في الذِّكر يُوهِمُ بأنَّ المراد من النَّجم المعروف معناه لدى النَّاس. غير أنَّ القرآن الكريم لم يقصد هذا المعنى المتبادر إلى الأذهان من أوَّل وهلة، وإنَّما أراد المعنى الثَّاني وهو الطَّاعة والانقيَّاد، على سبيل التَّوريَّة الظاهرة.»[2]

ث_ مراعاة النظير:

يُعرف أيضاً بالتَّناسب أو الائتلاف، أو التَّوفيق والمؤاخاة، وحقيقته عند البلاغيين «أن يجمع النَّاظم أو النَّاثر أمراً وما يناسبه، مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة، وسواء كانت المناسبة لفظاً لمعنى أو لفظاً للفظ، أو معنى لمعنى»[3] يجمع فيه بين المعاني وما يناسبها، من نوعها أو يلائمها من أحد الوجوه في عبارة واحدة، كقوله تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾[الرحمن: 4. 5] فقد جمعت الآية بين (**الشمس والقمر**)، وهما كوكبان سماويَّان يبدِّدَان ظلام الكون، و(**النجم والشجر**)نباتان، وهما غير متناقضين، فالمناسبة في العبارة الأولى قائمة بين (**الشمس والقمر**) وما يناسبهما، وهو الحسبان«لحساب الناس مواقع سيرهما »[4]

والمناسبة في العبارة الثانية قائمة بين (**النجم والشجر**) وما يناسبهما وهو السُّجود. ويقصد به في الآية وقوعهما على الأرض والتصاقهما بالتراب، كالسَّاجد تماما حين يهوي ساجدا لله تعالى، وهو معنًى مجازي، إذ صَوّرَ لنا ارتسام ظلالهما على الأرض بسجود المصلى على الأرض، فالمناسبة قائمة بين أجزاء هذا الاقتران؛ بين(**الشمس والقمر**)، وبين (**النجم والشجر**). هذه المناسبة المتوخَّاة بين هذه الألفاظ المقترنة، يُرَادُ منها بيان أنَّ (**الشمس والقمر**) محكوم عليهما بأنَّهما يجريان في مدارهما بحساب معلوم ومنتظم، من نتائجه اختلاف الفصول والأوقات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أُريد بالمناسبة القائمة بين السجود والنجم والشجر، الإشارة إلى أن ما في هذا الكون جميعا

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المجلد27، ص236.

[2]-الألوسي: تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج27. ص100.

[3]-ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب: ج1. ص292.

[4]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج29. ص234.

محكوم عليه بالخضوع لله سبحانه وتعالى، لقوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾[الرعد: 15] وقد كان هذا الأثر البلاغي أقصر الطُّرق في أداء هذا الغرض، وإيصاله إلى النُّفوس، فلو قال: الشَّمس بحسبان والقمر بحسبان، ولو قال: النَّجم يسجد والشَّجر يسجد، لكان ذلك نوعاً من اللَّغو في الكلام والإطناب الذي فائدة ترجى من وراءئه ولا طائل.

ث_ الاستعارة:

قال الله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: 40]. فقد استعار الإدراك للشَّمس، والسَّبق للَّيل والنَّهار، فقال: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ﴾[يس: 40] ليبيِّن ما هو مقرَّر في علم الفلك من دوران الشَّمس والقمر والأرض، وتَكَوُّن اللَّيل والنَّهار. وجَعل الشَّمس غير مدركة والقمر غير سابق؛ لأنَّ الشَّمس ثابتة لا تدور إلا دورة لم تعرف مدتها، حول شيء مجهول لنا بالكلية، ولها كذلك دورة على محورها كالأرض تقطعها في خمسة وعشرين يوماً. أمَّا القمر فله حركتان: إحداهما حول محوره، والثَّانية حول الأرض، وكل منهما يتَّجه من المغرب إلى المشرق، ويقطع مداره حول الأرض في تسعة وعشرين يوما ونصف تقريبا، هو المسمَّى بالشَّهر القمري، فكانت الشَّمس جديرة بأن توصف بعدم الإدراك لتباطإ سيرها، والقمر خليق بأن يوصف بعدم السَّبق لسرعة سيره.

ث_ الطباق: قال تعالى: ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾[الرحمن: 5. 6].فقد طابق في الآيتين بين الشَّمس والقمر، والنَّجم والشَّجر. تطابقا لفظيًّا، وإن اختلفا في المعنى، وهذا التَّطابق بين هذه الألفاظ زاد الكلام حسناً وبهجة لا تخفى على كل ذي ذوق سليم. من ناحية أخرى طابق بين﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ وهما كوكبان سماويان، و﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ ﴾وهما نباتان أرضيان. فبين هذا التناسب طِباق. كما نلمح موضع آخر للطباق في الآية وهو طِباق في الطاعة والانقياد، فالشَّمس والقمر بحسبان كناية عن انتظام سيرهما، انتظاماً مطردا لا يختل حساب النَّاس له. وسجود النَّجم والشَّجر سجود المخلوق تعظيما لله تعالى، فحصل في الآية طباق من جنس الانقياد.

جـــ_ المبالغة في تأكيد المعنى وتقريره:

نلاحظ هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس:40] نجده من خلال هذا النَّص القرآني الذي عامل الشَّمس والقمر،

واللَّيل والنَّهار معاملة المذكر العاقل؛ «لأنَّ الدِّقة والنِّظام اللَّذَان يُشاهدان في سير الكواكب والظواهر الكونية خليق بأن يأتى من حكماء العاقلين، لا من أجرام وظواهر»[1] لذلك عوملت هذه الأجرام معاملة العاقلين، والهدف من هذه المعاملة «المبالغة في المعنى لتأكيده وتقريره»[2]، ليكون المعنى أوقع في النفس، وأيسر في الفهم، وأمثل للنظر.

ثالثا: الليل والنهار:

1_ نماذج اقتران ألفاظ الليل والنهار:

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾	فصلت	37
02	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ ﴾	نوح	5
03	﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ ﴾	الشمس	4-3

2_ دلالة الليل والنهار:

أ_ دلالة الليل:

الدلالة اللغوية:

الليل: «ما يعقب النهار من الظلام، قيل: يليل الليل: إذا أظلم، فإذا أفردت أحدهما من الآخر قلت ليلة ويوم، وتصغير ليلة: لُيَيْلَة. والعرب تقول: ليلة ليلاء، أي: شديدة الظلمة»[3]. يقول ابن منظور: الليل: «عقيب النهار.»[4] وهو «من مغرب الشمس إلى طلوعها، وفي لسان الشرع من مغربها إلى طلوع الفجر. والليلة واحدة الليل، ويجمع على ليال ولياتل، تقول فعلت الليلة كذا من

---

[1]-عبد العظيم ابراهيم محمد مصطفى: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ج1، ط1. 1992، مكتبة وهبة، القاهرة، ص480.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]-الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين: ج4. ص: 113. انظر: مقاييس اللغة: ج5. ص225.

[4]-ابن منظور: لسان العرب: ج11. ص606.

الصبح إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار قلت: فعلت البارحة أي الليلة التي مضت»[1].

وأما النهار في اللغة فهو ضد الليل، وهو عبارة عن «ضياء يمتد من طلوع الشمس إلى غروبها، والنهار لا يجمع كما يجمع اللَّيل، فإذا جمعته قلت: أنهُر، نُهُر»[2].

ب_ الدلالة الاصطلاحية لليل والنهار:

النهار عند علماء الفلك «قِسْمٌ من اليوم الذي يكون فيه موقعك مواجها للشَّمس، واللَّيل القسمُ الثَّاني من اليوم، لكن موقعك فيه ينتقل ليكون متوارياً عن الشَّمس»[3]..بمعنى أنَّ الأرض كما يرى علماء الفلك «تدور حول محورها، ونتيجة هذا الدَّوران، انتقال ضوء الشَّمس على سطح الكرة الأرضية من الشَّرق إلى الغرب، حيث في ساعات النَّهار تكون الشَّمس مواجهة للنصف الأوَّل من الأرض، وبعد انقضاء النَّهار تكون الأرض قد أكملت النصف الثَّاني لدورانها حول نفسها، فينتقل النصف الأوَّل ويتوارى عن الشَّمس، ويدخل في فترة اللَّيل، فينتج عن ذلك ظاهرة الليل والنهار.هذا من النَّاحية العلميَّة الفلكيَّة.»[4].

أمَّا من النَّاحية الشَّرعية فإن تحديد مفهوم كل منهما له أهميَّة كبيرة؛ لارتباط المفهومين بكثير من الأحكام الشَّرعية، كتحديد مواقيت الصلاة، وبداية الصيام، ووقت الإفطار، وكذا تحديد مواقيت الحج. فالليل في الشرع« يمتد من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، والنهار في الشرع يمتد من طلوع الفجر إلى غروب الشمس»[5]. إلاَّ أنَّ الطَّبري يفرِّق بين نهارين؛ النهار الشرعي كما بيَّناه، والنهار العرفي، وهو السائد في مفهوم الناس الذي يبدأ بطلوع الشمس إلى غروبها، ومنه ندرك أنَّ النهار الشرعي يزيد عن النهار العرفي بالمدة الفاصلة بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

---

(1)-المعجم الوسيط: ص850.

(2)-المصدر نفسه: ص957.

(3)-الكتاب الأول عن الزمن: بينيديك جين، ترجمة محمد برهان الدِّين بنداوي، مرتجعة محمد جميل القصاص.ط1/ 1992. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. ص75

(4)-آغا شاهر جمال: الأرض في القرآن، دط/ 2005. ص67.

(5)-سيد سابق: فقه السنة: ط3/ 1977.دار الكتاب العربي. ص437.

3- تفسير(الليل والنهار)

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾**[فصلت: 37]**. ذكَرَت الآية الكريمة﴿ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ ﴾على سبيل الإخبار بجملة من الدلائل القاطعة الدالة على منتهى قدرة الله سبحانه وتعالى، ومعجزاته الباهرة المتمثلة في خلقه لهذه العوالم، التي ذكرت في شكل ثنائيَّات مقترنة للدلالة على وحدانيَّة الله تعالى وانفراده بالإلوهية. يقول الإمام الطبري (ت310هـ): «من حجج الله تعالى على خلقه، ودلالته على وحدانيته، وعظيم سلطانه اختلاف الليل والنهار، ومعاقبة كل واحد منهما صاحبه»[1] فتعاقب﴿ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ ﴾ واختلافهما «آية من آيات القدرة التي لا يفعلها غير الله تعالى، الدالة على انفراده بالصنع كما انفرد بالإلهية»[2]. وعليه فإنَّ هذه الثُّنائيَّات تشير إلى إله عظيم؛ خَلَقَهَا وأجراها وفق نظامٍ بديعٍ، وليست آلهة تُعبَدُ من دون الله تعالى، ولذلك نَهَى عن عبادتها والسجود لها فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ والنَّهيُ هنا تحذير لمن لم يسجد لهما، كي لا يتَّبِعُوا من يعبدونهما ويسجدون لهما من دون الله تعالى، وفي المقابل أمر بعبادته والسُّجود له وحده، فقال: « ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[فصلت: 37]. وهذا النَّهيُ أَفَادَ الحصر كما ذكر الإمام الطاهر بن عاشور؛ لأنَّ (النَّهيَ)« بمنزلة النَّفي، فحصر السجود لله تعالى وحده دون أحد من المخلوقات والكائنات»[3].

النموذج الثاني: كما جاء اقتران الليل والنهار على لسان سيدنا نوح -عليه السلام- في سياق جوابه لأمر ربِّه في قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[نوح: 1]. فأجاب بقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ ﴾[نوح: 5. 6]. وهذا الجواب دليل على أنَّ نُوحًا -عليه السلام- قد بَلَّغَ الرِّسالة إلى قومه بحرص شديد وعناية

---

[1]-فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج20. ص436.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج9. ص298.

[3]-المرجع نفسه: ج24، ص300.

قصوى، بدليل قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ أي: «دائماً من غير فُتور ولا توان»[1]، فكان هذا الجواب من نوح -عليه السلام- على سبيل التمهيد لطلب النَّصر من الله تعالى عليهم، وهو ما تجلى قوله في آخر السورة: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾[نوح: 26].

النموذج الثالث:

أمَّا اقتران (**الليل والنهار**) في قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ ﴾ [الشمس: 1. 4].فقد جاء في سياق قَسَمِهِ سبحانه وتعالى بهذه المخلوقات، الدالة على قدرة الله تعالى على فلاح الإنسان ونجاحه إذا زَكَّى نفسه اتَّقى الله، وعلى شقاوته وخسرانه إذا فَرَّطَ في تطهير نفسه من المعاصي والآثام، أو طغى وتمرَّد على حدود ربّه وشرائعه، فمن جملة ما أقسم به لتأكيد هذا المعنى، هذه الظَّواهر الكونية التي قدَّمها هنا في شكل ثنائيَّات؛ منها: (**الشمس والقمر**)، و(**السماء والأرض**)، و(**الليل والنهار**)، فقد أقسم سبحانه بالنهار إذا جلَّى الشمس بإضاءتها وكشفها بنوره، وبالليل إذا غطَّى الكون بظلامه، ولفَّهُ بسدوله، فالنهار بهذا الاعتبار يُجَلِّي الكون ويُظهره، والليل يغطيه ويستره. والغاية من القسم بهذه المخلوقات العظيمة « تأكيد ما أخبر به من فلاح الإنسان إذا أطاع والتَّقى، وخسرانه إذا عصى وفجر، والمقصود بسوقِ بهذا التَّأكيد: التعريض بالمخالفين وتهديدهم بالعذاب والاستئصال»[2]

وعليه فإنَّ اقتران (**الليل والنهار**) في هذه الآيات القرآنية، له دلالات عِدَّة لا يمكن حصرها، إلاَّ أنَّه يمكن أن ننبِّه إلى بعضها، منها اعتبار (**الليل والنهار**) علامة من العلامات الدالة على قدرة الله تعالى وانفراده بالخلق والصنع، والتي تدل بدورها عن انفراده بالألوهية، وأحقيته بالعبادة دون سواه، وهذه العبادة بيَّن أنَّها امتدَّت واتَّسعت حتى شملت الزمان والمكان، فلا تنقطع أبداً ولا تفتر، فهي دائمة دوام الليل والنهار، وشاملة اشتمال الليل والنهار لهذا الكون، وهي -إضافة إلى هذا المعنى- التي رتَّبَ على ديمومتها فلاح النَّفس الإنسانيَّة في الدنيا والآخرة، يقول: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا** ﴾ [الشمس: 9]. وفي انقطاعها وفتورها خسارة لها في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿ **وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ [الشمس: 10].

---

[1]-الألوسي: روح المعاني: ج29. ص71. أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج9. ص37.

[2]-الطَّاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج30، ص366.

4_ الآثار البلاغية لاقتران (الليل والنهار):

أ_ التقديم والتأخير:

نلاحظ في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت 37]. وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾[نوح: 5] وفي غيرهما من آيات القرآن الكريم اقتران (**الليل والنهار**) فلا يكاد يُذكر الليل إلاَّ وذكر معه النهار، وقد دلَّ هذا الاقتران أو التَّلازم بينهما على كمال ربوبية الله تعالى لخلقه، إيجاداً وعنايةً وتدبيراً لشؤونهم المتعدِّدة. فباختلاف الليلِ والنهار وتعاقبهما، يصلح أمر الكون والخلق، والزروع والثمار، وتصلح أمور الدين والعبادة؛ فكم من عبادة وشعيرة علقت صحّتها على معرفة الليل والنهار، كالصلاة والصيام والحج... ونلاحظ من خلال ثنائية(**الليل والنهار**) أنَّ الله تبارك وتعالى، نسبهما إلي نفسه، للدلالة على كمال ربوبيَّته، وعلامة على إتقان صنعه سبحانه، وتحكماً في سنن كونِهِ ونظامه. والملاحظة اللافتة للإنتباه التي تستوقف كل متمعنٍّ لهذه الثنائية، هي تقديم الليل على النَّهار في هذه النصوص، وفي هذا التَّقديم أسرار وحِكَم، حاول المفسِّرون الإشارة إليها، والتَّنبيه إلى علَّتِها، يقول الرَّازي (ت604) وهو يعلق في تفسيره على تقديم لفظ الليل على لفظ النهار في الآية:« تنبيهاً على أنَّ الظُّلمة عَدَمٌ، والنُّور وجودٌ، والعَدَمُ سابِقٌ على الوجود»[1]

كما أنَّ هذا التَّقديم رُوعِيَ فيه التَّرتيب، فقد قدَّمَ الأصل على الفرع؛ لأنَّ اللَّيلَ ظلام، والظَّلام هو الأصل، والنَّهار ضِيَّاء، والضيَّاء فرعٌ منه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾[يس: 37] «فالمسلوخ فرع عن المسلوخ منه. ولأنَّ الظلمة هي الحالة السَّابقة للعوالم قبل خلق النُّور في الأجساد النيِّرة؛ لأنَّ الظُّلمة عدم والنُّور وجود»[2] لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجر: 14. 15].وقوله سبحانه: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النازعات: 27. 29].

---

[1]-فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج27. ص129.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج23، ص18.

يذكر العلماء أنَّ العالم الفلكي (يوري غاغارين) حينما صعد إلى الفضاء الخارجي في 12 أفريل 1961. فوجئ بظلمة حالكة، وليلٍ دامسٍ، محيط بالشَّمس وكافة الأجرام السَّماوية، وإذا به يتَّصل بمركز انطلاق مركبته في الأرض، ليخبر الباحثين بأنَّه أصبح لا يرى شيئاً، وكأنَّ العَمَى قد أصابه على الرغم من أنَّ المركبة في وضح النهار. إلاَّ أنَّها وبمجرد خروجها من الغلاف الجوي دخلت في منطقة لا هواء فيها أصبح الجو في الفضاء مظلماً، والسَّبب كما يذكر العلماء «أنَّ أشعَّة الشَّمس إذا وصلت إلى الغلاف الجوي تناثرت، وإذا تناثرت انعكست على ذرَّات الهواء وكل ذرة تنعكس على أختها من أشعة الشمس شيئاً، فيظهر في الأرض ما يعرف بالضوء أو النهار، فنرى كل شيء، أمَّا في الفضاء الجوي فلا يوجد هواء أي لا تناثر للضوء، ولذلك كان الجو في ظلام دامس ومطبق. ولذلك قال العلماء إنَّ الفضاء الخارجي ظلام.» [1]ولذلك قدَّم الله الليل وهو الأصل على النهار وهو الفرع.

ب_ اللف والنشر:

نلاحظ في الآية: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[فصلت 37] ما يُعرف في علم البديع باللَّفِّ والنَّشر، وهو إمَّا أن يكون النَّشر فيه على ترتيب اللف، وإمَّا أن يكون النشر على خلاف ترتيب اللف وعكسه، فمن الأول ما ذكره الله في الآية، فذكر الليل والنهار على التَّرتيب، ثم ذكر بعدهما: ﴿ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ ، على التَّرتيب؛ لأنَّ الشمس يناسبها النهار، والقمر يناسبه الليل. والتَّعقيب بثنائية (**الشمس والقمر**) بعد ثنائية (**الليل والنهار**) فيه تتميم للمعنى، وتذيِّيل لذكر السَّبب بعد المسبِّب، فـــثنائية (**الليل والنهار**) من آثار حركة الأجرام، فبطلوع الشمس سبب في وجود النهار، وبغروبها سبب في وجود الليل وبزوغ القمر.

ت_ الطباق:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ ﴾ [فصلت: 37]. نلاحظ في الآية طباق بين (**الليل والنهار**) فقد جمع الله في الآية بين (**الليل والنهار**) وهما اسمان متضادَّان، أحدهما ضد الآخر، ويأتي في أعقابه، وهو

[1]–محمد هاني عطوي: ليل دائم في فضاء الكون. مجلة الخليج الالكترونية. مقال منشور بالمجلة 21. 07. 2012.

ما يعرف بطباق إيجاب، كما طابق بين الأمر والنَّهي في قوله: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ وهو ما يعرف بطباق السَّلب. فقد نهى عن السجود للشمس والقمر، ثمَّ أورد بعده الأمر بالسجود لله الذي خلقهنَّ، وقد أفاد هذا الطباق بين (**الليل والنهار**)، و(**الشمس والقمر**) العموم، أي عموم النَّهي عن السجود للشمس والقمر، وغيرهما من المخلوقات، في كلِّ الأوقات والأزمان، ليلاً ونهاراً. وقد أكَّدَ هذا العموم بتكرار الأداة النَّهي(لا) في قوله: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت: 37]. للدلالة على التحذير من السجود لغيره سبحانه وتعالى، أو اتِّباع من يسجد لهما. ثم أمر به لنفسه بقوله: ﴿وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: 37] وللدلالة أنَّ السجود لله، ليس له وقتٌ محدّد أو معيَّن، فالعبَّاد والنُّسَّاك، والنبَّاتُ والجماد، في سجود دائم غير منقطع لله تعالى؛ إذا قام قوم منه في مكان ما، هوى آخرون بالسجود نفسه لله تعالى، فهذه الثُّنائية (**الليل والنهار**) تدل بما لا مجال للشك فيه أنَّها قد استوعبت السجود زماناً ومكاناً، ليلاً ونهاراً.

ث_ذكر الشيء وعكسه:

يظهر هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾﴾ [الشمس: 1. 4].حيث عرضت هذه الآيات الكريمة لمجموعة من آيات الله تعالى الدالة عل قدرته المشيرة إلى انفراده ووحدانيته، حيث عرضت الشيء وعكسه، فقد ذكرت الشمس وذكرت معها القمر، وهو عكس الشمس، وذكرت النهار وعكسه وهو الليل، وذكرت السماء وعكسها الأرض، وذكرت التقوى وعكسها الفجور. ثم عمد القرآن وهو يعرض هذه الآيات بمعكوساتها في شكل ثنائيات، اقترنت فيها كل آية بما تعاكسها في العمل، فرتَّبها ترتيبا تنازليًّا، حسب تأثيرها، فبدأ بالسَّماء؛ وفيها تجري وتسبح كل الأجرام من شمس وقمر فقال: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾﴾[الشمس: 1. 2]، ثم ثنَّى بالأرض وما عليها، ليظهر تأثير هذه الأجرام المذكورة من شمس وقمر، وليل ونهار.ثم ثلَّثَ بالنَّفس، وهي التِّي تستقبل كل هذه الآيات وتتأثَّر بها، وهي التي من أجلها خلق الله هذه الآيات من شمس وقمر، وليل ونهار. فهذا التَّرتيب ترك في النَّفس تأثيراً عجيباً، دَفَعَ بالعلماء إلى البحث في أسرار هذا الكون ومكوِّناته، وتَرَكَ في اللَّفظ جَمَالاً وبَهَاءً، وانسجاما واتساقاً، دفع بالمفسِّرين والبلاغيين إلى سبر أغواره وتذوق أسراره.

جـــ _ المجاز العقلي:

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِإِذَاجَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِإِذَايَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾[الشمس:3. 4]. نلاحظ في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِإِذَا جَلَّىٰهَا﴾ [الشمس:3] إسناد عملية التجلية إلى النهار. وهو مجاز عقلي؛ لأنَّ النهار ليس بمجلي للشمس على الحقيقة، ولكنَّه سببٌ في ظهورها، حتى تجلَّت للنَّاظرين. وفي هذا المعنى يقول الطاهر بن عاشور: « فإسناد التجلية إلى النهار مجاز عقلي والضمير في (جلاها) يعود على الشمس، وقيل الضمير عائد إلى الأرض، أي أضاء الأرض فتجلَّت للنَّاظرين لظهور المقصود»[1]

والمعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِإِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ فإنَّ معنى (يغشاها) أي غطَّاها، والليل ليس بمغط للشمس على الحقيقة كما يقول ابن عاشور، «ولكنَّه مسبب عن غشي نصف الكرة الأرضيَّة لقرص الشمس ابتداء من وقت الغروب، وهو زمن لذلك الغشي»[2]، فإسناد عمليَّة الغشي في الآية إلى الليل مجاز عقلي من إسناد الفعل إلى زمنه أو إلى مسببه.

رابعا: المشرق والمغرب

1_ نماذج اقتران (المشرق والمغرب):

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾	الرحمن	17
02	﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾	المعارج	40
03	﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾	المزمل	9

2_ دلالة (المشرق والمغرب)

أ_ دلالة (المشرق):

الدلالة اللغوية:

أصل مادة المشرق يدل في اللغة على طلوع الشمس وإضاءتها. قال الخليل بن أحمد: «الشروق

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج12. ص366.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يقال لكل شيء طَلَعَ من قِبَل المشرق، وأما المستعمل فللشمس والقمر. قال تعالى: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر: 69]. أي أضاءت بنور يسطع فيها، وأشرق وجه فلان أي تلألأ حُسْنًا من الفرح والجمال، وأشرق القوم: صاروا في وقت شروق الشمس»[1]. وليس لهذه اللفظة غير دلالتها اللغوية؛ قال ابن فارس: «الشِّين والرَّاء والقاف أصلٌ واحدٌ، يدلُّ على إضاءة وفتح، ومن ذلك: شَرَقَت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت»[2].

قال ابن منظور: «المَشْرِقُ على وزن مَفْعِلُ، والمَشْرَقُ على وزن مَفْعَلُ.وهما اسمان لموضع شروق الشمس، بكسر الرَّاء وفتحها، والفتح هو القياس لكنَّه نادر في الاستعمال. والتَّشريق: الأخذ في ناحيَّة المشرق، ويقال: شتَّان بين مُشَرِّق ومُغَرِّب، شَرَّقُوا ذهبوا إلى الشَّرق أو أتوا الشَّرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شَرَّقَ، وفي الحديث: "**لاَ تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِن شَرِّقُوا أَوْغَرِّبُوا**»[3].

الدلَالة الاصطلاحية:

يطلق المشرق على اسم المكان الجغرافي الذي تشرق منه الشمس وتظهر فيه للعيان. والملاحظ أنَّ لفظ (المشرق) ورد في القرآن بدلالته الحقيقيَّة بصيغ لغويَّة مختلفة؛ فتارة ورد بصيغة المفرد (المشرق) قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴾[المزمل: 9]وتارة بصيغة المثَّنى (المشرقين) قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴾[الرحمن 17] وتارة أخرى بصيغة الجمع (المشارق) قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴾ [المعارج: 40. 41] [4].

كما وردت هذه الصِّيَّغ بمدلولات مجازية متنوعة: كالدلالة على الاتِّسَاع نحو قوله تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ ﴾ [الأعراف: 137]. أو الدَّلالة على وقت الإشراق نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ

---

[1]-الخليل بن أحمد: كتاب العين: ج2. ص326.

[2]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج3. ص264.

[3]-صحيح البخاري، كتاب الصلاة، رقم: 389. عن أبي أيوب الأنصاري.ونص الحديث: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها ولكن شرِّقوا أو غرِّبوا. قال أبو أيوب: فقدمنا إلى الشام فوجدنا مراحيض بُنيت قِبَل القبلة فننحرف، ونستغفر الله تعالى.»

[4]-الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص: 451.

وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾[ص: 18]. أو الدلالة على بعد المسافة كقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾[الزخرف: 38]. والدلالة أيضا على شدَّة سطوع الضُّوء وانتشاره نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[الزمر: 69].

ب_ دلالة لفظ (المغرب):

الدلالة اللغوية:

قال ابن منظور: «الغرب والمغرب: بمعنى واحد، قال ابن سيّده: الغرب خلاف الشرق، وهو المغرب. والغروب: غيوب الشمس. وغَرَبَت الشمس تغرُبُ غروباً ومُغَيْرِبان: غابت في الغرب. وكذلك غَرَبَ النَّجم وغرَّبَ ومغربان الشَّمس حيث تغربُ . والغربُ الذَّهاب والتَّنحي عن الناس. وقد غَرَبَ عنا يغرُبُ غرباً وغرَّبَ: نحَّاهُ»[1].

الدلالة الاصطلاحية:

كلمة (**المغرب**) تشير في الاصطلاح إلى المكان الجغرافي الذي تغرب فيه الشمس وتغيب فيه عن العيان. وقد وردت كلمة (**مغرب**) في القرآن بصيغ لغوية مختلفة؛ وردت بصيغة المفرد (**مغرب**) في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: 9] وبالتَّثنيَّة (**مغربين**) كقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾[الرحمن 17]. وبالجمع (المغارب) كما في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [المعارج: 40. 41].كما ذكر القرآن لفظ (**المغرب**) بدلالته الجغرافيَّة الصريحة (جهة الغرب)، كما عبر عنها بدلالات مجازية متنوعة منها:

_ الدلالة على وقت الغروب، نحو قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾[الرحمن: 17].

_ الدلالة على بعد المسافة، ونحو قوله تعالى﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾[البقرة: 258].

[1]-ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص637، 678.

3_ تفسير(المشرق والمغرب):

النَّموذج الأوَّل:

قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[الرحمن: 17] نلاحظ اقتران (**المشرق والمغرب**) في هذا الموضع جاء في سياق بيان نِعَمِ الله وأفضاله على خلقه، وأنَّ الذي تفضَّلَ بهذه النِّعَمِ المذكورة في بداية السُّورة إنَّما هو ربُّ مشرقي الشمس صيفاً وشتاءً ومغربيهما، ويُقصد بـــ(**المشرقين**): «مشرقُ الشِّتاء ومغربُهُ، ومشرقُ الصّيف ومغربه»[1] لاتِّصال سياق الآية بما قبلها في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾[الرحمن: 5] أي يجريان بحسبان ومنازل لا يتجاوزانها، قال الزمخشري: «يُقصد بهما مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما»[2]يقول الشعراوي مفصلاً في هذه القضية:«كل مكان على الأرض له مشرق وله مغرب. فالشمس حين تشرق عندي تغرب عند قوم آخرين، وحين تغرب عندي تشرق عند آخرين، إذن فمع كلِّ مشرقٍ مغرب، ومع كلِّ مغربٍ مشرق، فيكون هناك مشرقان ومغربان، ولذلك قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: 17] »[3].

وهو رأي محمود ومعقول، والمعوَّل عليه كما يذكر الألوسي ما عليه أكثر المفسِّرين أنَّ المراد بهما «مشرقي الصَّيف والشِّتاء ومغربيهما.» [4] باعتبار أنَّ الشمس تطلع في فصليّ الشِّتاء والرَّبيع من مَطْلَعٍ أو من سَمْتٍ كما سمَّاه الطاهر بن عاشور، وفي فصليّ الصَّيف والخريف من سَمْتٍ آخر[5]. وإنَّما ذكرهما في الآية؛ لأنه سبحانه وتعالى لما ذَكَرَ في الآية قبلهما: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: 5] دلَّ على أنَّ لهما مشرقين ومغربين. وذكرهما في الآية مقترنتين للدَّلالة على سعة ملك الله تعالى، فملكه يسع ويشمل «ما بينهما وما بين مشرقهما ومغربهما»[6].

---

(1)-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج22. ص197.

(2)-محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف، ج2، ص1207.

(3)-محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي: ص14822. 14823.

(4)-الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج27. ص: 105.

(5)-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: مجلد: 11. ص247.

(6)-الفخر الرازي: تفسير الرازي، ج29، ص100.

النموذج الثاني:

قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾[المعارج: 40].يعود القرآن في هذه الآية مذكراً بقدرته سبحانه وتعالى المطلقة ومعجزته الباهرة في خلق الإنسان: ﴿ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴾[المعارج: "39] أي خلقناهم من ماء مهين، فإذا كان الأمر كذلك﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج: 37] أي: «فلا أقسم بربِّ مشارق الأرض ومغاربها، أو مطالع الشمس ومغاربها»[1] على أن نهلكهم بالمرَّة حسبما تقتضيه جناياتهم، ونأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم.

وجمع المشارق والمغارب في الآية لتعدد مطالع الشمس ومغاربها في فصول السنة، فذلك مظهر عجيب من مظاهر القدرة الإلهية ودلالته على عظيم صنعه تعالى. يقول الشعراوي:«إنَّ للشمس مشرق كل يوم، ومغرب كلّ يوم أيضاً يختلف عن الآخر، وهناك شروق وغروب في كل ثانية، فالقَسَمُ هنا بربِّ المشارق والمغارب؛ لأنَّ المشارق والمغارب تختلف على مدار السنة، فقوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ ﴾فيه إشارة إلى اختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم.»[2] بالإضافة إلى ما يتضمنه الشُّروق والغروب من المنافع للإنسان وبقية الأحياء، وفيه إشارة أيضاً إلى أنَّ طلوع الشمس بعد غروبها كما يورد الطاهر بن عاشور« تمثيل وتشبيه لإحياء الإنسان يوم القيامة بعد موته وفنائه»[3].

النموذج الثالث:

قال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴾[المزمل: 9]. ورد في سياق التَّذكير بمهمة كل مخلوق من أجلها وجد. فالله تعالى خلق الشمس وجعل لها مهمَّة وهي الشُّروق، وحدَّدَ لها مكاناً وهو المشرق، فكل يوم تشرق منه، ومغرباً كل يوم تغرب فيه. والمعنى عند الإمام الطبري (ت310هـ): «ربُّ أهل المشرق والمغرب وما بينهما من العالم»[4] فالله سبحانه وتعالى «المالك

---

[1]-ابن جرير الطبري:جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج23.ص282. تفسير النسفي:ج3. ص540.

[2]-محمد متولي الشغراوي: تفسير الشعراوي: 16412.

[3]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص179.

[4]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج23. ص380.

المتصرف في المشارق والمغارب، الذي لا إله إلا هو»[1]، فهو رب هذا المشرق وذاك المغرب، وهو رب هذه المخلوقات ورب ليلها ونهارها. فالمشرق والمغرب له مهمته التي أودعها الله فيه، وللإنسان مُهِمَّة في الليل تختلف عن مهمة النهار التي تبدأ من مشرق الشمس إلى مغربها.قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾. [المزمل: 5. 7].

4_ الأثر البلاغي لاقتران (المشرق والمغرب):

أ_ الطباق:

نلمح هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: 40] فالمشارق كما بيَّنَ علماء اللغة جمع (**مشرق**)، والمغارب جمع (**مغرب**) والمغرب ضد المشرق، فبينهما تضاد، وقد جمع الله بينهما في الآية الكريمة، وفي غيرها من آيات القرآن الكريم على سبيل التضاد، وعلماء البلاغة يصطلحون على تسميَّة هذا الطباق بطباق الإيجاب، الذي يدل على أنَّ الله تعالى قد خلق هذا العالم بأجزائه المتضادَّة من سماء وأرض وبر وبحر وإنس وجن؛ لتنتفع به جميع المخلوقات في حياتهما. كما يشير الطباق في الآية إلى وجود حياتين، إحداهما دنيا ستفنى بفناء أهلها، وأخرى باقية تتميز فيها السعادة عن الشقاء، والنعمة عن النقمة. وهو دليل أيضاً على أنَّ هذه الحياة الدنيا والحياة الأخرى ذات نظام مؤتلف الأجزاء، قويم الأركان يتمِّمُ بعضه البعض، ويكمِّله في تناسق بديع، ونظام فريد يدل على قدرة الله تعالى المطلقة وصنعته المتقنة، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾. والملاحظ في اقتران (**المشرق والمغرب**) يجد أنَّ القرآن الكريم نوَّع في استعماله لأسلوب الطباق حيث أورده بصيغ مختلفة.

صيغة الإفراد:

في قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المزمل: 9]. فاللفظان المقترنان (**المشرق والمغرب**) وردا معرفين بـــ(أل) التَّعريف للدلالة على عموم جهات المشرق والمغرب. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 115].

وتخصيص الله تعالى (**المشرق والمغرب**) في الآية بالذكر للدلالة أنَّه سبحانه هو الذي خلقهما، وهو المالك لهما، ولما بينهما من الخلق والموجودات. وإنَّما ذَكَرَ هاتين الجهتين دون غيرهما من

[1]-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ج4. ص 549.

الجهات لأمرين: أحدهما كونهما أعظم ما يلفت انتباه الإنسان، وأظهر ما يراه في الأفق، والثّاني أنّ العرب اعتادت ذِكر الجهتين في كلامها وشعرها دون غيرهما من الجهات.

ومما يلاحظ أيضاً في ذكر القرآن لاقتران (**المشرق والمغرب**) ورودهما في صيغة المفرد المذكر إلاّ في موضع واحد، ورد في صيغة المفردة المؤنث في سورة النُّور في سياق وصفه سبحانه وتعالى للشجرة المباركة حيث قال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: 35]. فهذه الشجرة كما وصفها القرآن غير بارزة للشمس وغير مستقرَّة في ظل النهار كله، فهي شرقية وغربية، تصيبها الشمس والظل.يقول الطاهر بن عاشور:«ويحتمل أن يكون المعنى أن جهة تلك الشجرة من بين ما يحف بها من شجر الزيتون، موقع غير شرق الشمس وغربها، وهو أن تكون متجهة إلى الجنوب، أي لا يحجبها عن جهة الجنوب حاجب، وذلك أنفع لحياة الشجرة وطيب ثمرها.فبذلك يكون زيتها أجود، وإذا كان أجودا ًكان أشد وقوداً»[1]وقد تكون هذه الشجرة من شجر الجنَّة، وليست من شجر الدنيا، وإنَّما شبهها بشجر الزَّيتون؛ لأنَّ زيته أصفى ما عرفه المخاطبون في ذلك الوقت.

صيغة التثنية:

حيث ورد اقتران (**الشمس والقمر**) في صيغة المثنَّى في قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ [الرحمن: 17]. وهو الموضع الوحيد الذي وردا فيه بهذه الصِّيغة. والمشرقان كما يفسرهما الفراء (ت207هـــ) «مشرق الشِّتاء ومشرق الصَّيف وكذلك المغربان»[2]، يقول ابن القيم الجوزية (ت691هـــ) رحمه الله كاشفاً سر سرد سورة الرحمن لهذه العوالم بأسلوب المزدوجات أو الثُّنائيَّات المقترنة؛ فقد ذكر: الخلق والتعليم، والشمس والقمر، والنجم منه والشجر، ثم السماء المرفوعة والأرض الموضوعة، ثم الميزان وثمرته من العدل أوالظلم، ثم أشار القرآن إلى الخارج من الأرض، من حبوب وثمار، ثم ذكر الإنسان والجان، بعدها خَلُصَ إلى ذكر المشرقين والمغربين، والبحرين الملح والعذب.ثم علَّقَ على هذه المزدوجات المقترنة قائلاً: «فتأمَّل حسن تثنية المشرق والمغرب في هذه السورة، وجلالة وروده كذلك، وقدر موضعهما اللفظ مفرداً ومجموعاً، تجد السمع ينبو عنه، ويشهد

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتوير، ج18، ص242.

[2]-الفرّاء: معاني القرآن: ج3. دتح. ط3. 1983. عالم الكتب. بيروت. لبنان. ص: 115.

العقل بمنافرته للنَّظم» [1]

صيغة الجمع: كما ورد التقابل في اللفظين (**الشمس والقمر**) في صيغة الجمع، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: 37].في سياق القَسَم تعظيماً لله تعالى، ومجيء كلمتي«(المشارق والمغارب) بصيغة الجمع في الآية لتعدُّدِ مطالع الشمس ومغاربها في فصول السَّنة»[2].

ويعلِّلُ ابن القيّم اقتران (**المشارق والمغارب**) في الآية بقوله: «لما كان هذا القَسَمُ في سياق سَعَة ربوبيَّته وإحاطة قدرته، والقَسَمُ عليه هو: إذهاب هؤلاء والإتيان بخير منهم، ذَكَرَ المشارق والمغارب، لتضمُّنِهما انتقال الشمس التي هي أحد آياته العظيمة، ونقله سبحانه لها وتصرفها كل يوم في مشرق ومغرب، فمن فعل هذا كيف يعجزه أن يبدل هؤلاء، وينقل إلى أمكنتهم خيراً منهم... فلا يليق بهذا الموضع سوى لفظ الجمع»[3].

وانطلاقاً مما سبق نستخلص أن التَّقابل في هذه النُّصوص قد وقع بين لفظتي (**المشرق**) و(**المغرب**) دلَّتا على مكانين وجهتين بصيغ ثلاثة: الإفراد والتَّثنية والجمع، فتشعر عندئذ بعظمة الخالق، التِّي تتجلَّى في عظمة خلقه، سعة ملكه، وجلال قدره.

ت_ التناسب: ورد في سورة الرَّحمن ذكر لفظتي (**المشرق والمغرب**) في صيغة المثَّنى فقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ وعلَّة ورودهما بهذه الصِّيغة أنَّ السياق سياق ذكر لمجموعة من المزدوجات أو الثنائيات كما يقول ابن القيم الجوزية رحمه الله، فقد ذكر الله تعالى: «في الإيجاد: الخلق والتَّعليم، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: 3. 4]، وفي الضوء ومظهره (**الشمس والقمر**) فقال: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: 5]، وفي النَّبات(**النجم والشجر**) فقال: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمن: 6].ثم ذكر (**السماء والأرض**) فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠﴾ [الرحمن: 7. 10].فأخبر أنَّه رفع هذه،

---

[1]-ابن القيم الجوزية:بدائع الفوائد:ج1.ص: 213.انظر:عبد الفتاح لاشين:صفاء الكلمة.ط1983.الرياض: 129.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، المجلد: 12، ص179.

[3]-ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد: ج1. ص: 213. 214.

ووضع هذه، ووسَّطَ بينهما بذكر الميزان، وفي العدل عبَّرَ عنه بالميزان، فأمر بالعدل ونهى عن الظُّلم فقال: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن:9].وفي الخارج من الأرض ذكر (**الحبوب والثمار**) فقال: ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴾ [الرحمن:12].وفي المخلوقات المكلَّفة ذكر (**الإنس والجن**) فقال: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الرحمن:14. 15].

وبعد أن ذكر كوكبي الشَّمس والقمر، اقتضى السياق أن يذكر مشرقهما ومغربهما، فقال تعالى« ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن: 17]» [1]. فجاء ذكر (**المشرقين والمغربين**) على هيئة التَّثنيّة مناسبا لهذا السِّيَّاق أو المقام حتى يتمَّ التَّناسق ويكتمل التَّجانس بين الآيات في السورة. يقول ابن القيّم رحمه الله في هذا المعنى «ولنتأمل حسن تثنية(**المشرق والمغرب**) في هذه السورة قدر موضعهما في الآية مفرداً أو مجموعاً تجد السمع ينبوا عنه ويشهد العقل بمنافرته للنظم»[2]. والسر نفسه في قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ [المعارج: 40] حيث أَقْسَمَ الله تعالى على عظيم خلقه وعجيب قدرته، بجهتي المشرق والمغرب دون جهتي الشَّمال والجنوب، وهما جهتان معروفتان لدى العرب في شعرهم أو نثرهم، غير أنَّ القرآن آثار جهتي المشرق والمغرب في قَسَمِهِ، وذكرهما في القرآن في أكثر من موضع، سيَّما في هذه الآية «لمناسبة طلوع الشَّمس بعد غروبها، وللدلالة والتَّمثيل على الإحياء بعد الإماتة»[3] لورود الآية وسط الحديث عن الحياة أو الخلق والموت، فكأن الغروب موت، والشُّروق حياة وبعث من جديد.

---

[1]-ابن القيم الجوزية:بدائع الفوائد:ج1.ص:212. 213.انظر:عبد الفتاح لاشين:صفاء الكلمة.ط1983.الرياض: 129.

[2]- المصدر نفسه: ج1، ص212، 213.

[3]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص179.

خامسا: العشي والإبكار:

1_ نماذج اقتران ألفاظ العشي والإبكار، الغدو والعشي، العشي والإشراق

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية
01	﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا **غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ** وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾«	غافر	46
02	﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ **بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ** ﴾	غافر	55
03	﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨﴾	ص	18

2_ دلالة(العشي بالإبكار)

أ_ دلالة العشي:

الدلالة اللغوية: العشي: «وقت ممتد من زوال الشمس إلى العتمة، آخر النهار وأوَّل الظَّلام، قيل: (ارْتَحَلُوا في العَشِيِّ)، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾ [آل عمران: 41]. ومنه صلاة العَشِيِّ: صلاة الظُّهر وصلاة العصر»[1].

جاء في المعجم الوسيط: «العشي: الوقت من زوال الشمس إلى المغرب، أو من صلاة المغرب إلى العتمة، وصلاتا العَشِي: الظُّهر والعصر. والعِشاء: أول ظلام الليل، أو من صلاة المغرب إلى العتمة، وهم في عشواء من أمرهم: أي في حيرة وقلة هداية، وركب العشواء خبط أمره على غير بصيرة» [2] يذكر الأصفهاني أنَّ العشي من زوال الشمس إلى الصباح، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: 46]. ومنه العِشَاء: من صلاة المغرب إلى العتمة، والعِشَاءان: المغرب والعتمة. والعَشَا: «ظُلمةٌ تعترض العين، يقال: رجلٌ أعْشَى وامرأة عَشْوَاء، ولذا قيل: يخبط خبط عشواء،

[1]-أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة.ط1، عالم الكتب، القاهرة، ص1504.

[2]-المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية مصر.ص: 603.

وعَشَوْتُ النَّار قصدتها ليلاً، وتسمَّى النَّار التي تبدو باللَّيل: عَشْوَةً، والعُشْوة كالشُّعْلة. وعَشِيَ عن كذا، نحو: عَمِيَّ عنه. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الزخرف: 36]. والعواشي: الإبل التي ترعى ليلاً واحدها: عاشية، والعَشَاءُ: طعام العَشَاء، والعِشاء: صلاة العِشَاء»[1].

وينبغي أن نشير إلى أنَّ لفظ (العشي) في القرآن الكريم، قد رود وأريد به معنيين، أحدهما: سوء البصر من غير عَمَى، يُقَال لمن لا يبصر بالليل وبصر بالنَّهار. وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: 36]. ولفظ (يعش) في الآية بمعنى «يتعامى وهو استعمال مجازي لأنَّه أراد التَّعامي عن ذكر الله تعالى»[2]، والثَّاني: ورد بمعناه اللُّغَوي، الذي يُراد به الوقت الدال على الظُّلْمة التي تكون من الليل، فتختفي من جرَّائها ملامح الإنسان، فلا يعرف من حديثه مدى صدقه وكذبه، كما في قصة إخوة يوسف -عليه السلام- وحديثهم إلى أبيهم عِشَاءً، قال تعالى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ [يوسف: 16]. حتى لا يلحظ على وجوههم الكذب. كما يراد به صلاة المغرب والعشاء، فهما عشاءان، حيث تمتد العشاء الثَّانية كما ذكر الفقهاء من صلاة المغرب إلى العتمة. كما يطلق على سوء البصر باللَّيل والنَّهار من غير عَمَى، ويكون في النَّاس والدَّوابِّ والإبل والطَّير.

وعليه فإنَّ لفظ (العشي) يأتي في اللغة بهذه المعاني المتقاربة في دلالتها على زمن معيَّن يمتدُّ من زوال الشمس إلى العتمة، كما يأتي بمعنى الحيرة وقلَّة الهداية، الناشئتان عن النَّظر وقت العَشِي، وقصوره بسبب الظلمة التي تعترض العين، فهذه المعاني اللغوية التي حملت بها المعاجم العربية، لا تختلف كثيراً عن المعنى الاصطلاحي للفظ (العَشِي) كما سنبيِّنُه فيما يأتي.

الدلالة الاصطلاحية:

يأتي لفظ (العشي) في الاصطلاح قريباً من معناه اللغوي، فهو «الزمن الذي يسبق غروب الشمس، من حيث يضعف نورها ويصفر في بلادٍ جوها غير صاف، وهو وقت صلاة العصر، وقد كانوا يصلون فيه من القديم»[3]. يُعَرِّفه الطاهر بن عاشور «آخر النهار إلى ابتداء ظلمة الليل،

---

[1]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص567. 568.

[2]-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج4. ص221.

[3]-عبد الحميد القراهي:مفردات القرآن(نظرات جديدة في تفسير ألفاظ القرآن).ط1. 2002.دار الغرب الإسلامي. بيروت.

ولذلك سميَّ طعام الليل عشاء، وسميت الصلاة الأخيرة بالليل:عشاء»[1].وهو من الأوقات الفاضلة التي تعدَّدضت في فضله وتخصيصه بالذِّكر والعبادة كثيرا من الأحاديث؛ ليكون زمناً لتسبيح الله تعالى وتنزيهه، دون سائر الأوقات الأخرى. ولذلك كثيراً ما ارتبطت به كثير من الصَّلوات والأذكار، حتَّى عدَّه العلماء من الأوقات المشهودة لاجتماع ملائكة النَّهار وملائكة اللَّيل فيه. جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُم مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الذِينَ بَاتُوا فِيكُم، فَيَسْأَلُهم رَبُّهُم وَهُوَ أَعْلَمُ كَيفَ تَرَكْتُم عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُم وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُم وَهُمْ يُصَلُّون**»[2]. قال الألوسي: «تخصيص هذين الوقتين بالذِّكر كان سَبَباً لتعيينهما للصَّلاة والعبادة»[3]. قال الرَّسول ﷺ: «**لَنْ يَلِجَ النَّارُ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**»[4] يعني الفجر والعصر.

ب_ دلالة الإبكار:

الدلالة اللغوية:

لفظ (الإبكار) في أصل وضعه اللغوي يدلُّ على التَّبكير والخروج في أوَّل النَّهار، قال أحمد بن فارس: «الباء والكاف والرَّاء أصلٌ واحدٌ... من البُكْرَةُ وهي الغداة، والابتكار: المضيُّ في ذلك الوقت. والإبكار: البُكْرَةُ، كما أنَّ الإصباح اسم الصُّبح، وباكرتَ الشيء إذا بَكَرْتَ عليه»[5]. قال الخليل: «غيث باكور وهو المُبكر في أوَّل الوسمي، وهو أيضاً السَّاري في آخر اللَّيل وأوَّل النَّهار، وجمعه بُكُرٌ»[6]. فالإبكار من خلال هذه المعاني هو الخروج في وقت باكر، مجاله ما بين مطلع الفجر إلى وقت الضحى، أو هو أوّل الشيء، سواء كان المولود الأول للإنسان، أو الفاكهة الجديدة، أو الإختراع الجديد. أما الإبكار الوارد في الآية، فهو «اسمٌ لبكرة النَّهار كالإصباح للصباح، ويقصد به هنا أوَّل النِّهار»[7].

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير:ج24، ص171.

[2]-صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، حديث رقم: 540.

[3]-الألوسي: روح المعاني، ج24، ص78.

[4]-صحيح مسلم:كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما، حديث رقم: 1049.

[5]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج1. ص287.

[6]-الخليل بن أحمد: معجم العين: ج1. ص157.

[7]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج24، ص171.

الدلالة الاصطلاحية:

الإبكار يقصد به الطَّرف الأوَّل من النهار، وهو ما يكون من أوَّل الفجر إلى ما قبل طلوع الشمس. يقول ابن منظور: «البُكرة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس، ويطلق أيضاً على الغداة والبكور والتَّبكير. ويراد به الإسراع والمبادرة والمعاجلة في أوَّل الوقت، وسمِّيَت بكرة، لتقدمها على سائر أوقات النَّهار، لذلك قيل لكل متعجل في أمر: بكر»[1].

3.تفسير(العشي والإبكار):

وردت لفظ (**العشي**) مقترناً بعدة ألفاظ منها (**الإبكار**) في نحو قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ [غافر: 55]، فالآية الكريمة تأمر الرَّسُول ﷺ أن يسبح بـــ(**العشي والإبكار**)، بمعنى «وصل بالشُّكر لربِّك (**بالعشي**) وذلك من زوال الشمس إلى الليل، و(**الإبكار**) وذلك من طلوع الفجر الثَّاني إلى طلوع الشمس»[2] وقد تشير الآية إلى الصلاة الواجبة، التي فرُضت بمكة أولاً، حيث كانت ركعتان بكرةً وركعتان عشيّاً، والجمع بين هذين الوقتين في الأمر بالتَّسبيح أو الصَّلاة، إنما يراد به «المواظبة على ذكر الله تعالى، وأن لا يفتر اللِّسان ولا القلب عنه حتى يصير الإنسان- كما يقول الرازي(ت604هـــ)- بهذا التَّسبيح داخلاً في زمرة الملائكة الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: 20]» [3].

لكن هناك ملاحظة ينبغي الالتفات إليها وهي أنَّ لفظ (**العشي**) في سورة غافر اقترن بلفظ (**الإبكار**) لتعلُّق الأمر بعمل الإنسان. فالإنسان من شأنه أن ينام، ثم يستيقظ باكراً ليقوم بأعماله، فأمره الله أن يكون موصولاً به، ليبارك له في عمله ورزقه. ونلاحظ من جهة أخرى أنَّ لفظ (**العشي**) اقترن بلفظ (**الإشراق**) كما هو الحال في آية في سورة (ص)؛ لأنَّه جاء في سيَّاق الحديث عن تسبيح الجبال في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴾ [ص18]، والجبال لا تنام ولا تستيقظ، بل يتعاقب عليها الليل والنهار، وهي ثابتة في مكانها، وقد سخَّرَهَا الله تعالى لتسبِّح مع داود -عليه السلام- بالعَشِيِّ والإشراق.ومن هنا ندرك الفرق بين (**العشي والإبكار**)

---

[1]-الرّاغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص140.

[2]-ابن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج20. ص: 348.

[3]-فخر الدّين الرّازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تفسير الرازي: ج27. ص79.

و(**العشي والإشراق**) فالأوَّل متعلِّق بالإنسان، والثَّاني متعلِّقٌ بالجماد، ومن هنا تتَّضح لنا الدِّقّة القرآنية في إصابة المعاني التي يغفل عنها البشر.

4. الآثار البلاغية لاقتران العشي والإبكار:

أ_ التعريف:

جاء الاقتران الثنائي(العشي والإبكار) في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ [غافر: 55]. في سياق أمر النّبي ﷺ ومن معه من المؤمنين بتسبيح الله وذكره والثَّناء عليه، وتنزيهه عن كلِّ نقيصة لا تليق بجلاله. ومن ناحية أخرى فإنَّ الأمر بالتَّسبيح يتعدَّى النَّبي ﷺ ومن معه إلى الناس كافة، لعموم رسالته من ناحية، ومن ناحية أخرى لمجيء اللفظين معرفين بـــ(أل) التعريف التي تفيد العموم؛ لأنَّ (**العشي والإبكار**) لفظان شائعان في الزَّمان كلِّه، والمكان كله، فكل فرد له عَشِيٌّ وله إبكارٌ يناسب زمانه ومكانه. ودلالة ارتباط التسبيح بهذين الزمنين، ليظل دائماً ومستمراً لا ينقطع أبدا.لاختلاف الأوقات من مكان إلى آخر.

ب_ التقديم والتأخير:

سبقت الإشارة إلى أنَّ الله تبارك وتعالى أمر نبيَّه ﷺ بتسبيح الله تعالى وتنزيهه، بالعَشِيِّ والإبكار، أي في الأوقات كلها، وذكر منها طرفي النَّهار؛ لأنَّ العَشِي كما ذكر العلماء يبدأ من آخر النَّهار إلى ابتداء اللَّيل، والإبكار اسم لبكرة النَّهار وأوَّله. والمتتبِّع للَّفظين في القرآن الكريم يجد بينهما تبادلاً في التَّرتيب، فتارة يتقدَّم العَشِي على الإبكار، كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾[غافر: 55]. وتارة أخرى يتقدَّم الإبكار على العَشِي في مثل قوله تعالى: ﴿أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴾ [مريم 11]. ففي الآية الأولى قدَّم (العَشِي) على الإبكار؛ لأنَّها جاءت في سيَّاق وعد الله لرسوله ﷺ بالنَّصر على أعدائه في قوله: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾ [غافر: 51]. والمعنى اصبر فإنَّ النَّصر واقعٌ بإذنه تعالى. ومعَ الصَّبر أُمِرَ بالتَّسبيح . وخصَّ التَّسبيح في الآية بزمنين: العَشِي والإبكار، وقدَّم العَشِي على الإبكار؛ لأنَّ هذا الوقت هو أوَّل اللَّيل، وهو زمن الفراغ من مشاغل الدنيا، والتَّفرُّغ إلى عبادة الله ربِّ العالمين. من أجل ذلك كان العَشِيُّ من أجلِّ أوقات التَّسبيح والتَّهجُّد وقراءة القرآن .

ت- الطباق:

قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ [غافر 55]. نلاحظ أنَّ الطباق قد وقع بين اسمي: (**العشي والإبكار**) وهما اسمان لزمنين متضادين، فالعشي يُقصد به آخر النهار إلى ابتداء ظلمة الليل، وهو ضد الإبكار الذي يُقصد به مطلع الفجر إلى وقت الضحى. وهو طباق إيجاب. والمطابقة بين الاسمين (العشي والإبكار) يدل على شمولية التَّسبيح وشيوعه في الزمان والمكان كله، واستمراره دون انقطاع، ويدل أيضاً ارتباط العبادات والتكاليف بهذه الأزمنة مع اختلافها من مكان لآخر، على ديمومة دورة العبادة واستمرارها لله تعالى، فالله تعالى معبودٌ في كل زمان ومكان.

ث_ الكناية:

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر: 46]. جاء الاقتران الثنائي (**غدوّاً وعشيًّا**) في الآية كناية عن دوام العذاب لآل فرعون وعدم انقطاعه؛ لأنَّ الزَّمان لا يخلو من هذين الوقتين. وقد يقع التساؤل: هل في الآخرة غدوة وعشي وبكرة وعشي؟ والجواب عن هذا التسؤال كما قال صاحب التسهيل: «الآخرة لا غدوة فيها ولا عشية وهي بمعنى غدوة وعشية من أيَّام الدنيا» [1]. فإذا قامت القيامة قال الله تعالى لملائكته: أدخلوا آل فرعون ومن تبعهم أشد العذاب، أي «عذاب جهنَّم فإنَّه أشد مما كانوا فيه، أو أشد عذاب جهنَّم؛ لأنَّ عذابها ألوان، بعضه أشد من بعض»[2].

---

[1]-أحمد بن جزي الكلبي: التسهيل في علوم التنزيل: تح: علي بن حمد الصالحي: ج2.ط1. 2018.

[2]-أبو السعود: تفسير أبو السعود: ج7، ص279.

المبحث السادس

الاقتران الثنائي في ألفاظ الجهات

1. المغرب والمشرق.
2. اليمين والشمال.

أولاً: ألفاظ (المشرق والمغرب)

1_ نماذج اقتران (المشرق والمغرب)

الرقم	الآية	السورة	الآية
01	﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾	الرحمن	17
02	﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾	المعارج	37
03	﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾	المزمل	9

2_ دلالة (المشرق والمغرب)

أ_ دلالة (المشرق):

الدلالة اللغوية:

أصل مادة المشرق يدل في اللغة على طلوع الشمس وإضاءتها. قال الخليل بن أحمد: «الشروق يقال لكل شَيء طَلَعَ من قِبَل المشرق، وأمَّا المستعمل فللشمس والقمر. والمُشْرِقُ: المُنيرُ، قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: 69]. أي أضاءت بنور يسطع فيها، وأشرق وجه فلان، أي تلألأ حسناً من الفرح والجمال»[1].وليس لهذه اللَّفظة غير دلالتها اللغوية؛ قال ابن فارس: «الشِّين والرَّاء والقاف أصلٌ واحد يدلُّ على إضاءة وفتح، ومن ذلك: شَرَقَت الشَّمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت»[2].

قال الرَّاغب: «شرقت الشَّمس شروقاً طلعت، وأشرقت أضاءت»[3].

فلفظ (الشروق) ومن خلال هذه المعاجم يدلُّ على طلوع الشمس وإضاءتها كما يدل على تلألأ الوجه وحسنه وجماله.

---

[1]-الخليل بن أحمد: كتاب العين، ج2، ص326.

[2]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج3. ص264. انظر: لسان العرب: ج10. ص173.

[3]-الراغب الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن: ص451.

وقد ورد لفظ (**المشرق**) في القرآن بعدة صيغ لغوية، فتارة ورد بصيغة المفرد (**المشرق**) قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: 9]، وتارة بصيغة المثنّى (**المشرقين**) قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن 17]. وتارة أخرى بصيغة الجمع (**المشارق**) قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج: 40. 41].

كما ورد بدلالات مجازية، منها: قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: 137].للدلالة على الاتساع.وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ [ص: 18]. للدلالة على وقت الإشراق. وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الزخرف: 38] للدلالة على بعد المسافة، وقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: 69] للدَّلالة على شدّة سطوع الضّوء وانتشاره.

الدلالة الاصطلاحية:

يطلق لفظ(**المشرق**) على اسم المكان الجغرافي الذي تشرق منه الشمس وتظهر فيه للعيان، يقال: «أشرقت الشمس إذا طلعت وأضاءت على الأرض»[1]

ب_ دلالة لفظ (المغرب):

الدلالة اللغوية:

جاء في اللسان: «الغرب والمغرب: بمعنى واحد، قال ابن سيّده: الغرب خلاف الشرق، وهو المغرب. والغروب: غيوب الشمس. وغَرَبَت الشمس غابت في الغرب. والغربُ الذَّهاب والتنحي عن الناس. وفي الحديث عن أبي سعيد: خطبنا رسول الله ﷺ إلى مُغَيْرِبَان الشَّمس. والمغرب: الذي أخذ في ناحيّة المغرب»[2].

---

[1]-أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية، ص1192.

[2]-ابن منظور: لسان العرب: ج6. ص: 586.

الدلالة العلمية:

كلمة (المغرب) تشير في الاصطلاح العلمي إلى المكان الجغرافي الذي تغرب فيه الشمس وتغيب فيه عن العيان. وقد وردت كلمة (**مغرب**) في القرآن بصيغ لغويّة مختلفة، فقد وردت بصيغة المفرد (**مغرب**) في قوله تعالى: : ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: 9] وبالتَّثنية (**مغربين**) كقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن 17]. وبالجمع (**المغارب**) كما في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ [المعارج: 40-41]

و وردت بدلالات مجازيَّة، كما في قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾[الرحمن: 17] للدلالة على وقت الغروب، وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ ﴾ [المعارج: 40] للدلالة على بعد المسافة.

وقد أشار الرَّاغب إلى أنَّ اقتران (**المشرق والمغرب**) إذا ورد في القرآن «بصيغة الإفراد دل على ناحيتي الشرق والغرب، وإذا ورد بصيغة التَّثنية دل على مطلعي ومغربي الشتاء والصيف، وإذا ورد بصيغة الجمع دل على مطلع كلِّ يوم ومغربه، أو على مطلع كل فصل ومغربه»[1].

3_ تفسير(المشرق والمغرب):

النموذج الأول:

قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن: 17] فهذه الآية وما اشتملت عليه من اقتران (**المشرق والمغرب**) إنَّما جاءت في سياق بيان تعداد نعم الله وأفضاله على خلقه، فالذي أعطى هذه النِّعم العظيمة، هو رب مشرقي الشمس صيفاً وشتاءً ومغربيهما. ذكر ابن عباس أن «(**المشرقين**) **هما** مشرقا الشتاء والصيف، و(المغربين) هما مغربا الشتاء والصيف.وقيل: المشرقان مشرقا الشمس والقمر والمغربان مغرباهما، وفي رواية ابن أبي حاتم ذكر أنَّ (**المشرقين**) مشرق الفجر ومشرق الشفق.و(**المغربين**) مغرب الشمس ومغرب الشفق »[2]. ويفصل الشعراوي أكثر في هذه القضية فيقول: «كل مكان على الأرض له مشرق وله مغرب. فالشمس حين تشرق عندي تغرب

[1]-الراغب الأصبهاني: مفردات ألفاظ القرآن، ص451.

[2]-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج3، ص209.

عند قوم آخرين، وحين تغرب عندي تشرق عند آخرين، فمع كلِّ مشرق مغرب، ومع كل مغرب مشرق، فيكون هناك مشرقان ومغربان ولذلك قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: 17]» [1]وهو رأي محمود ومعقول والمعوَّل عليه. وهو الرَّأي الذي عليه أكثر المفسِّرين في المراد بهما «مشرقا الصّيف والشّتاء ومغرباهما»[2].

باعتبار أنَّ الشمس تطلع في فصلي الشّتاء والرّبيع من مطلع أو من سَمْتٍ، كما سَمَّاهُ الطاهر بن عاشور «وفي فصلي الصَّيف والخريف من سَمْتٍ آخر»[3].

النموذج الثاني:

أمَّا اقترانه قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج: 40] فيهدف القرآن في هذه الآية إلى التَّذكير بقدرته سبحانه وتعالى المطلقة، ومعجزته الباهرة في خلق الإنسان، فقد قال: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج: 39] أي خلقناهم من ماء مهين، فإذا كان الأمر كذلك، أقسم الله تعالى المشارق والمغارب أنَّه قادرٌ على أن يهلكهم جميعاً، بسبب جرائمهم وذنوبهم، ثُمَّ يبدلهم بخلقٍ آخرين، ليسوا مثلهم في المعاصي والذُّنوب. وجمع المشارق والمغارب في الآية؛ لتعدُّد مطالع الشمس ومغاربها في فصول السَّنة، فذلك مظهر عجيب من مظاهر القدرة الإلهيَّة، والحكمة الرّبّانيَّة لدلالته على عظيم صنعه تعالى، الدَّال على علمه بحركات الشمس، مشرقاً ومغرباً.

يذكر الشعراوي في تفسيره«إنَّ للشمس مشرقاً كل يوم، ومغرباً كلَّ يوم أيضاً يختلف عن الآخر، وهناك شروق وغروب في كل ثانيَّة، فالقَسَمُ هنا برب المشارق والمغارب؛ لأنَّ المشارق والمغارب تختلف على مدار السَّنة، فقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: 37] فيه إشارة إلى اختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم وليلة.» [4]

بالإضافة إلى ما يتضمَّنه الشروق والغروب في حد ذاتهما من المنافع للإنسان وبقيَّة الأحياء، فيه إشارة أيضاً إلى أنَّ طلوع الشَّمس بعد غروبها تمثيل للإحياء بعد الموت.فالغروب موت، فيه السَّكينة والهدوء والدعة إلى الرَّاحة والنَّوم، وطلوع الشَّمس فيها حياة ونشاط، للحياة والإنسان بعد هدوء وسكينة.

---

[1]-محمد متولي الشعرواي: تفسير الشعراوي: ص16411.

[2]-الألوسي: روح المعاني، ج27. ص: 105.

[3]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج29. ص247.

[4]-محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي: 16412.

النموذج الثالث:

أمَّا ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾ [المزمل: 9]. فقد ورد في سياق التَّذكير بمهمة الإنسان في الكون. فالله تعالى خلق الشمس، وجعل لها مهمَّة وهي الشروق، وحدَّدَ لها مكاناً وهو المشرق، فكلّ يوم تشرق منه، ومغرباً تغرب منه كلَّ يومٍ، فالله تعالى هو رب هذا المشرق وذاك المغرب، وهو رب هذه المخلوقات وربُّ ليلها ونهارها. فالمشرق والمغرب له مهمَّته التي أودعها الله فيه في هذا الكون، وهو نتاج الليل والنهار.وللإنسان مُهِمَّة في اللَّيل تختلف عن مهمة النهار، التي تبدأ من مشرق الشمس إلى مغربها. قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ [المزمل: 5. 7]. فمن خلال ما ذهب إليه المفسرون يتبيَّن لنا أنَّ المراد من اقتران (**المشرق والمغرب**) «بلاد المشرق والمغرب»[1] يفيد «تعميم جهات الأرض كلها»[2] لأنَّه هو مالكها ومتوليها.

4_ الأثر البلاغي لاقتران (المشرق والمغرب):

أ_ الطباق: نجد هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج: 40] فالمشارق كما بين علماء اللغة جمع (**مشرق**)، والمغارب كذلك جمع (**مغرب**) والمغرب ضد المشرق، فبينهما تضاد، وقد جمع الله بينهما في الآية الكريمة وفي غيرها من الآيات، وطابق بينهما على سبيل طباق الإيجاب، للدلالة على أنَّ الله تعالى، هو الخالق لهذا العالم بأجزائه المتضادَّة من سماء، وأرض، وبَرٍّ، وبحرٍ، وإنس، وجنٍّ؛ لينتفع به الثَّقلان (الإنس والجن) في حياتهما. كما يشير إلى أنَّ هذه الحياة ذات نظام مؤتلف الأجزاء، قويم الأركان يتمِّم بعضه بعضاً، ويكمله في تناسق بديع، ونظام فريد، يدلُّ على قدرة الله تعالى الخلاَّقة المطلقة، وصنعته المتقنة﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: 13].

واللاَّفت لانتباه الدَّارس أنَّ القرآن الكريم استعمل ثنائية (**المشرق المغرب**) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بصيغ مختلفة:

---

[1]-محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف، ص93.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج1. ص682.

صيغة الإفراد:

ففي قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [المزمل: 9]. ورد اللّفظان(**المشرق والمغرب**) في صيغة مفردة معرفين بـــ(أل) التعريف للدلالة على عموم جهات المشرق والمغرب. ومثله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 115]. وتخصيص الله تعالى (**المشرق والمغرب**) في الآية بالذِّكر للدلالة أنَّه سبحانه هو الذي «خلقهما وهو المالك لهما ولما بينهما من الخلق والموجودات، وهو سبحانه الذي يتولاَّهما»[1]، وإنَّما ذكر هاتين الجهتين دون غيرهما من الجهات لأمرين:

أحدهما: كونهما أعظم ما يلفت انتباه الإنسان وأظهر ما يراه في الأفق .

والثّاني: أنَّ العرب اعتادت على ذكر الجهتين في كلامها وشعرها دون غيرهما من الجهات.

ومما يلاحظ أيضاً ورود ثنائية (**المشرق والمغرب**) في صيغة المفرد المؤنَّث خلافاً للمعهود (المفرد المذكَّر) وذلك في موضع واحد من القرآن، في سورة النُّور في سيَّاق وصفه سبحانه وتعالى للشَّجرة المباركة حيث قال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: 35].

فهذه الشّجرة غير بارزة للشّمس وغير مستقرَّة في ظل النّهار كله، فهي شرقيَّة وغربيَّة، تصيبها الشّمس والظّل. وقد عزاها البعض إلى أنَّها من شجر الجنَّة، وليست من شجر الدنيا، وإنّما شبَّهها بشجر الزَّيتون، كون زيته أصفى ما عرفه المخاطبون في ذلك الوقت.

صيغة التّثنية:

نلاحظ ورود الطباق بين(**المشرق والمغرب**) بصيغة التثنية في قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: 17] وهو الموضع الوحيد الذي وردا فيه بهذه الصيغة. والمشرقان كما يفسرهما الفرّاء (ت207هـــ) «مشرق الشتاء ومشرق الصيف وكذلك المغربان»[2] يقول ابن القيم الجوزية

---

[1]-محمود بن عمر الزمخشري: تفسير الكشاف، ص93.

[2]-الفرّاء: معاني القرآن: ج3. دتح. ط3. 1983. عالم الكتب. بيروت. لبنان. ص: 115.

(ت691هـ) كاشفاً سرّ ورودهما بهذه الصيغة: « ... لما كان مساق السورة مساق المثاني المزدوجات، ذكرَ أولاً الخلق والتَّعليم، ثم الشمس والقمر... فتأمَّل حسن تثنية المشرق والمغرب في هذه السورة وجلالة وروده كذلك، وقدَّر موضعهما اللَّفظ مفرداً ومجموعاً، تجد السَّمع ينبو عنه ويشهد العقل بمنافرته للنَّظم» [1]

صيغة الجمع:

كما ورد الطباق في اللفظين (**الشمس والقمر**) في صيغة الجمع، قال تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج: 40]. في سياق القسم تعظيماً لله تعالى، «وجمع المشارق والمغارب في الآية باعتبار تعدد مطالع الشمس ومغاربها في فصول السنة»[2]. يقول ابن القيّم معلِّلاً جمع (**المشارق والمغارب**) في الآية: «لما ورد هذا القسم في سيَّاق سَعَة ربوبيَّته وإحاطة قدرته، والمقسم عليه هو: إذهاب هؤلاء والإتيان بخير منهم: ذكر المشارق والمغارب لتضمُّنهما انتقال الشمس التي هيَّ أحد آياته العظيمة، ونقله سبحانه لها وتصرفها كل يوم في مشرق ومغرب، فمن فعل هذا كيف يعجزه أن يبدل هؤلاء، وينقل إلى أمكنتهم خيراً منهم... فلا يليق بهذا الموضع سوى لفظ الجمع»[3] وانطلاقاً مما سبق نستخلص أن الطِّباق في هذه النصوص قد وقع بين لفظتي (**المشرق والمغرب**) دلَّتا على مكانين وجهتين بصيغ ثلاثة: الإفراد والتَّثنية والجمع، تشعر بعظمة الخالق وربوبيته وسعة ملكه.

ت_ التّناسق والتّناسب:

ورد في سورة الرحمن ذكر لفظتي (**المشرق والمغرب**) في قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴾ [الرحمن: 17] في سياق حديث السورة عن نِعم الله تعالى «وآلائه الباهرة، وجميل صنعه، وإبداع خلقه، وفيض نعمائه، وتدبيره للوجود وما فيه»، كما يقول سيد قطب رحمه الله[4].ويعلق ابن القيّم على هذه الثّنائيات الدالة على هذه النِّعَمِ من «خلق وتعليم، ونجم وشجر، وسماء وأرض،

---

[1]-ابن القيم الجوزية:بدائع الفوائد:ج1.ص:212. 213.انظر:عبد الفتاح لاشين:صفاء الكلمةص 129.

[2]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج30. ص: 179.

[3]-ابن القيم الجوزية"بدائع الفوائد:ج1.ص:213. 214.

[4]-سيد قطب: في ظلال القرآن، ج6، ص3445.

وعدل وميزان، وحبوب وثمار، وإنس وجن.» ويختم هذه الثُّنائيات بقوله﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن: 17] حتى يتم التناسق ويكتمل التجانس بين الآيات في السورة، ويضيف «ولنتأمَّل حُسْنَ تثنيَّة (**المشرق والمغرب**) في هذه السورة قدر موضعهما في الآية مفرداً أو مجموعاً، تجد السمع ينبو عنه ويشهد العقل بمنافرته للنظم ومخالفته للسياق». [1]

ثانيا: ألفاظ (اليمين والشّمال)

1_ نماذج الاقتران(اليمين والشّمال):

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية
01	﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾	ق	17
02	﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾	المعارج	37
03	﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾	البلد	20-17

2_ دلالة (اليمين والشّمال)

أ_ دلالة اليمين

الدلالة اللغوية:

اليمين عند ابن فارس هي: «يمين اليد، والقوَّة والشدَّة، واليُمْنُ وهو البركة، واليمين الحِلفُ»[2]. وعكسها اليسار. وسُمِيَّ الحِلفُ (يمينا) لأنَّهم «كانوا إذا تحالفوا ضَرَبَ كل واحد منهم يمينَه على يمين صاحبه، فسميَّ الحِلفُ يمينا مجازاً»[3].

---

[1]-ابن القيم الجوزي: بدائع الفوائد: ج1، ص212، 213. صفاء الكلمة: عبد الفتاح لاشين، ط1983. الرياض: 129.

[2]-أحمد بن فارس: مقاييس اللغة: ج6.ص158. 159.

[3]-الفيومي: المصباح المنير معجم عربي. عربي، دط، دتح، مكتبة لبنان. ص 261.

واليمين عند ابن منظور: «يمين الإنسان، وقد جاء في الحديث: "**إِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ التَّيَمُّن فِي جَمِيعِ أَمْرِهِ**". والتيمن هو ابتداء الأفعال باليمنى. وفي الحديث: (**فَأَمَرَهُم أَنْ يَتَيَامَنُوا عَنِ الغَمِيمِ**)»[1] أي: يأخذوا عنه يميناً.

وفي الحديث: « **فَيَنْظُرَ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ** » أي عن يمينه. وقد يَمُنَ الرجل على قومه فهو ميمون؛ أي صار مباركاً عليهم.قال الرَّسول ﷺ: «**الحَجَرُ الأَسْوَد للهِ يَمِيناً**»أي: بمنزلة اليمين للمَلِكِ حيث يُسْتَلَم، وفي الحديث: «**وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**» أي أن «يديه موصوفتان بالكمال لا نقص في واحدة منهما؛ لأنَّ الشِّمال تنقص عن اليمين»[2].

وعليه فإنَّ لفظ اليمين في المعاجم العربيَّة يأتي بعدَّة معاني، منها: يمين الإنسان، أي يده اليمنى. والجهة، والقوَّة والشِّدة، والحِلفُ والبركة. وقد تفاءلت العرب بالجانب الأيمن فانتزعت له اسما من اليُمن وانتظار الخير. وربما سموا التَّقدُّم يميناً والتَّخلُّف شمالا. فقالوا: اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك؛ أي اجعلني من المتقدِّمين. ولأنَّ أصحاب الجنَّة يؤتون كتبهم بإيمانهم فإنَّ اليمين علامة على دخول الجنَّة.

الدلالة الاصطلاحية:

اليمين: «اسم من أسماء الجهات، ضد الشمال، فهي ظرف مكان يدلُّ على أنَّ شيئاً ما على يمين شيء آخر...وقد تخرج كلمة (يمين) عن الظرفية هذه، فتكون بمعنى القسم، والجمع أيمان كقوله تعالى: ﴿**لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ**﴾ [البقرة: 225]، وقد تكون بمعنى البركة والقوّة يقال: فلان عندنا باليمين؛ أي: بالمنزلة الحسنى، وقدم على أيمن اليمين؛ أي: على اليمن والبركة»[3].

ب. دلالة الشّمال:

الدلالة اللغوية: «الشّمَالُ نقيض اليمين، وتجمع على أشمل مثل أعنق وأذرُع لأنّها مؤنثة. وهي أيضاً التَّشاؤم، تقول العرب: فلان عندي باليمين، أي بمنزلة حسنة، وإذا ساءت منزلته قالوا هو

---

[1]-الزمخشري:الفائق في غريب الحديث والأثر، تح:علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، دار المعرفة، بيروت، ص346.

[2]-ابن منظور: لسان العرب: ج13. ص458.

[3]-عزيزة فوال يابتي:المعجم المفصل في النحو العربي:ط1. 1992.دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ص1203. 1204.

عندي بالشِّمال».وفي الحديث أن النّبي ﷺ ذكر القرآن فقال: (**يُعْطَى صَاحِبُهُ يَوْمَ القِيَّامَةِ المُلْكَ بِيَمِينِهِ وَالخُلْدَ بِشِمَالِهِ**)»[1]. وشَمَلَ به؛ إذا أخذ به ذات الشِّمال»[2]. وبه فسَّروا قول زهير بن أبي سلمى: [من الوافر] [3]

جَرَت سُنُحًا فقلــتُ لهــا: أجيــزي نَــــوىً شمولـــــة فمـــــتى اللقـــــاء

«قال شمولة: أي مأخوذاً بها ذات الشمال. وقال ابن السكيت: مشمولة سريعة الانكشاف. وأخذه ريح الشمال: إذا هبَّت بالسحاب لم يلبث أن ينحصر ويذهب. والشمال أيضاً الخلق، والشمال الريح التي تهبُّ من ناحية القطب أو من قبل الشَّام يسار القبلة»[4].

وما نستخلصه من هذه المعاني اللغوية للفظ الشمال أنّه يأتي بمعنى اليد اليسرى خلاف اليد اليمنى، ويأتي بمعنى الجهة، كما بمعنى المترلة السيِّئة والضَّعف.

-**الدلالة الاصطلاحيّة:** (الشّمال)من النَّاحية الاصطلاحية يعبِّر به عن أحد الجهات الأربعة الأصلية، وهو ما يقابل جهة الجنوب.

تفسير(اليمين والشّمال):

النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ **إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ** ﴾ [ق: 17] دلَّ اقتران (**اليمين والشمال**) في الآية على أمرين: أولهما شمولية علم الله تعالى لباطن الإنسان، وثانيهما: الإعلام «بأنَّ لكل إنسان ملكين يحصيان أعماله، أحدهما من جهة يمينه والآخر من جهة شماله.» [5] للدلالة على أنَّ الله سبحانه وتعالى«أعلم بحال الإنسان من كل رقيب، حين يلتقَّي المتلقيَّان الحفيظان ما يتلفَّظ به، وفيه إيذان بأنَّه غني عن استحفاظ الملكين؛ لأنَّه تعالى أعلم منهما، ومطَّلع على ما يخفى عليهما، ولكنَّ الحكمة اقتضت كتابة الملكين لعرض صحائفهما يوم يقوم الأشهاد»[6] فوجودهما وجود

---

[1]-الطبراني: المعجم الأوسط، رقم الحديث: 51، ص6، والحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[2]-ابن منظور: لسان العرب، ج11 ص364.

[3]-ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح علي حسن فاعور، ط1. 1988، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص14.

[4]-ابن منظور: لسان العرب، ج11: ص364.

[5]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج26. ص302.

[6]-الألوسي: تفسير روح المعاني: ج26. ص179.

حقيقي دلَّ عليه ورود لفظتي (**اليمين والشمال**) معرفتين تعريف عهدٍ، للدَّلالة على احتلالهما حيِّزاً معهوداً ومعروفاً، وهو يمين الإنسان وشماله، ليعلم أنَّه مُرَاقَبٌ ومَطَّلَعٌ عليه، لا تخفى عليه خافية، هذا الإطِّلاع والإحاطة يدفعانه إلى فعل المأمور واجتناب المحظور.

النموذج الثاني:

ورد اقتران (**اليمين والشمال**) في قوله تعالى: ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ [المعارج: 37] لبيان حال المشركين، وهم يجلسون عن يمين النَّبي ﷺ وعن شماله، حين إدَّعوا أنَّهم أولى بالجنَّة من محمد وأصحابه يقولون: إن دخل هؤلاء الجنَّة كما يقول محمد ﷺ، فلندخلنَّها قبلهم، فنزلت الآية: ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ [المعارج: 37] أي جالسين عن يمينك وعن شمالك فرقاً فرقاً يتحدَّثون ويتعجَّبون.

النموذج الثالث:

أمَّا في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البلد: 17. 20] فاقتران (**الميمنة والمشئمة**) جاء في سياق التَّنويه بالمؤمنين والثَّناء عليهم وبشارتهم، « لتميزهم بأكمل الصِّفات، ولإحضارهم بهذه الصفات في ذهن السامع»[1]. وقد دل على هذا المقام إسم الإشارة (أولئك) الدال على ذلك الثَّناء والتَّنويه، فَهُم الذين اقتحموا العقبة وكانوا من الذين آمنوا وتواصَّوا بالصَّبر والمرحمة. فما المقصود بالميمنة؟ وما المقصودبالمشئمة؟

الميمنة «يحتمل أن يراد بها اليُمْنُ وهو الخير والبركة. فهي مأخوذة من يمنه الله يُمناً إذا باركه»[2]، ويحتمل أن يقصد بها جهة اليمين. فهي مأخوذة من فعل (يَمَنَهُ) إذا كان على يمينه. أي على جهة يده اليمنى. أو هي صفة لأهل الجنَّة؛ لأنَّهم يأخذون كتبهم بأيمانهم. والمشئمة كذلك يحتمل أن تكون بمعنى أصحاب جهة الشِّمال، وهم أصحاب النَّار الأشقياء، أو الذين يؤتون صحائفهم بشمالهم، أو أصحاب الشُّؤم وهو ضد اليمن.

---

[1]-محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص362.

[2]-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فأصحاب (**أصحاب الميمنة**) هم أصحاب الكرامة عند الله تعالى، و(**أصحاب المشئمة**) هم مَن ساءت منازلهم ونزلت مراتبهم عند الله تعالى، كناية كما يقول ابن عاشور «مبنيَّة على عرف العرب يومئذ في مجالسهم، فإذا قالوا: فلان عندي باليمين، أي بمنزلة حسنة، فإذا ساءت منزلته قالوا هو عندي بالشِّمال»[1].

وعليه فإنَّ اقتران (**اليمين والشمال**) أو (**الميمنة والمشئمة**) في الآية أريد به التَّفريق بين فئتين من النَّاس في ميزان الله تعالى؛ بين أهل الجنَّة وأهل النَّار. وبين السُّعداء والأشقيَّاء. «فالذين كذَّبُوا محمدا ﷺ وما جاءهم به، وهو القرآن الكريم، فهم أهل الشِّمال –أهل النَّار من الكفَّار والفجَّار– لأنَّهم يأخذون كتبهم بشمائلهم، وعبَّر عنهم بضمير الغائب إشارة إلى أنَّهم غائبون عن حضرة قدسه وكرامته وأُنْسِه»[2]، والذين آمنوا به وصدَّقوا بما جاء به هم المؤمنون المتَّقون حقًّا، أصحاب الميمنة؛ لأنَّهم صدَّقُوا بمحمد ﷺ وما جاءهم به وهو القرآن الكريم، فهم أهل اليمين والمقربة مجالسهم من الله تعالى، الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم.لصدقهم وبِرِّهم وتقواهم.

4_ الأثر البلاغي لاقتران (اليمين والشمال):

أ_ المقابلة:

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البلد. 17. 19].نلاحظ في هذا النَّص القرآني مقابلة بين: الذين آمنوا والذين كفروا، وبين أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة، والغرض من هذه المقابلة التَّرغيب والتَّرهيب؛ ترغيب الذين ءامنوا «ليكونوا من أصحاب اليُمنِ والبركة، الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، وترهيب من الذين كفروا أصحاب الشُّؤم، الذين يعطون كتبهم بشمالهم»[3] هذا من جهة، ومن جهة أخرى للتَّفريق بين أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة. فأصحاب الميمنة هم أهل الجنَّة الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم، ويسعدون بدخول جنَّات النَّعيم، وأصحاب المشئمة وهم أصحاب النَّار الذين جحدوا النّبوَّة، وكذَّبوا بالقرآن، فهم أهل الشِّمال الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم. وقد عبَّر عنهم في الآية بضمير الغائب (هم) للإشارة بأنَّهم غائبون عن عفوه ورحمته ومغفرته.

---

[1]–الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص363.

[2]–محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير: ج3. ص405.

[3]–الشوكاني: فتح القدير، ج5، ص445.

ب- رد العجز على الصدر:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البلد.17. 19].جاءت الآيتان تتميماً لما سبق قبلهما من الآيات، التي ذمَّ الله تعالى فيهما الإنسان المذكور في بداية السورة القائل: ﴿ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البلد 6. 10]. وقد ورد هذا الذم من الله تعالى لهذا الإنسان في صدر الآية. غير أنَّه لم يتبع ذمَّه بعقاب أو وعد أوعيد؛ لانشغاله كما يقول الطاهر بن عاشور «بذكر الأهمِّ، وهو ذكر حالة أضدَّاده ووعيده لهم، فلما قضى حقَّ ذلك ثَنَّى العنان إلى ذلك الإنسان.» [1]. فقال: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البلد: 17. 19] وقد وقع اقتران (**الميمنة والمشئمة**) في عجز السُّورة. للردِّ على ما جاء في صدرها من ذمٍّ لهذا الإنسان. وهو ما يعرف في البلاغة من رد العجز على الصدر.

ت_ الطباق:

يتجلَّى هذا الأثر البلاغي في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾ [البلد: 17. 18]. حيث طابق «بين الميمنة والمشئمة»[2]. والميمنة جهة اليمين وأهلها السُّعداء أو اليمن وهم أهل البركة، لكونهم ميامين على أنفسهم وعلى غيرهم، وهي ضدّ المشئمة، والمشئمة جهة الشمال، وأهلها هم الأشقياء الذين كانوا لؤماً على أنفسهم وعلى غيرهم.وهي ضدّ الميمنة. فجمعت الآية الضدين (**الميمنة والمشئمة**) وطابقت بينهما، وفي هذا الطباق إبرازٌ لمكانة أصحاب الميمنة المكرّمين عند الله تعالى؛ لإحسانهم في الدنيا، وإبرازٌ أيضاً لأصحاب المشئمة المهانين يوم القيامة؛ لعصيانهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لنبيّه ﷺ، والأمر نفسه في قوله تعالى: ﴿ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴾ [ق: 17]. حيث طابق بين اليمين والشِّمال؛ لأنَّهما من الألفاظ المتضادَّة الدَّالة على سعة علم الله

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ج30، ص363

[2]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تعالى وإحاطته بكلِّ شيء. كما نلاحظ في آيات سورة البلد مقابلة بين (**الذين آمنوا والذين كفروا، والميمنة والمشئمة**)، فالذين آمنوا هم السُّعداء من عباد الله، آمنوا به وصدَّقوا نبيَّه –عليه الصلاة والسلام–، من أبرز خصائصهم التَّواصِي بالصَّبر والمرحمة، يقابلهم (الذين كفروا) بالله ونبيّه ﷺ، فقد رتَّبَ لهم عن كفرهم عذابٌ أليمٌ، وتوعَّدهم بِنَارٍ موصدة الأبواب جزاءاً وفاقاً، وقابل في الآية نفسها بين أصحاب الميمنة وهم أهل اليُمن والإيمان، وأصحاب المشئمة وهم الأشقيَّاء التُّعساء. وهذه المقابلة زادت الألفاظ جمالاً وسحراً، المعنى قوة ورسوخا. وفي هذا الطِّباق لإبراز لأهل الإيمان وتنويه بمنزلتهم، وإبراز من جهة أخرى لأهل الكفر والجحود، وبيان لدركاتهم ومهانتهم عند الله، ولو أعزَّهم وأكرمهم ما أهانهم ونسيهم.

ث_ المدح والذم: بدلالة الإتيان باسم الإشارة وضمير الغيبة:

نلاحظ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ [البلد: 18. 19] مجيئ اسم الإشارة (أولئك) أشار به لأصحاب الميمنة للدَّلالة على حضورهم عند الله تعالى في مقام كرامته وعلو مرتبتهم عنده. ذلك إن اسم الإشارة يشار به للبعيد الرفيع المكانة، في المقابل عَبَّرَ عن أصحاب المشئة بضمير الغيبة، «للإشارة إلى أنَّهم غائبون عن حضرة قدسه وكرامة أنسه»[1]، إهانة لهم وإبرازاً على أنَّهم أحقّ بهذا الإخفاء والغيّاب لشقائهم وخسرانهم، بدليل أن الله تعالى أتبع ذلك بقوله: ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ [البلد: 20]

ث_ الحذف بالإيجاز:

قال الله تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ [ق: 17]. وأصل الكلام: عن اليمين قعيد، وعن الشِّمال قعيد، فحذف الأول لدلالة الثَّاني عليه. فقوله﴿وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ «ليس عطفاً على قوله (عن اليمين)؛ لأنَّه ليس المعنى على أنَّ القعيد قعيد في الجهتين، بل لكلٍّ من الجهتين قعيدٌ مستقلّ بها»[2]. والتَّقدير: عن اليمين قعيد، وعن الشِّمال قعيد. فحذف الأول لدلالة الثَّاني عليه. والغرض من هذا الحذف الإيجاز في الكلام.

---

[1]–محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج3، ص405.

[2]–أبو السعود: تفسير أبي السعود، ج8، ص129. الطاهر بن عاشور: ج26، ص302.

ث_ ذكر الجزء وإرادة الكل:

قال تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج: 37].ذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره أنَّ المشركين كانوا: «يجتمعون حول النَّبي ﷺ يستمعون كلامه، ثم يكذِّبونه ويستهزئون بأصحابه، ويقولون لئن دخل هؤلاء الجنَّة كما يقول محمد، فلندخلنَّهَا قبلهم وليكونَنَّ لنا فيها أكثر مما لهم. فأنزل الله هذه الآية»[1] وَصَفَ فيها حالهم فقال: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧﴾ [المعارج: 37] في شكل فِرَق أو فئات، وهذا التَّعبير فيه تهكُّم بهم وبحركاتهم المريبة، فعوض أن يسارعوا الخطى ليسمعوا الهدى منه عليه الصَّلاة والسَّلام، يهتدون بهديه به ويصدقون بما جاء به، لكنَّهم أسرعوا الخطى ليستطلعوا أمره وما نزل عليه، ثم يتفرقوا ويتحلَّقوا حلقات يتناجون فيها بالكيد له، والرَّدِّ على ما يسمعون منه. وذكر(**اليمين والشمال**) في الآية للدَّلالة على أنَّ هؤلاء الكافرين واردون إليك، ومحيطون بك من كل الجهات. غير أنَّه ذكر جزء من هذه الجهات معبِّراً عنها بلفظ: (**اليمين والشمال**) وأراد بهما كلَّ الجهات؛«لأنَّهما الجهتان اللَّتان يغلب حلولهما.»[2]

---

[1]-الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص176.

[2]-المرجع نفسه: ص. 177.

خاتمة الفصل الثالث:

كان هذا الفصل تطبيقيا، حيث بحثنا فيه الألفاظ المقترنة ثنائيا في الربع الأخير من القرآن الكريم، وقد جمعنا هذه الألفاظ وصنَّفناها تصنيفا دلاليا بحسب الحقول والمجالات الدلالية التي تنتمي إليها، ووجدنا أنَّ الحقول الدلالية التي تنتمي إليها تلك الألفاظ ستَّة حقول هي: الأسماء والصفات، صفات الأنبياء والرسل، العقيدة والإيمان، الكون والطبيعة، الجهات، الكائن الحي.

ففي الأسماء والصفات تناولنا ظاهرة الاقتران الثنائي في: العزيز الحكيم، العزيز الرحيم، السميع البصير، السميع العليم.

وفي صفات الأنبياء والرُّسل تطرَّقنا إلى ظاهرة الاقتران الثنائي في: البشير النذير، النذير المبين، الرسول الكريم.

وفي العقيدة والإيمان درسنا هذه الظاهرة في: الإيمان والعمل الصالح، الصلاة والزكاة، الحسنة والسيئة، الإثم والعدوان، الإثم والفواحش، الخير والشر، الدنيا والآخرة، الغيب والشَّهادة.

والأمر نفسه في ألفاظ الكون والطبيعة، حيث قمنا بالبحث عن معالم هذه الظاهرة في: العشي والإبكار، الشمس والقمر، الليل والنهار، السموات والأرض.

كما تطرقنا في ألفاظ الكائن الحي إلى: الإنس والجن، الجوع والخوف، الخوف والحزن، الذكر والأنثى، السائل والمحروم، الصدق والكذب، واللهو واللعب، والموت والحياة، والعداوة والبغضاء.

وفي مجال الجهات فقد تجلت ظاهرة الاقتران الثنائي في ألفاظ: اليمين والشمال، والمشرق والمغرب.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة المتسمة بالتركيز والتمعن في دراسة ظاهرة الاقتران الثنائي بين ألفاظ القرآن الكريم دراسة نظرية وتطبيقية من خلال الألفاظ المقترنة ثنائيا في الربع الأخير منه، بغية الوصول إلى الآثار البلاغية النَّاتجة عن هذا الاقتران المتمثلة في:

1_ دوران معاني الاقتران كلها حول الجمع؛ إما جمعا ملازما، أو جمعا مقاربا، أو جمعا شديدا.

2_ الاقتران الثنائي عبارة عن ارتباط اعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة، أو هو عبارة عن تجمعات معجمية لكلمتين أو أكثر، جرت العادة على اقترانهما وتلازمهما وتكرر حدوثهما وترابطهما دلاليا.

3_ الاقتران الثنائي ظاهرة لغوية عامَّة، لم تتميز به اللغة العربية لوحدها، بل هو ظاهرة شاملة وعمت جميع اللغات البشرية، غير أنَّها كانت في اللغة العربية أكثر دقَّة لحرصها على اختيار الكلمات المستعملة في هذه الظاهرة.

4_ ظاهرة الاقتران الثنائي من الظواهر اللغوية التي نبَّه إليها اللغويون العرب منذ القديم، من خلال مؤلفاتهم ومصنفاتهم اللغوية المتعددة، مثل: الكتاب لسيبويه (ت180ه)، وإصلاح المنطق لابن السكيت (ت244ه)، والبيان والتبيين للجاحظ (ت255ه)، والألفاظ الكتابية للهمداني (ت320ه)، والجمهرة لابن دريد (ت316ه)، والإتباع والمزاوجة لأحمد بن فارس (ت395ه)، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت400ه).

5_ إنَّ هذه المصنفات اللغوية التي نبَّه من خلالها أصحابها لظاهرة الاقتران الثنائي، كانت في كثيرٍ من الأحيان مصدرا لكثير من الدراسات اللغوية الحديثة لهذه الظّاهرة اللغوية ولغيرها من الدراسات الأخرى. وهذا يدل على غِنى تراثنا اللغوي بالمواد الخام لكثير من الدراسات اللغوية الحديثة، الأمر الذي يدفعنا إلى القول أن تراثنا في حاجة ماسة إلى إعادة قراءته في ضوء البحث اللغوي الحديث، وإعادة تصنيفه وصياغته في شكل نظريات لغوية، تعيد له مكانته الخاصة به في الدرس اللغوي الحديث.

6_ الاقتران الثنائي مصطلح عُرِفَ بشكل بارز في اللسانيات الحديثة، خاصة – لسانيات النص- لكنه كان موجوداً في التراث العربي بمصطلحات كثيرة، منها: الإتباع، والتَّضام، والرَّصف

والنَّظم، والمحاذاة...

7_ وجدنا أن للاقتران الثنائي بالمفهوم الذي توصلنا إليه مظاهر كثيرة في المستويات اللغوية، مثل: الاقتران الصَّوتي، والاقتران المعجمي، والاقتران النَّحوي، والاقتران البلاغي.

8_ فمن مظاهر الاقتران الثنائي في المستوى الصوتي: الصوائت والصوامت، المقاطع الصوتية اللغوية (المقطع الطويل المفتوح، المقطع الطويل المغلق، المقطع الطويل حركته طويلة، العلاقة الإلصاقية، العلاقة الزمانية، المقطع المشترك في كلمتين، المقاطع المفردة المتكررة)، الجناس في الألفاظ المتجاورة، الاقتران في الفواصل القرآنية

9_ ومن مظاهر الاقتران المعجمي: التفسير بالمغايرة، تفسير الكلمة بضدها، التفسير بالمغايرة الناقصة، تفسير الكلمة بالمجاز، التفسير بالترجمة، تفسير الكلمة بكلمة واحدة، تفسير الكلام بأكثر من كلمة، التفسير بالمصاحبة...

10_ كما وجدنا للاقتران الثنائي في ألفاظ اللغة مظاهر في المستوى النحوي، منها: المبتدأ والخبر، الفعل والفاعل، الصِّفة والموصوف، المعطوف والمعطوف عليه، المضاف والمضاف إليه، الجار والمجرور، الصِّلة والموصول، اسم الإشارة والمشار إليه، الحال وصاحب الحال، التَّمييز والمميز. وفي الباب نفسه وجدنا الاقتران الثُّنائي يظهر على مستوى الحروف والأدوات، مثل: اقتران الفاء مع أمَّا، اقتران حروف القسم بالمقسم به، واقتران الحروف بمعمولاتها.

11_ ووجدنا أيضا للاقتران الثنائي مظاهر في مستوى البلاغة، مثل: الإطناب والذي من مظاهره:(الإيضاح بعد الإبهام، ذكر الخاص بعد العام، التكرير والتوكيد لمعنى)، التقديم والتأخير، التشبيه، القصر، الفصل والوصل، التورية، الاستخدام، الطباق، المقابلة، المشاكلة، الإدماج، التوجيه، الجناس، المزاوجة، الجمع، الجمع مع التفريق، الجمع مع التقسيم، المغايرة، الازدواج، السجع

12_ وجدنا للاقتران الثنائي مظاهر كثيرة في العلوم التراثية الأخرى: أصول الفقه، والبلاغة، وعلم التفسير.

13_ ففي علم أصول الفقه نجد له المظاهر التالية: العام والخاص، الأمر والنهي، النكرة والنهي، النكرة في سياق النفي، النكرة في سياق الشرط، النكرة في سياق الاستفهام، المطلق والمقيد، المفهوم والمنطوق.

14_ وفي علم البلاغة وجدنا له المظاهر التالية: في علم المعاني وجدنا الاقتران الثنائي يظهر في:

المسند والمسند إليه، الفاعل مع الفعل التام أو شبهه، نائب الفاعل مع الفعل المبني للمجهول، المبتدأ الذي له خبر، الذكر والحذف. في علم البيان وجدنا الاقتران الثنائي يظهر في (التشبيه): بالضبط في طرفي التشبيه باعتبار الإفراد أو باعتبار التركيب، فابعتبار الإفراد: مفردان مطلقان، أو مفردان مقيدان، أو مفردان مختلفان. وباعتبار التركيب، فإنَّ طرفيه إمَّا مركبان تركيبا لا يمكن إفراد أجزائهما عن بعضهما البعض. وإما مركبان تركيبا إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة المشبه به.أما في طرفي التشبيه باعتبار تعددهما فقد وجدنا: التشبيه الملفوف، والتشبيه المفروق. وفي علم البديع نجد للاقتران الثنائي مظاهر منها: التورية، الطباق، الإبهام، مراعاة النظير، العكس، الجمع، المزاوجة، الترصيع، التذييل، التعليل.

15_ ومن النتائج المهمة التِّي توصلنا إليها أن مفهوم الاقتران الثنائي جوهري في علم الدلالة واللسانيات النصية الحديثة، فأما في مستوى علم الدلالة فيظهر على مستوى التضاد والترادف، وأما في اللسانيات الحديثة فهو موجود صراحة أو ضمنا في كل المفاهيم النصية، وخاصة الاتساقية، مثل: التكرار، المصاحبة اللغوية، الإحالة، الاستبدال، الحذف، العكس أو التبديل، الإجمال والتفصيل، التباين، التتميم...

16_ وجدنا أنَّ دلالة الاقتران الثنائي وأثاره المختلفة لا تتوقف عند معناه المعجمي فقط، بل ينبغي أن ننظر إلى السياق الذي ورد فيه، فإنَّه السبيل الوحيد للكشف عن دلالته ومعناه المقصود. وآثاره المختلفة المترتبة عنه.

17_ نبهت ظاهرة الاقتران الثنائي في ألفاظ القرآن الكريم إلى الكثير من وجوه الإعجاز لألفاظه خاصة عند اختياره لألفاظ الاقتران وترتيبها ترتيباً بديعا زاد النص القرآني روعة وجمالا من ناحية، ومن ناحية أخرى أصبح القرآن الكريم منبعاً لكثير من الألفاظ المقترنة التي أضافها إلى المعجم اللغوي والمستعملة اليوم بشكل دائم ومستمر، مثل: العشي والإشراق، الصراط المستقيم، البشير النذير، العذاب الأليم، المشرق والمغرب، أصحاب اليمين وأصحاب الشمال...

18_ لاحظنا تنوع ألفاظ الاقتران الثنائي في الرُّبع الأخير، فهناك ألفاظ اقترنت ثنائيا بشكل كثير، فشغلت مساحة كبيرة من هذا الجزء في القرآن الكريم، وهناك ألفاظ أخرى كانت مساحة اقترانها أقل من غيرها، فأكثر الألفاظ المقترنة وروداً مثلا؛ وجدنا ألفاظ الطبيعة والكون، مثل (السماء والأرض، الليل والنهار، الشمس والقمر، العشي والإبكار، الغدو والعشي...) يليها الاقتران في ألفاظ العقيدة والإيمان، مثل: (الإيمان والعمل الصالح، الحسنة والسيئة، الخير والشر، الدنيا والآخرة، السر

والعلانية، الصلاة والزكاة، الغيب والشهادة، الإثم والفواحش)، يليها الاقتران في ألفاظ الأسماء والصفات، مثل: (العزيز الحكيم، السميع البصير، السميع العليم، العزيز الغفار، الغفور الرحيم، الأول والآخر، الظاهر والباطن، الغني الحميد) يليها الاقتران في ألفاظ الكائن الحي، مثل:(الإنس والجن، الذكر الأنثى، السائل والمحروم، واللهو واللعب، والموت والحياة، والسر والجهر، والصدق والكذب، والجوع والخوف)، يليها الاقتران الثُّنائي في ألفاظ الرسل والأنبياء، مثل: (البشير النذير، النذير المبين، الرسول الكريم، إبراهيم وموسى)، يليها الاقتران الثنائي في ألفاظ الجهات، مثل: (المغرب والمشرق، اليمين والشمال).

19_ أشارت الألفاظ المقترنة ثنائيا في الربع الأخير من القرآن الكريم إلى بعض الأحكام الشرعية، ففي مجال العقيدة وردت ألفاظ مقترنة دلت على قدرة الله تعالى وقوته، كخلق السموات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار... كما وردت ألفاظ أخرى أثبتت لله تعالى الصفات العلا والأسماء الحسنى، كما هو وارد في أسماء الله الحسنى، وفي مجال العقيدة والإيمان أثبتت بعض الألفاظ المقترنة حقيقة الغيب والشهادة، والحسنة والسيئة، والخير والشر، والدنيا والآخرة...وفي مجال الفقه بينت بعض الألفاظ المقترنة أحكام الصلاة والزكاة...

20_ وجدنا أن الاقتران الثنائي في الربع الأخير من القرآن الكريم يتجلى في ألفاظ متعددة أجملناها في ستة حقول دلالية كما يأتي: حقل الأسماء والصفات، حقل صفات الرسل والأنبياء، وحقل ألفاظ العقيدة والإيمان، حقل ألفاظ الكائن الحيِّ، حقل ألفاظ الطبيعة والكون، حقل ألفاظ الجهات.

21_ ففي حقل الأسماء والصِّفات وجدنا الاقتران الثنائي بين عدة ألفاظ منها:العزيز الحكيم، السميع البصير، والسميع العليم.

22_ وفي حقل صفات الأنبياء والرسل وجدنا الاقتران الثنائي بين عدة ألفاظ منها: البشير النذير، النذير المبين، الرسول الكريم، موسى وإبراهيم.

23_ وفي حقل ألفاظ العقيدة والإيمان وجدنا الاقتران الثنائي بين عدة ألفاظ منها: ألفاظ الإيمان والعمل والصالح، ألفاظ الحسنة والسيئة، ألفاظ الخير والشر، ألفاظ الدنيا والآخرة، ألفاظ السر والعلانية، ألفاظ الصلاة والزكاة، ألفاظ العذاب الأليم، ألفاظ الغيب والشهادة، ألفاظ الهداية والضلال، ألفاظ اليسر والعسر، ألفاظ الإثم والفواحش، ألفاظ الإثم والعدوان...

24_ وفي حقل ألفاظ الكائن الحيِّ وجدنا الاقتران الثنائي بين عدة ألفاظ منها: ألفاظ الإنس والجن، ألفاظ الذكر والأنثى، ألفاظ السائل والمحروم، ألفاظ اللهو واللعب، ألفاظ الموت والحياة، ألفاظ السر والجهر، ألفاظ الصِّدق والكذب، ألفاظ العداوة والبغضاء، ألفاظ الجوع والخوف، ألفاظ الخوف والحزن.

25_ وفي حقل ألفاظ الكون والطبيعة، وجدنا الاقتران الثنائي بين عدة ألفاظ منها: ألفاظ السماء والأرض، ألفاظ الشمس والقمر، ألفاظ الليل والنهار، ألفاظ المشرق والمغرب، ألفاظ العشي والإبكار، ألفاظ العشي والإشراق.

26_ وفي حقل ألفاظ الجهات، وجدنا الاقتران الثنائي بين عدة ألفاظ منها: ألفاظ المشرق والمغرب، وألفاظ اليمين والشمال

27_ من أهم النتائج التي توصلنا إليها أنَّ تنوع المجالات الدلالية لظاهرة الاقتران الثنائي في ألفاظ الربع الأخير من القرآن الكريم أدى إلى تنوع الآثار البلاغية له، فمن هذه الآثار البلاغية وجدنا: التقديم والتأخير، الذكر والحذف، الطباق، التوَّكيد بالتعليل، التوكيد بأدواته، التوكيد بالتذييل، التعريف والتنكير، القصر، اللف والنشر، التفصيل بعد الإجمال، الإطناب، القصر والحصر، الإطلاق والتقييد، المدح والثناء، أسلوب الحكيم... وقد توصلنا إلى أنَّ هذه الآثار البلاغية وغيرها لم تأت اعتباطاً، وإنَّما وردت لإحداث هذا الأثر البلاغي، الذي كان له دور في توضيح المعنى المراد لهذه الألفاظ المقترنة ثنائيا، وله دور أيضا في توضيح جماليته وحجيته.

28_ كما تبين لنا من خلال دراسة هذه الظاهرة أنَّ القرآن الكريم أبدع في اختيار مفرداته وتراكيبه، التي وظفها لإثبات ما دَعَا إليه من الحق، وإبطال كل ما دعا إليه خصومه من الباطل، كما لعبت هذه الظاهرة دوراً مهماً في الخلق المناسبة المعنوية واللفظية والبلاغية الخلابة بين ألفاظه وتراكيبه.

وأخير إنَّ بحثنا المتواضع ما هو إلاَّ جهد المقلّ وغيض من فيض، فظاهرة الاقتران الثنائي في ألفاظ القرآن الكريم ظاهرة واسعة قلما تحصر في مثل هذا البحث، ولا أدعي أبداً أنني قد حصرتها أو أجملتها فيه، كما لا أدعي أبدا الكمال، فإن الكمال لله وحده سبحانه وتعالى، فما كان في بحثي من إيجابية فمن الله تعالى وحده لا شريك له، وما كان فيه من نقص وسلبية فمني ومن تقصيري، ولذلك أسأل الله تعالى أن يغفر لي على ما قصَّرت من دراسة وفهم كلمات كتابه وألفاظه، إنَّه عفو كريم، كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، أبغي به الخلاص والنجاة يوم لا

ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم، وأسأله سبحانه وتعالى وهو أهل المسألة أن يجزي كل أساتذتي الكرام الذين تعلَّمت على أيديهم، وأخذت بتوجيهاتهم ونصائحهم، وعلى رأسهم أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور حسين بن زروق أسأل الله أن يجزيه خير الجزاء، وكذا كل من نصحني وأرشدني وصوبني في بحثي إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
فهرس الأشعار
فهرس المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	رقم الآية	الصفحة
	سورة يس		
1	﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾	40	394
2	﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾	76	238
	ص		
3	﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾	18	418
4	﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ ﴾	24	207
5	﴿ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	70-69	182
	الزمر		
6	﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴾	5	377
7	﴿ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ «	26	228
8	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ ﴾	32	352
9	﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ	37-36	278

		أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾	
		غافر	
10	﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	8	155
11	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾	28	352
12	﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾	33	278
13	﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾	39	228
14	﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	40	331
15	﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾	46	418
16	﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾	55	418
17	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	56	165

18	﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾	58	207
19	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾	64	377
	فصلت		
20	﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	4. 1	189
21	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾	29	311
22	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾	30	325
25	﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾	37	402
	الشورى		
26	﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾	11	165
27	﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾	13	202

28	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾	20	228
29	﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾	37	305
30	﴿ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ٥٠ ﴾	50-49	331
31	﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾	52	245
	الزخرف		
32	﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾	43	245
33	﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴾	68	325
	الدخان		
35	﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ﴾	18. 17	196
36	﴿ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴾	25	295
37	﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٢ ﴾	52 . 51	295
	الجاثية		
38	﴿ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	37	155
	الأحقاف		
39	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾	13	325
40	﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ	17	371

	﴿ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾		
41	﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	24	261
	محمد		
42	﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ ﴾	36	358
	الفتح		
43	﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾	2	320
44	﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾	3	245
45	﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	7	155
46	﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾	8	189
47	﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ ﴾	29	273
	ق		
48	﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾	17	432
49	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾	43	364
	الذاريات		
49	﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	15	295
50	﴿ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ ﴾	19	340
51	﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾	37	261

52	﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	51- 50	182
53	﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	56	311
	النجم		
54	﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾	32	305
55	﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾	37-36	202
56	﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾	46 -45	331
	الرحمن		
57	﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾	6-5	394
58	﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾	17	409
59	﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾	33	364
	الحديد		
60	﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	17	364
61	﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾	20	358
62	﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾	24	173
	المجادلة		
63	﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ	1	165

	تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾		
64	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾	8	299
65	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾	9	299
	الحشر		
66	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	1	377
67	﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾	8	273
68	﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ ﴾	22	266
	الممتحنة		
69	﴿وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ ﴾	4	442
70	﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦ ﴾	6	173
	الجمعة		
71	﴿ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	8	266
	التغابن		
72	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦ ﴾	6	173

73	﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	18	266
	الطلاق		
74	﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴾	7	286
	الملك		
75	﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	13	346
76	﴿ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾	26	182
	القلم		
77	﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ١٤ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	15	371
	الحاقة		
78	﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ ﴾	41. 40	196
	المعارج		
79	﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴾	21. 19	215
80	﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ ﴾	25. 24	340
81	﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ ﴾	40	409
	نوح		
82	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ ﴾	5	402

83	﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾	9. 8	346
84	﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾	9	346
85	﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾	16	394
	المزمل		
86	﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	9	409
87	﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾	20	253
	المدثر		
88	﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴾	31	278
89	﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾	37	320
	التكوير		
90	﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾	20. 19	196
	الانفطار		
91	﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾	5	320
	المطففين		
92	﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	13	371
	الانشقاق		

93	﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	24	261
	الأعلى		
94	﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴾	7	346
95	﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴾	13	364
	﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩ ﴾	19	202
96	﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ ﴾	15 -14	253
	الشمس		
97	﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤ ﴾	4-3	402
	الليل		
98	﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ ﴾	10. 4	286
	الضحى		
99	﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴾	7	278
	الشرح		
100	﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٦ ﴾	6-5	286
	البينة		
101	﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾	5	253

102	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ ﴾	7-6	215
	الزلزلة		
103	﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾	8-7	215
	العصر		
104	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾	3	207
	قريش		
105	﴿ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ﴾	4	85

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث	درجته	الصفحة
01	«إنَّ الحياءَ والإيمانَ قُرِنَا جَمِيعاً، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ»	رواه الحاكم	3
02	عن عائشة رضي الله عنها قالت: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ فَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَة وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِحَجَّة وَعُمْرَة وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِالحَجِّ وَأَهَلَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالحَجِّ فَأَمَّا مَنْ أَهَلَّ بِالحَجِّ أَوْ جَمَعَ الحَجَّ وَ العُمْرَةَ لَمْ يَحِلُّوا حَتَّى كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ»	رواه البخاري	3
03	«الآنَ حَمِيَ الوَطِيسَ»	أخرجه البيهقي	19
04	«إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»	متفق عليه	55
05	«إِنَّ الرِّفقَ لا يكُونُ فِي شيءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلا يُترع من شيء إلا شانه»	أخرجه مسلم	61
06	« إِنَّكُم لتكثرون عند الفَزَع وتقلُّون عند الطَّمع»(الخطابي في غريب الحديث»	أورده الخطابي في الغريب	59
07	«بَشِّرُوا وَلاتُنَفِّرُوا وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا»	متفق عليه	65
08	عن ابن شهاب عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنَّ رجلاً من الأنصار جاء إلى رسول الله ﷺ بجارية سوداء، فقال يا رسول الله إنَّ عليَّ رقبة مؤمنة فإن كُنْتَ تراها مؤمنة أعتقُهَا، فقال لها رسول الله ﷺ:« أتشهدين أن لا إله إلاَّ الله؟ قالت نعم، قال أتشهدين أنَّ محمداً رسول الله؟ قالت نعم. فقال رسول الله ﷺ أعتقها.»	رواه مالك	86
10	«نَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الأَضْحَى بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَكُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَادَّخِرُوا، وَنَهَيْتُكُم عَنِ الانْتِبَاذِ فَانْتَبِذُوا وُكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَّارَةِ القُبُورَ فَزُورُوهَا وَلاَ تَقُولُوا هَجْرًا»	رواه مالك	105

11	« أُحِلَّتْ لَكُم مَيْتَتَانِ وَدَمَان، فَأَمَّا المَيْتَتَان فَالحُوتُ وَالجَرَادُ،وَأَمَّا الدَّمَان فَالكَبِد وَالطِّحَال»	رواه ابن ماجه وأحمد	108
12	«نِعْمَ الرَّجُلُ هُوَ لَوْ كَانَ يُقِيمُ اللَّيْلَ»	رواه البخاري	111
13	«مفتاح الصلاة الوضوء، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»	رواه ابن الملقن	111
14	«إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُم المَسْجِدَ، فَلاَ يَجْلِس حَتَّى يُصَلِّي رَكْعَتَيْن»	رواه البخاري	112
15	«إنَّ الجَذَعَ يُوَفِّي مما يُوَفِّي منه الثَّنِيُّ»	رواه أبو داود	163
16	قال النَّبيُّ ﷺ لعائشة رضي الله عنها: هل تدري لِمَ كان قومُك رفعوا باب الكعبة؟ قالت: لا. قال: «تعزُّزُوا أنْ لاَ يَدْخُلهَا إلاَّ مَنْ أَرَادُوا. أي تكبَّروا وتشدَّدُوا على النَّاس»	رواه مسلم	164
17	«إنَّ الجَنَّةَ لِلْمُحَكَّمِينَ»	أورده ابن الأثير	165
18	عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَة، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَم بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لله فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَم تَكُن لَهُ حَسَنَة يُجزى بِهَا.»	رواه مسلم	168
19	«الكِبْرِيَاء رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَن نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»	رواه أبو داود	171
20	«أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»	رواه مسلم	180
21	«انطَلِقَا فَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا وَيَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا فَإِنَّهُ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا»	رواه مسلم	194
22	«إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»	متفق عليه	195
23	«مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ	رواه	209

	نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»	البخاري	
24	«مَن اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُم فَكَتَمَنَا مَخِيطاً فَمَا فَوْقَ كَانَ غُلُولاً يَأْتِي بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ»	رواه مسلم	209
25	«فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِن بَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»	رواه مسلم	214
26	«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ ردٌّ»	متفق عليه	214
27	«والخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»	ابن حبان	217
28	«شَرُّ مَا أُعْطِيَ ابْنُ آدَم شحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ»	متفق عليه	219
29	«إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيح لِلْخَيْرِ مَغَالِيق للشَّرِ، وإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيح للشَّرِ مغاليقَ للخير، فَطُوبَى لِمَن جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الخيرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِ عَلَى يَدَيْهِ»	رواه ابن ماجه	222
30	«أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ»	رواه مسلم	230
31	«الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِاليَوْمَ الآخِرِ وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»	رواه مسلم	231
32	«مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ، إلاَّ مثلُ مَا يَجْعَل أَحَدُكُم إِصْبعهِ هَذِهِ – وَأَشَارَ بِالسَّبَابَة– فِي اليَمِّ، فَلْيُنْظُر بِمَ يَرْجِع؟	رواه مسلم	238
33	« ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً صِرَاطاً مستقيماً، وعلى جنبَتَي الصِّرَاطَ سُورَان، فِيهِمَا أَبْوابٌ مُفَتَّحَة، وَعَلَى الأَبْوِاب سُتُورٌ مرخَاة، وَعَلَى بَاب الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاس ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلاَ تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْق الصِّرَاطَ، فَإِذَا أَرَادَ يُفْتَحُ شَيْئاً مِن تِلْكَ الأَبوَاب؛ قَالَ: وَيْحَكَ لاَ تَفْتَحْهُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ: الإِسْلاَمُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالأَبْوَابُ المُفَتَّحَة: مَحَارِمَ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كَتَاب اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ: وَاعِظ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»	أخرجه أحمد	247
34	«ما نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٌ»	رواه مسلم	273

35	«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّة، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءَ النَّارَ، وَصَلاَة الرَّجُل مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَرَأَ:«تَتَجَافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُم خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُون. فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِن قُرَّةَ أَعْيُن جَزَاء بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون»	رواه الترمذي	258
36	«السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ»	متفق عليه	282
37	«دَعْوَةُ المُؤمِن لَأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَة»	أخرجه مسلم	266
38	«إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَل رَضِيتُم؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أحداً مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَب، وَأَيُّ شَيءٍ أَفْضَل مِنْ ذَلَكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُم رِضوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُم بَعْدَهُ أبداً»	متفق عليه	275
39	«أَحْسِنُوا إِلَى أَصْحَابِي ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الذِينَ يَلُونَهُم»	رواه أحمد	300
40	«**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**»	رواه البخاري	287
41	«ثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ، وثَلاَثٌ مُنْجيَّاتٍ، وَثَلاَثُ دَرَجَاتٍ، فَأَمَّا المُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ...»	الطبراني	293
42	«أَبْشِرُوا فَقَدْ جَاءَكُم اليُسْرُ، لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»	من مراسيل الحسن البصري	294
43	«إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»	حديث حسن	303
44	«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَأُعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَأُعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ»	متفق عليه	328
45	«**الصِّيَام جُنَّةٌ**»	البخاري	338

46	«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقتَلُ ظُلماً إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنُ آدَم الأَوَّلُ كِفلٌ مِنْ ذَنْبِهِ؛ لأَنَّهُ أوّلُ من سَنَّ القَتْلَ»	متفق عليه	313
47	«لاَ تَزَالُ جَهَنَّم تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَى يَضَعُ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ قطُّ قطُّ وَعزَّتك، ويُزْوى بَعْضهَا إِلَى بَعْض»	متفق عليه	320
48	«فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُد عَلَيَّ السَّلَام، فَأَخَذَنِي مَا قَدُمَ وَمَا حَدُثَ، فَلَّمَا قَضَى رَسُول اللهِ ﷺ الصَّلاة قَالَ: وإِنَّ اللهَ يُحدِثُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاء، وَإِنَّ اللهَ قَدْ أَحْدَثَ أَنْ لاَ تَكَلَّمُوا فِي الصَّلاَة»	رواه مالك	321
49	«كَانَ يُصَلِّي حَتَّى تَتَوَرَّمَ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ غَفَرَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً»	متفق عليه	323
50	«مَن ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتُ بِشَيءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ حِجَاباً مِنَ النَّار»	أخرجه البخاري	336
51	« للسَّائِلِ حَقٌّ وَإِنْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ»	رواه مالك	340
52	«لَيْسَ المِسْكِينُ الذِي تَرُدُّهُ اللَّقْمَة وَاللُّقْمَتَانِ وَالأُكْلَة وَالأُكْلَتان وَلَكِن المِسْكِينُ الذِي لَيْسَ لَهُ غِنًى وَيَسْتَحْيِي وَلاَ يَسْأَل النَّاسَ إِلْحَافًا».	متفق عليه	341
53	«لَيْسَ المِسْكِينُ الذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَة وَالتَّمْرَتَانِ وَالأُكْلَةُ وَالأُكْلَتَانِ وَلَكِن المِسْكِين الذِي لاَ يَسْأَل النَّاسَ شَيْئًا وَلاَ يَفطنُونَ بِهِ فَيَعْطُونَهُ، وَلَكِن المِسْكِينُ المُتَعَفِّفُ مُسَدَّدُ فِي حَدِيثِهِ لَيْسَ لَهُ مَا يَسْتَغْنِي بِهِ، الذِي لاَ يَسْأَلُ وَلاَ يُعْلَمُ بِحَاجَتِهِ فيُتصدَّق عَلَيْهِ فَذَاكَ المَحْرُوم»	أخرجه مسلم	342
54	«أَحَبُّ النَّاس إِلَى اللهِ أَنْفَعُهم لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عزَّ وجلَّ سُرُورٌ تُدْخِلَهُ عَلَى مُسْلِمٍ»	الطبراي	344
55	«كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا المُجَاهِرِينَ. قَالَ: هُم الذِينَ جَاهَرُوا بِمَعَاصِيهم وَأَظْهَرُوهَا وَكَشَفُوا مَا سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِم»	متفق عليه	347
56	«مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»	متفق عليه	385
57	«إِيَّاكُمْ وَهَاتَيْنِ البَقْلَتَيْن المُنْتَنَتَيْن أَنْ تَأْكُلُوهُمَا وَتَدْخُلُونَ مَسَاجِدَنَا،	صحيح	365

	فَإِنْ كُنْتُم لاَ بَدَّ آكِلُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا بِالنَّارِ قَبْلاً»	مسلم	
58	«اعْلَمْ يَا بْنَ مَسْعُود. اعْلَمْ يَا بْنَ مسعود أنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»	مسلم	370
59	«لاَ تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِن شَرِّقُوا أَوْغَرِّبُوا»	البخاري	410
60	«لَنْ يَلِجَ النَّار أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا»	رواه مسلم	420
61	«يَتَعَاقَبُونَ فَيكِم مَلَائِكَة اللَّيْلِ وَمَلاَئِكَة النَّهَار، وَيْجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الذِينَ بَاتُوا فِيكُم فَيَسْأَلُهُم رَبُّهُم وَهُوَ أَعْلَمُ كَيْفَ تَرَكْتُم عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُم وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُم يُصَلُّونَ»	رواه البخاري	420
62	«يُعطى صَاحِبُهُ يَوْمَ القِيامَةِ الملكَ بِيَمِينِهِ وَالخُلْدَ بِشِمَالِهِ»	رواه الطبراني	434

فهرس الأشعار

الرقم	البيت	الشاعر	البحر	الصفحة
01	عَنِ المَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ مُقْتَدِي	طرفة بن العبد	الطويل	4
02	إنَّك لو كنت إلها لم تكن أنت والكلب وسط بئر في قرن	مجهول		4
03	ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا.	عمرو بن كلثوم	الوافر	15
04	قَدْ كان يُلْهِيكَ رَيَعَانُ الشَّبَابِ فَقَد وَلَّى الشَّبَابُ، وَهَذَا الشَّيْبُ مُنْتَظَرُ	مجهول	البسيط	17
05	كالقِسيِّ المُعَطَّفاتِ، بَلِ الأَ سْهُمِ مَبْرِيَّةً، بَلِ الأَوْتَارِ	البحتري	الخفيف	21
06	خلت المنازل ما بها ممن عهدت بهن صافر	مجهول	مجزوء الكامل	27
07	عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا وَقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيبُ وَازِعُ	النابغة الذبياني	الطويل	51
08	تَذَكَّرَ مَا تَذَكَّرَ مِنْ سُلَيْمَى عَلَى حِينَ التَّواصُلُ غَيْرُ دَانِ	مجهول	الوافر	51
09	فإذا حاربوا أذلوا عزيزا وإذا سالموا أعزوا ذليلاً	البحتري	الطويل	61
10	أَزُورُهُمْ وَسَوادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْثَنِي وَبَيَاضُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي	المتنبي	البسيط	61
11	أقلِّبُ فيه أجفاني كأنِّي أعُدُّ به على الدهر الذُّنُوبا.	المتنبي	الوافر	62
12	وَلاَ بُدَّ لِي مِنْ جَهْلَةٍ فِي وِصَالِهِ فَهَلْ مِنْ حَلِيمٍ أُودِعُ الحِلْمَ عِنْدَهُ	ابن نباتة السعدي	الطويل	62
13	خَاطَ لي عمرو قَبَاءَ ليتَ عَيْنَيْه سَوَاءْ فسل الناس جميعاً أمديح أم هجاءْ	بشار بن برد	مجزوء الرمل	63
14	مَا مَات من كرم الزمان فإنه يحيا لدى يحيى بن عبد الله	أبو تمام	الكامل	64
15	علا نجمه في عالم الشعر فجأة على أنه ما زال في الشعر شادياً	مجهول	الطويل	64
16	إذا ملك لم يكن ذا هبهْ فدعه، فدولته ذاهبه	أبو الفتح البستي	المتقارب	64
17	إذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِيَ الهَوَى أَصَاخَتْ إِلَى الوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الهَجْرُ	البحتري	الطويل	65
18	أكْرِمْ بِهِ أَصْفَر راقَتْ صُفْرَتُهُ، تَبّاً لَهُ مِنْ خَادِعٍ مُمارِقِ.	الحريري	الرجز	67

19	وَقَدْ أَتَنَاسَى الهمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بِنَاجٍ عَلَيْهِ الصَّيْعَرِيَةُ مُكْدِمِ	المسيب بن علس	الطويل	68
20	كأن سهيلاً والنجومُ وراءه صُفوفُ صلاةٍ قام فيها إمامُها	مجهول	الطويل	95
21	وكأن أجرام النجوم لوامعا دُرَرٌ نُثِرْنَ على بساطٍ أزرقِ	أبو طالب الرقي	الكامل	95
22	فَإِذَا شَكَا فَالقَلْبُ بَرْقٌ خَافِقٌ ... وَإِذَا بَكَى فَدُمُوعه الأَمْطَارُ			96
23	تأخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا	الحصين بن حمام الفزازي	الطويل	97
24	بَارِكَ اللهُ للحسن وَلِبُوران فِي الخَتَنْ يَا إِمَامَ الهُدى ظَفَرْ تَ ولَكِنْ بِبِنْتِ مَنْ	مجهول	مجزوء الخفيف	97
25	كالقسي المعطفات بل الأســـــ هم مبرية بل الأوتار	البحتري	الخفيف	98
26	أنتمُ بَنُو طه ونُون والضُّحى وبَنُو تَبَارَكَ فِي الكتاب المُحْكَمِ وبَنُو الأباطحِ والمشاعرِ والصَّفا والركنِ والبيت العتيق وزمزم	أبو الهدى الصيادي	الكامل	98
27	كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَ يَابِساً لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ وَ الحَشَفُ البَالِي	امرؤ القيس	الطويل	99
28	كَأَنَّما النَّقْعُ يوماً فَوْقَ رُؤُوسِهم سقفٌ كَوَاكِبَهُ البيضُ المباتِيرُ	بشار بن برد	الطويل	99
29	إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْماً فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرَتِ القُرْبَى فَفَاضتْ دُمُوعُهَا	البحتري	الطويل	100
30	هَضِيمُ الحَشَا لاَ يَمْلأُ الكَفَّ خَصْرُهَا وَيَمْلأُ مِنْهَا كُلَّ حِجْلٍ وَدُمْلُجِ	امرؤ القيس	الطويل	101
31	ولاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ	النابغة الذبياني	الطويل	101
32	فَحَرِيقُ جَمْرَةِ سَيْفِهِ لِلْمُعْتَدِي وَرَحِيقُ خَمْرَةِ سَيْبِهِ لِلْمُعْتَفِي	ابن النبيه	الكامل	101
33	أَقُولُ لَهَا وَدَمْعُ العَيْنِ جَارٍ أَلَمْ يَحْزُنْكِ حَيْعَلَةُ المُنَادِي؟	البيت بلا نسبة	الوافر	123
34	ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمة لأنّى توجه والمحروم محروم	علقمة		127
35	ما أحسن الدينَ والدنيا إذا اجْتَمَعا وأقبح الكُفْرَ والإفلاسَ بالرَّجُلِ	أبو العتاهية	البسيط	128
36	وهو الغني بذاته فغناه ذا تيٍّ له كالجود والإحسان	ابن القيم	الكامل	174
37	وهو الحميد فكل حمد واقع أو كان مفروضا مدى الأزمان	ابن القيم	الكامل	175

38	نذير ولكنه صامت وضيف ولكنه شامت واشخاص موت ولكنه إلى من يودعه ثابت	بديع الزمان الهمذاني	المتقارب	182
39	وَرَأَت بِأَنَّ الشّيبَ جَــا نَبَهُ البَشَاشَةُ وَالبشَارَةُ	الأعشى	الكامل	190
40	أَلاَ أبلِغ أبا حفصٍ رسولاً فِدًى لَكَ مِن أخِي ثقة إزاري	مجهول	الوافر	197
41	يَا عُمَرَ الخَيْرَاتِ وَالمَكَارِمِ إِنِّي إمْرُؤٌ مِنْ قَطَن بن دَارِمِ أطْلُبُ دَيْنِي مِنْ أَخٍ مُكَارِمِ	دكين بن سعيد الدرامي	الرجز	198
42	ولا قيتُ الخُيُورَ وأخطأتني ....خُطُوبٌ جَمَّةٌ وعلوتُ قِرْني	النمر بن تولب العكلي	الوافر	216
43	خُذَا بطن هَرشي أو قفاها فإنه كلا جانبي هرشي لهن طريق	عقيل بن علفة المري	الطويل	223
44	قِفِ العِيسَ في آثارِ مَيَّةَ واسْأَلِ رُسُوماً كَأَخْلاَقِ الرِّداءْ المُسَلْسَلِ	ذي الرمة	الطويل	226
45	أميرُ المؤمنين على صِراطٍ إذا اعْوَجَّ الموارِدُ مُسْتَقِيمِ	جرير	الوافر	246
46	تقول بِنْتِي وقد قرَّبْتُ مُرْتَحَلاً يا ربِّ جَنِّبْ أَبِي الأَوْصَابَ وَ الوَجَعَا عَلَيْكِ مثلُ الذي صَلَّيْتِ فاغتمضي يوْمًا فإنَّ لجنبِ المرءِ مُضْطَجَعَا	الأعشى	البسيط	253
47	وخَلْفَها سَائِقٌ يَحْدُو إذا خَشِيت منه العَذَابَ تَمُدُّ الصُّلبَ والعُنُقَا	زهير بن أبي سلمى	البسيط	261
48	وأعْلَمُ ما في اليَومِ وَ الأَمسِ قَبْلَهُ ولَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا في غَدٍ عَمِ	زهير بن أبي سلمى	الطويل	271
49	لا تَحْرِمَنِّي هَدَاكِ اللهُ مسألتي ولا أكُونَنْ كَمَنْ أَوْدَى بِهِ السَّفَرُ	بيت بلا نسبة	البسيط	279
50	لا تُعجلَّني هَدَاكِ المَلِيكُ فإنَّ لكل كقامٍ مَقَالاً	الحطيئة	المتقارب	279
51	مَنْ هَدَاهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ البَالِ، وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ	لبيد بن ربيعة	الرمل	280
52	أرى الموت يعتامُ الكرامَ، ويصطفي عقيلة مالِ الفاحشِ المتشدِّدِ.	طرفة بن العبد البكري	الطويل	306

53	أُولَئِكَ فَابْكِي لاَ أَبَا لَكِ وانْدُبِي أبا حازِمٍ، في كلِّ يومٍ مُذَكَّرِ	لبيد بن ربيعة العامري	الطويل	332
54	ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الأسباب والداء واحد.	ابن نباتة السعدي	الطويل	339
55	وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعتُ من لهْو بها غيرَ معجَل	امرؤ القيس	الطويل	359
56	حيَّاكَ ربي فإنا لا يحل لنا لَهْوُ النساء وإن الدِّين قد عَزَمَا	النابغة الذبياني	البسيط	359
57	وحبُّ الفتى طول الحياة يذله إن كان فيه نخوةٌ وعُرَامُ	أبو العلاء المعري	الطويل	362
58	عَلَى أن قَدْ سَمَا طَرْفِي لِنَارٍ يُشَبُّ لها بِذِي الأَرْطَى وَقُودُ	المرقش الأكبر	الوافر	377
59	سَمَوتُ إليها بَعْدَ مَا نَامَ أهلُها سُمُوَّ حبَابِ الماءِ حَالاً على حالِ	امرؤ القيس	الطويل	378
60	لَوْ نَالَ حَيٌّ من الدّنيا بمنزلةٍ أفقَ السَّماءِلنَالَت كَفُّهُ الأُفُقَا	زهير بن أبي سلمى	البسيط	378
61	إذا سَقَطَ السَّمَاءُ بأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وإن كانوا غِضَابًا	معاوية بن مالك	الوافر	378
62	جَرَت سُنُحًا فقلتُ لها: أجيزي نَوىً شمولة فمتى اللقاء	زهير بن أبي سلمى	الوافر	434

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أ. المصادر:

- **ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)**

1.الإتباع والمزاوجة، تح: كمال مصطفى، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.دط

2.الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها.دار الكتب العلمية.بيروت.ط1. 1997.

3.مقاييس اللغة: تح: عبد السلام هارون. دار الفكر للطباعة والنشر.ط1979.

- **أبو البقاء الكفوي (أيوب بن موسى الحسيني الكفوي)**

4. الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.ط2. 1998.

- **أبو علي القالي.**

5. كتاب الأمالي، دت، دط، الهيئة المصرية للكتاب.

- **أبو السعود (محمد بن محمد العمادي)**

6.تفسير أبو السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- **ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب بن اسحاق).**

7.إصلاح المنطق. تح: أحمد محمد شاكر. عبد السلام هارون. دار المعارف. مصر.

- **ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي)**

8.تفسير القرآن العظيم، تح: محمود بن الجميل، مؤسسة زاد، مصر، ط1. 2013.

- **ابن علان (محمد بن علان الصديقي)**

9.الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.ط2004.

- **ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جنّي)**

10.الخصائص. تح: محمد علي النجار. دار الهدى.بيروت، لبنان.ط2. 1952.

- **ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)**

11.لسان العرب. دار صادر. بيروت. لبنان.

- **الإمام مسلم (أبو الحسن مسلم بن حجاج القشيري النيسبوري)**

12.صحيح مسلم: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض. المملكة العربية السعودية، ط1. 2006.

- **ابن أبي الأصبع المصري (عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الأصبع).**

13. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. تح: حفني محمد شرف.دط.

- **ابن الأثير (ضياء الدين بن أبي حديد)**

14. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار النهضة للطباعة والنشر. القاهرة. مصر.

- **ابن حجة الحموي (أبو بكر محمد بن علي)**

15.خزانة الأدب وغاية الأرب، المكتبة العصرية. بيروت. لبنان، ط1. 2006.

- **أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي)**

16. تفسير البحر المحيط. تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، ط1. 1993.

- **أحمد بن تيمية**

17. الفتاوى الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1. 1987.

- **أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحي بن مهران)**

18. الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دط. دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

19.كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر). تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1. 1952.

- **ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمود بن أحمد الكناني)**

20.الفتح الباري في شرح صحيح البخاري.تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز. دط. المكتبة السلفية

21.إتحاف القارئ باختصار فتح الباري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1. 1993.

- **ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل)**

22. المخصص، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

23.المحكم والمحيط في اللغة، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.لبنان،ط1. 2000.

- **ابن جرير الطبري (أبو جعفر محمد)**

24. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تح:عبد الله بن عبد المحسن التركي. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. القاهرة، مصر.

- **ابن عطية الأندلسي (أبو محمد عبد الحق)**

25.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تح:عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.تح: السيد بن عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1. 2001.

- **ابن القيم الجوزية (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب)**

26. بدائع الفوائد. تح: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد. مكة المكرمة، ط2. 1427ه.

27. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. تح: الحساني حسن عبد الله، دار التراث. القاهرة.

28.تحفة المودود بأحكام المولود. تح:عثمان بن جمعة ضميرية. دار عالم الفوائد. جدة

29.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تح: ناصر بن سلمان السعوي. صالح بن عبد العزيز التويجري، دار الصميعي . المملكة العربية السعودية، ط1. 2011.

30.الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء. تح: بسام علي سلامة العموش. دار ابن تيمية. الرياض.ط1. 1986.

31.الكافية الشافية في الإنتصار للفرقة الناجية. تح: محمد عبد الرحمان العريفي، دار عالم الفوائد. مكة، المملكة العربية السعودية،ط1. 1428ه.

- **ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد)**

32.الحجة في القراءات السبع. تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق. بيروت. لبنان.ط1. 1410ه.

- **ابن جزي (أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي)**

33.التسهيل في علوم التنزيل. تح: علي بن حمد الصالحي. ط1. 2018.

- **أبو البقاء الكفوي (أيوب بن موسى الحسيني الكفوي)**

34. الكليات. د ت، مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان، ط2. 1998.

- **ابن الأثير (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير)**

35. النهاية في غريب الحديث والأثر. تح: محمود محمد الطناحي و كاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية،ط1. 1963.

36.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دط. دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

- **ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد بن سعيد بن حزم)**

37.الفصل في الملل والأهواء والنحل، المطبعة الأدبية، مصر، ط1. 1317ه.

- **ابن رجب الحنبلي (زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب)**

38.جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، مؤسسة الرسالة.بيروت،ط1. 2004.

- **أبو سليمان الخطابي (حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب الخطابي).**

39. شأن الدعاء، تح: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، ط3. 1992.

- **ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري)**

40.جامع البيان والعلم وفضله:تح:أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط1. 1994.

- **ابن كثير (عماد الدِّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير)**

41.تفسير القرآن العظيم. تح: محمود بن الجميل، مؤسسة زاد. القاهرة. مصر، ط1. 2013.

42.قصص الأنبياء،تح: مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ط3. 1988.

- **ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم بن دعامة الانباري)**

43.كتاب الأضداد.تح: محمد إبراهيم أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1987.

44.الزاهر في معاني كلمات الناس، تح: حاتم الضامن، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد، ط2. 1987.

45.الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين،دط. دت.

- **ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد)**

46.كتاب جمهرة اللغة: تح رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1. 1987.

- **أبو حامد الغزالي (محمد بن محمد الغزالي الطوسي)**

47.المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى. دط. دت.

- **ابن الأثير الحلبي (نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي)**

48.جوهر الكنز(تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة)تح:محمد زغلول سلام،دط،منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، مصر.

- **الألوسي (محمود شكري الألوسي البغدادي)**

49.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.دار التراث العربي. بيروت. لبنان.

- **الآمدي (علي بن محمد الآمدي)**

50. الإحكام في أصول الأحكام، دار الصميعي. الرياض. السعودية، ط1. 2003.

- **الأصمعي(أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي الباهلي)**

51.الأصمعيات، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، بيورت لبنان، ط5.

- **الإسكافي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني).**

52.درة التنزيل وغرة التأويل. تح: محمد مصطفى آيدين، ط1. جامعة أم القرى مكة المكرمة.

- **البقاعي (إبراهيم بن عمر بن حسن بن علي بن أبي بكر البقاعي)**

53.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. دار الكتاب الإسلامي. القاهرة.

- **البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي)**

54.كتاب أسماء الله وصفاته العليا: تح:أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، ط1. 2005.

- **البيضاوي (عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي)**

55.أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البضاوي. دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي. بيروت. لبنان.

- **البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري)**

56.صحيح البخاري، تح: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر.

- **الثعالبي (أبو منصور الثعالبي)**

57. كتاب فقه اللغة وسرّ العربية. تح: فائز محمد. واميل يعقوب، دار الكتاب العربي. بيروت. ط4. 1999.

58. **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**.تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف. مصر. دط. دت

59. سحر البلاغة وسر البراعة. دط، دتح.

- **الثعالبي (عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي)**

60.تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن. تح: عبد الفتاح أبو سنة، دار إحياء التراث العربي. مؤسسة التاريخ العربي. بيروت. لبنان، ط1. 1997.

- **الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)**

61. البيان والتبيين. تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي. القاهرة، ط7. 1998.

- **الجوهري (اسماعيل بن حمَّاد).**

62.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة. دار الملايين، بيروت، لبنان، ط1. 1956.

- **الحسن إليوسي.**

63.زهرة الأكم في الأمثال والحكم، تح: محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، المغرب.

- **الحليمي**

64. المنهاج في شعب الإيمان، تح:حليمي محمد فوده، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط1. 1979.

***الخليل بن أحمد الفراهيدي.**

65.كتاب العين مرتبا على حروف المعجم. تح: عبد الحميد الهنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 2003.

***الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي).**

66. غريب الحديث: تح:عبد الكريم إبراهيم العزباوي، دتح، دار الفكر، دمشق، ط1982.

- **الخطيب التبريزي: (أبو زكرياء يحي بن علي بن محمد الشيباني التبريزي)**

67. مشكاة المصابيح، دار العربي. بيروت. لبنان، ط1. 1988.

- **الخازن (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي)**

68.تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، ت: عبد السلام محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1. 2004.

- **الدمغاني (الحسين بن محمد).**

69.قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تح: عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4. 1983.

- **الدمشقي(محمد أمين سُويد)**

70. تسهيل الحصول على قواعد الأصول،تح:مصطفى سعد الخن،دار القلم،دمشق،سوريا،ط1. 1991.

* **الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد).**

71. المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث، مكتبة:نزار مصطفى الباز.

72. مفردات ألفاظ القرآن. تح: صفوان عدنان داوودي. دار القلم. دمشق. ط4. 2009.

- **الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني:**

73.ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.تح:محمد خلف الله أحمد،محمد زغلول سلام، دط، دار المعارف، مصر،24.

- **الرازي (أبو عبد محمد بن عمر بن علي الرازي فخر الدين)**

74.التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. المحصول في علوم الأصول. تح:طه جابر العلواني. مؤسسة الرسالة، ط1. 1981.

- **رشيد الدين محمد العمري**

75.حدائق السحر في دقائق الشعر، تح: إبراهيم أمين الشواربي، طباعة المركز القومي للترجمة. القاهرة، مصر.

- **الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي)**

76. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل، دار المعرفة. بيروت. لبنان، ط3. 2009.

77. أساس البلاغة: تح: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان، ط1. 1998.

- **الزجاج (أبو إسحاق إبراهيم بن السري).**

78.معاني القرآن وإعرابه. تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب. بيروت. لبنان، ط1. 1988.

79.تفسير أسماء الله الحسنى، تح: أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، بيروت،ط2. 1979.

- **الزّبيدي (محمد مرتضى الحسيني الزبيدي)**

80. تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الفتاح الحلو. مطبعة حكومة الكويت. 1986.

- **الزركشي (بدر الدين)**

81. البرهان في علوم القرآن. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث. القاهرة. مصر، ط3. 1984.

82.البحر المحيط في أصول الفقه،تح:عبد القادر عبد الله العاني،دارالصفوة،الغردقة،مصر،ط2 1992.

- **سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي):**

83. الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3. 1988.

- **السيوطي (جلال الدين السيوطي)**

84.المزهر في علوم اللغة وأنواعها. تح: محمد عبد الرحيم، دار الفكر.بيروت. لبنان، ط1. 2010.

85.الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. المملكة العربية السعودية.

86.معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي محمد الميحاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.

- **السمين الحلبي (أحمد يوسف).**

87.الدر المصون في علوم الكتاب المكنون.تح: أحمد محمد الخراط. دار القلم. دمشق.

88.عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1. 1996.

- **السكاكي (يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي).**

89.مفتاح العلوم:تح: نعيم زرزور، ط2. 1987.

- **السبكي (تاج الدين أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي)**

90.رفع الحجاب عن مختصر ابن الحاجب. تح:علي محمد عوض، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1. 1999.

- **الشريف الجرجاني.**

91. معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.

- **الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الصنعاني)**

92.فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير. من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد . المملكة العربية السعودية، دار النوادر. الكويت، ط2010.

93.إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تح:سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، الرياض، ط1. 2000.

- **الشريف المرتضى**

94.أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1. 1954.

- **الشافعي (محمد بن إدريس الشافعي)**

95.الرسالة.تح: أحمد محمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1. 1940.

- **الطيبي (شرف الدين الحسين بن عبد الله)**

96.فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب وهو حاشية الطيبي على الكشاف، ط1. 2013.دبي.

***عبد القاهر الجرجاني**

97. دلائل الإعجاز، تح:محمود محمد شاكر،مطبعة المدني، مصر، ط3. 1992.

- **عبد الرحمن الإيجي (أبو الفضل عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار)**

98.شرح مختصر المنتهى الأصولي لابن الحاجب، ت: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، دط.

- **الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي)**

99.القاموس المحيط. تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8. 2005.

- **الفراء (أبو زكرياء يحي بن زياد)**

100.معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3. 1983.

- **الفيومي (أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ)**

101.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط1987.

- **القشيري (أبو القاسم عبد الكريم)**

102.شرح أسماء الله الحسنى، دار آزال، ط2. 1986.

- **القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي)**

103. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان. تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان، ط1. 2006.

***القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد)**

104. الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. التلخيص في علوم البلاغة: دار الفكر العربي، ط1. 2003.

105.التلخيص في علوم البلاغة.

- **القاسمي (جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي)**

106.تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، دار الفكر. بيروت. لبنان، ط2. 1978.

- **الكرماني (أبو القاسم برهان الدين الكرماني محمود بن حمزة)**

107.أسرار التكرار في القرآن الكريم، تح: خيري سعيد، دط، دار التوفيقية للتراث، القاهرة.

- **المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)**

108.ما اتفق لفظه واختلف معناه، تح:أحمد محمد سليمان أبو رعد، ط1. 1989، الكويت.

- **الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري)**

109.النكت والعيون. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.دط. دت.

- **المفضل الضبي (أبو العباس المفضل بن محمد بن علي بن عامر الضبي)**

110.المفضليات، تح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، بيروت. لبنان، ط6.

- **المعجم الوسيط.**

111.مجمع اللغة العربية مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط4. 2004.

- **المراغي (أحمد مصطفى)**

112.تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ط1. 1946.

113.علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3. 1993.

- **مالك بن أنس (أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني)**

114.كتاب الموطأ، دار الأفاق الجديدة بيروت لبنان، ط2. 1981.

- **المناوي (حمد عبد الرؤوف)**

115. التوقيف على مهمات التعاريف، ت: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط1. 1990.

- **النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد محمود النسفي)**

116.مدارك التنزيل وحقائق التأويل.(تفسير النسفي).تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب. بيروت. لبنان، ط1. 1998.

- **النووي (أبو زكريا يحي بن شريف الحزامي النووي الشافعي)**

117.الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، تح:أحمد عبد الله باجور، دار الريان للثراث، الدار المصرية اللبنانية، ط1. 1988.

- **الهمداني (عبد الرحمان بن عيسى بن حماد)**

118.كتاب الألفاظ الكتابية، تح: البدراوي زهران، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط3. 1989.

ب_ المراجع:

- **أبو بكر جابر الجزائري**

1.أسرار التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط3. 1997

- **أحمد مختار عمر.**

2.علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5. 1998.

3.معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب. القاهرة. مصر، ط1. 2008.

4.أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة. مكتبة لسان العرب.طبعة خاصة من عالم الكتب لمكتبة الأسرة 2000.

5.المكتز الكبير: معجم شامل للمجالات والمترادفات والمتضادات ط1. 2000.الرياض.

- **أبو شادي الروبي.**

6.معجم المصطلحات الطبية.

- **ابن عمر عبد الرزاق**

7.المتلازمات اللفظية والقواميس العربية. دط. مجمع الأطرش للنشر. تونس، 2007.

- **إنعام فوال عكاوي**

8.المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني). دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

- **إبراهيم أنيس**

9.من أسرار العربية، مكتبة الأنجلو المصرية.ط3. 1978.

10.في اللهجات العربية. مكتبة الأنجلو المصرية، ط8. 1992.

11.الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5. 1975.

- **إبراهيم اليازجي**

12.نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والوارد. دط.

- **إبراهيم محمد الجرمي**

13.معجم علوم القرآن، دار القلم. دمشق، ط1. 2001.

- **أحمد مطلوب**

14.أساليب بلاغية (الفصاحة، البلاغة، المعاني). وكالة المطبوعات. الكويت.ط1.

- **أحمد بن عقيلة المكي.**

15الزيادة والإحسان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1. 2006.

- **إيميل بديع يعقوب**

16. فقه اللغة العربية وخصائصها، مكتبة الخانجي. القاهرة. مصر، ط6. 1999.

17.المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، ط1. 1987.

***الأزهر الزناد**

18.نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، ط1. 1993.

- **إبراهيم السامرائي**

19.الفعل وزمانه وأبنيته.مطبعة العاني، بغداد، ط1966.

- **أبو الهدى الصيادي:**

20.الأسرار الإلهية شرح القصيدة الرفاعية في مدح السيد أحمد الرفاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- **أحمد المرزوقي**

21.كتاب الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

- **بركات يوسف هبود**

22.شرح شذور الذهب، دار الفكر، بيروت لبنان، ط1، 2005،

- **تمام حسان**

23.اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

24.اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، بيروت، ط4. 2004.

25.البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط1. 1993.

- **جميل عبد المجيد**

26.البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.ط1998.

- **جيران مسعود**

27.الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7. 1992.

- **حسن غزالة**

28.قاموس دار العلم للمتلازمات اللفظية والقواميس العربية، مجمع الأطرش، تونس.

29.قاموس الأسلوبية والبلاغة (انجليزي عربي، عربي انجليزي)، دط، منشورات: ELGA، 2000.

- **خليل أحمد عمامرة**

30.في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، دار عالم المعرفة، جدة، ط1، 1984.

- **دعبل الخزاعي (أبو علي بن علي بن رزين الخزاعي)**

31.ديوان دعبل الخزاعي، دط، دتح.

- **رمضان عبد التواب**

32.فصول في فقه اللغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط6، 1999.

- **السيد أحمد الهاشمي**

33.جواهر البلاغة، دار ابن الجوزي. القاهرة. مصر، ط1. 2010.

- **سيد قطب**

34.في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط15، 1988.

- **سالم سليمان الخماش**

35.المعجم وعلم الدلالة، مقع لسان العرب wwww. Khamah.cjb.net

- **سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري**

36.شرح المختصر في أصول الفقه لابن اللحام، دار كنوز، اشبيليا، الرياض، ط1، 2007.

- **سعيد حسن البحيري**

37.دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.ط1999.

- **سامي عوض:**

38.معجم المصطلحات العسكرية، دار أسامة، الأردن.ط1. 2008.

- **السيد سابق:**

39.العقائد الإسلامية، دط، دار الكتاب العربي.بيروت.دط.

- **شاهر جمال آغا:**

40.الأرض في القرآن، دار الكتاب الثقافي، الأردن، ط. 2005.

- **الطاهر بن عبد السلام هاشم حافظ:**

41.معجم الحافظ للمتصاحبات العربية (عربي، انجليزي) بيروت، لبنان، ط1، 2004.

- **الطاهر بن عاشور:**

42.تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، دط، تونس، ط1984.

- **عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.**

43.معارج التفكر ودقائق التدبر (تفسير تدبري للقرآن الكريم بحسب ترتيب النزول وفق منهج كتاب" قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل" دار القلم، دمشق. سوريا، ط1. 2006.

44.البلاغة أسسها وعلومها وأفنانها، دار القلم، دمشق، ط1. 1996.

- **عبد الحميد بن باديس**

45. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير،تح:أبو عبد الرحمن محمود،دار الرشيد،الجزائر،ط1. 2009.

- **عبد الرحمن بن ناصر السعدي**

46.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

- **عبد الفتاح لاشين.**

47. من أسرار التعبير القرآني (صفاء الكلمة)، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1983.

- **علي أحمد عبد العال الطهطاوي**

48. منهاج الأبرار شرح ما ورد في سجود السهو وصلاة أهل الأعذار من الكتب الستة وموطأ مالك، دار الكتب العلمية، بيروت.دط.

- **عباس حسن**

49.النحو الوافي، دار المعارف، ط15.

- **عبد المتعال الصعيدي**

50. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط8، القاهرة.

- **علي عبد الواحد وافي**

51.فقه اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 2004.

- **عبد الفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى**

52.الإفصاح في فقه اللغة، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1. 1929.

- **عدنان ضيف الله الشوابكة**

53.القواعد الأصولية تأصيل وتطبيق، دار النفائس، الأردن، ط1، 2011،

- **عبد الوهاب عبد السلام طويلة**

54.أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام، القاهرة، مصر، ط2، 2000.

- **عبد الرحمان الغرياني**

55.مدونة الفقه المالكي، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، ط1. 2002.

- **عائشة بنت عبد الرحمن بنت الشاطئ**

56 التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، ط7.

- **عبد العزيز قلقيلة**

57.البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، 1992.

- **عبد الغفار حامد هلال**

58.علم الدلالة اللغوية، دار الكتاب الحديث، ط1.

- **عزة شبل محمد**

59.علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009.

- **عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني**

60.البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، ط1، 1996.

- **عبد العظيم إبراهيم محمد مصطفى المطعني**

61.خصائص التعبير القرآني وسمته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1. 1992.

- **عبد الحميد القاهي**

62.مفردات القرآن (نظرات جديدة في تفسير ألفاظ القرآن) ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1. 2002.

- **عبد العزيز محمد حسن**

63. المصاحبة في التعبير اللغوي، دار الفكر العربي، ط: 1990.

- **عبد العزيز عتيق**

64.علم المعاني ، دار النهضة العربية، ط 1985، بيروت.

- **عباس حسن**

65.النحو الوافي، دط.

- **عبد الله بن الداوود.**

66.متعة الحديث (موسوعة شاملة للأمثال والحكم والأشعار والنوادر والطرائف)، دار الرواد للنشر، الرياض، ط17. 2008.

- **عودة خليل أبو عودة**

67. التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن، دراسة دلالية مقارنة، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1. 1985.

- **عمر سليمان الأشقر**

68. خصائص الشريعة الإسلامية، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1. 1982.

- **عزيزة فوال يابتي**

69.المعجم المفصل في النحو العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1. 1992.

- **فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي**

70.دراسات في علوم القرآن، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط14. 2005.

- **فاخر عاقل**

71. التربية قديمها وحديثها، دار الملايين ، بيروت لبنان، ط2. 1974.

- **فاضل السامرائي**

72.على طريق التفسير البياني، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط2002.

73. التعبير القرآن، دار عمار، عمان. الأردن، ط4. 2006.

- **قسطاس إبراهيم النعيمي**

74. التقديم والتأخير في القرآن، مركز البحوث في الإعجاز البلاغي، جامعة الإيمان، اليمن.

* **فيصل بن عبده قائد الحاشدي**

75.تسهيل البلاغة، دط، دار الإيمان، الأسكندرية، مصر.دط.

- **كريم زكي حسام**

76.التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه.دط.

- **كمال بشر**

77.علم الأصوات:دط، دار غريب، القاهرة، ط2000.

- **محمد متولي الشعراوي**

78. تفسير الشعراوي، دار أخبار اليوم، القاهرة، مصر، ط1991.

- **محمد أحمد أبو الفرج**

79.المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، ط 1966.

- **محمد بن لطفي الصباغ**

80.لمحات في علوم القرآن، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3. 1990.

- **محمد الأمين الهرري**

81.تفسير حدائق الروح والريحان، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط1. 2001.

- **محمود صافي**

82.الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط3. 1995.

- **محمد علي الصابوني**

81.صفوة التفاسير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1. 1995.

- **محمد محي الدين عبد الحميد**

82. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الطلائع، القاهرة، ط2009.

- **محمود بن حمزة الكرماني**

83.أسرار التكرار في القرآن الكريم، دار التوفقية للتراث، القاهرة.دط.

- **محمود فهمي حجازي**

84.مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، مصر، دط.

- **مصطفى جمال الدين**

85.البحث النحوي عند الأصوليين، من منشورات دار الهجرة، إيران.ط2. 1405ه.

- **محمد أسعد النادري**

86.نحو اللغة العربية (كتاب في قواعد النحو والصرف)، المكتبة العصرية، بيروت.

- **محمد عبد المطلب**

87.البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1. 1994.

- **محمد يونس علي**

88.مقدمة في علم الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.ط1.

89.وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية – دراسة حول المعنى وظلال المعنى- من منشورات جامعة الفاتح. 1993.

- **محمود السعران**

90.علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دط، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

- **محمد خطابي**

91.لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، المغرب.ط2. 2006.

- **محمود عكاشة**

92.الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2000.

- **محمد صادق قمحاوي**

93.البرهان في تجويد القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1. 1985.

- **محمد عبد المجيد الزميتي**

94.أسماء الله الحسنى ومرادفاتها وتأويلاتها، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط3. 1998.

- **محمد أحمد قاسم محي الدِّين ديب**

95.علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1. 2003.

- **مناع القطان**

96.مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، ط3. 2000.

- **محمد قلعجي**

97. معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2. 1988.

- **مبارك مبارك**

98.معجم المصطلحات الألسنية (فرنسي، انجليزي، عربي)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1. 1995.

- **محمد عميم الإحسان مجددي البركتي**

99. التعريفات الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1. 2003.

- **موريس أسعد شربل، رشيد فرحات**

100.موسوعة الكون والفضاء والأرض، دار الفكر العربي. بيروت، ط1. 1999.

- **محمد باسل الطائي**

101.صيرورة الكون (مدارج العلم ومعارج الإيمان)، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط2010.

- **المعلم بطرس البستاني**

102.محيط المحيط، قاموس مطول للغة العربية، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، دط.

- **النواوي محمد صالح**

103.مقدمة في علم الفلك، دار جامعة الملك سعود للنشر، ط1. 1432ه.

- **نور الهدى لوشن**

104.مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الشارقة، ط1.

- **نعمة رحيم العزاوي**

105.النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، دار الحرية، بغداد، ط1987.

- **وهبة الزحيلي**

106.أصول الفقه الإسلامي، دط، دار الفكر، الجزائر، دار الفكر، دمشق.ط1. 1986.

- **يوسف القرضاوي**

107. فقه الصيام، دار الانتفاضة للنشر، الجزائر، ط2. 1995.

ت_ دواوين شعرية:

1.ديوان امرؤ القيس، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط4. 1984.

2.ديوان أبو العتاهية، دت، دار بيروت، بيروت، ط1986.

3.ديوان أبي فراس الحمداني، شرح: الخليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2. 1994.

4.ديوان أبو الفتح البستي،تح: درية الخطيب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق 1989.

5.ديوان البحتري.تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط3.

6.ديوان بديع الزمان الهمداني،تح:يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط3. 2003.

7.ديوان الحماسة، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1. 1998.

8.ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3. 2003.

9.ديوان عمر بن كلثوم، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان، ط1. 1991.

10.ديوان علقمة الفحل، شرح السيد أحمد الصقر، مكتبة المحمودية التجارية، القاهرة.

11.ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دتح، دط، دار صادر، بيروت.

12.ديوان المتنبي، جمع: عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، العراق، دط، دت.

13.ديوان المسيب بن علس، تح: عبد الرحمن محمد بن الوصيفي، مكتبة الآداب،ط1. 2003.

14.ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3. 1996.

15.ديوان النمر بن تولب العكلي، تح: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1. 2000.

16.ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1. 1988.

ث. المقالات والمجلات والرسائل الجامعية:

- **أحمد شحادات:**

1. مفهوم المتلازمات الاصطلاحية (دراسة تطبيقية في معجم المتقن) مقال من موقع: majdi-faqeehyaho com

- **رضوان القضماني**

2. مدخل إلى اللسانيات، منشورات جامعة البعث، مديرية الكتب والمطبوعات،1988، 1989.

***الزهراء منى**

3.ظاهرة التضاد في لفة التضاد وأثرها في تفسير القرآن، رسالة ماجيستر، جامعة الجزائر.

- **صلاح الدين سعد حسين**

4. التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي. رسالة ذكتوراه، جامعة تشرين سوريا، 2009.

- **عبد الفتاح الحسني**

5.المصاحبة اللفوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن. رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، مصر.2007.

- **علوش كمال**

6.نظرية الرصف وآفاق بناء معجم تاريخي للتعبير الاصطلاحي العربي، مجلة الأثر، العدد23. 2015.

- **علي هاني يوسف**

7.تحقيق معنى (عذاب أليم) وبيان صحة مذهب الجمهور خلافا للزمخشري، مقال إلكتروني.

- **محمد علوان لطيف**

8.تخصيص الصفة بالموصوف في آيات العذاب في القرآن، مجلة آداب الفراهيدي، العدد32. 2018.

- **محمد شاكر ناصر الربيعي وأحمد جاسم مسلم الجنابي**

9. الأشكال البديعية في ضوء انسجام النص في القرآن، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، العدد17، سنة2014.

- **محمد السيد عبد الرزاق**

10. الإعجاز البلاغي في التقديم والتأخير، مقال منشور بمركز تفسير للدراسات القرآنية (موقع الكتروني)

- **محمد علا.**

11.ثنائيات في القرآن دراسة في الخصائص المنهجية وجوانب التكامل والتقابل، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد 68.

- **محمد رمضان البع.**

12.دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم، مجلة جامعة الأقصى، المجلد 13، العدد2. 2009.

- **محمد هاني عطوي**

13. ليل دائم في فضاء الكون، مجلة الخليج الالكترونية بتاريخ21. 07. 2012.

- **محمود فضل محمود عياد**

14. السماوات والأرض بين الفهم الإسلامي والعلم الحديث، مطبوعات الجامعة الإسلامية غزة، ط1. 2014.

- **يحي أحمد**

15.الإتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلد20، العدد الثالث (03) سنة 1989.

جـــ. المراجع الأجنبية المترجمة:

- **بينيديك جين**

1. الكتاب الأول عن الزمن، ترجمة محمد برهان الدين بنداوي، مرتجعة محمد جميل القصاص، ط1. 1992، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

- **روبارت دي بوجراند.**

2.النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1. 1998.

- **ستيفن أولمان**

3.دور الكلمة في اللغة العربية، ترجمة كمال محمد بشير، مكتبة الشباب. دط.

- **فرنك بالمر:**

4.علم الدلالة، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة، جامعة البصرة، العراق، دط، 1980.

فهرس الموضوعات

مقدمة

الفصل الأول:

مفهوم الاقتران الثنائي ومظاهره في اللغة العربية

المبحث الأوّل: التأصيل لمفهوم الاقتران الثنائي 2

1. التعريف بالاقتران في اللغة..... 3
2. التعريف بالاقتران في الاصطلاح..... 5
3. مقومات الاقتران الثنائي..... 6
4. ضوابط الاقتران الثنائي..... 6
5. أنواع الاقتران الثنائي..... 8
6. مصطلحات قريبة من الاقتران الثنائي..... 9

- الإتباع..... 9
- التضام..... 10
- الرَّصف..... 13
- المحاداة..... 14
- المتلازمات الاصطلاحية..... 16
- المصاحبة اللفظية..... 18
- إئتلاف اللفظ مع اللفظ..... 20
- الألفاظ المترادفة..... 21
- الأمثال السائرة..... 22

المبحث الثاني: معالم الاقتران الثنائي في الدراسات اللغوية

1. الاقتران الثنائي في الدراسات العربية القديمة..... 24

2. الاقتران الثنائي في الدراسات الغربية الحديثة..... 32
3. الاقتران الثنائي في الدراسات العربية الحديثة..... 34
المبحث الثالث: مظاهر الاقتران الثنائي في المستويات اللغوية
1. الاقتران الصوتي..... 40
2. الاقتران المعجمي..... 46
3. الاقتران النحوي..... 49
4. الاقتران البلاغي..... 55
خاتمة الفصل الأول..... 71

الفصل الثاني:

الاقتران الثنائي ومظاهره الدلالية

المبحث الأول: المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي عند القدماء
1. مظاهر الاقتران الثنائي عند المفسرين..... 74
2. مظاهر الاقتران الثنائي عند البلاغيين..... 88
3. مظاهر الاقتران الثنائي عند الأصوليين..... 101
4. مظاهر الاقتران الثنائي عند الفقهاء..... 111
المبحث الثاني: المظاهر الدلالية للاقتران الثنائي عند المحدثين
1. مظاهر الاقتران الثنائي في علم الدلالة..... 115
أ. دلالة التضاد على الاقتران الثنائي..... 116
ب. دلالة الترادف على الاقتران الثنائي..... 119
ت. دلالة التقابل على الاقتران الثنائي..... 124
2. مظاهر الاقتران الثنائي في لسانيات النّصّ..... 124
أ. التكرار..... 124

ب. المصاحبة اللغوية..... 127

ت. الإحالة..... 128

ث. المشاكلة اللغوية..... 130

ج. العكس والتبديل..... 131

ح. الإجمال والتفصيل..... 132

خ. التباين..... 132

د. التتميم..... 133

الفصل الثالث:

الاقتران الثنائي وأثره البلاغي في الربع الأخير من القرآن الكريم

مدونة الاقتران الثنائي في ألفاظ القرآن الكريم (الربع الأخير نموذجا)..... 137

المدونة..... 140

الحقول الدلالية للألفاظ المقترنة في الربع الأخير من القرآن الكريم..... 146

المبحث الأول: الاقتران الثنائي في الأسماء والصفات

1. العزيز الحكيم..... 155

2. السميع البصير..... 165

3. الغني الحميد..... 173

المبحث الثاني: الاقتران الثنائي في صفات الرسل والأنبياء.

1. النذير المبين..... 182

2. البشير النذير..... 189

3. الرسول الكريم..... 196

4. إبراهيم وموسى..... 202

المبحث الثالث: الاقتران الثنائي في ألفاظ العقيدة والإيمان

1. الإيمان والعمل الصالح..... 207
2. الخير والشر..... 215
3. الدنيا والآخرة..... 228
4. السر والعلانية..... 238
5. الصراط المستقيم..... 245
6. الصلاة والزكاة..... 253
7. العذاب الأليم..... 261
8. الغيب والشهادة..... 266
9. الفضل والرضوان..... 273
10. الهداية والضلال..... 278
11. اليسر والعسر..... 286
12. جنات وعيون..... 295
13. الإثم والعدوان..... 299
14. الإثم والفواحش..... 305

المبحث الرابع: الاقتران الثنائي في ألفاظ الكائن الحي

1. الإنس والجن..... 311
2. قدَّم وأخَّر..... 320
3. الخوف والحزن..... 325
4. الذكر والأنثى..... 331
5. السائل والمحروم..... 340
6. السر والجهر..... 346

7. الصدق والكذب..... 352

8. اللهو واللعب..... 358

9. الموت والحياة..... 364

10.أساطير الأولين..... 371

المبحث الخامس: الاقتران الثنائي في ألفاظ الطبيعة والكون

1. السماء والأرض..... 377

2. الشمس والقمر..... 394

3. الليل والنهار..... 402

4. المشرق والمغرب..... 409

5. العشيّ والإبكار..... 418

المبحث السادس: الاقتران الثنائي في ألفاظ الجهات

3. المشرق والمغرب..... 425

4. اليمين والشمال..... 432

خاتمة الفصل الثالث:..... 440

الخاتمة..... 442

الفهارس

فهرس الآيات الكريمة 449

فهرس الأحاديث الشريفة..... 460

فهرس الأشعار 467

قائمة المصادر والمراجع..... 471

فهرس الموضوعات 497

الملخص

الملخص

ملخص الدراسة

تُعَدُّ ظاهرة الاقتران الثنائي من أبرز الظواهر اللغوية الحديثة، يتجلى هذا البروز من خلال العناية الكبيرة التي حظيت بها من قِبَل علماء اللغة على اختلاف مدارسهم وتنوّع مشاربهم. ولا تزال هذه الظاهرة اللغوية محطّ أنظارهم ودراساتهم إلى يومنا هذا. من أجل ذلك هدفت الدراسة إلى التعريف بفكرة (الاقتران الثنائي) في ألفاظ اللغة، والتأصيل لمفهومها، وبيان أهم الجوانب اللغوية المتعلقة بها، بالإضافة إلى عرض جهود علماء العرب لإبراز هذه الظاهرة، والإشارة إلى مظاهرها عبر مستويات اللغة المختلفة؛ الصوتي، والمعجمي، والنّحوي، والبلاغي. وكذا بيان تجلياتها عند المفسرين، والبلاغيين، والأصوليين، والفقهاء. كما اشتملت الدراسة على بيان جهود علماء الغرب في قضية الاقتران الثنائي على مستوى الدراسات الدّلالية ولسانيات النّص.ثم هدفت الدراسة بعد ذلك إلى محاولة تذليل الصعوبات والعقبات التي قد تعيق فهم هذه الظاهرة اللغوية من خلال عرض نماذج تطبيقية للألفاظ المقترنة ثنائيا في الربع الأخير من القرآن الكريم وذلك في الفصل الثالث من الدراسة.

وقد اتبعت الدراسة من أجل تحقيق أهدافها المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت من خلاله إلى اعتبار ظاهرة الاقتران الثنائي ظاهرة عامّة عابرة لجميع اللغات البشرية، ولا تختص بها اللغة العربية لوحدها، بل تتميز في العربية بأنها أكثر دقة وانتظاما، لحرصها الشديد على اختيار ألفاظها وحسن ترتيبها ودقة نظمها في الاستعمال.

وتبعا لما سبق توصلت الدراسة إلى أن ظاهرة الاقتران الثنائي من الظواهر التي انتبه إليها علماء العرب الأوائل، وخير شاهد على ذلك مصنفاتهم اللغوية العديدة كالمعاجم وكتب فقه اللغة وغيرها.

كما تُظهر الدراسة أن علماء العرب لم يتخذوا مصطلحاً واحداً لهذه الظاهرة، بل تعددت مصطلحاتهم من دارس إلى آخر ومن زمان إلى آخر، كالإتباع، والتضام، والمحاداة... وأشارت الدراسة إلى أن مصطلح (الاقتران الثنائي) ظهر في الدراسات اللغوية الحديثة، وارتبط ظهوره أساساً بالترجمة، حيث تمت ترجمته من مصطلح (collocation) لصاحبه "فيرث" firth"

وانتهت الدراسة إلى اعتبار ظاهرة الاقتران الثنائي وجهاً من وجوه الإعجاز اللغوي في ألفاظ القرآن الكريم، الأمر الذي أضفى على النّص القرآني مسحة من السحر والجمال اللذين يأسران العقول والقلوب

كليهما. وقد بيّنت الدراسة أن القرآن الكريم كان ولا يزال منبعاً ثرًّا لكثير من الدّارسين والباحثين في خبايا ألفاظه وكنوزها خاصة ما اقترن منها ثنائيا، التي شملت مساحة واسعة من هذا الجزء من القرآن الكريم، كألفاظ الطبيعة والكون، والعقيدة والإيمان، والأسماء والصفات، وألفاظ الكائن الحي وأسماء الرسل واللأنبياء...

وقد شكلت معرفة هذه النماذج للألفاظ المقترنة أثراً كبيراً في تحديد دلالاتها، وما نشأ عنها من آثار مختلفة منها على وجه الخصوص الآثار البلاغية والتي كانت موضوع الدراسة. إنَّ التوصل إلى هذه الآثار يدُلُّ على ثراء لغة القرآن ودقتها في اختيار ألفاظها وكلماتها وترتيبها مما يبعث في نفس الباحث نوعا من المتعة وفي الوقت نفسه من الرهبة والمشقة في استخراجها والتعليق عليها.

لذلك توصي الدراسة بتناول هذه الظاهرة وتطبيقها على بقية أجزاء القرآن الكريم للوقوف على بلاغة ألفاظه الموحية وفصاحتها وثراء معانيها وسحر أسلوبها.

Summary

The phenomenon of bilateral collocation is one of the most prominent modern linguistic phenomena. This prominence is so evident through the consideration that was given to it by linguists of different schools and diverse paths.

Up to this day this linguistic phenomenon is still the focus of thelinguist ‘s attention and studies. For this purpose, the study aimed to introduce the idea of (binary collocation) in terms of language and details of its concept and to explain the most important linguistic aspects related to it in addition to presenting the efforts of Arab scholars to highlight this phenomenon and aspects Through the various levels of language, phonemic, lexical, grammatical, and rhetorical, they also explained their manifestations among the interpreters, rhetoric, fundamentalists, and jurists. The study also included explaining the efforts of Western scholars in the issue of bilateral pairing and collocation at the level of semantic studies and text linguistics. After that, the study aimed at explaining the difficulties and obstacles that may hinder the understanding of this linguistic phenomenon by presenting practical models of the verbally paired and collocated words in the last quarter of the holly Qur’an and in the third chapter.

The study followed the descriptive and analytical method so as to achieve its goals, and through it it was considered that the phenomenon of bilateral collocation is a general transient phenomenon for all human languages, it is rather distinguishible in the Arabic language for being more accurate and systematic for the arrangement and accuracy of its systems in use.

The study concluded that the phenomenon of binary collocation is one of the phenomena that the first Arab scholars have noticed, and the best testimony to that was their many linguistic works and dictionaries.

The study also shows that Arab scholars did not take a single term for this phenomenon, but their terminology varied from one scholar to another from time to time, such as followers subordination and juxstaposition.

The study also shows that Arab scholars did not take a single term for this phenomenon, but their terminology varied from one scholar to another from an era to another era, such as followers and advocacy. The study

indicated that the term pairing appeared in modern linguistic studies and its appearance was mainly related to translation as it was translated from the term collocation of its owner Firth

The study concluded that the phenomenon of binary collocation is considered as one of the miraculous aspects of the wording of the Qur'anic command. The Qur'anic text gave a touch of magic and beauty that left the minds and hearts attracted.

The study showed that the Noble Qur'an was and still a source for many scholars and researchers llokinf for hidden mysteries and treasures of it's words, especially what was paired and collocated with them bilaterally.

Which included a large area of this part of the Holy Qur'an, such as the words nature, universe, creed, faith, names, attributes, words, living creatures, names of the messengers, and prophets.

And the knowledge of these models of the collocated words has formed a major impact in determining their significance and the various effects that have arisen from them, in particular the rhetorical effects that were the subject of the study.

The attainment of these effects indicates the richness of the Qur'anic language and its accuracy in choosing its words, and word arrangement, which raises in the researcher a kind of awe and difficulty in extracting and commenting on it.

The study recommends dealing with this phenomenon and applying it to the rest of the Qur'anic partsin order to find and discover the rhetoric of the inspirational eloquence, richness of its meanings, and charm of its style.